

مجلة التأصيل جامعة دنقالا

العدد الحادي عشر يناير ٢٠٢٦
المجلد الأول

هيئة التحرير

المشرف العام

أ.د. الوليد مصطفى إبراهيم موسى

رئيس التحرير

د. الأمين عثمان شعيب

نائب رئيس التحرير

د. صالحة سيد أحمد عبد الله

المحررون:

أ.د. أشرف إبراهيم عبد الله إبراهيم

د. عبد الله الطيب علي أحمد

د. أبو القاسم جمعة أحمد محمد

د. محمد علي محمود الزين

أ. أبو القاسم علي محمد عقید

هيئة المستشارين

أ.د. عبد الحكيم حسن إبراهيم
أ.د. معاوية بابكر حسن المهدى
أ.د. كباشى حسين قسيمة إسماعيل
أ.د. الزهور حسن الماهلى
أ.د. مهيد محمد الماتى ووكيل
أ.د. الطيب محمد المصطفى حياتى
أ.د. على أحمد بابكر
أ.د. كمال الحاج حسين عبد الرحمن
أ.د. كمال عبد الله المهاوى
أ.د. قيس عبد الله إبراهيم الحاج
أ.د. أحمد محمد زيد
د. أبو القاسم خليفة التهامى
د. رحاب عبد الرحمن الشريف
د. قاسم عمر أبو الخير
د. محمود محمد أحمد على عثمان

قواعد النشر:

- * تُعنى المجلة بنشر البحوث العلمية المقدمة إليها وفق رؤية تأصيلية.
- * تقبل البحوث من كافة الباحثين داخل وخارج السودان.
- * ألاً يكون البحث قد نشر أو قيد الإجراء للنشر في أي دورية علمية أخرى.
- * ألاً تكون الورقة جزءاً من رسالة جامعية أو كتاب منشور.
- * يرسل البحث إلكترونياً على بريد المجلة بنوع خط Simplified Arabic بـ ١٤ بمسافة واحدة.
- * يقدم البحث مطبوعاً على ورق A4. على ملف وورد (٢٠٠٧).
- * ألاً تزيد عدد الصفحات عن ٢٥ صفحة ولا تكون أقل من ١٢ صفحة، ويرفق مستخلصاً للبحث لا يزيد عن (٢٠٠ كلمة) باللغة العربية فقط، حيث يشتمل المستخلص على أهداف البحث وأهميته، ومشكلة البحث، والمنهج المتبع في البحث، والنتائج المتحصل عليها.
- * مراعاة الجودة في الفكرة والأسلوب والمنهج والتوثيق العلمي والخلو من الأخطاء اللغوية وال نحوية.
- * تُوضع إحالات المراجع داخل النص على نمط جمعية علم النفس الأمريكية (APA) (ابن كثير، ٢٠٠٤ م، ١٥٢) ومن ثم تأتي تفاصيل المراجع كالتالي:
 - اسم العائلة، الاسم الأول، سنة النشر، عنوان الكتاب، دار النشر، مكان النشر.
 - ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر، ٤٢٠٠٢ م، تفسير القرآن العظيم، مكتبة الصفاء، القاهرة.
 - في حالة التوثيق من المجلات: اسم المؤلف، سنة النشر، ويُوضع عنوان المقال بين علامتي تنصيص، ثم اسم الدورية، المجلد أو العدد، بلد النشر، ثم ترتيب صفحات المقال داخل العدد.
 - حسن، صالح رمضان، ٢٠٠٢ م، "الصحابي المجاهد، النعمان بن مقرن المزنبي"، مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية، العدد الرابع والعشرون، دبي، ص ٢٣٠-٢٤٨.
 - بالنسبة للرسائل الجامعية: اسم الباحث، سنة النشر، عنوان الرسالة، نوع الرسالة (ماجستير - دكتوراه)، الجامعة المانحة للدرجة.
- عبد الرازق، فائز أحمد، ٢٠٠٨ م، فاعلية استخدام مسح العرائس في تنمية بعض الجوانب الاجتماعية والأخلاقية، رسالة ماجستير منشورة، جامعة بور سعيد.
- * تُعرض البحوث المقدمة للنشر في المجلة حال قبولها مبدئياً على محكمين من ذوي الاختصاص يتم اختيارهم بسرية تامة.
- * للمجلة الحق في إجراء أي تعديلات شكلية تتناسب ورسالة المجلة.
- * تعذر المجلة عن النظر في البحوث المخالفة لقواعد النشر.
- * تنقل حقوق طبع البحث ونشره إلى مجلة التأصيل جامعة دنقالا بعد إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر.
- * الأفكار الواردة في المجلة تعبر عن رأي الباحثين وليس عن رأي المجلة.
- * البحوث التي لا تنشر لا ترد لأصحابها.

* ترسل البحوث إلى رئيس تحرير المجلة على العنوان التالي: مجلة التأصيل جامعة دنقالا جمهورية
السودان على البريد الإلكتروني الآتي: jruofd2018@uofd.edu.sd
أو الاتصال على telephones التالية: ٠٠٢٤٩٩١١٠٨٠٠١ - ٠٠٢٤٩١٢٣٣٢٣٢٦٤

محتويات العدد

صفحة	الكاتب	الموضوع
ب		هيئة التحرير
ج		مستشارية التحرير
د		قواعد النشر
و		محتويات العدد
ز		كلمة العدد
١	إبراهيم بن عبد العزيز بن راجح الراجح	أقوال المفسرين التي وصفها الرازى بالتكلف في تفسيره (مفاتيح الغيب) (دراسة وصفية تحليلية)
٢٣	د. فاطمة بشير وداعمة	بلاغة الانزياح الفعلى في القرآن الكريم (الزمن والتقارب الدلالي نموذجاً)
٤٣	ختام أحمد بخي عمر	اتجاهات معلمي و المتعلمات اللغة العربية في مديرية التربية والتعليم لمحافظة جرش نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية
٦١	زينب الطاهر الشيخ الطيب بدر د. إبتسام محجوب محمد نعيم د. أمنوه تاج السر محمد محمود	فاعلية برنامج معرفي سلوكي في تعزيز مهارات التواصل لدى أسر مرضى الفصام بمستشفيات الخرطوم
٧٤	د. طه محمد سعيد عبد المجيد	تصور مقترح لتأصيل منهج اللغة العربية للحلقة الأولى في التعليم العام بالسودان
٨٢	د. سعيد علي كوزي د. أسمهان عبد الله محمد محمود	دور الإدارة الأهلية في الحد من آثار الأزمة السودانية وتعزيز استدامة الأمن بمحليات كبكابية
١١٢	هاني محمد إبراهيم المكي	العلاقات السودانية السعودية في ظل التحولات السياسية بالسودان ١٩٦٩-١٩٧٠م
١٢٣	د. إسراء أحمد عبد الله الخليفة البشير د. عمرو فضل المولى علي زياد د. عفراء علي عبد القادر	أسباب وآثار انتشار مرض الملاريا بمدينة كوسٰي ولاية النيل الأبيض
١٤٢	د. ميسرة خليل إدريس محمد	أثر نظم المعلومات الإدارية في تطبيق الجودة الشاملة لتحقيق ميزات تنافسية [دراسة حالة: القطاع المصرفي السوداني]
١٥٩	د. منال عبد الله علي أحمد	المنهجية العلمية للقاضي البيضاوي من خلال كتابه (المهاج في أصول الفقه) وأثرها في استيعاب المستجدات المعاصرة
١٨١	د. إسحاق آدم أحمد د. الزين مصطفى عبد المقيت محمد	إسهام العقيدة الإسلامية في صياغة القيم الدينية المشتركة بين الأمم
١٩٢	المبدي موسى الطاهر موسى محمد التور محمد كيلاني عمر عبد الرحمن محمد منصور زينب بشير علي عبد الله	دور مبناء كوسٰي الجاف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بولاية النيل الأبيض (٢٠١٠-٢٠٢٠م)

٢٢٦	د. عبد الرؤوف وليد العرفة	منهج الفراء في توجيهه غريب الحديث (جمع ودراسة من خلال غريب الحديث لأبي عبيد)
٢٥٢	مصطفى الرضي أحمد	أثر السياسات النقدية على التنمية الاقتصادية في السودان خلال الفترة ١٩٩٧ - ٢٠٢٣ م

كلمة العدد

فُرّاءنا الكرام..

نحمد الله إليكم أن وفقنا لإصدار هذا العدد الذي يقع في مجلدين من حجم ما درجنا على إعداده من الإصدارات السابقة وما ذلك إلا دلالة على إقبال الباحثين على النشر في هذه المجلة وذلك بفضل إسهامكم بالأراء السديدة والنقد القويم مما أسمهم في إنجاح هذه التجربة في النشر والإخراج على نحوٍ مرضيٍ إلى درجة كبيرة.

يأتي هذا العدد حاوياً لعديد المجالات البحثية متطرقاً لمهمات الأمور فيها. فمن تلك المجالات البحثية التي جاءت فيها موضوعات هذا العدد: العلوم الإسلامية وعلوم اللغة العربية والعلوم التربوية والإدارة والإحصاء والقانون والتاريخ.

ومما اشتمل عليه هذا العدد من الموضوعات في محور الدراسات الإسلامية تأتي دراسةً وصفية تحليلية فيما أسماه الإمام الرازى بـ"النُّتُف" في التفسير. وـ"إسهام العقيدة الإسلامية في صياغة القيم الدينية المشتركة بين الأمم". ومنهجية الإمام البيضاوى العلمية في كتابه "المهاج" في أصول الفقه وأثره في فقهه "المستجدات العصرية". وكذلك "أحكام الأحداث" دراسة قانونية فقهية مقارنة.

أما في الدراسات اللغوية تجدون بحوثاً متنوعةً بين النقد والوصف والتحليل، فمن ذلك بحث حول كتاب "الكناش" في في النحو والصرف لأديب عصره إسماعيل بن الأفضل الأيوبي المعروف بـ"صاحب حماة" وكتابه يتناول الظواهر النحوية والصرفية. وكذلك تطالعون بحثاً تحت عنوان "منهج الإمام الفراء في توجيه غريب الحديث". وفي العدد دراسة وصفية تحليلية للخطاب الصوفي في ديوان الإمام الصرصري. وفي العدد كذلك بحث في "بلاغة الانزياح" في القرآن الكريم بعاملي "الزمن" وـ"التقارب الدلالي"، ثم "الانزياح" اتجاه حداثي في النقد الأدبي الذي يأتي في إطار محاولة عصرية لدراسة التراث العربي. وكذلك "السجع" دراسة بلاغية في إنتاج الشاعرين صفي الدين الحلي وابن حجة الحموي.

وفي مجال التاريخ تطالعون بحوثاً في "طقوس الحضارة الكوشية" وـ"تطور التاريخ الفكري لمكة المكرمة" وـ"السلطان عبد الحميد الثاني وتيودور هرتزل" وـ"العلاقات السودانية السعودية".

(1969-١٩٧٠)

ومن الدراسات القانونية بهذا العدد تجدون دراسات حول "أثر الحرب في السودان في عقود التأمين"، وكذلك "الطبيعة القانونية لعقد الترخيص"، ثم "مرونة الفقه الإسلامي في اعتبار النقود والعقود وأثرها الإيجابي على المالية".

وفي مجال الدراسات التربوية تأتي دراسة لـ"اتجاهات معلمى ومعلمات اللغة العربية نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية" ودراسة حول "برنامج معرفى سلوكي لتعزيز مهارات التواصل لدى أسر مرضى الفصام" بمستشفيات ولاية الخرطوم. وكذلك "تصور مقتبٍ لتأصيل

منهج اللغة العربية للحلقة الأولى للتعليم العام بالسودان، و"دور الإدارة الأهلية في الحد من آثار الأزمة السودانية وتعزيز استدامة الأمن" دراسة حالة في " محلية كبكابية".

ومن الدراسات الجامعية بين مجالات عدة تأتي دراسة في آثر غياب أنظمة الجودة في مراقبة المستشفيات وتبني السجلات الإلكترونية وأثره في رضا العاملين. ثم "غياب أنظمة إدارة الجودة وأثرها على مراقبة الأجهزة الطبية الحيوية بالمستشفيات السودانية الخاصة" بين عامي ٢٠٢٤-٢٠٢٥، وكذلك دراسة حول آثر تقدم المعلومات الإدارية في تطبيق الجودة الشاملة لتحقيق مميزات قياسية في قطاع المصارف السودانية. وكذلك بحث في "دور ميناء كوسى الجاف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بولاية النيل الأبيض في السودان بين عامي ٢٠١٠-٢٠٢١ م. ثم بحثاً تحت عنوان "آثر السياسات النقدية على التنمية الاقتصادية في السودان خلال الفترة ١٩٩٧-٢٠٢٣ م". وكذلك "التخطيط السياحي لأغراض تنمية سياحية بيئية مستدامة - إقليم المحس بشمال السودان نموذجاً".

وفي مجال الدراسات الإحصائية تجدون "استخدام تحليل الانحدار في قياس آثر التضخم والإنفاق الحكومي في انخفاض سعر الصرف.

وفي المجال الصحي تجدون بحثاً في "أسباب وأثر انتشار مرض الملاريا بمدينة كوسى بولاية النيل الأبيض" في السودان.

القراء الكرام...

تنصب جل جهودنا في تجويد مخرجات هذه الأعداد بما تطمح إليه قرائحكم المشربةة دوماً إلى مناهل المعرفة والتمحيص، ولن تؤتي هذه الجهود ثمارها بغير تلاقي العمل من جانبنا والنقد البناء منكم، آملين أن تصلنا منكم الآراء النصوح والأفكار البناءة والنقد المخلص فأنتم الشركاء الموثوقون في هذا العمل فعليكم الاعتماد في ذلك وعلى الله التكالن.

هيئة التحرير

أقوال المفسرين التي وصفها الرازى بالتكلف في تفسيره (مفاتيح الغيب) (دراسة وصفية تحليلية)

إبراهيم بن عبد العزيز بن راجح الرابع^(٤)

المستخلص:

يتلخص البحث في بيان أقوال المفسرين رحمة الله التي وصفها فخر الدين الرازى بالتكلف في تفسيره (مفاتيح الغيب)، وتوضيح معنى مصطلح التكلف ومفهومه عند فخر الدين الرازى رحمة الله، وبيان الصيغ التي استخدمها الرازى في وصفه للأقوال التي يذكرها المفسرون في المسائل التي تدرج في بيان معنى الآية أو أحد ألفاظها، مع التطرق إلى التعريف بفخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦هـ، والتعريف بكتابه (التفسير الكبير) أو (مفاتيح الغيب)، وبيان مصطلح التكلف في اللغة والاصطلاح، والاستشهاد من ناحية تطبيقية بخمسة مواضع تفسيرية للآيات التي وصف فيها الرازى رحمة الله أقوال المفسرين في بيان معنى الآية بالتكلف، ودراسة هذه المواقع من ناحية البيان والشرح لقول الرازى الذي تضمن وصفه لقول بالتكلف، ثم جمع أقوال المفسرين في الموضع نفسه، وبيان أقوالهم في معنى الآية، ودراسة هذه الأقوال من ناحية توافقهم أو مخالفتهم مع الرازى في وصفه لقول بالتكلف، ثم ذكر الترجيح بين أقوال المفسرين في معنى الآية، وبيان مدى رجاحة ووجاهة وصف الرازى لقول بالتكلف من ناحية القبول والرد.

الكلمات المفتاحية: التكلف، الرازى، مفاتيح الغيب، الترجح، تفسير.

المقدمة:

إن الحمد لله نحمه ونستعينه ونستغفره، وننحوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا، من يهدى الله فلا مضل له ومن يضل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنَّتُمْ مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ١٠٢]، (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١]، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا * يُصْلِحُ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا) [الأحزاب: ٧١-٧٠]، أما بعد: فإن خير ما اشتغل به المشغلون طلب العلم الشرعي، ومن أشرف العلوم الشرعية وأرفعها ما كان في فهم معانى القرآن الكريم؛ فإن العلم يشرف بشرف المعلوم، ولهذا دأب العلماء في المساهمة في إدراك هذا الفهم، فالفروا كتباً في التفسير، ونقلوا فيها أقوال السلف، وأقوال من سبقهم في التفسير، وبينوا رأيهم في تلك الأقوال من ناحية القبول والرد، فظهرت في كتبهم مصطلحات خاصة ببعضهم، ومن تلك المصطلحات مصطلح

(٤) أستاذ القرآن وعلومه المساعد في قسم الشريعة والدراسات الإسلامية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة الملك فيصل.

(التكلف) الذي استخدمه فخر الدين الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب)، فكانت فكرة هذا البحث في الوقوف على هذا المصطلح، وبيان معناه ومفهومه عند الرازي، ومدى صحة إطلاقه على بعض أقوال المفسرين من قبله، فلهذا عزّمت على كتابة هذا البحث وأسمّيته بـ(أقوال المفسرين التي وصفها الرازي بالتكلف في تفسيره (مفاتيح الغيب) دراسة وصفية تحليلية).

أسباب اختيار الموضوع:

تكمّن أسباب اختيار الموضوع في الآتي:

١. بيان مفهوم مصطلح التتكلف عند فخر الدين الرازي.
٢. حصر صيغ التتكلف التي استخدمها الرازي في تفسيره (مفاتيح الغيب).
٣. بيان حكم إطلاق الرازي وصف التتكلف على بعض أقوال المفسرين من ناحية القبول والرد.

أهمية الموضوع:

تكمّن أهمية هذا البحث في الآتي:

١. توضيح مفهوم مصطلح (التكلف) عند فخر الدين الرازي.
٢. إبراز اهتمام فخر الدين الرازي بالترجيح بين الأقوال بذكر وصفٍ للقول يدل على ضعفه أو رده أو بيان عدم رجاحه.
٣. دراسة المسائل التي تضمنت وصف الرازي لبعض أقوال المفسرين بالتكلف، من ناحية جمع أقوالهم والترجح بينها.

منهج البحث:

اعتمدت في البحث على المنهج الاستقرائي التحليلي، وكان عملي في البحث يتلخص في الخطوات التالية:

١. أنقل قول الرازي الذي صرّ فيه بوصف التتكلف، وأنقل معه ما يلزم من نقله في بيان المسألة، ثم أدرس قول الرازي وأوضّحه، ثم أعقبه بدراسة أقوال المفسرين في الآية المستشهد بها، وأرجّح بين الأقوال، مع بيان الحكم في وصف الرازي للقول بالتكلف من ناحية القبول والرد.
 ٢. رتبّت المسائل المستشهد بها حسب ترتيبها في القرآن الكريم.
 ٣. عزّوت الآيات القرآنية إلى سورها مبيناً رقم الآية.
 ٤. خرجت الأحاديث الواردة في البحث، فإن كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما أو أحدهما، وإن كان في غيرهما فإنني أجمد في تخريجه مع بيان صحته من ضعفه عند أهل العلم.
 ٥. لم أترجم للأعلام واكتفيت بذكر سنة الوفاة؛ طلباً للاختصار.
 ٦. عرفت بالأماكن والبلدان الواردة في البحث.
 ٧. عزّوت في الحاشية كتب التفسير لمؤلفها، دون ذكر عنوان الكتاب؛ طلباً للاختصار.
- وأسأل الله عز وجل التيسير والتوفيق والسداد.

الدراسات السابقة:

لم أطلع -فيما وقفت عليه- على من أفرد دراسة عن مصطلح (التكلف) عند الرازي ووصفه لبعض أقوال المفسرين بالتكلف في تفسيره، ومن الدراسات التي ذكرت ضمن تصنيفها كلاماً عن فخر الدين الرازي رحمة الله الذي اشتهر بوصفه من المفسرين الذين وصفوا بالتكلف في طريقة في كتابة تفسيره، ومن هذه البحوث:

١- دراسة بعنوان: (التكلف في التفسير عند المعاصرين، الأسباب والآثار)، للباحث: محمد مؤمن محمد بامؤمن، وهي دراسة لنيل درجة الماجستير في التفسير وعلوم القرآن، من كلية أصول الدين في جامعة أم درمان بالسودان، عام ١٤٣١ هـ - ٢٠١٠ م.

طرق الباحث في ست صفحات -من صفحة ٤٥-٤٠- في التمثيل بفخر الدين الرازي بأنه أشهر من وصف بالتكلف في تفسيره، وضرب ثلاثة أمثلة تدل على ذلك. أما بحثي هذا فهو على النقيض؛ فإنه يبين أن الرازي هو من يصف غيره بالتكلف.

وهناك دراسات خاصة في بيان التكلف بشكل عام أو تتعلق بمباحث خاصة به، وهي لا تتقاطع مع هذه الدراسة التي تتعلق بفخر الدين الرازي، ومنها:

٢- دراسة بعنوان: (التكلف عند المفسرين، الأسباب والآثار)، للسيد عمر علي سليمان، والأستاذ الدكتور طه إبراهيم شبيب، بحث محكم في مجلة جامعة الأنبار للعلوم الإنسانية بالعراق، العدد ٥٣ بحث رقم ١٣.

٣- دراسة بعنوان: (الأقوال المتکلفة في الناسخ والمنسوخ عند المفسرين في القرنين السادس والسابع الهجري، سورة البقرة أنموذجًا)، لأحمد حميد أغلو، بحث محكم في مجلة الجامعة العراقية، العدد ٦٢، المجلد الثاني، ٢٠٢٣ م.

وليس فيما ما يتعلق بفخر الدين الرازي، ولا أمثلة من كتابه (مفاتيح الغيب). ويتبين مما سبق أن مصطلح التكلف واستخدامه عند فخر الدين الرازي في تفسيره لم تفرد بالدراسة - على حسب اطلاعه؛ لذلك عزمت على هذه الدراسة، والله الموفق والمعين سبحانه.

ترجمة لفخر الدين الرازي، والتعريف بتفسيره (مفاتيح الغيب)

أولاً: التعريف بفخر الدين الرازي (ابن أبي أصيبيعه، د.ت. ٤٦٢/١؛ ابن خلكان، د.ت. ٢٤٨/٤. الذبي، ١٣٧/١٣، ٢٠٠٣ م، ١٣٧/١٣؛ الصفدي، ١٧٥/٤، ٢٠٠٣ م، ١٧٥/١؛ ابن كثير، ٢٠٠٣ م، ١١/١٧؛ العسقلاني، ١٩٧١ م، ٣١٧/٥؛ الباباني، ١٩٥١ م، ١٠٧/٢):

اسميه وكنيته ولقبه:

هو محمد بن عمر بن الحسين بن الحسن بن علي القرشي التيمي البكري الرازي، الفقيه الشافعى، يكنى بأبي عبد الله، وأبي المعالى، وابن خطيب الري، ويلقب بفخر الدين الرازي، وشيخ الإسلام، والرازي.

مولده ونشأته:

ولد فخر الدين الرازي في مدينة (الري)^(١)، في شهر رمضان عام ٥٤٤هـ وقيل: ٥٤٣هـ، وكانت نشأته في أسرة اشتهرت بالعلم، تلمنذ في بداية حياته على يد والده ضياء الدين الذي كان خطيب الري، وكان فقهياً من علماء الشافعية، اشتغل بعلم الخلاف والأصول، وله تصانيف في الأصول وفي الوعظ، فأخذ الرازي عن والده علم الأصول، وعلم الفقه على مذهب الإمام الشافعي رحمه الله، وبعد وفاة والده أخذ في تحصيل العلم من غيره، فلازم شيخه مجد الدين الجيلي بمدينة (المراغة) في أذربيجان، وأخذ عنه علم الكلام والفلسفة، وأخذ عن شيخه الكمال السمناني، ومحمد بن علي بن الحسين الحمصي الرازي الملقب بالشيخ السديد، ثم صحب شيخه عبد الرحمن بن عبد الكريم السرخسي الطبيب. وقد اشتهر فخر الدين الرازي بالعلم، فكان عظيماً عند ملوك خوارزم وغيرهم، وبنيت له مدارس كثيرة في عدة بلدان، وانتشرت مؤلفاته في الآفاق^(٢)، وكان الناس يقصدونه من البلدان، وله تلاميذ كثير، حتى أنه إذا ركب يمشي حوله ثلاثة تلاميذ. كان ربع القامة، كث اللحية، عظيم الصدر والرأس.

وفاته: توفي الرازي رحمه الله تعالى في مدينة (هراء)^(٣)، في يوم العيد غرة شهر شوال سنة ست وستمائة من الهجرة.

ثانياً: التعريف بتفسير: (مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير):

يعتبر تفسير الرازي من أشهر التفاسير وأوسعها وأكبرها حجماً، وهو من التفاسير التي غالب عليها طريقة التفسير بالرأي، تميز تفسير الرازي بذكر المسائل التي تتعلق بالآلية من الناحية التفسيرية، واللغوية والبلاغية، والأحكام الفقهية، ونقل أقوال المفسرين قبله، وقد اشتهر الرازي باهتمامه بعلم المناسبات بين الآيات القرآنية، وبين السور القرآنية؛ فكتابه من أشهر التفاسير التي عننت بعلم المناسبات.

وقد أكثر الرازي رحمه الله ذكر مسائل في تفسيره لا تتعلق بالتفسير، كالمسائل التي تتعلق بعلم الكلام، وعلم الكون والطبيعة، وعلم الطب، والعلوم الرياضية والفلسفية، وغيرها، حتى غلت من

(١) بفتح أوله، وتشديد ثانية وهي مدينة مشهورة من أمهات البلاد وأعلام المدن، قريبة من خراسان، فتحت في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ثلث وعشرين. يعقوبي، ٨٩، ١٤٢٢هـ؛ والجموي، ١١٦، ٣، ١٩٩٥م؛ والجميري، ٢٧٨، ١٩٨م.

(٢) من أسباب انتشار مؤلفاته أنه اخترع ترتيباً في كتبه لم يسبق إليه؛ فإنه كان "يذكر المسألة ويفتح باب تقسيمها، وقسمة فروع ذلك التقسيم، ويستدل بأدلة السبر والتقسيم، فلا يشد منه عن تلك المسألة فرع لها بها علاقة؛ فانضببت له القواعد، وانحصرت له المسائل". الصفدي، ٢٠٠٠م، ٤، ١٧٦.

(٣) هراء، بالفتح: مدينة عظيمة مشهورة، من أمهات مدن خراسان. الجموي، ١٩٩٥م، ٥، ٣٩٦.

كثرتها على التفسير، مما جعل بعض أهل العلم يصف تفسير الرازى بأن فيه كل شيء إلا التفسير^(١)؛ لكتلة استطراداته بهذه المسائل^(٢)، قال ابن خلkan (ت ٦٨١هـ) عن تفسير الرازى: "جمع فيه كل غريب وغريبة" (ابن خلkan، د.ت، ٤/٢٤٩).

ذكر الرازى رحمة الله سبب تأليفه لتفسيره، فقال: "اعلم أنه مَرَ على لسانى في بعض الأوقات أن هذه السورة الكريمة -سورة الفاتحة- يمكن أن يستنبط من فوائدها ونفائسها عشرة آلاف مسألة، فاستبعد هنا بعض الحساد، وقوم من أهل الجهل والغى والعناد، وحملوا ذلك على ما أُلْفُوهُ من أنفسهم من التعلقات الفارغة عن المعانى، والكلمات الخالية عن تحقيق المعنى والمىانى، فلما شرعت في تصنیف هذا الكتاب، قدَّمْتُ هذه المقدمة لتصير كالتنبيه على أن ما ذكرناه أمر ممکن الحصول، قريب الوصول" (الرازى، ١٤٢٠هـ، ١/٢١).

واختلف العلماء في إكمال الرازى لتفسيره؛ فمنهم من يرى أنه أكمله^(٣)، ومنهم من يرى أنه لم يكمله^(٤)، ثم اختلفوا فيما ينأى به من تلاميذه على اثنين، هما:

١. شهاب الدين أبو العباس أحمد بن الخليل بن سعادة بن جعفر الخوبي الدمشقى (ت ٦٣٩هـ) (ابن أبي أصيبيع، د.ت، ٦٤٧).

٢. نجم الدين أبو العباس أحمد بن محمد بن مكي القرشي المخزومي القميoli المصري (ت ٧٢٧هـ) (ابن خلkan، ١٤٠٧هـ، ٢/٢٥٤).

وألف الشيخ المحقق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليماني (ت ١٣٨٦هـ) رسالة تَبَعَ في تفسير الرازى قراءةً وتدقيقاً؛ فخلص إلى أن القدر الذي هو من تصنيف الفخر الرازى هو: من أول الكتاب إلى آخر تفسير سورة القصص، ثم من أول تفسير الصفات إلى آخر تفسير سورة الأحقاف، ثم تفسير سورة الحديد والمجادلة والحضر، ثم من أول تفسير سورة الملك إلى آخر الكتاب. قال: "تم ما عدا ذلك فهو من تصنیف أحمد بن خليل الخوبي، وهو بعض التکملة المنسوبة إليه؛ فإن تکملته تشمل زيادة على ما ذكر تعليقاً على الأصل" (المعلمي، ١٤٣٤هـ، ٣٣١).

تعريف التَّكْلُفُ لغةً واصطلاحاً، ومفهومه وصيغه عند الرازى

أولاً: التَّكْلُفُ لغةً واصطلاحاً

التَّكْلُفُ في اللغة:

التَّكْلُفُ مصدر من (كَلَفَ)، يقال: "تَكَلَّفَ الشَّيْءَ إِذَا تَجَسَّمَهُ عَلَى مَشْقَةٍ، وَعَلَى خَلَافِ عَادَتِكَ" (ابن الأثير، ١٩٧٩م، ٤/١٩٦)، مادة (كَلَفَ). ابن سيدة، ٢٠٠٠م، ٧/٣٥. ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٩/٣٠٧.

(١) نسبة الصفدي لشيخ الإسلام ابن تيمية، ولم أقف عليه في كتب شيخ الإسلام ابن تيمية. الصفدي، ٢٠٠٠م: ٤/١٧٩.

(٢) قال أبو الحسن السبكي في استطرادات الرازى للمسائل التي ليست من التفسير: "فيه مع التفسير كل شيء". الصفدي، ٢٠٠٠م، ٤/١٧٩.

(٣) قاله الصفدي، وذكر أنه أكمله على المنبر إملاءً. الصفدي، ٢٠٠٠م، ٤/١٧٩.

(٤) قاله ابن خلkan، وابن قاضي شهبة. ابن خلkan، د.ت، ٤/٢٤٩. تقي الدين، ١٤٠٧هـ، ٢/٦٦.

ويطلق التكليف على المترعرع لما لا يعنيه (ابن فارس، ٢٠٠٨م، ١٣٦٥)، ومنه قوله تعالى: (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّفِينَ) [ص:٨٦]، أي لا أدعى أمراً ليس لي به علم، ولا أتكلف ما لم يأمرني الله به (الطبرى، ٢٠٠٠م، ٢٤٣/٢١). السعدي، ٢٠٠٠م، ٧١٧/١). وأصل التكليف في العربية: اللزوم، ومن ثم قيل للمتكلف للشيء: الملزم به على مشقة، والذي يلتزم ما لا يعنيه (أبو هلال العسكري، د.ت، ٢١٦/١). ويقال: "حملت الشيء تكلفه: إذا لم تطقه إلا تكلاً" (الفิروز آبادى، د.ت، ٤/٣٧٦). فالمعنى اللغوى للتکلف يدور على معنین في وصف المتكلف:

الأول: أن المتكلف الذى يتجمّس ويحمل الشيء بمشقة وكلفة على خلاف عادته.

الثانى: أن المتكلف الذى يتعرض لما لا يعنيه.

التكلف في الاصطلاح:

تعددت تعاريف التكلف في الاصطلاح، ومنها: تعريف الراغب الأصفهانى (ت ٢٥٥هـ) للتکلف بقوله: "ما يفعله الإنسان بإظهار كلف مع مشقة تناهه في تعاطيه"، وعرفه كذلك بأنه: "اسم لما يفعل بمشقة أو تصنع أو تشبع" (الأصفهانى، ١٤١٢هـ، ٧٢١). وقال المناوى (ت ٣١٠هـ) نقلاً عن أبي الحسن الحرائى المراكشى (ت ٦٣٧هـ) التكلف هو: "أن يحمل الأمر على أن يكلف بالأمر كلفة بالأشياء التي يدعوه إليه طبعه" (المناوى، ١٩٩٠، ١٠٧).

وبين تعريف الراغب الأصفهانى وتعريف الحرائى تواافق في أن التكلف يكون بحمل ما يريده المتكلف من أمرٍ تصنعاً أو تشبعاً. وهذا المعنى متواافق مع أحد معنیي التكلف في اللغة؛ وهو تجمّس الشيء على مشقة على خلاف عادة المتكلف.

ثانياً: مفهوم التكلف وصيغه عند الرازى

يستخدم الرازى مصطلح التكلف في وصف الأقوال التي تخالفه فيما يرجحه في المسائل التي يذكرها، ومفهوم التكلف عنده يتواافق مع أحد معنیي اللغة وهو تجمّس الشيء على مشقة على خلاف عادة المتكلف؛ فهو يصف القول بالتكلف وهو يريده بهذا الوصف إما بيان عدم رجاحة هذا القول، أو ضعفه وتخطئته أو لبيان بعده، ولهذا تعددت عباراته في وصف القول بالتكلف؛ فتراه يصف القول بعدة صيغ منها:

١. (متکلف) وهذه الصيغة يكثر منها^(١)، أو (على سبيل التكلف)^(٢)، أو (وجه متکلف)^(٣)، وهذه

الصيغ من صيغ الترجيح عنده، ومراده وصف القول بأنه غير راجح.

٢. إذا أراد تضيییف القول أو رَدَدَهُ ضیییف لصيغة (متکلف) وصفاً آخر مثل قوله: (متکلف، بل خطأ قطعاً)^(٤)، أو (متکلف جداً)^(٥)، أو (شدید التکلف)^(٦).

(١) ينظر الأمثلة على ذلك في: سورة إبراهيم: ١٤. سورة الزخرف: ٨١. سورة الرحمن: ٧٨.

(٢) ينظر مثال على ذلك في: سورةآل عمران: ١٨٠.

(٣) ينظر مثال على ذلك في: سورة التوبه: ٦٢.

(٤) ينظر مثال على ذلك في: سورة البقرة: ٢٣٦.

٣. (فلا حاجة إلى هذا التكليف)^(١)، أو عبارة شبيهة بها^(٢). وهذه الصيغ يستخدمها في وصفه

للقول بالبعد أو الغرابة.

دراسة الأقوال التفسيرية التي وصفها الرازى بالتكلف.

جاء وصف الرازى رحمة الله للأقوال -التي يوردها المفسرون في المسائل التي تندرج تحت تفسير الآية-

بالتكلف في عدة موضع منها:

المسألة الأولى:

قوله تعالى: {أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَاتِكُمْ مَّئُلُّ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَّسْئُومُ الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَاءِ وَرَزِّلُوا حَتَّى يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ} [البقرة: ٢١٤].

موضع القول بالتكلف عند الرازى:

قال الرازى: "المسألة الخامسة: في الآية إشكال، وهو أنه كيف يليق بالرسول القاطع بصحة وعد الله ووعيده أن يقول على سبيل الاستبعاد: متى نصر الله؟

والجواب عنه من وجوه أحداثها: أن كونه رسولاً لا يمنع من أن يتأنى من كيد الأعداء، قال تعالى: {ولقد نعلم أنت يضيق صدرك بما يقولون} [الحجر: ٩٧]، وقال تعالى: {لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين} [الشعراء: ٣]، وقال تعالى: {حتى إذا استيأس الرسل وظنوا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجي} [يوسف: ١١٠]، وعلى هذا فإذا ضاق قلبه وقلت حيلته، وكان قد سمع من الله تعالى أنه ينصره، إلا أنه ما عين له الوقت في ذلك، قال عند ضيق قلبه: متى نصر الله، حتى إنه إن علم قرب الوقت زال همه وغمه وطاب قلبه، والذي يدل على صحة ذلك أنه قال في الجواب: ألا إن نصر الله قريب، فلما كان الجواب بذكر القرب، دل على أن السؤال كان واقعاً عن القرب، ولو كان السؤال وقع عن أنه هل يوجد النصر أم لا؟ لما كان هذا الجواب مطابقاً لذلك السؤال، وهذا هو الجواب المعتمد.

والجواب الثاني: أنه تعالى أخبر عن الرسول والذين آمنوا أنهم قالوا قولاً، ثم ذكر كلامين، أحدهما: {متى نصر الله}، والثاني: {ألا إن نصر الله قريب}، فوجب إسناد كل واحدٍ من هذين الكلامين إلى واحدٍ من ذينك المذكورين: فالذين آمنوا قالوا: {متى نصر الله}، والرسول صلى الله عليه وسلم قال: {ألا إن نصر الله قريب}. قالوا ولهمذا نظير من القرآن والشعر، أما القرآن فقوله: {ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله} [القصص: ٧٣]، والمعنى: لتسكنوا في الليل ولتبتغوا من فضله في النهار، وأما من الشعر فقول امرئ القيس:

كأن قلوب الطير رطباً وياساً... لدى وكرها العناب والخشف البالى (امرئ القيس، ٤٢٠٤م، ١٣٩)

(٥) ينظر الأمثلة على ذلك في: سورة البقرة: ٢٤، ٢٣٨.

(٦) ينظر مثال على ذلك في: سورة التوبه: ٦٢.

(١) ينظر الأمثلة على ذلك في: سورة الدخان: ٣٠. سورة النجم: ٣٦.

(٢) من هذه العبارات قوله: "فهذا ما يمكن من التكلف في هذه الأجوبة"، وقوله: "فقد التزم تكفأ".

فالتشبيه بالعناب للرطب، وبالحشف البالي لليابس، فهذا جواب ذكره قوم وهو متكلف جداً" (الرازي، ١٤٢٠ هـ، ٣٨٠/٦).

دراسة قول الرازي:

أورد الرازي جوابين في الرد على الاستشكال الذي أورده في كيف يتناسب دعاء الرسول القاطع ببعد الله ووعيده أن يقول على سبيل الاستبعاد للنصر: {متى نصر الله}، فاعتمد القول الأول، وهو أنه لا إشكال في السؤال: لعلم النبي صلى الله عليه وسلم يقيناً بالوعد بالنصر، ولكن السؤال كان لطلب العلم بوقته، ولهذا كان الجواب على سؤاله بأنه قريب، والتصريح بلفظ قريب قرينة عنده على المقصود من السؤال.

وأما القول الثاني الذي يقول بأن الجواب في قوله تعالى: {متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب} بأنه كلام لفريقين؛ الأول لقول المؤمنين: {متى نصر الله}، والثاني لقول الرسول: {إلا إن نصر الله قريب}، فوصفه بأنه قول متكلف جداً.

دراسة المسألة عند المفسرين:

للمفسرين أربعة أقوال في المراد من قوله تعالى: {متى نصر الله إلا إن نصر الله قريب}، وهي: القول الأول: وهو قول أكثر المفسرين، قالوا إن السؤال في قوله تعالى: {متى نصر الله} هو من الرسول والمؤمنين عندما استبطأوا نصر الله، فقال لهم الله: {إلا إن نصر الله قريب}. وهذا القول قول ابن جرير الطبرى، والواحدى، والبغوى، والزمخشرى، وابن عطية ونسبة لأكثر المتأولين، وابن كثير، والقاسى، والسعدى (الطبرى، ٢٠٠٠ م، ٤/٢٨٨، النيسابورى، ١٩٩٤ م، ١/٣٧٣، البغوى، ١٤٢٠ هـ، ١/٢٧٣، الزمخشرى، ١٤٠٧ هـ، ١/٢٥٦، ابن عطية، ١٤٢٢ هـ، ١/٢٨٨، ابن كثير، ١٩٩٩ م، ١/٥٧٢، القاسى، ١٤١٨ هـ، ٢/٩٦، السعدى، ٢٠٠٠ م، ٤/٢٨٨).

قال الطبرى في معنى الآية: "حتى يستبطئ القوم نصر الله إياهم، فيقولون: متى الله ناصرنا؟ ثم أخبرهم الله أن نصره منهم قريب، وأنه معلمهم على عدوهم، ومظهرهم عليه، فنجز لهم ما وعدهم، وأعلى كلمتهم، وأطفأ نار حرب الذين كفروا" (الطبرى، ٢٠٠٠ م، ٤/٢٨٨).

القول الثاني: قالوا إن قوله تعالى: {متى نصر الله} من قول المؤمنين، وقوله تعالى: {إلا إن نصر الله قريب} من قول الرسول، فنسبة القول في قوله تعالى: {حتى يقول} إلى الجميع إجمالاً، ودلالة الحال مبنية على التفصيل في عود القول على ما يناسبه من سؤال المؤمنين، وإجابة الرسول لهم. وهذا القول رجحه أبو حيان، والسمين الحلى، وابن عادل (أبو حيان، ١٤٢٠ هـ، ٢/٣٧٤، السمين الحلى، د.ت، ٢/٣٨٣، أبو حفص، ١٩٩٨ م، ٣/٥١٥).

قال أبو حيان: "والذى يقتضيه النظر أن تكون الجملتان داخلتين تحت القول، وأن الجملة الأولى من قول المؤمنين، قالوا ذلك استبطأه للنصر وضجراً مما نالهم من الشدة، والجملة الثانية من قول رسولهم إجابةً لهم وإعلاماً بقرب النصر، فتعود كل جملةٍ من يناسبها، وصح نسبة المجموع للمجموع لا نسبة المجموع لكل نوع من القائلين" (أبو حيان، ١٤٢٠ هـ، ٢/٣٧٤).

القول الثالث: قالوا في الكلام تقديم وتأخير، والتقدير: حتى يقول الذين آمنوا: {متى نصر الله}، فيقول الرسول: {الا إن نصر الله قريب}، فقدم الرسول في الرتبة لمكانته، ثم قدم قول المؤمنين لأنه المتقدم في الزمان. وهذا القول أورده مكي، وابن عطية، وابن جزي، وأبو حيان، والسمين الحلبي، والشوكاني (القيسي، ٢٠٠٨م، ١/٢٠٤، ابن عطية، ١٤٢٢هـ، ٢٨٨/١، أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٣٧٤/٢، السمين الحلبي، د.ت.، ٣٨٣/٢، الشوكاني، ١٤١٤هـ، ١/٢٤٧).^(١)

القول الرابع: قالوا إن قوله تعالى: {متى نصر الله}، وقوله تعالى: {الا إن نصر الله قريب}، قال بهما جميعاً الرسول والمؤمنون. وهذا القول أورده أبو حيان، والسمين الحلبي، وابن عادل (أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٣٧٥/٢، السمين الحلبي، د.ت.، ٣٨٣/٢، أبو حفص، د.ت.، ٥١٦/٣).^(٢)

الترجيح: يترجح القول الأول وهو قول أكثر المفسرين؛ لأنه يتناسب مع ظاهر ترتيب الأفاظ الآية في أن الرسول والمؤمنين قالوا: {متى نصر الله}، وقد قالوا ذلك على سبيل الاستبطاء أو الدعاء والاستعلام، فقال لهم الله: {الا إن نصر الله قريب}.^(٣)

ووصف الرازى بالتكلف للقول القائل بأن الرسول والمؤمنين هم الذين قالوا القول، فنسبت كل مقوله لمن يناسبها، فمقوله: {متى نصر الله} للمؤمنين، ومقوله: {الا إن نصر الله قريب} للرسول، وصف صحيح، قال الشوكاني: "ولا ملئ لهذا التكليف؛ لأن قول الرسول ومن معه: {متى نصر الله} ليس فيها إلا استعجال النصر من الله سبحانه، وليس فيه ما زعموه من الشك والارتياح حتى يحتاج إلى ذلك التأويل المتعسف".^(٤)

المسألة الثانية: في قوله تعالى: {الا جُنَاحٌ عَلَيْكُمْ إِنْ طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَعْوِهُنَّ عَلَى الْمُؤْسِعِ قَدْرُهُ وَعَلَى الْمُفْتَرِ قَدْرُهُ مَتَاعًا بِالْمُعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِين} [البقرة: ٢٣٦].

(١) وأورد ابن عاشور قوله قولاً خامساً، وهو أن قوله تعالى: {متى نصر الله} يجوز أن يكون من قول رسول أمة سابقة مزيلة، وتكون (ال) في قوله تعالى: (حتى يقول الرسول) للعهد، أو يكون من قول كل رسول من الأمم السابقة، وتكون (ال) للاستغرار، وعليه قراءة (حتى يقول) برفع الفعل، وهي قراءة نافع وأبو جعفر. ابن عاشور، ١٤٢٢هـ، ٣١٦/٢، ابن الجزري، د.ت.، ٢٢٧/٢.

(٢) للمفسرين قولان في سبب السؤال في قوله تعالى: {متى نصر الله}، فقال قوم: السؤال على سبيل الاستبطاء، وهو قول أكثر المفسرين في تفاسيرهم، قاله الطبرى (٢٨٨/٤)، ومكي (١/٢٠٤)، والواحدى (١/٣١٧)، والبغوى (١/٢٧٣)، وابن عطية (١/٢٨٨)، والقرطى (١/٣٥)، وأبو السعود (١/٢١٥)، والشوكاني (١/٢٤٧)، والقاسى (٢/٩٦)، والسعدي (ص ٩٦). وقال قوم السؤال على سبيل الدعاء والاستعلام، قاله الزمخشري (١/٢٥٦)، والسمين الحلبي (٢/٣٨٤).

(٣) الشوكاني، ١٤١٤هـ، ١/٢٤٧. القول بالتقديم والتأخير هو القول الذي نقله المفسرون في تفاسيرهم قبل الرازى، ولهذا ينصرف وصف الرازى له بالتكلف. وأما القول الثاني فلم يذكر في كتب التفسير قبل الرازى، وإنما ذكره من المفسرين أبو حيان، والسمين الحلبي وقد ضعف القول بالتقديم والتأخير، وذكره ابن عادل، وهو اختيارهم. أبو حيان: ٢/٣٧٤، السمين الحلبي، د.ت.، ٣٨٣/٢، أبو حفص، ١٩٩٨م، ٣/٥١٥.

موضع القول بالتكلف عند الرازي:

قال الرازي: "اتفقوا على أن المراد من الميس في هذه الآية الدخول، قال أبو مسلم: وإنما كي تعالى بقوله: تمسوهن عن المjamعة تأديباً للعباد في اختيار أحسن الألفاظ فيما يخاطبون به والله أعلم. أما قوله تعالى: أو تفرضوا لهن فريضةً فالمعنى يقدر لها مقداراً من المهر يوجهه على نفسه، لأن الفرض في اللغة هو التقدير، وذكر كثير من المفسرين أن (أو) هاهنا بمعنى الواو، ويريد: ما لم تمسوهن ولم تفرضوا لهن فريضةً، قوله: أو يزيدون [الصافات: ١٤٧] وأنت إذا تأملت فيما لخصناه علمت أن هذا التأويل متکلف، بل خطأ قطعاً والله أعلم" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٤٧٦/٦).

دراسة قول الرازي:

أشار الرازي بأن المتأمل فيما لخصه -في مطلع تفسيره للآية- يتبيّن له صحة قوله وخطأ قول غيره، وهذا ما ذكره ملخصاً فقال: "المراد من الجناح في هذه الآية لزوم المهر، فتقدير الآية: لا مهر عليكم إن طلقت النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضةً، بمعنى: لا يجب المهر إلا بأحد هذين الأمرين، فإذا فقدا جميئاً لم يجب المهر... وإنما قلنا: إن الدليل دل على أنه هو المراد لوجهين: الأول: أنه تعالى قال: لا جناح عليكم إن طلقت النساء ما لم تمسوهن أو تفرضوا لهن فريضةً، نفي الجناح محدوداً إلى غاية وهي إما الميس أو الفرض، والتقدير: فوجب أن يثبت ذلك الجناح عند حصول أحد هذين الأمرين، ثم إن الجناح الذي يثبت عند أحد هذين الأمرين هو لزوم المهر، فوجب القطع بأن الجناح المنفي في أول الآية هو لزوم المهر.

الثاني: أن تطليق النساء قبل الميس على قسمين أحدهما: الذي يكون قبل الميس وقبل تقدير المهر، وهو المذكور في هذه الآية، والثاني: الذي يكون قبل الميس وبعد التقدير المهر، وهو المذكور في الآية التي بعد هذه الآية، وهي قوله: {وإن طلقتوهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة} [البقرة: ٢٣٧]، ثم إنه في هذا القسم أوجب نصف المفروض، وهذا القسم كالمقابل لذلك القسم: فيلزم أن يكون الجناح المنفي هناك هو المثبت هاهنا، فلما كان المثبت هاهنا هو لزوم المهر وجب أن يقال: الجناح المنفي هناك هو لزوم المهر، والله أعلم" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٤٧٥/٦).

تبين من خلال ما ذكره الرازي ما يستشكل عندما تقرأ عبارته بخطه قوله كثير من المفسرين؛ فإنه لم يرد تخطيّتهم في حكم المطلقة إذا لم يدخل بها ولم يفرض لها؛ فإنه يوافق قول المفسرين في أن لها المتعة بنص الآية^(١)، وإنما بما تخطيّتهم ووصف قوله بالتكلف باعتبار ما بني عليه من معنى الجناح في الآية، فإنه فسر الجناح في الآية (لا جناح عليكم) بمعنى لزوم المهر، وهو خلاف ما فسّره كثير من المفسرين بأن الجناح هو الحرج من الإثم، وجعل الرازي (أو) في الآية بمعنى (إلا) أو (حق)، فيكون

(١) يراجع قوله الرازي في تقسيم أنواع المطلقات، قال: "والقسم الثاني: من المطلقات ما لا يكون مفروضاً ولا مدخولاً بها وهو الذي ذكره الله تعالى في هذه الآية، وذكر أنه ليس لها مهر، وأن لها المتعة بالمعروف" ، وهذا ما يقوله المفسرون رحهم الله تعالى، ولا يعرف لهم خلاف، بل نقل الواحدي، وابن عطية الإجماع في ذلك. التيسابوري، ١٩٩٤م / ٣٤٧/١ . ابن عطية، ١٤٢٢هـ، ٣١٩/١.

معنى الآية عنده: (لا جناح عليكم) أي: لا مهر يلزمكم إلا بأحد هذين الأمرین، وهما: المیس أو الفرض، وأما القول الآخر الذي جعل (أو) بمعنى (الواو) فسيكون معناه عند الرازی (لا جناح عليكم) أي: لا مهر يلزمكم إلا بالأمرین جمیعاً وهما المیس والفرض، وهذا لا يستقيم حکماً، ولهذا وصف من قال بهذا القول بالتكلف بل الخطأ.

دراسة المسألة عند المفسرين:

المفسرون رحمهم الله لهم أربعة أقوال في معنى (أو) في الآية، وهي^(١):

القول الأول: (أو) بمعنى (الواو)، والفعل (تفرضوا) مجزوم بـ(لم) معطوف على (تمسوهن)، والتقدير: ما لم تمسوهن وتفرضوا لهن فريضة. وهو قول الواحدى، والسمعانى، والبغوى (النيسابورى، ١٩٩٤م، ٣٤٧/١. السمعانى، ١٩٩٧م، ١/٢٤١. البغوى، ١٤٢٠هـ، ١/٣١٩). ومعنى الآية على هذا القول: (لا جناح عليكم) أي: لا حرج على المطلق الذى طلق امرأته قبل أن يدخل بها وقبل أن يفرض لها ميرأ، ويكون لها المتعدة^(٢).

القول الثاني: (أو) للتخيار بين شيئين، والفعل (تفرضوا) مجزوم معطوف على (تمسوهن)، وهذا القول قال به: ابن عطية، فمعنى الآية عنده: (لا جناح عليكم)، قال: "هذا ابتداء إخبار برفع الجناح عن المطلق قبل البناء والجماع، فرض مهراً أو لم يفرض" (٢).

وهذان القولان السابقان اقتصر عليهما الماوردي (ت ٤٥٠هـ) في تفسيره ولم ينسهما (الماوردي، د.ت، ١٥٣).

القول الثالث: (أو) بمعنى (إلا) أو (حتى)، والفعل (تفرضوا) معطوف على مصدر متوهّم؛ فهو منصوب على إضمار (أن) بعد (أو)، بمعنى (إلا)، والتقدير: ما لم تمسوهن إلا -أو حتى- تفرضوا لهن فرضية. وهو قول المخبي، والوازي (المخبي)، ٧، ٢٨٤، ١، ١٤٢٠، الرازي، ٤٧٥/٦.

(١) هذه الأقوال الأربع في معنى (أو) ذكرها منسوبة للمفسرين المتقدمين قبل الرازي، وأما من جاء بعده من المفسرين فلم تخرج أقوالهم عن هذه الأقوال. وقد ذكر هذه الأقوال مجتمعة: أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٥٢٩/٢. والسمين الحلبي، د.ت، ٤٨٧/٤. أبو حفص، ١٩٩٦م، ٤/٢٠٨.

(٢) استدل أصحاب هذا القول بقوله تعالى: {فَأَرْسَلْنَاهُ إِلَى مائةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ} [الصافات: ١٤٧]، أي: ويزيدون، وبقول ابن عباس رضي الله عنهما في الرجل يطلق امرأته قبل أن يدخل بها ولم يفرض لها، قال: ليس لها إلا المتابع. النساء: ١٩٤، ٣٤٧/١.

(٣) ظاهر كلام ابن عطية هنا أنه يرى أن الجناج مرتفع عن المطلقة فرض أو لم يفرض، أو أنه أراد أن المتعة شاملة للمطلقة التي لم يخل بها سواء فرض لها أو لم يفرض، وهذا يفهم من نقله الاختلاف في الآية التي بعدها (وإن طلقتكموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهم فرضية فنصف ما فرضتم)، قال: "اختلف الناس في هذه الآية، فقالت فرقة فيها مالك وغيره: إنها مخرجة المطلقة بعد الفرض من حكم التمتع، إذ يتناولها قوله تعالى: ومتعبون، وقال ابن المسيب: نسخت هذه الآية، الآية التي في الأحزاب، لأن تلك تضمنت تمتع كل من لم يدخل بها. وقال قنادة: نسخت هذه الآية الآية التي قبلها"، ابن عطية، ٤٢٢، هـ، ٣١٨/١.

وقد فسروا الجناح في الآية بلزوم المهر، ومعنى الآية عندهم: (لا جناح عليكم) أي: لا تبعة من مهر إن طلقتم النساء ما لم تدخلوا عليهن إلا أن تفرضوا لهن فريضة. واستدلوا على ذلك بالآية بعدها، في قوله تعالى: {وَإِن طلقتموهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم}، حيث بنت الجناح بأنه المهر، وهذا البيان يحمل على الجناح المنفي في الآية التي قبلها.

ومعنى الآية عندهم أنه لا تبعة على المطلق من مطالبة المهر إذا كانت المطلقة غير ممسوسة إلا أو حتى يسمى لها مهراً؛ إذ لو كانت ممسوسة فعليه المسمى من المهر أو مهر المثل، وإذا كانت غير ممسوسة ولكن سمي لها فلها نصف المسمى، فممنطبق الآية ينفي وجوب المهر في الصورة الأولى، ومفهوم الآية يقتضي وجوب المهر في الصورتين الأخيرتين (الزمخشري، ٢٨٤/١ هـ، ١٤٠٧ هـ، البيضاوي، ٤٧٥/٦ هـ، ١٤١٨ هـ، ١٤٢٠ هـ).

القول الرابع: (أو) للتخيير، والفعل (تفرضوا) معطوف على جملة محذوفة، مع تقدير (لم)؛ فيكون في الكلام حذف تقديره: فرضتم أو لم تفرضوا^(١).

الترجيح:

تعددت أقوال المفسرين في (أو) بناء على تفسيرهم للجناح في الآية، والذي ظهر لي رجاحة القول الأول الذي يرى بأن الجناح بمعنى رفع الحرج في الإثم عن المطلق، وأن (أو) بمعنى (الواو)، وتحطئة الرازبي رحمة الله لها هذا القول ووصفه بالتكلف بعيد وغير صحيح؛ لأنه قول يصح حمل الآية عليه، بل إنه أدل وأوضح في معنى الآية، وأكثر تناسباً في حكم الآية التي بعدها. وقد استبعد ابن عاشور القول بأن (أو) بمعنى (إلا)؛ فقال: "حقيقة الجناح: الإثم، ولا يعرف إطلاق الجناح على غير معنى الإثم؛ ولهذا حمله جمهور المفسرين هنا على نفي الإثم في الطلاق"، ثم نقل كلام الزمخشري وقال: "إنما تأوله من تأوله تفسيراً لمعنى الكلام كله لا لكلمة (جناح)، وفيه بعْدُ، ومحمله على الجناح كنایة بعيدة عن التبعة بدفع المهر، والوجه ما حمل عليه الجمّهور لفظ الجناح، وهو معناه المتعارف" (ابن عاشور، ١٩٨٤ م، ٤٥٧/٢).

وقال القاسمي: "تَكَلَّفَ بعض بجعل (أو) بمعنى (إلا) أو (حتى)، وجعل الحرج بمعنى المهر، مع أن الآية بینة بنفسها لا حاجة إلى أن تتجاوزها أطراط هذه الأبحاث، وعدولهم عن أقرب مما سلوكه- أعني كون (أو) بمعنى الواو- مع شيوعها في آيات كثيرة عجيب، وأعجب منه تحطئة من جنح لهذا الأقرب، مع أن مما يرشحه مساق الآية بعدها" (القاسمي، ١٤١٨ هـ، ٢/٦١).

المسألة الثالثة:

في قوله تعالى: {حَافِظُوا عَلَى الصَّوَافِتِ وَالصَّلَادَةِ الْوُسْطَى وَقُومُوا لِلَّهِ قَاتِلِيْنَ} [البقرة: ٢٣٨].

(١) لم يُجَوَّز أبو حيان في تفسيره هذا القول، فقال: "وهذا لا يجوز إلا إذا عطف على مجروم، نحو: لم أقم وأركب، على مذهب من يجعل العامل في المعطوف مقدراً بعد حرف العطف". وضَعَّفَه السمين الحلبي في الدر؛ لأنَّه مبني على حذف الجزم وإبقاء عمله، فقال: "وهو ضعيف جداً، وكان الذي حسَّنَ هذا كون لفظ «لم» موجوداً قبل ذلك". أبو حيان، ١٤٢٠ هـ، ٥٢٩/٢. السمين الحلبي، د.ت.، ٤٨٧/١.

موضع القول بالتكلف عند الرازي:

المسألة الثالثة: اختلفوا في الصلاة الوسطى على سبعة مذاهب ... القول الخامس: قول من قال: إنها صلاة العصر، وهو من الصحابة مروي عن علي عليه السلام، وابن مسعود، وابن عباس، وأبي هريرة، ومن الفقهاء: النخعي، وقتادة، والضحاك، وهو مروي عن أبي حنيفة، واحتجوا عليه بوجوه الأول: ما روي عن علي عليه السلام أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم الخندق: «شغلونا عن الصلاة الوسطى ملأ الله بيوتهم وقبورهم ناراً»^(١)، وهذا الحديث رواه البخاري ومسلم، وسائر الأئمة، وهو عظيم الواقع في المسألة، وفي صحيح مسلم: «شغلونا عن الصلاة الوسطى صلاة العصر»^(٢)، ومن الفقهاء من أجاب عنه فقال: العصر وسط، ولكن ليس هي المذكورة في القرآن، فههنا صلاتان وسطيان الصبح والعصر، وأحدهما ثبت بالقرآن والآخر بالسنة، كما أن الحرم حرمان: حرم مكة بالقرآن، وحرم المدينة بالسنة، وهذا الجواب متكلف جداً (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٤٨٣/٤٨٦).

دراسة قول الرازي:

هذا القول الذي وصفه الرازي بالتكلف جداً، لكونه يثبت أن {الصلاحة الوسطى} هي صلاتان، كلاهما ثبت وصفهما بأيّهما وسط، وهما صلاة الصبح التي ثبتت بالقرآن^(٣)، وصلاحة العصر التي ثبتت بالسنة في أكثر من حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم، فيكون هناك صلاتان وسطيان، وهما الصبح والعصر.

دراسة المسألة عند المفسرين:

المفسرون رحمهم الله أطالوا نقل الخلاف في تحديد الصلاة المعنية في قوله تعالى: {والصلاحة الوسطى}، حتى قال ابن عاشور أنه انتهى في جمع الأقوال فيها إلى نيف وعشرين قولًا، بالتفريق والجمع (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٤٦٧/٢)^(٤)، وقد تعددت ترجيحات المفسرين بين هذه الأقوال، ومن أشهر أقوالهم في الترجيح قولان: أنها العصر، أو الصبح، قال ابن كثير بعد سرد طوي للأقوال فيها: "وكل هذه الأقوال فيها ضعف بالنسبة إلى التي قبلها، وإنما المدار ومعترك النزاع في الصبح والعصر، وقد ثبتت السنة بأنها العصر، فتعين المصير إليها" (ابن كثير، ١٩٩٩م، ٦٥٤/١). وقال ابن عاشور: "وأصح ما في هذا الخلاف: ما جاء من جهة الأثر وذلك قولان: أحدهما أنها الصبح، هذا قول جمهور فقهاء المدينة

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء على المشركين والبزيمة والزلزلة، حديث رقم (٢٩٣١). ومسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب التغليظ في تفويت صلاة العصر، حديث رقم (٦٢٧).

(٢) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب الدليل من قال الصلاة الوسطى هي صلاة العصر، برقم (٢٧).

(٣) يشير إلى قوله تعالى: {وَقَرَآنَ الْفَجْرِ} [الإسراء: ٧٨].

(٤) وعد أبو حيان في تفسيره عشرة أقوال فيها، ونسب إلى شيخه أبي محمد عبد المؤمن الدمياطي أنه ذكر سبعاً سوى ما قاله، فيكون مجموع الأقوال بينهما سبعة عشر قولًا. ينظر: أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٥٤٦/٢.

وهو قول عمر، وابنه عبد الله، وعلي، وابن عباس، وعائشة، وحفصة، وجابر بن عبد الله، وبه قال مالك، وهو عن الشافعي أيضًا... القول الثاني: أنها العصر، وهذا قول جمورو من أهل الحديث، وهو قول عبد الله بن مسعود، وروي عن علي أيضًا، وهو الأصح عن ابن عباس أيضًا، وأبي هريرة، وأبي سعير الخدرى، ونُسب إلى عائشة، وحفصة، والحسن، وبه قال أبو حنيفة والشافعى في رواية، ومال إلى ابن حبيب من المالكية... والأصح من هذين القولين أولهما...” (ابن عاشور، ١٩٨٤م، ٤٦٨/٢).

الترجيح: القول بأن الصلاة الوسطى هي صلاة الصبح والعصر جمِيعاً، قول ذكره المفسرون، ونسبوه إلى أبي بكر الأَبْهَرِي (ت ٣٧٥هـ) من فقهاء المالكية (أبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٥٤٦/٢). القرطبي، ١٩٦٤م، ٣٢١/٣، ووصف الرازى لهذا القول بالتكلف جداً، يريد بذلك تضعيقه، وهو وصف له وجاهته وصحته؛ لبعده عن ظاهر الآية في ذكر {الصلاحة الوسطى} بعد الأمر بالمحافظة على الصلوات جميعها، فهي من باب ذكر الخاص بعد العام لأهميته، أو للتأكيد على المحافظة عليها، لهذا تعددت أقوال السلف من الصحابة والتابعين على تحديد أحد الصلوات الخمس، ولم يرد عنهم أئمَّة فسروا الصلاة الوسطى بمجموع صلاتين (النيسابوري، ١٩٩٤م، ٣٥١/١، والسعانى، ١٤٢٠هـ، ٢٤٢/١، وابن عطية، ١٤٢٢هـ، ٣٢٣/١).^(١)

المسألة الرابعة: في قوله تعالى: {وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَنْخَلُونَ بِمَا أَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيْطَوْقُونَ مَا بَخْلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ} [آل عمران: ١٨٠].

موضع القول بالتكلف عند الرازى:

ذكر الرازى رحمة الله أن الآية متضمنة للوعيد، ودالة على ذم البخل بالخيرات والمنافع، وبين أن المراد من البخل في قوله تعالى: {يَنْخَلُونَ} قوله، وهم:

الأول: أن المراد **البخل** بالمال. الثاني: أن المراد **البخل** بالعلم. ثم رجح القول الأول واستدل له بوجبين، ووصف مخالفة الوجه الثاني بالتكلف؛ فقال: ”واعلم أن القول الأول أولى، ويدل عليه وجهان: الأول: أنه تعالى قال: {سيططون ما بخلوا به}، ولو فسرنا الآية بالعلم احتجنا إلى تحمل المجاز في تفسير هذه الآية^(٢)، ولو فسّرناها بالمال لم نحتاج إلى المجاز فكان هذا أولى. الثاني: أنا لو حملنا هذه الآية على المال كان ذلك ترغيباً في بذل المال في الجهاد، فحينئذ يحصل لهذا الآية مع ما قبلها نظم حسن، ولو حملناها على أن اليهود كتموا ما عرفوه من التوراة انقطع النظم، إلا على سبيل التكلف، فكان الأول أولى” (الرازى، ١٤٢٠هـ، ٤٤٣/٩).

(١) والقول بأنها صلاة العصر، هو ترجيح جمع من المفسرين -في تفاسيرهم- منهم الطبرى (٢٢١/٥)، وأبو حيان (٥٤٦/٢)، وابن كثير (٦٥٣/١)، والشوكانى (٢٩٥/١)، والسعانى (١٠٦). ووجه ابن عاشور (٤٦٧/٢) أنها الصبح. ومن المفسرين من ساق الخلاف دون ترجيح.

(٢) يريد بذلك المجاز في تفسير {سيططون} بأن حمله على البخل بكتمان العلم على معنى سيعملون عقاب ما بخلوا به، فهو من الطاقة وليس من التطويق. ينظر: ابن عطية، ١٤٢٢هـ، ٥٤٧/١.

دراسة قول الرازي:

وصف الرازي تفسير البخل في الآية بأنه البخل في العلم بالقول المتكلف، واستدل عليه بانقطاع النظم وهو السياق إلا على سبيل التكلف في تطلب المناسبة، مع أنه أجاز في موضع آخر - في تفسير الآية نفسها - في قوله تعالى: {سيطرون ما بخلوا به} أن الآية عامة ويمكن أن تحمل على البخل في العلم، والبخل في المال، واستدل على القول بحملها على معنى البخل بالعلم بدلالة وصف المهد والنصارى في القرآن بالبخل، وبدلالة المناسبة بين هذه الآية والآية التي بعدها برابط أهماً يتعلقان بأقوال المهد؛ فهذا الآية في كتمانهم القول بنبوة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ووصفه، والآية التي بعدها في قوله أن الله فقير وهم أغنياء - تعالى الله عما يقولون علواً كباراً؛ فقال: "واعلم أن تفسير هذا البخل بكتمان دلائل نبوة محمد صلى الله عليه وسلم غير بعيد، وذلك لأن المهد والنصارى موصوفون بالبخل في القرآن مذمومون به. قال تعالى في صفتهم: {أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّنَ الْمَلَكِ إِذَا لَا يَؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا} [النساء: ٥٣]، وقال أيضًا لهم: {الَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبَخْلِ} [النساء: ٣٧]، وأيضاً ذكر عقيب هذه الآية قوله: {لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الظَّاهِرِ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ} [آل عمران: ١٨١]، وذلك من أقوال المهد، ولا يبعد أيضًا أن تكون الآية عامةً في البخل بالعلم، وفي البخل بالمال، ويكون الوعيد حاصلًا على ممّا معًا" (الرازي، ١٤٢٠هـ، ٩/٤٤٥).

دراسة المسألة عند المفسرين:

تعددت طريقة المفسرين رحمة الله في تناول هذه الآية وتفسيرهم لمعنى البخل؛ فمنهم من اقتصر في تفسيره على القول الأول وهو البخل في المال، ولم يورد غيره، كالواحدى، والزمخشري (النيسابوري، ١٩٩٤م، ٥٢٦/١؛ الزمخشري، ١٤٠٧هـ، ٤٤٦/١)، ومهم من ذكر القولين ولم يرجح بينهما، كالسمعاني، والبغوي، وابن عطية، وأبي حيان (السمعاني، ١٩٩٧م، ١/٣٨٣. البغوي، ١٤٢٠هـ، ١٥٤٦/١. ابن عطية، ١٤٢٢هـ، ٥٤٧/١)، وأبو حيان، ١٤٢٠هـ، ٤٥١/٣)، ومنهم من رجح بين القولين. ومن ذكر القولين ورجح بينهما ابن جرير الطبرى (الطبرى، ٢٠٠٠م، ٧/٤٣١)، ورجح حمل الآية على البخل في المال بدلالتين وهما: دلالة الحديث، ودلالة المناسبة بين الآية والآية التي تلتها، فقال: "أولى التأويلين بتأويل هذه الآية، التأويل الأول، وهو أنه معنى بـ"البخل" في هذا الموضع، منع الزكاة، لظهور الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه تأول قوله: {سيطرون ما بخلوا به يوم القيمة} قال: البخيل الذي منع حق الله منه، أنه يصير ثعبانًا في عنقه" (١)، ولقول الله عقيب هذه الآية: {لَقَدْ سَمِعَ

(١) يشير إلى حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من آتاه الله مالًا فلم يؤد زكاته، مُؤْلَى له ماله شجاعًا أقع، له زبيتان يطوقه يوم القيمة، يأخذ بلهزمته - يعني بصدقه - يقول: أنا مالك أنا كنزنك" ثم تلا هذه الآية: {وَلَا يَحْسِنُ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ} إلى آخر الآية. أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب تفسير القرآن، باب (ولَا يَحْسِنُ الَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ) هو خيراً لهم، بل هو شر لهم، سيطرون ما بخلوا به يوم القيمة، والله ميراث السماوات والأرض والله بما تعلمون خير، حديث رقم (٤٥٦٥).

الله قول الذين قالوا إن الله فقير ونحن أغنياء [آل عمران: ١٨١]، فوصف جل ثناؤه قول المشركين من اليهود الذين زعموا عند أمر الله إياهم بالزكاة أن الله فقير" (الطبرى، ٢٠٠٠م، ٤٣٢/٧).

الترجح:

من خلال ما ذكره الرازى في القول الثانى في تفسير (البخل) في قوله تعالى: {يَبْخَلُونَ} بمعنى البخل في العلم، يتبع أن وصفه بالتكلف ليس من قبيل رده وعدم صحة حمل الآية عليه، وإنما مراده الترجح بين القولين من ناحية الأرجح منهما، ويدل على ذلك أنه استدل بالقول في موضع آخر في نفس الآية وقال بأنه غير بعيد، وحمل الآية على عمومها، وهذا يدل على أن وصفه للقول بأن البخل بمعنى البخل في العلم بالتكلف غير صحيح؛ لأنه قول محتمل في الآية، ولأنه قول قال به السلف كابن عباس رضي الله عنهما، ومجاحد رحمه الله^(١).

والذى يترجح أن المراد بالبخل في الآية هو البخل بمال بدللتين، الأولى: بدلالة السياق السابق في الحث على الجهاد والقتال في سبيل الله بذل النفس، وهذه الآية في بذل المال والوعيد بالبخل فيه. والثانية: بدلالة المناسبة بين هذه الآية والأية التي بعدها في ارتباطهما في بخل اليهود بمال ونسبتهم الغنى لأنفسهم والفقر لله - تعالى الله عما يقولون علوا كبارا.

المسألة الخامسة: في قوله تعالى: {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ} [الدخان: ٣٥].
موضع القول بالتكلف عند الرازى:

قال الرازى: "ثم رجع إلى الحديث الأول، وهو كون كفار مكة منكرين للبعث، فقال: إن هؤلاء ليقولون، إن هي إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين، فإن قيل: القوم كانوا ينكرون الحياة الثانية، فكان من حقهم أن يقولوا: إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين؟ قلنا: إنه قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة، كما أنكم حال كونكم نطفأً كنتم أمواتاً وقد تعقبها حياة، وذلك قوله: {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتاً فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يَمْتَكِّمُمْ} [البقرة: ٢٨]، فقالوا: {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ}، يريدون ما الموتة التي من شأنها أن تعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقيب الحياة لها إلا الموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذًا بين هذا الكلام وبين قوله: {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاةً نَاكِرَةً لَهَا إِلَّا الْمَوْتَنَا الْأُولَىٰ خَاصَّةً}، فيقال: قوله: {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ}، هذا ما ذكره صاحب (الكتشاف). ويمكن أن يذكر فيه وجه آخر، فيقال: قوله: {إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَىٰ}، يعني أنه لا يأتينا شيء من الأحوال إلا الموتة الأولى، وهذا الكلام يدل على أنهم لا تأبهم الحياة الثانية بالبتة، ثم صرحاً بهذا المرموز فقالوا: {وَمَا نَحْنُ بِمُنْشَرِينَ}، فلا حاجة إلى التكلف الذي ذكره صاحب (الكتشاف)" (الرازى، ١٤٢٠هـ، ٢٧/٦٦٢).

(١) أخرج الطبرى في تفسيره قول ابن عباس من طريق العوفيين، ومجاحد من طريق ابن جريج. ينظر: الطبرى، ٢٠٠٠م: ٧/٤٣٢.

دراسة قول الرازي:

ذكر الرازي جوابين في سبب تعبير الكفار بالموتة الأولى بدل تعبيرهم بالحياة الأولى؛ لكونهم ينكرون الحياة الثانية، فكان من حقهم أن يقولوا: (إن هي إلا حياتنا الدنيا)، ثم نقل الجواب الأول للزمخشي، ووصفه بالتكلف وأنه لا حاجة له^(١).

دراسة المسألة عند المفسرين:

لم يتعرض أكثر المفسرين لهذه المسألة (الطبرى، ٢٠٠٠ م: ٣٩/٢٢). النايسابوري، ١٩٩٤ م، ٩٠/٤. السمعانى، ١٩٩٧ م، ١٢٨/٥. البغوى، ١٤٢٠، ١٤٢٠/٤. ابن عطية، ١٧٨/٥، ١٤٢٢، ٧٥/٥، وأول من ذكرها الزمخشري في الكشاف، ونقلها الرازي عنه، ومن المفسرين الذين تعرضوا لها: البيضاوى رحمة الله، فقد نقل جواب الزمخشري مختصراً بعد قوله، فقال: "ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيا، ولا قصد فيه إلى إثبات ثانية كما في قوله: حج زيد الحجة الأولى ومات، وقيل: لما قيل: إنكم تموتون موتة يعقبها حياة كما تقدم منكم موتة كذلك؟ قالوا: إن هي إلا موتتنا الأولى، أي ما الموتة التي من شأنها كذلك إلا الموتة الأولى"^(٢).

واقتصر أبو حيان في تفسيره على جواب الزمخشري دون أن ينسبه له، فقال: "أي ما الموتة إلا محصورة في موتتنا الأولى. وكان قد قال تعالى: {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمْتَكِّمُ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ} [البقرة: ٢٨]، فذكر موتين، أولى وثانية، فأنكروا هم أن يكون لهم موتة ثانية، والمعنى: ما آخر أمرنا ومتى وجدنا إلا عند موتتنا، فيتضمن قولهم هذا إنكار البعث، ثم صرحو بما تضمنه قولهم، فقالوا: وما نحن بمنشرين، أي: بمع尤ثين بحياة دائمة يقع فيها حساب وثواب وعذاب، وكان قولهم ذلك في معنى قولهم: {إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَعْوِثَيْنَ} [الأنعام: ٢٩]^(٣).

الترجمة:

وصف الرازي لتعليق الزمخشري بأنه لا حاجة له لما فيه من التكلف، يفيد بأنه لا يُخطئه -لأنه صدره في تفسير الآية، وذكر قوله كوجه محتمل في الآية، بل يراه بعيداً في تعليق المراد من التعبير بالموتة

(١) قول الزمخشري -الذى نقل معناه الرازي- هو: "فهلا قيل: إن هي إلا حياتنا الأولى وما نحن بمنشرين؟ كما قيل: {إن هي إلا حياتنا الدنيا وما نحن بمع尤ثين} [الأنعام: ٢٩]، وما معنى قوله: {إن هي إلا موتتنا الأولى}؟ وما معنى ذكر الأولى؟ كأنهم وعدوا موتة أخرى حتى نفوها وجدوها وأبنتوا الأولى؟ قلت: معناه -والله الموفق للصواب-: أنه قيل لهم: إنكم تموتون موتة تعقبها حياة، كما تقدّمتم موتة قد تعقبها حياة، وذلك قوله عز وجل: {وَكُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمْتَكِّمُ ثُمَّ يُحْيِيْكُمْ}، فقالوا: {إِنْ هِيَ إِلَّا موتتنا الأولى}، يريدون: ما الموتة التي من شأنها أن تعقبها حياة إلا الموتة الأولى دون الموتة الثانية، وما هذه الصفة التي تصفون بها الموتة من تعقب الحياة لها إلا للموتة الأولى خاصة، فلا فرق إذا بين هذا وبين قوله: {إن هي إلا حياتنا الدنيا في المعنى}." تفسير الزمخشري، ٧، ١٤٠٧ هـ، ٤/٢٧٩.

(٢) البيضاوى، ١٤١٨ هـ، ٥/١٢. أبو السعود رحمة الله نقل كلام البيضاوى بنصه، ثم قال: "وقيل المعنى ليست الموتة إلا هذه الموتة دون الموتة التي تعقب حياة القبر كما تزعمون." أبو السعود، د.ت. ٦٤/٨.

(٣) أبو حيان، ١٤٢٠ هـ، ٩/٤٠٥. ابن عادل رحمة الله نقل كلام الزمخشري، وتعقب الرازي له بالتكلف دون تعليق. ينظر: ابن عادل، ٣٢٦/١٧.

الأولى بدل الحياة الأولى، ولهذا ذكر وجهاً مختصراً، يدل على المراد، ووصف الرازي لهذا القول بالتكلف وصف له وجاهته وصحته: لما في جواب الزمخشري من إطالة، مع وضوح المعنى بدونه، ولأن الرازي أجاب عنه بجواب مختصراً دل على المقصود^(١).

الخاتمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلوة والسلام على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد: ففي ختام هذا البحث أشير إلى أهم نتائجه، وهي:

١. مصطلح التكليف عند فخر الدين الرازي، هو مصطلح يشير إلى تضييق القول وتخطئته، أو عدم رجاحته، أو بعده وغرابته.
٢. الرازي يستخدم عدة صيغ في وصف القول بالتكلف منها: (متكلف، على سبيل التكليف، وجه متكلف، متكلف جداً، شديد التكليف، لا حاجة إلى هذا التكليف).
٣. إن وصف الرازي بالتكلف للقول بأن معنى قوله تعالى: {حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله ألا إن نصر الله قريب}، هي قول الرسول والمؤمنين، ثم يعود قول كل واحد بما يناسبه من المقولتين، وصف صحيح وافقه عليه بعض المفسرين.
٤. إن وصف الرازي بالتكلف للقول بأن (أو) بمعنى (الواو) في قوله تعالى: {لا جناح عليكم إن طلقتم النساء ما لم تمسوهن أو تفروضوا عليهم فريضة}، وصف غير صحيح؛ لأنه قول يصح حمل الآية عليه، بل هو أدل وأنسب، وهو قول أكثر المفسرين، وإنما وصفه بالتكلف؛ لأنه فسر الجناح في الآية على خلاف تفسير جمهور المفسرين.
٥. إن وصف الرازي بالتكلف للقول بأن المراد من الصلاة الوسطى في قوله تعالى: {حافظوا على الصلوات والصلوة الوسطى}، هي صلاة الصبح والعصر جميعاً، وصف صحيح، لما في هذا القول من بُعد عن ظاهر الآية، ولمخالفته ما ورد عن السلف في تحديد صلاة واحدة بعينها.
٦. إن وصف الرازي بالتكلف للقول بأن معنى البخل في قوله تعالى: {سيطرونون ما بخلوا به يوم القيمة}، بأنه البخل في العلم، وصف غير صحيح؛ لأنه قول محتمل في الآية، وقد قال به ابن عباس رضي الله عنهما، ومجاحد بن جبر رحمة الله.
٧. إن وصف الرازي لجواب الزمخشري في الكشاف في تعبير كفار مكة بـ(الموتة الأولى) بدلأً من (الحياة الأولى)، في قوله تعالى: {إلا موتتنا الأولى وما نحن بمنشرين}، بأنه لا حاجة له لما فيه من تكليف، وصف له وجه من الصحة؛ لما في جواب الزمخشري من الإطالة، ولأن جواب الرازي أقصر وأدل على معنى الآية.

(١) ارضى الشوكاني رحمة الله جواب الرازي، فنقله عنه بعد بيانه لمعنى الآية، فقال: "أي: ما هي إلا موتتنا الأولى التي نموها في الدنيا ولا حياة بعدها ولا بعث، وهو معنى قوله: (وما نحن بمنشرين)، أي: بمعنى بمنشرين، وليس في الكلام قصد إلى إثبات موتة أخرى، بل المراد ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية، قال الرازي: المعنى: أنه لا يأتيها من الأحوال الشديدة إلا الموتة الأولى". الشوكاني، ١٤١٤، هـ، ٤/٦٦٠.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابن أبي أصبعيه، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين، أبو العباس ابن أبي أصبعيه، د.ت، عيون الأنباء في طبقات الأطباء، تحقيق الدكتور نزار رضا، دار مكتبة الحياة – بيروت.
٢. ابن الأثير، مجد الدين أبي السعادات المبارك بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني الجزري ابن الأثير، ١٩٧٩م، الم نهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي - محمود محمد الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت.
٣. ابن الجزري، شمس الدين أبي الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، د.ت، النشر في القراءات العشر، تحقيق علي محمد الضباع، المطبعة التجارية الكبرى [تصوير دار الكتاب العلمية].
٤. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر ابن خلكان، د.ت، وفيات الأعيان وأبناء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر، بيروت.
٥. ابن سيدة، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن سيده المرسي، ٢٠٠٠م، المحكم والمحيط الأعظم، تحقيق عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٦. ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، ١٩٨٤م، التحرير والتنوير (تحrir al-ma'ni as-sadiq وتنوير al-qal' al-jadid min tafsir al-kتاب al-majid، الدار التونسية للنشر – تونس).
٧. ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب بن عبد الرحمن بن تمام بن عطية الأندلسي المحاري، ١٤٢٢هـ، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، تحقيق عبد السلام عبد الشافي محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٨. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ٢٠٠٣م، البداية والنهاية، تحقيق جماعة من المحققين تحت إشراف عبد الله بن عبد المحسن التركي، دار هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط١.
٩. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، ١٩٩٩م، تفسير القرآن العظيم، تحقيق سامي بن محمد سلام، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢.
١٠. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأننصاري الرويفي الإفريقي، ١٤١٤هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت، ط٣.
١١. أبو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، د.ت، تفسير أبي السعود (إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)، دار إحياء التراث العربي – بيروت.

١٢. أبو حفص، سراج الدين عمر بن علي بن عادل الحنبلي الدمشقي النعماني، ١٩٩٨م، *اللباب في علوم الكتاب، تحقيق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد* معرض، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.
١٣. أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، ١٤٢٠هـ، *البحر المحيط في التفسير، تحقيق صدقى محمد جميل*، دار الفكر - بيروت.
١٤. أبو هلال العسكري، الحسن بن عبد الله بن سهل بن سعيد العسكري، د.ت، الفروق اللغوية، حققه وعلق عليه: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة للنشر والتوزيع، القاهرة - مصر.
١٥. الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد المعروف بالراغب الأصفهاني، ١٤١٢هـ، المفردات في غريب القرآن، تحقيق صفوان عدنان الداودي، دار القلم، الدار الشامية، دمشق، بيروت، ط١.
١٦. امْرُؤُ القيَسِ بن حجر بن الحارث الكندي، ٢٠٠٤م، ديوان امِرِي القيس، اغتنى به عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة - بيروت، ط٢.
١٧. الباباني، إسماعيل بن محمد أمين الباباني البغدادي، ١٩٥١م، هدية العارفين أسماء المؤلفين وأثار المصنفين، طبع بعناية وكالة المعارف الجليلة-إستانبول، أعادت طبعه دار إحياء التراث العربي بيروت-لبنان.
١٨. البخاري، محمد بن إسماعيل أبي عبد الله البخاري الجعفي، ١٤٢٢هـ، صحيح البخاري (الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه)، تحقيق محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة (بصورة عن السلطانية بإضافة ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي)، ط١.
١٩. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود بن القراء البغوي الشافعي، ١٤٢٠هـ، معالم التنزيل في تفسير القرآن، لمحيي السنة، تحقيق عبد الرزاق المهدى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١.
٢٠. البيضاوي، ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي، ١٤١٨هـ، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط١.
٢١. تقي الدين، أبو بكر بن أحمد بن محمد الدمشقي، تقي الدين ابن قاضي شهبة، ١٤٠٧هـ، طبقات الشافعية، تحقيق الدكتور الحافظ عبد العليم خان، عالم الكتب - بيروت، ط١.
٢٢. الحموي، أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١٩٩٥م، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، ط٢.

٢٣. الحميري، أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحميري، ١٩٨٠م، الروض المغطى في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة - بيروت - طبع على مطابع دار السراج، ط٢.

٢٤. الذهبي، شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي، ٢٠٠٣م، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق الدكتور بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، ط١.

٢٥. الرازي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الرازي الملقب بفخر الدين الرازي، ١٤٢٠هـ، تفسير الرازي (مفاتيح الغيب) أو (التفسير الكبير)، دار إحياء التراث العربي - بيروت، ط٣.

٢٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ١٤٠٧هـ، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي، بيروت، ط٣.

٢٧. السعدي، عبد الرحمن بن ناصر بن عبد الله السعدي، ٢٠٠٠م، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، تحقيق عبد الرحمن بن معاذا اللويحق، مؤسسة الرسالة، ط١.

٢٨. السمعاني، منصور بن محمد بن عبد الجبار ابن أحمد المروزي السمعاني الحنفي ثم الشافعى ١٩٩٧م، تفسير القرآن، لأبي المظفر، تحقيق ياسر بن إبراهيم وغنيم بن عباس بن غنيم، دار الوطن، الرياض - السعودية، ط١.

٢٩. السمين، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف المعروف بالسمين الحلبي، د.ت، الدر المصون في علوم الكتاب المكتنون، تحقيق الدكتور أحمد محمد محمد الخراط، دار القلم، دمشق.

٣٠. الشوكاني، محمد بن علي بن عبد الله الشوكاني اليمني، ١٤١٤هـ، فتح القدير، دار ابن كثير، دار الكلم الطيب - دمشق - بيروت، ط١.

٣١. الصفدي، صلاح الدين خليل بن أبيك بن عبد الله الصفدي، ٢٠٠٠م، الواقي بالوفيات، تحقيق أحمد الأرناوطي، وتركي مصطفى، دار إحياء التراث - بيروت.

٣٢. الطبرى، محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الأملى، أبو جعفر الطبرى، ٢٠٠٠م، جامع البيان في تأويل القرآن، تحقيق أحمد محمد شاكر، مؤسسة الرسالة، ط١.

٣٣. العسقلاني، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، لسان الميزان، ١٩٧١م، تحقيق دائرة المعرف النظامية - الهند، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، لبنان، ط٢.

٣٤. الفيروزآبادى، مجد الدين أبي طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى، د.ت، بصائر ذوى التمييز في لطائف الكتاب العزيز، تحقيق محمد علي النجار، نشر المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة.

٣٥. القاسي، محمد جمال الدين بن محمد سعيد بن قاسم الحلاق القاسي، ١٤١٨هـ،
محاسن التأويل، تحقيق محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١.
٣٦. القبسي، أبو محمد مكي بن أبي طالب حمّوش بن محمد بن مختار القيسى المالكى، ٢٠٠٨م،
الهداية إلى بلوغ النهاية في علم معانى القرآن وتفسيره وأحكامه وجمل من فنون علومه،
تحقيق مجموعة رسائل جامعية بكلية الدراسات العليا والبحث العلمي-جامعة الشارقة،
بإشراف أ.د. الشاهد البو شيخي، نشر مجموعة بحوث الكتاب والسنة - كلية الشريعة
والدراسات الإسلامية - جامعة الشارقة، ط١.
٣٧. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرج الأنصاري الخزرجي شمس الدين
القرطبي، ١٩٦٤م، الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي، تحقيق أحمد البردوني
وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصرية - القاهرة، ط٢.
٣٨. الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي، الشهير
بالماوردي، د.ت، تفسير الماوردي (النكت والعيون) تحقيق السيد ابن عبد المقصود بن عبد
الرحيم، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان.
٣٩. مسلم، بن الحجاج أبي الحسن القشيري النيسابوري، د.ت، صحيح مسلم (المسنن
الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم)، تحقيق
محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي - بيروت.
٤٠. المعلى، آثار الشيخ العالمة عبد الرحمن بن يحيى اليماني، اعنى به: مجموعة من
الباحثين، منهم: المدير العلمي للمشروع علي بن محمد العمران، دار عالم الفوائد للنشر
والتوزيع، ط/الأولى ١٤٣٤هـ.
٤١. المناوي، زين الدين محمد المدعو عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين
الحدادى ثم المناوى القاهري، التوقيف على مهمات التعريف، عالم الكتب ٣٨ عبد الحال
ثروت-القاهرة، ط/الأولى ١٤١٠هـ ١٩٩٠م.
٤٢. النيسابوري، أبي الحسن علي بن أحمد بن محمد بن علي الواحدى النيسابوري، الشافعى،
١٩٩٤م، الوسيط في تفسير القرآن المجيد، تحقيق وتعليق الشيخ عادل أحمد عبد الموجود
وآخرون، قدمه وقرظه: الأستاذ الدكتور عبد الحى الفرماوي، دار الكتب العلمية، بيروت،
لبنان، ط١.
٤٣. اليعقوبى، أبو يعقوب أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح اليعقوبى، ١٤٢٢هـ،
البلدان، دار الكتب العلمية، بيروت، ط/الأولى ١٤٢٢هـ.

بلاغة الانزياح الفعلى في القرآن الكريم (الزمن والتقارب الدلالي نموذجاً) د. فاطمة بشير وداعية^(٠)

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى تبيين الدواعي البلاغية والأوجه البينية في أزمنة الأفعال في القرآن الكريم، وإبراز الفروق المعنوية الدقيقة للأفعال المختلفة في الأصل المتقاربة في الدلالة وربطها بالسياقات الخاصة للآيات القرآنية، والاغتراف من علوم شتى كالتفصير وعلوم القرآن وعلوم اللغة والعلوم الحديثة وتوظيفها لخدمة الموضوع، وتبني أهمية البحث من ارتباطه بالقرآن الكريم والبحث في بلاغته الوثيقة الصلة بالإعجاز، وتمثل المشكلة في أن ظاهرة الانزياح في صيغ الأفعال قد وردت كثيراً في القرآن الكريم ولها أبعاد وأغراض بلاغية ومقاصد دلالية وهذا البحث يستنبط هذه الأغراض والمقاصد، وقد اتبعت المنهج التحليلي الوصفي القائم على تحليل نماذج من الآيات الكريمة التي تتحقق فيها صور الانزياح الفعلى، وتوصلت إلى نتائج أهمها: أن الانزياح الفعلى في القرآن الكريم أداة بلاغية قوية للتعبير عن المعاني العميقية وإيصال الرسالة القرآنية بأبلغ صورة، وأن صورة الانزياح عن الأمر إلى الماضي لم تتحقق في القرآن الكريم.

المقدمة:

الحمد لله منزّل القرآن، ونحمده أن هدانا لهذا الطريق والصلوة والسلام على من أوتي جوامع الكلم محمد صلى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه حملة مشاعر الهدى.

القرآن هو المعجزة الكبرى الباقية الخالدة، وهو الذي لا تزغ به الأهواء ولا يخلق من كثرة الرد ولا تنقضي عجائبه، فاقت بلاغته كل بلاغة وسحر ببيانه العقول؛ فإن خير الدراسات والبحوث ما كان مجالها كتاب الله تفسير آياته، وتبين أحکامه وتذوق بديع نظمه وبلاغته.

الانزياح مخالفة وخروج عن الأصل اللغوي مما يلفت انتباه الملتقي، ويدعوه للبحث عن المعاني الخفية وراء التعبير. وفي النص القرآني يكون الانزياح مبدأ جماليًا معبراً عن معانٍ خفية لا تنجلي إلا بكسر السياق بعنصر لغوي غير متوقع. اللغويون صنفوا الفعل خارج السياق إلى دلالات تتعلق بزمنه الصرفي، فالماضي يدل على الزمن الماضي، والمضارع يدل على الحاضر والمستقبل، والأمر يدل على المستقبل، لكن التعبير القرآني كثيراً ما يخرج عن النمط المألوف للغة من حيث التصرف في أزمنة الفعل في السياق الواحد فيعبر بصيغة زمن عن زمن آخر. كما يستخدم القرآن الفعلين المتقاربين في الدلالة استخداماً متناوباً وفق السياق والأغراض.

مشكلة البحث:

الانزياح في صيغ الأفعال في السياق النصي له أبعاد دلالية ومقاصد بینية، وقد وردت هذه الظاهرة كثيراً في القرآن الكريم، إن هذا البحث يتجاوز القواعد اللغوية بالدراسة والتحليل لاستنباط الأبعاد

(٠) أستاذ مشارك، جامعة أفريقيا العالمية

الدلالية واللطائف البلاغية المقصودة من المخالفة في استخدام صيغ الأفعال في القرآن الكريم وأثر السياق والمقام فيها، وقد عالج الموضوع الأستاذ الآتية:

١/ ما الانزياح؟ وما غايته الفنية والدلالية؟

٢/ ما المعنى الصري للفعل، وما معناه السياقي؟

٣/ ما دلالات الفعل من حيث الأزمنة الثلاثة عند كل من النحوين والبلاغيين؟

٤/ ما اللطائف والغايات البلاغية لمخالفة الأصل في استخدام الأفعال في القرآن الكريم وما أثر المقام السياق فيها؟

الأهمية: تتمثل أهمية البحث في:

١/ ارتباطه بالقرآن الكريم والبحث في بلاغته؛ لصلتها الوثيقة بالإعجاز القرآني.

٢/ كثرة ورود هذه الظاهرة وغيرها من أساليب مخالفة في القرآن تستدعي الوقوف على الأسرار البلاغية والدلالية المقصودة منها.

٣/ العودة بالبحوث إلى التأصيل والمنابع الأولى والمصادر الثرة وربطها بكل ما هو حديث.

الأهداف:

١/ تبيين الدواعي البلاغية والأوجه البيانية للانزياح في أزمنة الأفعال في القرآن الكريم وأثر المقام والسياق فيها.

٢/ تناول الفروق المعنوية الدقيقة لمناذج من الأفعال المختلفة في الأصل المتقاربة في الدلالة وربطها بالسياقات الخاصة في الآيات.

٣/ الاغتراف من علوم شتى كالتفسير وعلوم القرآن وعلوم اللغة وبعض العلوم الحديثة وتوظيفها لخدمة الدراسة.

المنهج: المنهج التحليلي الوصفي

الكلمات المفتاحية: الانزياح - الزمن. التقارب الدلالي

تعريف الانزياح:

زَيْحٌ: زَاحَ الشَّيْءَ بِزَيْحٍ زَيْحًا وَرَبِيْحًا وَرَبِيْحَانًا، وَانْزَاحٌ: ذَهَبَ وَتَبَاعَدَ. وَأَرْجَحُهُ وَأَرْجَاحُهُ غَيْرُهُ وَفِي التَّهْذِيبِ: الرَّيْحُ ذَهَابُ الشَّيْءِ، تَقُولُ: قَدْ أَرْجَحُتُ عَلَيْهِ فَزَاحَتْ وَهِيَ تَرْيَحُ (ابن فارس ١٩٧٢م، ٣، ٣٩) وَفِي حَدِيثِ كَعْبَ بْنَ مَالِكٍ: زَاحَ عَنِ الْبَاطِلِ أَيْ زَالَ وَذَهَبَ، وَأَرْجَحَ الْأَمْرَ: قَضَاهُ (ابن مَنْظُورٍ ١٩٩٩م، ٦/٦٢) وَفِي الْاَصْطَلَاحِ، هُوَ: انْحرافُ الْكَلَامِ عَنْ نَسْقِهِ الْمُثَالِ الْمُأْلَفِ، وَحَدَثَ لَغْوِيٌّ يَتَبَيَّنُ فِي تَرْكِيبِ الْكَلَامِ وَصِيَاغَتِهِ عَلَى أَنَّهُ نَظَامٌ خَارِجٌ عَنِ الْمُأْلَفِ خَاصِّعٌ لِمِبْدَأِ الْاِخْتِيَارِ؛ فَتَبَصِّرُ بِهِ الْلُّغَةُ لِيَسْتَ مُجْرَدَ وَسِيلَةً لِلتَّوَاصِلِ وَإِنَّمَا غَايَةُ فِي حَدِيثِهِ لِتَحْقِيقِ الشِّعْرِيَّةِ وَالْجَمَالِيَّةِ. فَالْانْحرافُ اِنْتَهَاكٌ لِغَوِيٍّ قَائِمٌ عَلَى الإِبْيَانِ بِاللَّامِتُوقُعِ وَاللَّامِنْتَرُوكِ مِنَ التَّعْبِيرِ يَعُولُ عَلَيْهِ الْمَنْشَى لِغَايَاتِ جَمَالِيَّةٍ وَفَنِيَّةٍ كَالْإِثْرَةِ الْذَّهْنِيَّةِ أَوِ التَّشْوِيقِ أَوِ لَفْتِ الْاِنْتِبَاهِ أَوِ التَّأْكِيدِ (فَتْحُ اللَّهِ سَلِيمَانٍ ٢٠٠٢م، ٢٠).

الانزياح هو أهم الظواهر التي يمتاز بها الأسلوب الأدبي؛ إذ يميز اللغة الأدبية وينمّحها تفردّها، ويجعلها لغة خاصة تختلف عن اللغة المعيارية يعود ذلك إلى أن الأسلوب - من حيث هو طريقة الفرد في التعبير -

سيظل دائماً مقتربنا بالانزياح عن طرائق أخرى فردية أو جماعية، أي: أساليب اللغو والأدب (الخريشة ٢٠٠٨م، ٥).

يعتبر الانزياح أقوى الأركان التي قامت عليها الأسلوبية وجعلته عماد نظريتها، حتى عده بعض أهل الاختصاص هو كل شيء فيها. يقول سبترز: (الأسلوبية تحمل استعمال العناصر التي تمدنا بها اللغة، وأن ما يمكن من كشف ذلك الاستعمال هو الانزياح الأسلوبى الفردى، وما ينتج عنه من انحراف عن الاستعمال الاعتيادى). (السيد ١٩٩٩م، ٨٠).

تفاعل الأسلوبيون مع اللغة على أنها ذات مستويين: المثالي أو الاعتيادي، والمستوى الإبداعي أو الفنى الذي ينتمى الاستعمال المألف للغة؛ بقصد شحن الخطاب بطاقات أسلوبية وجمالية تحدث تأثيراً خاصاً في المتلقى. إذا كان النحاة واللغويون قد حرصوا على مثالية اللغة في مستواها العادى فإن البالغين - وهم المهتمون باللغة الفنية - قد حرصوا على تأكيد صفة مخالفه لا بد من تحقيقها في الاستخدام الفنى للغة، هذه الصفة هي المغايرة أو الانحراف على مستوى معين من القواعد والمعايير المثالية التي تحكم اللغة العاديه.

إن الوظيفة الرئيسية التي اهتمت بها الأسلوبية في الانزياح هي عنصر المفاجأة الذي يرتبط بالمتلقى. بحيث (أنها كلمة كانت غير متوقعة فكان وقوعها على نفس المتلقى أعمق). (راضي ٢٠٠٣م، ٢٠٩). الانزياح: قابله العرب بـ العدول-الانحراف-الخرق-الخروج-التجاوز-الشناعة-خرق السنن. (المستدي، ١٩٨٢م، ١٠١) لكن الانزياح أوفق في الاستعمال لأن له في كتب الأسلوبية معنى فنياً محدداً لا لبس فيه. ويعتبر البالغيون وعلماء الأسلوب أن الانزياح هو قوام اللغة الفنية، ويجمعون أنه لا يكون إلا لغاية بيانه أو فنية يسهم فيها منشئ الخطاب وإلى هذا اشار الزمخشري: (إن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطريه لنشاط السامع، وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد وتحتضن مواقعه بفوائد) (الزمخشري، د.ت، ٦٤، ١) وقال ابن الأثير: (إن العدول عن صيغة من الألفاظ إلى صيغة أخرى لا يكون إلا لنوع خصوصية اقتضت ذلك) (ابن الأثير، د.ت، ١٢، ٢) ويمثل الانزياح معيار الإبداع في اللغة بانحرافها عن الثابت المألف (فإن النفس شيمتها الضجر مما يتعدد والولع بما يتجدد) (القرطاجي ١٩٦٦م، ١٨).

ال فعل:

يُعرف الفعل بأنه ما دل على معنى في نفسه مقتربن بأحد الأزمنة الثلاثة، فقد قسمه سيبويه تقسيماً أولياً بحسب أزمنته، حيث يقول: (أما الفعل فممثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنىت لما مضى، ولما يكون ولم يقع، ولما هو كائن لم ينقطع، فاما بناء ما مضى ف: ذهب ... وأما بناء مالم يقع فإنه قوله آمراً: اذهب... ومخبراً يذهب) (سيبويه، ١٤٠٨هـ، ١).

وقد أخذ عن هذا التعريف تقسيم الفعل إلى مضى وأمر ومضارع. والذي يميز الفعل هو جمعه الدلالة الزمنية الكامنة في صيغته إلى دلالة الحدث المتضمنة في مادته؛ لذلك عرّفه الزمخشري بقوله: (الفعل ما دل على اقتران حدث بزمان) (ابن يعيش ١٤٢٢هـ، ٤، ٢٠٤).

وليست الدلالة على الحدث والزمن الوظيفة الصرفية الوحيدة للفعل، بل تتعدى وظائفه إلى أكثر من ذلك. وقد يعمد الأسلوب القرائي إلى استعمال هذه الصيغة للأفعال ، في سياق معين مؤثراً إيماناً على غيرها؛ لتحقيقها معنى معيناً يقتضيه المقام لا يتحقق بغيرها. ولهذا تشكل ظاهرة الانزياح في صيغ الأفعال أهمية بارزة في الدراسات البلاغية والأسلوبية، لأنها تحمل بعدها جمالياً دلالياً وأبعاداً بلاغية يعمد إليها المبدع فيفاجئ المتلقي بما فيها من مخالفة لقواعد المألوفة في العرف النحوي، لكنه خروج لا يؤدي إلى عدم الصحة اللغوية بل إلى خيار ليس المشهور، وهذا الانزياح ليس خرقاً لنظام العربية، وإنما هو نظامها في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية؛ لتؤدي اللغة معاني لا تؤدي إلا في أنظمة العربية المختلفة: الصرفي والنحوي والبلاغي وغيرها، وهو أحد وجوه إعجاز القرآن البلاغية التي نزل بها وفق سسن العرب في كلامها.

الجملة العربية تتركب وفق قواعد وقوانين لغوية، ولكن قد ينحرف التركيب بما هو مألوف بسبب سياق ما، فيأخذ معنى غير المعنى الظاهر، متتجاوزاً إلى دلالات أخرى ذات وظيفة بلاغية لا تفهم إلا من خلال القرائن الحالية والسياسية. وقد عني اللغويون والبلاغيون القدماء بهذه الانزياح في التركيب وصرحوا به كثيراً في أثناء تحليلاتهم للظاهرة اللغوية، حيث يقع الانزياح على المستوى الاستبدالي كالانزياح من صيغة فعل إلى صيغة فعل آخر يحل محله على خلاف القواعد الموضوعة في العرف اللغوي، فقد ألمح عبد القاهر لهذا اللون من الانزياح عند كلامه عن جملة الحال الفعلية، فذكر أن وقوع الفعل مضارعاً مثبتاً فالغالب أن يؤتى بدون واو، كقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَمُنْ تَسْتَكِنُ ﴾ (المدثر) فإن جاء بالواو لم تكن الجملة حالاً وإنما هي لعطف مضارع على فعل ماضٍ لغرض بلاغي هو حكاية الحال الماضية (الجرجاني، ١٩٩٠م، ٤٠) كما سنتى، والمسنون تناولوا هذه الظاهرة الأسلوبية البلاغية في القرآن الكريم، وأبانوا أنها جاءت لغاليات بلاغية قصدية.

إن الأفعال في السياق اللغوي قد تتبادل أزمنتها، فالماضي قد يدل على المستقبل إذا دل على الدعاء أو ركب مع إن الشرطية، ويصبح زمن المضارع المركب مع (لم) الجازمة دالاً على الماضي. وهو ما أشار إليه ابن الأثير: "إن الأفعال تتبادل أزمنتها كالرجوع عن الفعل المستقبل إلى فعل الأمر وعن الفعل الماضي إلى فعل الأمر" (ابن الأثير، د.ت، ٢، ١٧٩).

إن السياق يعين على تحديد زمن الفعل، فالزمن في الصيغة المفردة لا قيمة له خارج السياق، أما في حال التركيب فيصبح للفعل زمن يسمى بالزمن السياقي التركيبي تحدده القرائن اللغوية والحالية، فيظن في التركيب الشكلي اللغوي أن الفعل ماضٍ وتكون حاله كذلك غير أن معناه يكون مخالفاً للغرض وهذا هو معنى الفعل السياقي. إن السياق يلعب دوراً في تأسيس جماليات التركيب اللغوي ودلالاته، لأن الفعل على صيغة (فعل) قد يدل في السياق على المستقبل، والذي على صيغة المضارع قد يدل فيه على الماضي وقد يكون اللفظ شيئاً دلالته شيئاً آخر، ومن هنا تنشأ قواعد عدة تخرج على القاعدة الأم تسمى فرعاً أو تحولاً أو انحرافاً، مثل الاختلاف في تواافق الفعلين وتطابقهما في أسلوب العطف وغيره، واستعمال الماضي والمضارع أو الأمر في اللفظ والمقصود ضده في المعنى". إن انغلاق الفعل على دلالة زمانية محددة ليست خاصية مطردة، فالدلالة الزمنية للفعل تتسم بالمرنة

والطوعية مما يؤهله لاستفراغ دلالته الزمنية الخاصة (الماضي أو الحاضر أو المستقبل) واستيعاب دلالة الزمن المطلق" (تمام حسان ١٩٩٨ م / ١٠٤)، وهذه حقيقة لا يكتنزها الفعل في بيته الصرفية الإفرادية وإنما تتشكل من خلال التفاعل الإيجابي بين صيغة الفعل وشبكة الدوال اللغوية والقرائن السياقية في السياق اللغوي. ومن هنا نصل إلى أن للفعل زماناً صرفيّاً وأخر نحوياً، فال الأول - الصرفي - زمن محدد ثابت، أما الثاني.

-النحوي- فهو جديد طارئ على البنية الدلالية لصيغة الفعل، وهو يشير إلى اكتساب صيغة الأفعال وظائف مغايرة في السياق، أو دلالات زمنية جديدة نتيجة تفاعلات السياق والملابسات وقرائن الأحوال (أسامة البحيري، ٢٠٠٠، م، ٣٢٠).

الانزياح في صيغ الأفعال من حيث الزمن:

ينقسم الفعل باعتبار زمانه إلى ماضٍ ومضارع وأمر: وهذه الأقسام يعبر عنها النحوة بال الماضي والمستقبل والحال، فأما الماضي والمستقبل فلا خلاف فيهما، كما أنه لا خلاف في زمانهما، وأما الحال ففيه خلاف بين النحوين فمنهم من إنكره، ومنهم من أثبته، أما من إنكره فحجته أنه إما قد وقع وإنما لم يقع، فإن كان الأول فهو ماضٍ، وإن كان الثاني فهو مستقبل، ولا ثالث لهما. ورد ابن عصفور على ذلك بأن: "زمن الحال لقصره يتعدد الإخبار عنه، لأنه الزمن المتوهם الفاصل بين الماضي و المستقبل". (الأشباعي ١٩٩٨ م، ١، ٥٨). أما البلاغيون فيرون أن زمن الفعل في جميع صوره يدل على التجدد مع اختلاف معناه باختلاف بنية الفعل، قال بهاء الدين السبكي: (الفعل يدل على التجدد ماضياً كان أم مضارعاً أم امراً، غير أن التجدد الذي يدل عليه الماضي المراد به الحصول، والمضارع يدل على التجدد، بمعنى أنه من شأنه أن يتكرر ويقع مرة بعد أخرى ويضاف إلى هذه الدلالة التي يدل عليها الفعل المضارع دلالة الاستمرار، وهي خاصة بالمستقبل دون الحال) (السبكي، ٢٠٠٣، م، ٥٥٧، ١).

وقد تؤدي بنية المضارع معنى آخر وهو استحضار صورة الشيء المراد في الذهن، قال العلوي: (الفعل المستقبل يوضح الحال ويستحضر تلك الصورة حتى كأن الإنسان يشاهدها وليس كذلك الفعل الماضي إذا عُطفَ لأنَّه لا يعطي هذا المعنى ولا يدل عليه) (العلوي ١٩١٤ م، ٢، ٢٦٧)، هذه هي الدلالات التي تؤديها بنية الفعل وترتبط بزمنه الصرفي، وقد يؤثر التعبير القرآني استعمال بعض هذه المباني في مواضع معينة وفق ما يقتضيه المقام؛ فيأتي بصيغة الماضي في مواضع وصيغة المضارع في مواضع أخرى وتتمثل صورهذا الانزياح في التركيب الفعلي في سنت صور:

الانزياح عن الماضي إلى المضارع:

وهو نوعان: نوع يستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث قد مضى وانقضى، ونوع آخر يستعمل فيه المضارع للدلالة على حدث يقع في الحال أو الاستقبال.

في النوع الأول: قرر علماء البلاغة أن المضارع في هذه الحالة يقصد به استحضار صورة (ما)

في الماضي وكأنه أمر بارز مشاهد للعيان وهذا من البلاغة، وقد أشار إليه عبد القاهر الجرجاني في ثانياً كلامه عن جملة الحال الفعلية إذا جاء فيها الفعل مضارعاً مثبتاً لم يكد يجيء بالواو بل تجيء الجملة عارية من الواو، كقولك: جاءني زيد يسعي غلامه بين يديه (الجرجاني، ١٤١) وكقول الشاعر: وقد عَلَوْتْ قَنْوَدَ الرَّحْلِ يَسْقُفُنِي *** يَوْمَ تَجِيءَ بِهِ الْجُوَزَاءَ مَسْمُوْمُ (علقة الفحل ١٩٩٣ م، ٤٨) وإن جاء الفعل بالواو يمنع عبد القاهر أن تكون للحال، وإنما هي لعطف مضارع على فعل ماض، لغرض بلاغي كقولك: (قمتُ وأصك وجهه) فليست الواو للحال وإنما لحكاية الحال الماضية ومثله: ولقد أَمْرُ عَلَى الْلَّهِ يَسْبُبُنِي *** فَمُضَيَّتْ ثُمَّ قَلْتُ لَا يَعْنِي (القرزياني ٢٠١٠ م، ٤٧. سيبويه ٣، ٢٤) فكما أن (أمر) هنا في معنى (مررتُ) كذلك يكون (أصك) في معنى (صككُتْ) (الجرجاني، ١٤١) وهذا حذوه ابن الأثير والزمخشي. يقول ابن الأثير: "إن الفعل المستقبل إذ أُتي به في حالة الإخبار عن وجود الفعل كان ذلك أبلغ من الإخبار بالفعل الماضي، وذلك لأن الفعل المستقبل يوضح الحال التي يقع فيها، ويستحضر تلك الصورة حتى كأن السامع يشاهدهما وليس كذلك الفعل الماضي (ابن الأثير، ٢، ١٤١)، وهذا ما أطلق عليه الزمخشي مصطلح (حكاية الحال). ويعود من روائع البيان في القرآن الكريم الذي عمد إلى صور مغرقة في القدم فاستدعاماً إلى الزمن الحاضر لتصبح كأنها شاهدة ماثلة للعيان (الزمخشي، ١، ٢٩٥) ومن نماذج هذا ما نجده في قوله تعالى حكاية عن إهلاك قوم لوط ومجادلة إبراهيم عليه السلام. ﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَى يُجَادِلُنَا فِي قَوْمٍ لُّوطٍ﴾ (هود ٧٤).

إن معرفتنا بزمن هذه القصة يجعلنا ندرك أن الزمن الذي يتنظم جميع الأفعال الواردة فيها في بنية العمق هو الزمن الماضي؛ لأنها تحدثنا عن إهلاك قوم لوط . عليه السلام ، الذين أُشْرِبَتْ قلوبهم حب الفاحشة؛ فبعث الله ملائكته على هذه القرية الظالم أهلها، فعاجلوا أولاً بدار إبراهيم عليه السلام، وأخبروه أنهم مرسلون لإهلاكهم، عظم حزن إبراهيم - عليه السلام - وأخذ يجادلهم في قوم لوط ويرجو تأخير البلاء أملاً في إنذارهم إلى الله. (محمد جاد المولى ١٩٩٨ م، ٦٦)، إذن السياق الأصلي المفترض للأية يسير على النحو الآتي : ذهب - ماضٍ جاءاته - ماضٍ

جادلنا - ماضٍ

لكن الصورة الفعلية لهذه الأفعال في بنية السطح، تشير إلى حدوث انزياح زمني في بنية الفعل الثالث (يجادلنا)

ذهب - ماضٍ

جاءاته - ماضٍ

يجادلنا - مضارع

يقول الزمخشي في سر هذا الانزياح: (يجادلنا هو جواب (ما) وإنما جاء به مضارعاً لحكاية الحال) (الزمخشي، ٢، ٤١٢) فالغرض منه استحضار الصورة أمام المتكلمي، وهي وظيفة حيوية يؤديها الفعل مضارع بما يحمل من حرافية وتجدد وقدرة على رسم مجريات الأحداث. كما أن الفعل

المضارع يقدم كيفية استشعار الراعي المسؤول لمسؤوليته تجاه رعيته حين يحس بالخطر يوشك أن يحدق بهم، لاسيما حين يكون هذا المسؤول رسول الله وخليله. فال فعل (يجادلنا) رسم صورة انفعالية حادة عنصرها الفاعل سيدنا إبراهيم -عليه السلام- الذي أتجاه النبا الفاجع- الذي أنبأ به الملائكة عن عزمه على إهلاك قوم لوطن- إلى الدخول معهم في جدلٍ عنيف وحوار ساخن. إن المتكلف ليكاد يدرك ملامح هذه الصورة بعينيه وأذنيه وكأنه ينظر إلى الماضي فيتراء على سيدنا إبراهيم -عليه السلام- وقد صدرت عنه إشارات الاعتراض وعبارات الرفض الفرق لها القرار المفاجئ الذي ربما ذهب ضحيته أنصاره وأتباعه، بل وأقرباؤه وأهله (لأن سيدنا لوطن هو ابن أخت سيدنا إبراهيم عليهما السلام) (العلوي، ٢٠٤). وهذه المحاولات التي يبذلها نبي الله إبراهيم عليه السلام في سبيل حماية رعيته وأقربائه لم تكن مجرد انفعال عابر، بل هي عاطفة مسيطرة، فهو لم يعترض مرة واحدة، بل ظل يحاول ويكسر المحاولة، ويقدم حجج هذا الاعتراض، هذه الدلالة يمنحكنا إياها الفعل المضارع بدلاته على التكرار والتجدد. ذكر البغوي: أن في الأية إضمار، أي: أخذ وظل يجادلنا (البغوي، ١٤١٢هـ، ٤، ١٩٠).

ونموذج آخر قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّبَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذِلِكَ النُّشُورُ﴾ (فاطر، ٩) فإنه قال (فتثير) مستقبلاً، وما قبله وبعده ماضٍ بمعنى حكاية الحال التي يقع فيها إثارة السحاب واستحضار تلك الصورة البدعة الدالة على القدرة الإلهية الظاهرة. وقوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ حَبِيرٌ﴾ (الحج ٦٣) لم يقل (فاصبحت) عطفاً على (أنزل)، وذلك لإفاده بقاء أثر المطر زماناً. فأنزال الماء مضى وجوده، وachsen الأرض باقياً لم يمض. قال الزمخشري: فإن قلت هلا قيل: فاصبحت؟ ولما صرف إلى لفظ المضارع؟ قلت: لنكتة فيه، وهي إفاده بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان كما تقول: أنعم على فلان عام كذا، فأروه وأغدو شاكراً له، ولو قلت: فرُحْتُ وغدُوتُ لم يقع ذلك الموضع. (الزمخشري، ٤، ٢٠٩).

عبر الذكر الحكيم بالمضارع لأنه قصد من المضارع استحضار تلك الصورة العجيبة الحسنة وإفاده بقاء أثر المطر زماناً بعد زمان. والفعل (تصبح) مفعع على الفعل (أنزل) فهو مثبت في المعنى وليس مفرعاً على النفي ولا على الاستفهام فلذلك لم ينصب بعد الفاء، لأنه لم يقصد بالفاء جواباً للنفي إذ ليس المعنى: ألم تر فتصبح الأرض. (ابن عاشور د.ت، ١، ٣١٨).

هنا لفتة بلاغية تفسر دلالة صيغة المضارع على الزمن الماضي، وهي التعجب من شيء بالغ الإغراب فالمتكلم يقدر نفسه حاضراً فيما مضى فيعبر عن ذلك بصيغة الحضور-المضارع- لأنها تدل في الأصل على أن المعنى موجود حال التكلم، وإنما يعبر بذلك إذ كان المعنى فيه غرابة وإعجاب. فاستحضار الصورة يعني أن المتكلم هو الذي انتقل إلى اللحظة الرائعة التي أجز فيها هذا الحدث الرائع، فهو لم يجلب الزمن الماضي إلى الزمن الحاضر وإنما انتقل هو إلى الزمن الماضي وأحياناً وجعله زماناً حاضراً من حيث تلبسه به ومعالجته. ومن هذه الصورة قول الشاعر:

بأنَّى قد لَقِيَتُ الْغُولَ تَهُوي بِشَهِبٍ كَالصَّحِيفَةِ صَحَصَحَانِ

فَأَضْرِبُهَا بِلَا دَهَشٍ فَخَرَّتْ صَرِيعًا لِلْبَيْتَيْنِ وَلِلْجِرَانَ (تأبُط شرائع، ١٤٠٤ هـ، ٢٢٤) فبدأ بـ (لقيتُه) لإفادة وقوع ذلك ثم ثني بـ (أضررُها) لاستحضار تلك الصورة العجيبة من اقدامه وثباته حتى كأنهم يبصرونها في تلك الحالة (ابن عاشور، ٩، ٢٦٨).
الانزياح عن المضارع إلى الماضي:

اختلف النحويون فيه، فمنهم من أجاز عطف الماضي على المضارع، كالزمخشري والرضي في حين منعه آخرون كالفراء واي حيان، ولجأوا إلى تأويل الماضي بالمضارع لينسجم السياق لديهم ليتفق مع قواعد اللغة ومقاييسها (الفراء، ١٩٨٠، ٢، ٢٧٦؛ الزمخشري، ١٩٦٦، ٣، ٢٩٨).
ذكر العلوي: (أن بناء الماضي والعدول إليه دال على مبالغة في الثبوت والاستقرار) (العلوي، ٤٠، ٢، ٢) (فيكون التعبير بلفظ الماضي عن معنى المضارع؛ وذلك احتياطًا للمعنى فيجيء بمعنى المضارع المشكوك في وقوعه بلفظ الماضي المقطوع بكونه، حتى كان هذا قد وقع واستقر لا أنه متوقع متربّع (ابن جني، د.ت، ٣، ٧) وذلك أن العرب إذا أرادت المعنى مكتنته واحتاطت له؛ لأن المستقبل يحمل أموراً غيبية بخلاف الماضي الذي يحكي أموراً قطعية، ولذلك فإن الإخبار عن الأمور الغيبية بصيغة الماضي تأكيد على حتمية وقوعها كأخبار يوم القيمة قوله تعالى: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ (النحل: ١) أخبر سبحانه وتعالى عن اقتراب الساعة معبراً بصيغة الماضي الدال على التحقق والواقع (ابن كثير، ٤٧٦، ٤، ١٤١٩ هـ) فالأمر الموعود بالتحقق بمنزلة الآتي المتحقق؛ لأنّه واجب الوقوع.

والتعبير بالفعل الماضي عن المستقبل هو أسلوب من البلاغة بمكان، يقول عنه ابن الأثير: (والإخبار بالفعل الماضي عن المستقبل فائدته أن الماضي إذ أخبر به عن الفعل المستقبل الذي لم يوجد بعد كان ذلك أبلغ وأوّل في تحقيق الفعل و إيجاده لأن الفعل الماضي يعطي من المعنى أنه قد كان و يوجد وإنما يفعل ذلك إذا كان الفعل المستقبل من الأشياء العظيمة التي يستعظم وجودها) (ابن الأثير/١٨٥). ومن شواهد ذلك قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزَعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتُوْهُ دَاخِرِينَ﴾ (النمل ٨٧) فقد تحول السياق القرآني من المضارع (ينفخ) إلى الماضي (فزع) للإشعار بتحقيق الفزع وأنه كان لا محالة؛ لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعاً به. (ابو السعود، د.ت، ٦، ٣٠٣). وقال الفراء: لم يقل: (فيفزع) ، فجعل (فعل) مردودة على (يفعل) وذلك أنه في المعنى: وإذا نفخ في الصور فزع ، كقولك: اقوم إذا تقوم فأجبيت بفعل؛ لأن فعل ويفعل تصلحان مع إذا (الفراء، ٢، ٣٠٠).

من ذلك قوله تعالى حكاية عن فرعون: ﴿يَقْدُمُ قَوْمُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبَيْسَ الْوَرْدُ الْمُؤْرُودُ﴾ (هود: ٩٨) لقد تحول السياق عن المضارع (يقدم) إلى الماضي (فأوردتهم)، ولو جرى على مقتضى الظاهر لكان على النحو التالي: (سيقدم قومه يوم القيمة وسيوردهم النار) لأن الحديث عن زمن مستقبل هو يوم القيمة، والتحول إلى الماضي (فأوردتهم) فيه دلالة على القطع والتأكيد بوقوع الحدث وحصوله، وإصدار الفعل بحرف (الفاء) ليدل على سرعة الورود، لما في ذلك من التهديد والتخويف.

وكما يفيد الانزياح عن الماضي إلى المضارع استحضار صورة من الماضي السحيق، فإن الانزياح عن المضارع إلى الماضي، يفيد استحضار الصورة من المستقبل البعيد، إلا أن الأول استرجاع للزمن والثاني استباق للزمن لإفاده تحقق وقوع الحدث. ونلاحظ أن هذا التحول إلى الماضي، يخبر عن نتائج محققة لأحداث سابقة لها تحمل طابع الدهشة والمفاجأة، ففزع من في السموات والأرض حدث مفاجيء مترتب على النفح في الصور وكذلك ورود فرعون وقومه النار يعقب مشهد تقدمه لهم إلى ساحة الحشر بذلة وصغار. غالباً ما يرد هذا النوع في مشاهد البعث والقيامة والحضر لتأكد تحقيقها وحصولها.

ومن نماذج هذا الانزياح قوله تعالى: ﴿إِن يَتَّقَمُوْكُمْ يَكُونُوْلَكُمْ أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوْإِلَيْكُمْ أَيْدِيْهُمْ وَالسِّنَّهُمْ بِالسُّوءِ وَوَدُوا لَوْ تَكُفُّرُوْنَ﴾ (المتحنة ٢) فقد انزاح الذكر الحكيم عن الفعل المضارع (يودوا) إلى الماضي (ودوا) الذي أصله أن يكون مضارعاً معطوفاً على جواب الشرط (يكونوا، ويسطوا). وذكر الزمخشري أن في هذا العدول نكتة وهي تنميه إلى الزمن، فالماضي أسبق في الحصول على المضارع (إإن قلت: كيف أورد جواب الشرط المضارعاً مثله ثم قال: ودوا، بلفظ الماضي؟ قلت: الماضي وإن كان يجري في باب الشرطجري المضارع في علم الإعراب فإن فيه نكتة، فكانه قيل: ودوا قبل كل شيء كفركم وارتدادكم، يعني: أنهم يريدون أن يلحقوا بكم مضار الدنيا والدين جميعاً، وردمكم كفاراً أسبق المضار عندهم لعلمهم أن الدين أعز عليكم من أرواحكم.....والعدو أهم شيء عنده أن يقصد أعز شيء عند صاحبه) (الزمخشري، ٤، ٥١٣). وذهب السكاكي إلى أن صيغة الماضي - هنا - تدل تحقق الحدث وحصوله لامحالة (السكاكي، ١٩٨٣م، ٢٤٠). وهذا ما ذهب إليه ابن جني من أن وقوع الماضي في جواب الشرط موقع المضارع، تدل على تحقق الواقع، فاللفظ لفظ الماضي المقطوع بكونه، والمعنى معن المضارع المشكوك في وقوعه حتى كأنه وقع واستقر، لا أنه متوقع متربقاً (ابن جني، ٣، ١٠٥). وقد يكون العدول من المضارع بقرينة لدلالة على الثقة بوقوعه كقول الطرماح بن حكيم:

وإِنِّي لَاتَّيْكُمْ تَشَكُّرَ مَا ماضِي*** مِنَ الْأَمْرِ وَاسْتِيْجَابٍ مَا كَانَ فِي غَيِّ (الطرماح، ١٩٩٤م، ١٢٦).
أي ما (يكون) وذكر ابن جني أن عذرها فيه أنه جاء بلفظ الواجب تحقيقاً له وثقة بوقوعه، أي أن الجميل منكم واقع متى أريد وواجب مني متى طلب . وقد عزز تأكيد المعنى وتقويته بـ (إن واللام). إن الإنسان إذا أحب شيئاً أو تعلق به فلكلثرة دورانه في نفسه يظن انه قد تحقق فيعبر عنه بالفعل الماضي لأن العرب ذا ارادت المعنى مكتنه واحتاطت له (ابن جني، ٣، ١٠١).

لا شك أن مثل هذا العدول يجيء لغرض بلاغي وأسلوبي دلالي ينتج عنه توليد قواعد نادرة ومخالفة، ويمكن أن يكون توسيعاً في القاعدة الأم، أو قد يكون انزياحاً وخرفاً للقواعد كما يرى الأسلوبيون.
الانزياح عن الأمر إلى المضارع:

تشترك صيغتا المضارع والأمر في الدلالة على المستقبل، أما الفارق بينهما فيكمن في أن المضارع خبر، والأمر طلب. والانزياح عن الأمر إلى المضارع هو انحراف عن أسلوب إنشائي إلى آخر خيري وقد ذكر البلاطيون أن الغرض من هذا العدول في الخطاب إنما هو لتعظيم شأن المخاطب (ابن الأثير، ٢، ١٣) وقد يكون الغرض التلطف في الخطاب بأن يُحمل المخاطب على الفعل بالطف عبارة (الافتازاني،

١٣٢٠ هـ، ٢٤٦) قال تعالى: **﴿فُلّ الْمُؤْمِنِينَ يَغْضُو مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ ذَلِكَ أَرْبَكَ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾** (النور: ٣٠) الفعلان (يغضوا - ويحفظوا) بصيغة المضارع يفيدان الدلالة على الأمر بغض البصر، وحفظ الفروج، والسياق اللغوي يؤكد على أن العدول جاء مراعاةً لسياق المخاطبين، فهم المؤمنون بالله ولا يتوقع منهم خلاف ما أمروا به، فعدلت الآية الكريمة رفعاً لشأنهم وتلطفاً معهم في الخطاب.

وقد يستعمل الفعل الدال على الحال، في معنى الفعل الدال على الأمر في المستقبل، رغبةً في جعل الفعل المأمور به من الأهمية بمكان لا يمكن أن يختلف عن أدائه ولا أن يؤخر كما في قوله تعالى: **﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصُنَ بِأَنفُسِهِنَ تَلَائِهَ قُرُوءٌ﴾** (البقرة: ٢٢٨) يقول الزمخشري: (فإن قلت ما معنى الإخبار عنهن بالترصد؟ قلنا: هو خبر في معنى الأمر، وأصل الكلام: وليرصد المطلقات، وإخراج الأمر في صورة الخبر تأكيد للأمر، وإشعار بأنه مما يجب أن يتلقي بالمسارعة إلى امتحاله، فكأنهن امثلن الأمر بالترصد، فهو يخبر عنه موجوداً...، وإنما يجيء على المبتدأ مما زاده -أيضاً- فضل تأكيد، ولو قيل: وليرصد المطلقات لم يكن بتلك الوكادة) (الزمخشري، ٣٦٥/١)

ويذكر الفخر الرازي وجهاً آخر لهذا التعبير، إذ بين أن من فوائد ذلك حكماً فقهياً لا يدل عليه بالتعبير بالمضارع المتصل بلام الأمر (... لما ذكر الله هذا التكليف بلفظ الخبر، زال الوهم وعرف أنه مهما انقضت هذه العدة حصل المقصود، سواء علمت ذلك أو لم تعلم، سواء أن شرعت في العدة بالرضا أو بالغصب (الفخر الرازي، ٧٤/٦).

وكان الآية الكريمة لما عدلت عن الأمر بالأمر إلى الأمر بالخبر، أفادت حكماً شرعياً هو من تخفيف الله وتبسييره، وهو دخول المرأة في زمن العدة لمجرد وقوع الموجب ولو لم تعتقد نيتها على ذلك. ومن دلالات العدول هذا المبالغة في الطلب للتبني على سرعة الامتحال، وقد حوى القرآن الكريم بعضاً من هذه الدلالات فعندما علق الزمخشري على قوله تعالى: **﴿إِذَا أَخَذْنَا مِثْقَابَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهُ وَبِالْوَالِدِينِ إِحْسَانًا﴾** (البقرة: ٨٣)، قال (لا تعبدون) إخبار في معنى النبي، أي: (لا تعبدوا) إلا الله؛ فجاء التكليف بصيغة الخبر وبعبارة الفعل المضارع للإشعار بلزوم فورية الامتحال، كما تقول: تذهب إلى فلان وتقول له كذا، تريد الأمر، وهو أبلغ من صريح الأمر والنفي، لأنه كأنه سُورٌ إلى الامتحال والانتهاء، فهو يخبر عنه (الزمخشري: ١٥٩/١).

الانزياح عن المضارع إلى الأمر:

هو عكس الحالة التي قبلها فيكون الانزياح هنا تحقيراً لشأن المخاطب والاستهانة به؛ فيعدل عن المضارع إلى الأمر للدلالة على اختلاف الفعلين في المعنى، ومن ذلك قوله تعالى في قصة عناد قوم سيدنا هود -عليه السلام- واستكبارهم **﴿إِنَّنَّمَّا تَقُولُ إِلَّا اعْتَرَكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ﴾** قال إنّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَأَشْهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (هود: ٥٤) تُجلِّي هذه الآية جنباً من عناد قوم هود -عليه السلام- في عبادتهم للأصنام التي اتخذوها آلهة، فدعائم هود -عليه السلام- إلى عبادة الله. فأعرضوا واتهموه بالسفسفة وقالوا له: لاشك أن واحداً من آلهتنا قد مسك بسوء فخولت في عقلك فأصبحت تهزي بكلمات لا حقيقة لها، فقال: إنّي أُشْهِدُ اللَّهَ أَنِّي قَدْ بَلَغْتُ وَأَشْهِدُوا أَنِّي بَرِيءٌ... بدأ الصياغة في الآية

الكريمة بصيغة المضارع (أشهد) حين ذكر لفظ الجلالة، لإفاده أن إشهاد الله على البراءة من الشرك صحيح ثابت، ووسيلة لتبني دعائم اليقين وشد معاقد التوحيد. ثم تباعد المواقف وتنبع الهوة بين الطرفين فيكون الانتقال إلى صيغة الأمر (واشهدوا) التي تستلزم طرفين: آمراً مطاعاً مهيباً (هود) - عليه السلام - وماموراً ضعيفاً مهيناً (قومه) (بحيري ٣٢٦). وأفاد الانتقال إلى صيغة الأمر حدوث الجفاء التام والتهاون بدينهم وآلهتهم المزعومة ومعتقداتهم الباطلة. وفي ذلك يقول الزمخشري : (إشهاد الله على البراءة من الشرك إشهاد صحيح ثابت في معنى تبني التوحيد وأما إشهادهم فما هو إلا تهاون بدينهما فعدل به عن لفظ الأول لاختلاف ما بينهما وجاء به على لفظ الأمر بالشهادة تهكمًا واستهانة) (الزمخشري، ٢٢١/٢)، ومناك غرض بلاغي آخر لصيغة الأمر (أشهدوا) لأن في أمرهم أن يشهدوا ببراءته من دينهم ضرباً من التحدى المغيظ.

ونجد أن الزمخشري يخرج قوله تعالى: ﴿قَالَ أَرَاغِبُ أَنْتَ عَنِ الْآيَتِ يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ لَأَرْجُمَنَكَ وَاهْجُنِي مَلِيًّا﴾ (مريم: ٤٦) يخرجه من هذا الباب، فمنع عطف، (وامحرفي) على (الرجمنك) لأن المعنى مختلف فهو معطوف على مذدوف يدل عليه (الرجمنك) أي: (فاحذرني واهجرني)؛ لأن لأرجمنك تهديد وتقرير (الزمخشري، ٢١/٢). ونرى أن مثل هذا العدول يتم لغرض بلاغي، تخرج فيه اللغة عن قواعد النحو المعياري، فتتولد قواعد إضافية تعبّر عن أوضاع دلالية جديدة، لا يتوصل إليها إلا بمثل هذا الانزياح. كما رأينا التهكم والتقرير في آية سورة هود والتهديد والتقرير في آية سورة مريم (الزمخشري، ١٥٩/١)

الانزياح عن الماضي إلى الأمر:

من المعهود أن تُعطف الجملة الخبرية على مثيلتها وكذلك الإنسانية، وهذا من مواضع الوصل للتتوسط بين كمال الاتصال وكمال الإنقطاع (الصعيدي، ١٩٩٩، م، ٨٥/٢) نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمْنَ يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيْتِ وَيُخْرِجُ الْمَيْتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ﴾ (يونس: ٣١)، وقوله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا مِنْ أَنْتُمْ كُلَّ مَسْجِدٍ وَكُلُّا وَأَشْرِبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ (الأعراف: ٣١) فإذا جاء التركيب مخالفًا لهذه القاعدة عُدَّ خروجاً عن الأصل، ولا يكون ذلك إلا لتحقيق أغراض بلاغية، ومن ذلك بقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمْرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأْكُمْ تَعُودُونَ﴾ (الأعراف: ٢٩) الانزياح بعطف فعل الأمر (أقيموا) على الفعل الماضي (أمر) فيه رقائق المعاني ولطائف الإشارات؛ لأن المعنى المعبّر عنه - الذي هو إقامة الصلاة - معنى مهم، وقد أفادت هذه المخالفة مقطعاً من المعنى يجب على السادس أن يلتفت إليه، وهذه قاعدة عامة في كل مخالفة، ثم في توجيه الأمر لهم بإقامة الصلاة دلالة على مزيد العناية بها، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم يخاطبهم - عند ذكر الصلاة - أمراً ومؤكداً إقامتها، والتعبير بإقامة الوجوه فيه معنى العزة ورفع الرؤوس (محمد أبو موسى ١٩٩٦/٢٦٣).

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمَّا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامٍ إِبْرَاهِيمَ مُصَلَّى﴾ (البقرة: ١٢٥) فتمثل صيغة الأمر (اتخذوا) عنصراً انزياحياً في هذه البنية الوصفية التي تستوعب حدثاً وقع في الزمان الماضي. وإذ

جعلنا البيت...." ويبدو أن البنية العميقية للأية شهدت إقصاء لفعل ماضٍ كان لصيقاً بفعل الأمر، وتقديره (وقلنا). يقول الزمخشري: (واتخذوا) على إرادة القول، أي: وقلنا اتخذوا منه موضع صلاة تصلون فيه. (الزمخشري، ٣٧٨/١) ويرى الإمام السيوطي أن الانزياح في هذه الآية من الأمر (اتخذوا) إلى الماضي (عهدهنا) (السيوطى، ٨٦/٢) ولكن هذا غير متحقق لأن الضمير في المتنقل إليه ليس هو في المتنقل عنه لأن الأمر (اتخذوا) لعلوم المسلمين في حين أن صيغة الماضي قصد بها إبراهيم وإسماعيل عليهم السلام.

الانزياح عن الأمر إلى الماضي:

هناك كثير من التراكيب قد تبدو للوهلة الأولى خبرية في بنيتها السطحية، لكنها تحمل في معناها العميق معنى إنسانياً يقتضيه ظاهر المقام، فيعطي التركيب الخبري دلالة ومعنى لا يتوافران في التركيب الانساني لو صرّح به، ولهذا يعدل المتكلم في حديثه أو خطابه عن الإنشاء إلى الخبر، دلالة يرمي منها عن قصد إلى تحقيق أمرها. ومن أهم الدلالات التي تفرزها ظاهرة الانزياح عن الأمر إلى الماضي -أي إنزال الإنشاء منزلة الخبر- التفاؤل بوقوع الطلب وإظهار الحرص (الرغبة) في وقوع الطلب؛ فيستعمل المتكلم الجملة الخبرية التي فعلها ماضي مكان الجملة الإنسانية الطلبية التي تدل على الدعاء، للدلالة على تحقق وقوع مضمون الجملة لإدخال السرور إلى نفس المخاطب كقولك دعاء؛ (وقفك الله للتقوى) (السكاكى، ٣٢٤)، أو لإظهار الحرص والرغبة في وقوع الطلب نحو رزقى الله لقاءك (القرزوفى، ٩٦/٢)، ومنه قول الشاعر:

فَسَقَى دِيَارِكَ غَيْرَ مُفْسِدِهَا * * * صُوبُ الرَّبِيعِ وَدِيمَةُ تَهْبِي (طرفة/٨٢)

دعا للديار بالسقيا. ومنه قولنا حين نذكر الرسول الكريم نقول: (صلى الله عليه وسلم) أي: صَلَّى وَسَلَّمَ (السكاكى، ٣٢٤) هذه الصورة من صور الانزياح الفعلى ليست متحققة في بنية الخطاب القرآني.

ونلحظ أن في القرآن أن كثيراً من الآيات التي وردت فيها صور للانزياح تكمن فيها أسرار بلاغية لا تظهر إلا بتأمل وتدبر، وقد حثنا الكتاب الكريم على التدبر في آياته والنظر في مكنونه للوصول إلى ما أودع فيه من أسرار.

الانزياح بين الأفعال المترابطة دلالياً:

يستعمل القرآن اللفظين المترابطين في المعنى المختلفين في الأصل استعمالاً دقيقاً يجد المتأمل فيه أن اختلاف بنبيهما هو لغاية مقصودة، مما دفع كثيراً من العلماء للنظر في أمر الترادف في الذكر الحكيم، فاختلقو بين مقر له ومنكر. فالفرق الأول أقره لغة، وأنكره فصاحةً وعدوبيّةً؛ لأن ثمة ألفاظاً أحسن من ألفاظ ومعناها في اللغة واحد، وبهذا فهم لا ينكرون الترادف وإنما يؤثرون بعض الألفاظ على بعض، ومن ذلك: (لا ريب) أحسن من (لا شك) لشل الإدغام (ومن العظم) أحسن من (ضعف)؛ لأن الفتحة أخف من الضمة...الخ" (السيوطى، ٤/٢٢) ويرى الزركشي أن من فصاحة القرآن اختلاف الكلام باختلاف المقام، فكل موضع لفظ يليق به ولا يحسن بمرادفه حتى لو

أيُّدِل واحد منهما بالآخر ذهبت تلك الطلاوة وفاقت تلك الحلاوة (الزركشي، ١١٨/٢). فهو ينفي الترادف ويقطع بعده لأن للتركيب معنى غير معنى الإفراد.

أما بنت الشاطئ في من أكثر الناس تمسكاً بمذهب إنكار الترادف، ليس في القرآن الكريم ولكن في اللغة أيضاً، ما لم يكن الترادف ناتجاً عن اختلاف اللغات أو القرابة الصوتية . وتقول -بعد أن تنفي الترادف في العربية: "... والأمر كذلك في ألفاظ القرآن ما من لفظ يمكن أن يقوم غيره مقامه ، وذلك ما أدركه العرب الخُلُص القدماء الذين نزل فيهم القرآن (بنت الشاطئ، ١٩٧١م/١٩٤)، وتنكر ترادف الصيغ والأبنية حتى في الألفاظ التي تتفق مادتها وحروفها، بل لا يجوز أن تختلف الحركتان في كلمتين ومعناهما واحد (بنت الشاطئ، ١٩٧١م/٢١٥). والراجح أنه لا ترادف في القرآن، ولا تغنى كلمة عن كلمة فيه لأن كل لفظ فيه محكوم بسياقه. وسنورد بعض الأمثلة المقاربة دلالياً ونرى كيف أن الذكر الحكيم وظفها وفقاً للمقام والسياق.

(انفجرت. انفجرت)

من بديع اختلاف اللفظ تبعاً للسياق في الذكر الحكيم ما ورد في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقُوَّمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَالَكَ الْحَجَرَ﴾** فانفجرت منه أثنتا عشرة عينٍ قُدْ عِلْمٌ كُلُّ أَنَّاسٍ مَّسْرَبُهُمْ كُلُّوا وَأَشْرَبُوا مِنْ رِزْقِ اللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ (البقرة: ٦٠) وفي سورة الأعراف: **﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى إِذْ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ اضْرِبْ بِعَصَالَكَ الْحَجَرَ﴾** فانفجرت منه أثنتا عشرة عينٍ قُدْ عِلْمٌ كُلُّ أَنَّاسٍ مَّسْرَبُهُمْ وَظَلَّلَنَا عَلَيْهِمُ الْغَمَامَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمِنَّ وَالسَّلَوَى كُلُّوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ (الأعراف: ١٦٠) فقد سردت القصة الواحدة بطرق مختلفة، مع تنوع في الألفاظ والأساليب، ولا يكون ذلك في الكتاب المعجز إلا لنكت ودعاً بلاحية، وفنية وإيحائية وأسلوبية. فالغرض هنا يرجع إلى سياق كل من الآيتين، وفي سورة البقرة ذكر أن موسى استسقى لقومه بعد أن طلبوا منه ذلك الخيار بلفظ انفجرت، والانفجار معناه التفتح في الشيء ومنه انفجر الماء انفجرا (ابن فارس، ٤٧٥/٤) فالانفجار أبلغ لأنّه يعني تدفق الماء بكثرة وقوّة، فتناسب الاستجابة لاستسقاء موسى -عليه السلام- (وإذا استسقى) لذلك أمرهم في هذه الآية بالأكل والشرب.

وجاء سبحانه وتعالى بلفظ (انفجرت) في سورة الأعراف، (والانجاس) هو تفتح الشيء بالماء خاصةً، كالانشقاق في قربة أو حجر أو أرض ينبع منها الماء، فإن لم ينبع فليس بانجاس؛ فالانجاس ظهور الماء ولو كان قليلاً، وهو يسبق الانفجار لأنّه أوله. فهو خروج الماء بهدوء وبدرجة أقل (الاصفهاني، ١٨٠) وجيء به هنا، مناسبة للسياق، لأنّه استجابة لطلب بني إسرائيل استسقاء موسى - عليه السلام - لهم "وأوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى...الخ" ولذلك أمرهم بالأكل فقط (صالح العايد، ٢٠٠٢م، ٨١) (صلاح الخالدي ، ١٩٩٨م/٢٠١) وفي استخدام الفعل انجس وجوه إعجازية كثيرة منها: ظهور الماء من حجر، ثم خروجه بقدر حاجتهم، وخروجه عند الضرب بالعصا وانقطاعه عند الاستغناء (أبو حيّان، ١٩٧٨م، ١٩٦/٥) إذا الفعل (انجس) له خصوصية في السياق لا يغنى غيره عنها لأن الانجاس أقل من الانفجار، وفي آية البقرة (فانفجرت): لأن الانفجار أبلغ في كثرة الماء؛ فتناسب سياق النعم التعبيرية (السيوطى، ٣٩٣/٣)، وتتجلى هنا بلاحية القرآن المعجز، وتوظيف النص القرآني

للمترادفات، وكيف أن اللفظة تحسن في مكان وتحسن مرادفتها في آخر، دون أن يكون هناك أي تعارض أو لبس، وما ذلك إلا لتعلق السياق باللفظة، وقد عد الخطابي ذلك عمود البلاغة (اعلم أن عمود هذه البلاغة هو وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل على فضول الكلام موضعه الأخضر والأشكل به ... ذلك أن في الكلام ألفاظاً مترادفة في المعاني يحسب أكثر الناس أنها مترادفة متساوية في إفاده بيان مراد الخطاب والأمر فيها وفي ترتيبها عند العلماء بخلاف ذلك؛ لأن لكل لفظة خاصية تتميز بها عن صاحبها في بعض معانيها وإن كانت تشتراك في بعضها) (الخطابي، ١٩٨٦م، ٢٦). فهو يشير إلى تعلق المترادفات بسياقاتها التوظيفية، وذلك من الملامح الأسلوبية في القرآن الكريم، إذ ينطاط بكل مفردة في سياقها أداء الأغراض والدلائل التي قصدت من وراء توظيفها في هذا السياق، وهذا التعاور بين المترادفات إنما هو دليل إعجاز لغوي وبلاغي.

(أبصر.أنس):

يرى كثير من اللغويين أن كلمتي (أنس) و (أبصر) مترادفتان، معناهما واحد وهو رؤية الشيء، يقال: أبصر الرجل الشيء وأنسه، ورأه إذا نظر إليه بعينيه (ابن منظور ب-ص-ر) (ابن فارس ١٢٥٣/١) وإلى ذلك ذهب القرطبي بقوله: **أنستُ** أبصرتُ (القرطبي ١١٥/١١) وابن عاشور: الإيناس: الإبصار الذي لا شبهة فيه (ابن عاشور ١٩٤/١٦). وقد استخدم القرآن الكلمتين: (أنس) و (أبصر) وبما أنه لا ترافق بين ألفاظ القرآن، فلابد أن نتعرّف على الفروق الدقيقة بينهما. ووردت كلمة (أبصر) في القرآن بمعنى الإبصار، سواء كان الإبصار رؤية عينية أو بصيرة قلبية. ووردت (أنس) بمعنى الإبصار وزيادة كثيراً في قصة موسى - عليه السلام -، عندما أبصر النار على جانب جبل الطور، وهو عائد من مدين إلى مصر، قال تعالى: **إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ امْكُنُوا إِنِّي أَنْسَتُ نَارًا لَعَلِيَّ أَنِيَّكُمْ مِنْهَا بِخَيْرٍ أَوْ أَتِيَّكُمْ بِشَهَابٍ قَبْسٍ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ** (القصص ١٠) (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ إِنِّي أَنْسَتُ نَارًا سَيِّئَكُمْ مِنْهَا مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُنُوا إِنِّي أَنْسَتُ نَارًا لَعَلِيَّ أَنِيَّكُمْ مِنْهَا بِخَيْرٍ أَوْ جَدْوَةٍ مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) (القصص: ٢٩) هذه ثلاثة مواضع ذكر فيها فعل (أنس) في الإخبار عن النار التي رأها موسى - عليه السلام - فلماذا تم الانزياح عن (أبصرت) أو رأيت إلى (أنست)؟ من المعلوم أن سيدنا موسى - عليه السلام - عندما كان في الوادي المقدس (طوى) اجتمع عليه الظلام والبرد والحرارة. وبينما هو كذلك أذ أبصر ورأى ناراً بجانب جبل الطور، فاستبشر خيراً لأنها ستحل المشكلة التي يمر بها حيث رجا أن يجد عندها أحداً يساله عن الطريق، أو أن يأخذ منها ما يدهم، وهذا واضح في الآيات الكريمة: الإيناس موسى عليه السلام . بالنار وزيادة بالأنس والاستبشر والطمأنينة والسكينة والرقاء، عيناه أبصرت النار، وقلبه اطمأن إليها، ونفسه انشرحت، ومشاعره وأحاسيسه أنسأنس بال النار، وهذه المعانٰي لا توجد في قولنا: "أبصر من جانب الطور ناراً". فكل إيناس إبصار وليس كل إبصار إيناساً. (صلاح الخالدي ٢٠) وممن ذهب إلى هذا المعنى الألوسي: (الإيناس خاص بإبصار ما يؤنس به وقيل هو بمعنى الوجودان) (الألوسي د-ت ١٦٥/١٦) ثم ذكر قول الحارث بن حلزة:

آنست نبأً وقد راعها الفئاص *** عصراً وقد دنا اليمساء (ابن حزرة، ١٩٩١م، ٢٢) (آنست) هنا بمعنى (أحسست)؛ لأن نبأً معناها: صوتاً، (أرسل. أنزل):

الإرجال: الانبعاث والسهل من السير (ابن فارس ٣٩٢/٣) والرسول صلى الله عليه وسلم المنبعث المتحمل للرسالة، وقد يقال للرسالة ذاتها أو القول المحمول. (نزل) تدل على هبوط الشيء ووقوعه (ابن فارس، ٤١٧/٥) في سورة البقرة ذكر عز شأنه لفظة الإنزال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُدُونَ﴾ (البقرة: ٥٩) في حين في سورة الأعراف عدل إلى الإرجال: ﴿فَبَدَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٢). قال الكرماني: (قيل في الأعراف: فأرسلنا؛ لأن لفظ (الرسول) و (الرسالة) كثرت في الأعراف؛ فجاء ذلك موافقاً؛ ولأن (الإرجال) أشد وقعاً من الإنزال فهو مناسب لأن الأعراف دون البقرة المسورة لتعداد النعم. (الكرماني ١٤٠٣هـ، ٧٤)، فآية البقرة إشارة إلى سلامه غير الذين ظلموا؛ لتصريحه بـ (الإنزال) على المتصفين بالظلم، وختمت آية البقرة بـ (يفسدون) ولا يلزم منه (الظلم)، والظلم يلزم منه الفسق فناسك كل لفظة منها سياقه). (السيوطى، ٣٩٣/٣) وعلل الرازي ذلك بأن (الإنزال) يفيد حدوثة في أول الأمر، وـ (الإرجال) يفيد تسلطه عليهم، واستئصاله لهم بالكلية وذلك إنما يحدث في الآخرة. وقاله تعالى في البقرة (يفسدون) وفي الأعراف (يظلمون) لما يبين في سورة البقرة كون ذلك الظلم فسقاً اكتفى بلفظ الظلم في سورة الأعراف. فهم موصوفون بكلهم ظالمن لهم ظلموا أنفسهم، وبكونهم فاسقين لأجل أنهم خرجوا عن طاعة الله، فالفائدة في ذكر هذين الوصفين التنبية على حصول هذين الأمرين كون ذلك الظلم فسقاً. (الرازي، ٣٢٧/٣).

(أى. جاء):

أى: الإتيان: مجيء بسهولة (ابن فارس، ١/٥)، وقد تخص به الدلالة على المجيء بشيء، والإتيان يقال: للمجيء بالذات وبالأمر وبالتدبير ويوضح الراغب الأصفهانى الفرق بين الفعلين: الإتيان مجيء بسهولة، وقيل أن (جاء) يقال في الجواهر والأعيان (الاصفهانى، ١/٢١٢)؛ (ابن فارس، ١/٤٩٧) قال تعالى: ﴿قَالُوا نَفْقَدُ صُوَاعَ الْمُلَكِ وَلَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ رَعِيمٌ﴾ (يوسف: ٧٢) لأن (الصواع) عين. ولم يستعمل القراء الكريم من الفعل (جاء) إلا الفعل الماضي فقط، أما الفعل (أى) فقد استعمل بصيغة المضارع والأمر باسم الفاعل واسم المفعول.. (فاضل السامرائي، ٤٢، م ٢٠٠٩). من الناحية اللغوية يستعمل (جاء) لما فيه مشقة أما (أى) فيستعمل للمجيء بسهولة ويسر (السيوطى، ٢/٣٠).

﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ١). وقال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْبَطَلُونَ﴾ (غافر: ٧٨) هنا الأمر أشقر لأن فيه قضاء وخساراناً وعقاباً. (أى) يستعمل في المعانى والزمان كما في قوله تعالى: ﴿حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَأَيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَهْمُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرَنَا آيَلًا أَوْ تَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا﴾ (يونس: ٢٤) وقد فسر الطبرى أى

بمعنى جاء (الطبرى، ١١٤/١٧) وفي قوله تعالى: ﴿قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَاهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ﴾ (النحل: ٢٦) فأتى الله ببنيهم من القواعد فلكلوا جميعاً يقول القرطبي: أي أتى أمره البنيان، إما زلزلة أو رحرا فخربيته (القرطبي، ٢٧/١٠) فلما كان أمره سبحانه وتعالى حاصلاً بإرادته أتى على البنيان فهدمه رغم طوله ومتانة بنائه، وكان لزاماً في السياق القرآني أن يستعمل سبحانه وتعالى ما يدل على سهولة الهدم فوظف لفظ (أتى) الذي هو معنى بالأمر؛ ليدل به على المعنى المراد، كما أن فيه دلالة أخرى على عظمة القرآن في اختيار اللفظ المناسب للسياق المناسب دون مبالغة أو تفريط، فالبناء متقن محكم ولكن جاء القرآن بلفظ يثبت سهولة هدمه من لدن الله سبحانه وتعالى: "فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَاهُمْ" أي: جاء عليه بأمره لا بذاته. وإذا نظرنا إلى لفظ (جاء) لمسنا له اختلافاً من (أتى) في التعبير عن المعنى الخاص الذي اقتضاه السياق في قوله تعالى: ﴿فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِدْعِ التَّخْلَةِ﴾ (مريم: ٢٣) فالمخاض يصحبه وجع شديد مع انعدام المأكل والمشرب ووحشة في الصدر جسدت ألم مريم بنت عمران الشديد، فأمام هذه الشدة ما كان للسياق القرآني أن يدلل على ذلك لو أنه اشتمل على لفظ الإتيان، فقال سبحانه وتعالى: "فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ" تعبيراً دقيقاً عن معنى المجيء الصعب الشاق الغالب على سياق الآية.

ومن دلالة المعنى على الصعب والشاق في قوله تعالى: ﴿وَجَاءَ رَجُلٌ مِنْ أَقْصَى الْمُدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتِمُرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ (القصص: ٢٠)؛ وفيه دلالة على التعب والإرهاق الذي صاحب الرجل المسرع خاصة أنه كان يحمل خبراً فيه وقع شديد على سامعه؛ فضراوة الحدث وشدة وقع الخبر على موسى عليه السلام ما كان للفعل (أتى) أن يجسدها في الآية.

يقول تمام حسان: (الترادف التام مشكوك في أمره ... فالكلمتان اللتان تعتبرهما متزادتين لا يوجد بينهما في الواقع إلا منطقة مشتركة من المعنى، ثم يستقل كل منهما بإقليمه الخاص خارج منطقة التداخل) (تمام حسان، ٢٣٩).

مما تقدم ندرك مدى بلاغة القرآن في اختيار اللفظ المناسب وتوظيفه في سياقه وفق المقام وداعية الحال، وأنه لا يكون الانزياح عن فعل إلى آخر متعدد معه في المادة المعجمية أو مخالف له فيها إلا لدوع بلاغية ودلالية يفرضها الموقف؛ فتجيء الأنفاظ متسبة في عباراتها أيماء اتساق ومؤدية لمعانيها وأغراضها ومراميها البلاغية. وقد أشار صلاح فضل - بصفته أحد رواد علم الأسلوب - إلى أن اختيار المفردة المناسبة في التركيب، واعتبر الإجراءات الاستبدالية للوحدات اللغوية منهجاً علمياً يفيد في إدراك أسرار التركيب وجمالياته وغاياته، ويسمح بهم اختيار الأسلوب للمبدع، (صلاح فضل، ١٩٨٨م، ٣٠). ولكننا نعلم أن كل ألفاظ القرآن تقع موقعها الذي لو بدللت فيه بلفظة أخرى لنبت عنه ورفضها السياق، إنه النص المثالي البياني المعجز.

الخاتمة:

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات بعد دراسة لظاهرة الانزياح الفعلي وبلاغته في نماذج من القرآن الكريم توصلت إلى النتائج الآتية:

١/ الانزياح مخالفة للقواعد المألوفة ولكنها ليس خرقا لنظام العربية بل هو نظمها في أعلى درجاته الإبداعية البلاغية

٢/ الانزياح في القرآن الكريم ليس مجرد تغيير في الأسلوب بل هو أداة بلاغية للتعبير عن المعاني العميقية

٣/ الانزياح في التركيب الفعلي ينجلب بالتضاد في أزمنة الأفعال ويتناوب الأفعال المترادفة مما يولد طاقة تعبيرية وقدرة على إثارة الحدث ولفت انتباه المتلقى.

بعد إكمال البحث والتوصيل إلى نتائجه أوصي بالآتي:

١/ دراسة البلاغة القرآنية دراسة متعمقة؛ فالقرآن لا تنقضي عجائبه وهو مجال خصب للدراسات البلاغية واللغوية فعلى الباحثين اتخاذ مجالاً أوسع لدراساتهم خدمة لكتاب الله وكشفاً لمكounات النظم القرآني وأسراره البدية.

٢/ الاهتمام بالدراسات اللغوية وتناول النصوص بالتحليل والتعليق مع ربط البلاغة العربية بالعلوم الألسنية الحديثة وتوظيفها في إبراز الجوانب المضيئة للغة التنزيل وسياقاته البلاغية الفنية المعجزة.

٣/ دراسة الصور الأخرى للانزياح الفعلي في القرآن الكريم؛ فهندسة الظاهرة تحتاج إلى المزيد من البحث في أقسام الفعل الأخرى مثل التجدد والزيادة، التعدي واللزوم، البناء للمعلوم /ولما لم يسم فاعله..

المصادر والمراجع:

القرآن الكريم

١. ابن الأثير، أبو الفتح نصر الله بن محمد(د.ت) المثل السائر في أدب الكتاب، والشاعر، تحقيق: أحمد الحوفي وبديوي طيانة، مكتبة نهضة مصر ط.٢.
٢. ابن جني، أبو الفتح عثمان، د.ت، الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الهدى للطباعة، بيروت د.ط.
٣. ابن حكيم، الطرماح، ١٩٩٤م، ديوانه، تحقيق عزة حسن، دار الشرق العربي، بيروت ط.٢.
٤. ابن حلزة، الحارث، ١٩٩١م، ديوان الحارث بن حلزة، تح أميل بديع يعقوب، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١
٥. ابن عاشور، محمد الطاهر، د.ت، تفسير التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، تونس.
٦. ابن فارس، أبو الحسن أحمد، ١٩٧٢م، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط.٢.
٧. ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل، ١٤١٩هـ، تفسير القرآن العظيم، علق عليه محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط.١.
٨. ابن منظور، جمال الدين أبو الفضل، ١٩٩٩م، لسان العرب، تحقيق أمين محمد عبد الوهاب ومحمد صادق العبيدي، دار إحياء التراث العربي، ط.٣.

٩. ابن يعيش، علي بن يعيش بن أبي السرايا، ١٤٢٢هـ، شرح المفصل، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٠. أبو السعود، محمد بن مصطفى، د. ت، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
١١. أبو حيان، محمد بن يوسف، ١٩٧٨م، تفسير البحر المحيط، دار الفكر، القاهرة، ط ٢.
١٢. أبو موسى محمد، د. ت، خصائص التراكيب، مكتبة وهبة، ط ٧.
١٣. الأشبيلي، علي بن مؤمن بن محمد بن عصفور، ١٩٩٨م، شرح جمل الزجاجي، تحقيق فواز الشعار، دار الكتب العلمية، بيروت.
١٤. الأصفهاني، الراغب أبو القاسم الحسين محمد، ١٤٢٣هـ، المفردات في غريب القرآن ، تحقيق صفوان عدنان ، دار العلم دمشق، الدار الشامية، بيروت ، ط ٣.
١٥. الألوسي، شهاب الدين السيد محمد البغدادي، د. ت، روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، دار التراث، القاهرة.
١٦. الباقلاني، أبو بكر محمد، ١٩٦٣م، إعجاز القرآن، تحقيق أحمد صقر.
١٧. البغوي، أبو محمد الحسين بن مسعود، ١٤١٢هـ، معالم التنزيل، تحقيق محمد عبد الله النمر وأخرين ، دار طيبة للنشر الرياض.
١٨. الجرجاني، عبد القاهر، ١٩٩٠م ، دلائل الإعجاز، تحقيق محمد رشيد رضا، مكتبة محمد علي صبيح ، القاهرة ط ٦.
١٩. الخالدي، صلاح عبد الفتاح، ٢٠٠٠م، إعجاز القرآن البياني، دار عمار، عمان، الأردن.
٢٠. الزمخشري، أبو القاسم جار الله بن عمر، د. ت، الكشاف عن حفائق التنزيل، دار المعرفة، بيروت.
٢١. السامرائي، فاضل صالح، ٢٠٠٩م، من أسرار البيان القرآني، دار الفكر، عمان ، ط ١.
٢٢. السبكي، أبو حامد بهاء الدين أحمد بن علي، ٢٠٠٣م، عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تحقيق عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية، صيدا بيروت ، ط ١.
٢٣. السكاكبي، يوسف بن أبي يعقوب، ١٩٨٣م مفتاح العلوم، تحقيق نعيم زرزو، دار الكتب، القاهرة.
٢٤. السيوطي، بهاء الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، ١٩٩٩م، الإتقان في علوم القرآن، تح فؤاد أحمد زمرلي، دار الكتاب العربي، بيروت ط ١.
٢٥. الصعیدی، عبد المتعال، ١٩٩٩م، بغية الإيضاح، مكتبة الآداب، القاهرة.
٢٦. الطبری، جعفر بن جریر، ١٩٧٨م، جامع البيان في تفہیم القرآن، دار الفكر، بيروت.
٢٧. العايد، صالح بن حسين، ٢٠٠٢م، نظرات لغوية في القرآن الكريم ، دار أشبیلیا للنشر والتوزیع، الرياض، ط ٢.

٢٨. الفحل، علقة بن عبدة، ١٩٩٣م، ديوانه، شرح الأعلم الشنتمري، تحقيق نصر حنا الحتي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١.
٢٩. القرطاجني، أبو الحسن حاذم، ١٩٦٦م، منهاج البلغاء وسراج الأدباء، تحقيق محمد الحبيب، دار الكتاب الشرقي، تونس.
٣٠. القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد الاننصاري، د.ت، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق إبراهيم أطفيش وأحمد البردوبي، دار الكتاب المصرية. القاهرة، ط٢.
١٣. القزويني، الخطيب محمد بن عبد الرحمن، ٢٠١٠م، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت ط٢.
٣٢. الكرماني، محمود بن حمزة، ١٨١٥هـ، البرهان في مشابه القرآن، تحقيق محمد عز الدين عبد الله، دار الوفاء، المنصورة، مصر، ط٢.
٣٣. المسدي، عبد السلام، ١٩٨٢م، الأسلوب والأسلوبية، الدار العربية للكتاب، تونس، ط٣.
٣٤. بحيري، أسامة، ٢٠٠٢م، تحولات البنية في البلاغة العربية، دار الحضارة القاهرة.
٣٥. بنت الشاطئ، عائشة عبد الرحمن، ١٩٧١م، الاعجاز البياني للقرآن، دار المعارف مصر.
٣٦. تأبٍ شرًّا، ثابت بن جابر، ١٤٠٤هـ، ديوانه، تحقيق علي ذو الفقار شاكر دار الغرب الإسلامي.
٣٧. جاد المولى، محمد، ١٩٩٨م، قصص القرآن الكريم، دار المعرفة، بيروت، ط٢.
٣٨. حسان، تمام، ١٩٩٨م، العربية معناها ومبناها ، عالم الكتب، القاهرة ، ط٣.
٣٩. الخرشة أحمد غالب، ٢٠٠٨م، أسلوب الانزياح في النص القرآني، جامعة مؤتة، الأردن.
٤٠. الخطابي، أبو سليمان حمد بن محمد، ١٩٦٨م، بيان إعجاز القرآن، تحقيق محمد خلف الله، ومحمد زعلول سلام، دار المعارف القاهرة ط٢.
٤١. راضي، عبد الحكيم، ٢٠٠٣م، نظرية اللغة في النقد العربي، المجلس الأعلى للثقافة، مصر.
٤٢. الزركشي، بدر الدين بن محمد بن عبد الله، د.ت، البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، مطبعة عيسى البابي الحلبي مصر.
٤٣. سليمان، فتح الله أحمد، ١٤٢٥هـ، الأسلوبية مدخل نظري ودراسة تطبيقية، مكتبة الآداب القاهرة، ط١.
٤٤. سيبويه، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ١٩٨٨م، الكتاب، تحقيق عبد السلام محمد هارون، مطبعة الخانجي، القاهرة، ط٣.
٤٥. السيد، نور الدين، ١٩٧٩م، الأسلوبية وتحليل الخطاب، دار هومة للطباعة والنشر الجزائر.
٤٦. العلوى، يحيى بن حمزة بن علي، ١٩١٤م، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المقتطف، مصر.
٤٧. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد، ١٩٨٠م، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٢.
٤٨. فضل، صلاح، ١٩٨٨م، علم الأسلوب مبادئه وإجراءاته، النادي الثقافي، جدة، ط٣.

٤٩. هنداوى، عبد الحميد أحمد يوسف، ٢٠٠٨م، الإعجاز الصرفى في القرآن الكريم، المكتبة
العصرية، صيدا بيروت.

اتجاهات معلمي ومعلمات اللغة العربية في مديرية التربية والتعليم لمحافظة جرش نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية ختام أحمد بنى عمر^(٠)

المستخلص:

هدفت هذه الدراسة إلى تعرف اتجاهات معلمى ومعلمات اللغة العربية في مديرية التربية والتعليم لمحافظة جرش - الأردن نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية وأثر بعض المتغيرات على الاتجاهات، وتبين الأهمية العلمية للدراسة في أنها تسهم في سد الفجوة في الأدبات التربوية العربية المتعلقة بدمج الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية، أما الأهمية العملية فتتمثل في مساعدة القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم على اتخاذ قرارات بشأن دمج أدوات الذكاء الاصطناعي في مناهج اللغة العربية، وتمثل مشكلة الدراسة في تعرف اتجاهات المعلمين نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصف المسرحي من خلال استبيان تم التأكيد من صدقها وثباتها، وزعت على عينة عشوائية متيسرة من المعلمين والمعلمات بلغ عددها (٢٢١) معلماً ومعلمة، وأظهرت نتائج الدراسة أن اتجاهات معلمى ومعلمات اللغة العربية نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية جاءت إيجابية للكل وللمجالات، وأظهرت النتائج وجود فروق في الاتجاهات تعزى للجنس لصالح الإناث، وفي المؤهل لصالح الدراسات العليا، وفي الخبرة لصالح الخبرة من (١٠ إلى أقل من ١٠ سنوات)، وأوصت الباحثة بتصميم وتنفيذ برامج تدريبية متخصصة لمعظمي اللغة العربية في استخدام الذكاء الاصطناعي.

الكلمات المفتاحية: اتجاهات، اللغة العربية، الذكاء الاصطناعي، تعليم.

مقدمة

شهد العالم تطويراً ملحوظاً في تكنولوجيا المعلومات والاتصالات ترتب عليه تحولات في شتى مجالات الحياة ومنها مجال التعليم، فأصبحت المؤسسات التربوية تركز على إدخال التكنولوجيا في عملياتها، وزادت المطالبات باستخدام تكنولوجيا المعلومات والاتصالات في التعليم بعد جائحة كورونا وما رافقها من تداعيات التحول من التعليم الوجاهي إلى التعلم عن بعد، والذي أظهر ثغرات واضحة في الأنظمة التعليمية إلى الحد الذي دعا إلى القول بأن التعليم بعد كورونا لن يكون كالتعليم قبل كورونا. وبعد الذكاء الاصطناعي من التطبيقات الأكثر إثارة للجدل في الوقت الحالي بفعل الامكانيات التي يتيحها للمعلمين والمعلمات، فقد أشار موسى وبلال (٢٠١٩) إلى أن مجال التعليم من أولى المجالات باستثمار الذكاء الاصطناعي، حيث لا زال التعليم بحاجة لإصلاح عن طريق استثمار مثل هذه التقنيات وتوظيفها التوظيف الأمثل لحل مشكلات التعليم القائمة، ودراسة انعكاساتها وتداعياتها، والعمل على توفير بيئة تعليمية آمنة خالية من التهديدات، مع التخطيط والتصميم والتطوير الرقعي.

(٠) أستاذ مشارك جامعة جرش، كلية العلوم التربوية، قسم المناهج والتدريس

ويشمل الذكاء الاصطناعي توليد محتوى جديد وتعلم الأنماط من البيانات، مما يتيح له تحسين الأداء بشكل مستمر دون تدخل بشري كبير (Daniel, ٢٠١٩). وظهرت العديد من التقنيات المعتمدة على الذكاء الاصطناعي التي فاقت الحد في جودة إنتاجها وفاعلية استخدامها، والتي يمكن تسخيرها لخدمة التعليم والتعلم والنهوض به، وظهرت أنماط جديدة للذكاء الاصطناعي في كل فرعية من نظم التعليم الذكية، والنظم الخبرية، وشكلت هذه الأنماط منظومة متكاملة من خلالها يتم تطوير وتحديث العملية التعليمية التعلمية، والاستفادة من التقنيات الحديثة التي ظهرت من خلال تطبيق منظومة التعليم الإلكتروني في العملية التعليمية (عزمي وأخرون، ٢٠١٤).

وتتميز تقنيات الذكاء الاصطناعي بمقدرتها على محاكاة الوظائف المعرفية البشرية مثل الإدراك والاستدلال، واتخاذ القرار، والتعلم، مما أحدث ثورةً في المهام التي كانت تعتبر تقليدياً رتيبةً أو معقدةً للغاية بالنسبة للقدرات البشرية. وتعمل هذه التطورات على محاكاة الذكاء البشري وتعززه في العديد من المجالات بقدرات كبيرة، مثل: التفكير، والفهم، والتخطيط، والتعلم، والتواصل، والإدراك، والتنقل، واستخدام الأدوات. وغالباً ما تشبه هذه القدرات قدرات البشر، وقد تتفوق عليها (Daniel, B. K. 2019).

ويؤدي المعلم دوراً هاماً في تطوير العملية التعليمية التعلمية بكافة جوانبها، ويلقى على عاتقه مسؤولية الالامام بكل ما هو جديد في مجال التقنيات التعليمية والتربوية، ويقوم بأدوار عديدة، ويمتلك مهارات عالية تتماشى مع التقدم العلمي والتكنولوجي الهائل من جهة، ومع متطلبات ثورة المعلومات والاتصالات من جهة أخرى، وينظر للمعلم في عصر الذكاء الاصطناعي على أنه مطور للمقررات والمناهج، وميسر للعملية التعليمية وهذه المهمة الجديدة تمثل الدور الأساسي الذي ينبغي القيام به (هندي، ٢٠٢٠).

ويعد الذكاء الاصطناعي جزءاً من التطورات الحديثة في مجال التعليم، إذ يوفر تطبيقات وأنظمة تعزز من عملية التعليم والتعلم مثل: أنظمة التوصية، والتقييم التلقائي، وتحليل البيانات التعليمية، والدعم الشخصي للمتعلمين (Luckin et al., 2016). واستخدام هذه التقنيات يعتمد بشكل كبير على اتجاهات المعلمين واستعدادهم لتبنيها في ممارساتهم الصفية.

ويزود دمج الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة المعلمين بأدوات تعليمية متنوعة وغنية، مما يسهل الاستكشاف الشامل للقدرات اللغوية لدى المتعلمين وتطويرها. ويسمح هذا التكامل باستخدام أنظمة ذكية مثل التعلم التكيفي والتقييمات التفاعلية، مما يساعد المعلمين في فهم الاحتياجات الفريدة لكل طالب ومعاججتها. وبالتالي، يصبح توفير محتوى مخصص يتناسب مع أنماط التعلم الفردية ومستويات الكفاءة-حقيقة ملموسة (Hubbard, ٢٠٠٨).

ومن خلال دمج الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة، يمكن للمعلمين توفير تجربة تعليمية غنية ومتعددة، مما يسمح للمتعلمين باستكشاف مهاراتهم اللغوية وتعزيزها بطرق غير تقليدية. فاستخدام الأنظمة الذكية يمكن المعلمين من فهم احتياجات كل طالب بشكل أفضل، وتقديم محتوى مخصص يتوافق مع مستويات الطلبة وأنماطهم التعليمية.

ويعرف الاتجاه بأنه استعداد نفسي مكتسب يؤثر على استجابة الفرد تجاه موضوع معين بإيجابية أو سلبية (Ajzen, 1991). وفي سياق الذكاء الاصطناعي، تشير الاتجاهات إلى مدى قبول المعلمين لاستخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في عمليات التعليم والتعلم للغة العربية، ومدى تصورهم لفوائدها ومخاطرها.

وتعرف الاتجاهات التربوية بأنها ميول واستعدادات مكتسبة تؤثر على استجابات المعلمين نحو موضوعات معينة، بناءً على قناعتهم ومشاعرهم وتجاربهم السابقة، وتشمل ثلاثة أبعاد: البعد المعرفي؛ ما يعرفه المعلم عن الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته في تعليم اللغة، والبعد الوجداني؛ ما يشعر به تجاه هذه الأدوات (تحمس، وقلق، ورفض، وتردد). والبعد السلوكي؛ ما ينوي فعله أو يقوم به فعليًا (استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي، والبحث عنها، أو رفضها) (Eagly & Chaiken, 1993).

وهناك مجموعة من النماذج النظرية المفسرة للاتجاهات نحو التكنولوجيا منها نموذج قبول التكنولوجيا (TA) والذي يعتمد على متغيرين أساسين: السهولة المتصورة، والفائدة المتصورة، ويؤكد النموذج أن هذين العاملين يؤثران مباشرة على نية الاستخدام الفعلي للتكنولوجيا (Davis, 1989). وقد تم تطوير هذا النموذج ليشمل الذكاء الاصطناعي، حيث تشير الدراسات الحديثة إلى أن تصورات المعلمين حول مقدرة الذكاء الاصطناعي على دعم التقييم، وتوفير تعليم شخصي، وتحسين كفاءة التدريس، تؤثر في نواياهم لاستخدامه (Zawacki-Richter et al., 2019). وهناك نموذج نظرية السلوك المخطط؛ والذي يضيف متغيرا ثالثاً إضافة إلى المتغيرين المذكورين في نموذج قبول التكنولوجيا وهو: التحكم السلوكي المتصور؛ وهو مهم جدًا في حالة الذكاء الاصطناعي، حيث يشعر بعض المعلمين بقلة السيطرة أو المعرفة الكافية بهذه التقنيات واستخدامها (Ajzen, 1991).

شهد مجال تعليم اللغة العربية تحولات ملحوظة في ظل التقدم التكنولوجي، خصوصاً في استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي، مثل: المعالجات اللغوية الطبيعية، وتحليل النصوص، والتصحيح التلقائي، والتلخيص الذكي، والترجمة الآلية، وروبوتات الدردشة التعليمية. وهذه الأدوات باتت تسهم في تطوير مهارات اللغة لدى الطالبة، وخاصة في مجالات الفهم القرائي، والتعبير الكتابي، والتحليل البلاغي والنحو؛ ومع ذلك، فإن تبني هذه التقنيات يتوقف بدرجة كبيرة على اتجاهات المعلمين، التي تتشكل بناءً على خبراتهم السابقة، ومدى تمكنهم من التكنولوجيا، ورؤيتهم لدورهم كموجهين لا مجرد ناقلين للمعلومة.

تصف اللغة العربية بتعقيد نحوه وصرفه، وتعدد مستويات الأداء (الإملائي، والنحو، والبلاغي)، ما يجعل بعض المعلمين يرون أن أدوات الذكاء الاصطناعي لا تزال قاصرة عن استيعاب هذه الخصوصيات، وبالتالي قد يبدون اتجاهات سلبية نتيجة نحوها مثل: ضعف أدوات الذكاء الاصطناعي في دعم التشكيل الآلي الدقيق للنصوص، وقصوره في توليد أسئلة بلاغية أو تعبيرية، والتخوف من تهميش دور المعلم كمصحح وناقد لغوي، وفي المقابل، يتبنى بعض المعلمين اتجاهات

إيجابية؛ نظرًا لأن الأدوات الذكية تسهم في: تسريع عملية التغذية الراجعة للمتعلمين، وتحسين جودة الأسئلة الإلكترونية، وتكشف أخطاء الطلاب في الوقت المناسب.

وتناولت مجموعة من الدراسات السابقة اتجاهات المعلمين نحو الذكاء الاصطناعي ومنها دراسة آل مسلم (٢٠٢٣) التي هدفت إلى الكشف عن اتجاهات معلمات العلوم نحو استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية بإدارة تعليم منطقة جازان، ولتحقيق أهداف الدراسة تم استخدام المنهج الوصفي المسيحي من خلال استبيانه، وتم اختيار عينة الدراسة بالطريقة العشوائية البسيطة من مجتمع الدراسة وعده (١٢١) معلمة من معلمات العلوم للمرحلة الابتدائية بمنطقة جازان. أظهرت النتائج أن معلمات العلوم للمرحلة الابتدائية اتجاه إيجابي نحو استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية.

وقام العليط والجديع (٢٠٢٥) بدراسة هدفت إلى معرفة مدى وعي معلمي اللغة العربية بتقنيات الذكاء الاصطناعي واستخدامها في تعليم مهارات التعبير اللغوي الكتابي لطالب المرحلة الثانوية. طبقت على عينة من معلمي اللغة، باستخدام استبيانه. أظهرت النتائج أن هناك تفاوتاً في مستوى وعي المعلمين بـ«تقنيات الذكاء الاصطناعي».

وأجرى الشهري (٢٠٢٣) دراسة هدفت إلى التعرف على اتجاهات معلمي التربية الخاصة نحو توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مواجهة صعوبات التعلم بمنطقة عسير بالمملكة العربية السعودية. وتم استخدام المنهج الوصفي التحليلي بتطبيق استبيانه على عينة عشوائية بلغت (١٤٧) من معلمي ومعلمات التربية الخاصة بمنطقة عسير وتوصلت الدراسة إلى وجود مستوى وعي متوسط إلى مرتفع بـ«ميزاً وإمكانيات توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في حل مشكلات صعوبات التعلم، وكان مستوى الاتجاهات الوجданية والسلوكية مرتفعاً».

وأجرى العتيبي (٢٠٢٢) دراسة هدفت إلى استكشاف اتجاهات معلمي اللغة العربية في التعليم العام بالمملكة العربية السعودية نحو استخدام تقنيات الذكاء الاصطناعي في التدريس، والعوامل المؤثرة فيها. واعتمدت المنهج الوصفي التحليلي، واستخدمت استبيانه لجمع البيانات، وزعت على عينة عشوائية طبقية مكونة من (٢١٣) معلماً ومعلمة من مختلف المراحل التعليمية. أظهرت النتائج أن الاتجاهات الكلية للمعلمين كانت "محايدة تميل إلى الإيجابية". المعلمون لديهم حماماً مبدئياً لاستخدام أدوات الذكاء الاصطناعي، لكنهم يشعرون بعدم الكفاية التقنية.

وقام العامري والقرني والرويس (٢٠٢٣) بدراسة هدفت إلى تحليل اتجاهات المعلمين والمشرفين التربويين نحو إدماج تقنيات الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية، وتحديد التحديات التي تواجه هذا التوجه. استخدمت المنهج المختلط (كمي ونوعي) من خلال استبيانه ومقابلات نصف موجهة، وتكونت العينة من ١٢٠ معلماً و ١٥ مشرفاً تربوياً في ثلاث مناطق تعليمية خلنجية (السعودية، الإمارات، البحرين). وأظهرت النتائج أن (٦٧٪) من المعلمين يرون أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون مساعداً فعّالاً في تصحيح الكتابة العربية. وأن (٧٤٪) من المشاركين يرون أن أدوات الذكاء الاصطناعي ما زالت غير ناضجة لغويًّا لتواكب خصائص اللغة العربية الدقيقة.

وأجرى الدليبي (2021) دراسة هدفت إلى تقويم إمكانيات الذكاء الاصطناعي في تحليل النصوص الأدبية العربية، خاصة في مستويات الدلالة والبلاغة، من منظور معلمي اللغة العربية. اعتمدت المنهج التحليلي من خلال مراجعة محتوى وتحليل مقارن بين نتائج الذكاء الاصطناعي في تلخيص وتحليل نصوص مختارة، مقابل تحليل بشري معلمي أدب عربي. وأظهرت النتائج أن الذكاء الاصطناعي لا يزال محدوداً في فهم المجاز والاستعارة والسياقات الثقافية. وأن (٨٢٪) من المعلمين يرون أن الذكاء الاصطناعي مفيد في الجوانب الشكلية (التدقيق، التلخيص)، لكنه قاصر في الجوانب الجمالية والتأويلية.

وباستعراض الدراسات السابقة يلاحظ أنها تناولت استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم عامة أو تعليم اللغة خاصة، واستخدمت منهاج كمي ونوعي والاستبانة والمقابلة كأدوات، واستفادت الدراسة الحالية من الدراسات السابقة في بلورة مشكلة الدراسة وتطوير أدتها، وتميزت هذه الدراسة من حيث مجتمعها من معلمي ومعلمات اللغة العربية في محافظة جرش - الأردن.

مشكلة الدراسة وأسئلتها

أظهرت دراسة زهي (2022 ، Zhai) أن اتجاهات المعلمين نحو استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في التعليم تتفاوت بناءً على مستوى المعرفة والخبرة الرقمية لديهم. وأشارت دراسة هولستين وآخرين(Holstein et al, 2020) إلى أن المعلمين أكثر تقبلاً للذكاء الاصطناعي إذا ما تم إشراكهم في تصميم هذه الأنظمة، وشعروا بأنها داعمة وليس بديلة لدورهم التربوي. وبينت دراسة سيلير وآخرون (Sailer et al, ٢٠٢٣) أن الثقة في التكنولوجيا والتدريب المناسب يلعبان دوراً كبيراً في تشكيل الاتجاهات الإيجابية.

وأظهرت دراسة العامري وآخرون (٢٠٢٣) أن (٦٧٪) من معلمي اللغة العربية في يرون أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يكون مساعداً في تصحيح التعبير الكتابي، إذا تم تعريبه وتكييفه جيداً. وبينت دراسة العتيبي (٢٠٢٢) أن اتجاهات المعلمين تتأثر بالخبرة الرقمية أكثر من سنوات الخبرة التعليمية. وأشار الدليبي (٢٠٢١) إلى أن استخدام الذكاء الاصطناعي في تحليل النصوص الأدبية ما زال محدوداً، مما يضعف تقبل المعلمين له في المواد الأدبية.

إن استعراض نتائج الدراسات السابقة يظهر أن هناك تفاوتاً في اتجاهات معلمين نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم عامة وفي تعليم اللغة العربية خاصة، ومن هنا جاءت هذه الدراسة لتعرف اتجاهات معلمي ومعلمات اللغة العربية في محافظة جرش - الأردن نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية وبالتالي فان الدراسة تسعى للإجابة عن السؤالين التاليين:

١. ما اتجاهات معلمي ومعلمات اللغة العربية نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية؟

٢. هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد العينة لاتجاهاتهم نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية تعزى لمتغيرات (الجنس، والمؤهل، والخبرة)؟

أهداف الدراسة

تهدف هذه الدراسة إلى تعرف اتجاهات معلمي ومعلمات اللغة العربية نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية، وتعرف إذا ما كان هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد العينة لاتجاهاتهم نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية تعزى لمتغيرات (الجنس، والمؤهل، والخبرة).

أهمية الدراسة

تسهم الدراسة الحالية في سد الفجوة في الأدبيات التربوية العربية المتعلقة بدمج الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية، وهو مجال لا يزال ناشئاً مقارنة بتخصصات العلوم والرياضيات. وتشكل الدراسة إضافة إلى الأدبيات التي تتناول نظرية الاتجاهات من خلال تطبيقها في سياق جديد يتقطع فيه تعليم اللغة والذكاء الاصطناعي، مما يعزز الفهم النظري لعوامل تقبل أو رفض التكنولوجيا في التخصصات الإنسانية.

وتتوفر نتائج الدراسة معلومات تساعد القيادات التربوية في وزارة التربية والتعليم على اتخاذ قرارات واعية بشأن دمج أدوات الذكاء الاصطناعي في مناهج اللغة العربية. وتتيح نتائج الدراسة للمسؤولين عن تطوير المعلمين تصميم برامج تدريبية متخصصة تلبي احتياجات معلمي اللغة العربية في مجالات التكنولوجيا، بما يراعي خصوصية المادة. وتمكن الدراسة المعلمين أنفسهم من تأمل مواقفهم تجاه الذكاء الاصطناعي، والافتتاح على توظيفه في تطوير استراتيجيات التدريس وتحسين تحصيل الطلاب في مهارات اللغة.

حدود الدراسة

أجريت الدراسة ضمن الحدود الآتية:

- الحد الموضوعي: اتجاهات معلمي ومعلمات اللغة العربية في مديرية التربية والتعليم لمحافظة جرش نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية.
- الحد الزمني: أجريت الدراسة في الفصل الأول من العام الدراسي ٢٠٢٤ / ٢٠٢٥.
- الحد المكاني: اقتصرت الدراسة على معلمي ومعلمات اللغة العربية في مديرية التربية والتعليم لمحافظة جرش - الأردن.
- الحد البشري: اقتصرت الدراسة على عينة من معلمي ومعلمات اللغة العربية في مديرية التربية والتعليم لمحافظة جرش - الأردن.

المصطلحات والتعرifات الاجرائية

تضمنت الدراسة المفاهيم الآتية:

الاتجاهات: نزعة نفسية مكتسبة تتجلى في استجابات الفرد الإيجابية أو السلبية نحو موضوع معين، وتتكون من ثلاثة مكونات: معرفية (ما يعرفه الفرد)، ووجودانية (ما يشعر به)، وسلوكية (ما يميل إلى فعله) (Eagly & Chaiken, 1993). وتعرف اجرائياً بالمتطلبات الحسابية لاستجابات أفراد العينة على الأداة التي تم إعدادها لتعرف اتجاهات معلمي اللغة العربية نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية ب مجالاتها (المعرفية والوجودانية والسلوكية).

الذكاء الاصطناعي: فرع من علوم الحاسوب يتم بتصميم أنظمة وبرامج قادرة على محاكاة الذكاء البشري في التفكير، والتعلم، واتخاذ القرار، وحل المشكلات (Russell & Norvig, 2020).

استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية: هو مدى لجوء المعلمين إلى استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي (مثل Grammarly ، ChatGPT ، . . .)، تطبيقات التدقيق الآلي أو توليد الأنشطة) في تخطيط دروس اللغة العربية أو تنفيذها أو تقويمها، وفقاً لما تقتضيه بنود مخصصة في الاستبانة.

الطريقة والإجراءات

منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي المسرحي، وذلك ل المناسبة لأهدافها.

مجتمع الدراسة:

تكون مجتمع الدراسة من (٥١٤) معلماً ومعلمة لغة العربية في مديرية التربية والتعليم لمحافظة جرش - الأردن، منهم (٢٤٣) معلماً، و (٢٧١) معلمة.

العينة:

تم اختيار عينة من مجتمع الدراسة تكونت من (٢٢١) معلماً ومعلمة، منهم (١٠٤) معلماً و (١١٧) معلمة، تم اختيارهم بالطريقة العشوائية المتباعدة، وتم تحديد أفراد العينة وفق موقع حساب العينات (<http://www.raosoft.com/samplesize.html>). والجدول (١) يبين توزع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة.

جدول (١) توزع أفراد العينة حسب متغيرات الدراسة

المتغير	المجموع	الفئات	النسبة	النسبة
الجنس	٢٢١	ذكر	% ٤٧	١٠٤
				١١٧
المؤهل العلمي	٢٢١	بكالوريوس	% ٥٢	١١٥
				١٠٦
الخبرة	٢٢١	أقل من ١٠ سنوات	% ٥٠	١١٠
				١١١

٧١٠٠	٢٢١	المجموع
------	-----	---------

أداة الدراسة:

لتحقيق أهداف الدراسة تم تطوير استبانة بالرجوع إلى الأدب التربوي والدراسات السابقة المتعلقة باتجاهات المعلمين نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم دراسة آل مسلم (٢٠٢٣)، ودراسة العليط والجديع (٢٠٢٥)، وتكونت الاستبانة من البيانات الشخصية (الجنس، والمؤهل، والخبرة) واستبانة الاتجاهات والتي تكونت من (١٥) فقرة موزعة بواقع (٥) فقرات لكل مجال من المجالات الآتية: المعرفي، والوجوداني، والسلوكي.

صدق الأداة:

للحصول على صدق الاستبانة تم استخدام نوعين من الصدق، وعلى النحو الآتي:

١. **صدق المحتوى:** للتأكد من صدق المحتوى لأداة الدراسة فقد تم عرضها بصورةها الأولية على مجموعة من المحكمين المختصين بالمناهج والتدريس وعلم النفس، وطلب منهم إبداء الرأي حول مناسبة الفقرات وسلامتها، وتم الأخذ بلاحظات المحكمين بنسبة اتفاق (٨٠٪) فأعلى، وتم تعديل صياغة بعض الفقرات لتسقى الأداة بصورةها النهائية مكونة من (١٥) فقرة.
٢. **صدق البناء:** لاستخراج دلالات صدق البناء للاستبانة، استخرجت معاملات الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية، وبين كل فقرة والمجال الذي تنتهي إليه، وبين المجالات ببعضها والدرجة الكلية، في عينة استطلاعية من خارج عينة الدراسة تكونت من (٣٠) معلماً ومعلمة، والجدول (٢) يبيّن ذلك.

جدول (٢)**معاملات الارتباط بين الفقرة والدرجة الكلية والمجال التي تنتهي إليه**

معامل الارتباط مع الأداة	معامل الارتباط مع المجال	رقم الفقرة	معامل الارتباط مع الأداة	معامل الارتباط مع المجال	رقم الفقرة
**0.79	**0.86	9	**0.64	*0.40	1
**0.77	**0.85	10	**0.48	**0.59	2
**0.88	**0.87	11	**0.78	**0.79	3
**0.80	**0.93	12	**0.50	**0.66	4
**0.74	**0.88	13	**0.79	**0.83	5
**0.78	**0.86	14	**0.74	**0.88	6
**0.91	**0.92	15	**0.78	**0.85	7
			**0.64	**0.71	8

* دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠٠٠٥). ** دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠٠٠١).

وجاءت جميع معاملات الارتباط ذات درجات مقبولة دالة إحصائية، ولذلك لم يتم حذف أي من هذه الفقرات.

كما تم استخراج معامل ارتباط المجال بالدرجة الكلية، ومعاملات الارتباط بين المجالات ببعضها والجدول (٣) يبين ذلك.

جدول (٣)

معاملات الارتباط بين المجالات ببعضها وبالدرجة الكلية

السلوكي	الوتجانى	المعرفي	
		1	المعرفي
	1	**0.93	الوتجانى
1	**0.72	**0.76	السلوكي

* دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠.٠٥). ** دالة إحصائية عند مستوى الدلالة (٠.٠١).

يبين الجدول (٣) أن جميع معاملات الارتباط كانت ذات درجات مقبولة دالة إحصائية، مما يشير إلى درجة مناسبة من صدق البناء.

ثبات أداة الدراسة:

للتأكد من ثبات أداة الدراسة، فقد تم التتحقق من الثبات بطريقة الاختبار وإعادة الاختبار (test-retest) بتطبيق المقياس وإعادة تطبيقه بعد أسبوعين على مجموعة من خارج عينة الدراسة مكونة من (٣٠) معلماً ومعلمة، ومن ثم تم حساب معامل ارتباط بيرسون بين تقديراتهم في المرتين.

وتم أيضاً حساب معامل الثبات بطريقة الاتساق الداخلي حسب معادلة كرونباخ ألفا، والجدول رقم (٤) يبين ثبات الإعادة للمجالات والدرجة الكلية، ومعامل الاتساق الداخلي وفق معادلة كرونباخ ألفا، واعتبرت هذه القيم ملائمة لغايات هذه الدراسة.

جدول (٤)

معامل الاتساق الداخلي كرونباخ ألفا وثبات الإعادة للمجالات والدرجة الكلية

الاتساق الداخلي	ثبات الإعادة	المجال
0.81	0.84	المعرفي
0.77	0.86	الوتجانى
0.79	0.82	السلوكي
0.86	0.90	الدرجة الكلية

يشير الجدول (٤) إلى استقرار عالٍ وموثوق للأداة المستخدمة في قياس مختلف المجالات المتعلقة باتجاهات المعلمين نحو استخدام الذكاء الاصطناعي، فقد تراوحت قيم ثبات الإعادة للمجالات بين (

،،٨٢،،٨٦)، مما يدل على قدرة الأداة على إعادة إنتاج النتائج بشكل متسق عند إعادة تطبيقه على نفس العينة عبر الزمن. كما أن الاتساق الداخلي، الذي تم قياسه بواسطة معامل كرونباخ ألفا تراوحت قيمه للمجالات ما بين (٧٧،،٨١،،٨٠)، وهو ما يعد مؤشراً مقبولاً في ضوء المعايير المقبولة في البحوث الاجتماعية.

الأساليب الإحصائية:

للإجابة عن أسئلة الدراسة الأول تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، وللإجابة عن السؤال الثاني تم استخدام المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية، واختبار(ت).

المعيار الإحصائي:

تم اعتماد سلم ليكرت الخماسي لتصحيح أداة الدراسة، بإعطاء كل فقرة من فقراته درجة واحدة من بين درجاته الخمس (موافق بشدة، موافق، محايد، غير موافق، غير موافق بشدة) وهي تمثل رقمياً (٥، ٤، ٣، ٢، ١) على الترتيب، وقد تم اعتماد المقياس التالي لأغراض تحليل النتائج:

١ أقل من ٣ اتجاهات سلبية

من ٣ فأعلى اتجاهات إيجابية

وقد تم احتساب المقياس من خلال استخدام المعادلة التالية: (الحد الأعلى للمقياس (٥) - الحد الأدنى للمقياس (١)) / عدد الفئات المطلوبة (٢) = ٢/١٥ = ٢ ، ومن ثم إضافة الجواب (٢) إلى نهاية كل فئة.

نتائج الدراسة ومناقشتها

نتائج السؤال الأول ومناقشتها:

ما اتجاهات معلمي ومعلمات اللغة العربية نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية؟

للإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على أداة الدراسة ويبين الجدول (٥) المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجالات والكلية.

جدول ٥: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية للمجالات والكلية

رقم المجال	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
١	المعرفي (معرفة وفهم الذكاء الاصطناعي)	٤,٠٩	٠,٥٥	١	إيجابي
٢	الوجوداني (المشاعر والمواقف)	٤,٠٨	٠,٦٣	٢	إيجابي
٣	السلوكي (النية والاستعداد للاستخدام)	٤,٠٦	٠,٥٩	٣	إيجابي
	الاتجاهات ككل	٤,٠٨	٠,٥٩		إيجابي

يبين الجدول (٥) أن المتوسط الحسابي الكلي بلغ (٤,٠٨) وبانحراف معياري بلغ (٠,٥٩)، وأن المتوسطات الحسابية للمجالات تراوحت ما بين (٤,٠٦ - ٤,٠٩)، وأن درجة التقدير للاتجاهات جاءت إيجابية للكل وللمجالات، وجاء المجال المعرفي بالترتيب الأول بمتوسط حسابي بلغ (٤,٠٩)

وانحراف معياري بلغ (٥٥,٠٠) وباتجاه إيجابي، تلاه المجال الوجданى والذى جاء بالترتيب الثانى بمتوسط حسابى بلغ (٠,٨٤) وانحراف معياري بلغ (٢٣,٠٠) وباتجاه إيجابي، تلاه بالترتيب الثالث والأخير المجال السلوكي بمتوسط حسابى بلغ (٦,٠٤) وانحراف معياري (٥٩,٠٠) وباتجاه إيجابي. أظهرت نتائج الاستبيان أن الاتجاهات الكلية لدى أفراد العينة نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية كانت إيجابية، وهو ما يدل على درجة عالية من القبول لتوظيف الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية. وتشير هذه النتائج إلى أن معلمي ومعلمات اللغة العربية يمتلكون معرفة جيدة بأهمية الذكاء الاصطناعي، ويبذلون مواقف إيجابية، ولديهم ميول فعلية لاستخدامه في ممارساتهم الصفية.

وقد يعزى ذلك إلى الانتشار الاعلامي لتطبيقات الذكاء الاصطناعي، وتناولها بكثرة في الفترة الأخيرة على منصات التواصل الاجتماعي وفي وسائل الاعلام المختلفة. وتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة العتيبي (٢٢,٢٠) ودراسة العامری والقرنی والرویس (٢٢,٢٠).

وللتعرف على استجابات أفراد العينة على فقرات كل مجال فقد تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على كل فقرة وفيما يلي تفصيل لذلك:

المجال الأول: المعرفي (معرفة وفهم الذكاء الاصطناعي)

جدول ٦ : المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على فقرات المجال

المعرفي مرتبة تناظريا

رقم المجال	المجال	النحو	المتوسط الحسابي	انحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
٤	اعتقد أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يدعم تعليم اللغة العربية بشكل فعال.	٤,٢٢	٠,٦٤	١	ايجابي	
١	امتلك معرفة كافية بمفهوم الذكاء الاصطناعي وتطبيقاته.	٤,١٢	٠,٧١	٢	ايجابي	
٣	أستطيع التمييز بين أدوات الذكاء الاصطناعي وأدوات التكنولوجيا التقليدية	٤,٠٥	٠,٦٩	٣	ايجابي	
٢	أتبع التطورات التكنولوجية المتعلقة بالذكاء الاصطناعي في التعليم.	٣,٩٨	٠,٧٦	٤	ايجابي	
٥	أشعر بالغموض تجاه كيفية عمل أدوات الذكاء الاصطناعي.	٢,٠٨	٠,٨٥	٥	سلبي	
	المجال ككل	٤,٠٩	٠,٥٥		ايجابي	

يبين الجدول (٦) أن المتوسطات الحسابية لفقرات المجال المعرفي تراوحت ما بين (٢,٠٨ - ٤,٢٢) وكلها جاءت لتعكس اتجاهات إيجابية لدى أفراد عينة الدراسة نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية. وجاءت الفقرة "أعتقد أن الذكاء الاصطناعي يمكن أن يدعم تعليم اللغة العربية بشكل فعال" في الترتيب الأول بمتوسط حابي بلغ (٤,٢٢) وهذه النتيجة تشير إلى قناعة معرفية قوية لدى المعلمين بإمكانات الذكاء الاصطناعي في تعزيز العملية التعليمية. وبعكس ذلك

وجود تصور إيجابي عن قدرته على: توفير محتوى تعليمي متكيف مع قدرات الطلبة، وتحسين مخرجات التعليم من خلال تقنيات التحليل والتغذية الراجعة الفورية، وتعزيز التفاعل بين المعلم والمتعلم بوسائل رقمية ذكية. ويمكن القول إن هذا التصور الإيجابي قد يكون نابعاً من اطلاع عام، أو تجارب محدودة، أو مما يسمعه المعلمون في ورش العمل والبرامج التدريبية، حتى إن لم تكن لديهم معرفة تفصيلية بالأدوات الفعلية.

وجاءت الفقرة "أشعر بالغموض تجاه كيفية عمل أدوات الذكاء الاصطناعي" بالترتيب الأخير بمتوسط حسابي بلغ (٢٠٨) ويشير هذا المتوسط المنخفض إلى أن عدداً من المعلمين يعاني من غموض معرفي بشأن البنية التقنية أو آلية عمل أدوات الذكاء الاصطناعي، رغم إيمانهم بفعاليتها التعليمية. وهذه النتيجة تعكس وجود فجوة معرفية تطبيقية يمكن تفسيرها بقلة البرامج التدريبية المتخصصة في هذا المجال، ونقص المصادر الموجهة لعلمي اللغة العربية حول أدوات الذكاء الاصطناعي الخاصة بتعليم اللغة، وتعقيد المصطلحات التقنية التي قد تشعر المعلمين بعدم الكفاءة التكنولوجية.

كما أن انخفاض متوسط الفقرة "أشعر بالغموض تجاه كيفية عمل أدوات الذكاء الاصطناعي" يشير إلى أن نسبة كبيرة من المعلمين لديهم وعي مبدئي أو تصور أولي واضح حول هذه الأدوات، وهو ما يدعم نتائج الفقرات الأخرى التي أظهرت حماساً واستعداداً لتعلم المزيد.

المجال الثاني: الوجданاني (المشاعر والموافق)

جدول ٧: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على فقرات المجال

الوجданاني مرتبة تنازلياً

رقم المجال	المجال	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الترتيب	الاتجاه
١	أشعر بالحماس لتجربة الذكاء الاصطناعي في تدريسي للغة العربية.	٤,٣٠	٠,٥٨	١	إيجابي
٣	لدي موقف إيجابي تجاه إدخال الذكاء الاصطناعي في التعليم	٤,٢٨	٠,٦٠	٢	إيجابي
٥	أشعر بالثقة عند استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي في الفصل	٤,١١	٠,٦٥	٣	إيجابي
٤	أعتقد أن الاعتماد على الذكاء الاصطناعي يفقد اللغة العربية قيمتها الثقافية.	٢,٤٢	٠,٨٨	٤	إيجابي
٢	أخشى أن يؤثر استخدام الذكاء الاصطناعي سلباً على دوري كمعلم.	٢,٣١	٠,٩٢	٥	سلبي
		٤,٠٨	٠,٦٣		إيجابي

يبين الجدول (٧) أن المتوسطات الحسابية للمجال الوجданاني قد تراوحت ما بين (٤,٣٠ - ٢,٣١)، وكلها جاءت بدرجة تقدير إيجابية وجاءت الفقرة "أشعر بالحماس لتجربة الذكاء الاصطناعي في تدريسي للغة العربية" بالترتيب الأول بمتوسط حسابي بلغ (٤,٣٠)، وتعكس هذه النتيجة استعداداً

نفسياً قوياً لدى المعلمين والمعلمات لخوض تجربة توظيف الذكاء الاصطناعي في تدريسهم للغة العربية، وهو مؤشر على وجود دافع داخلي نحو التحدي والتجربة، ورغبة حقيقية في تحسين العملية التعليمية من خلال تبني أدوات تقنية جديدة، وشعور عام بأن الذكاء الاصطناعي قد يقدم فرصاً مهنية وتربيوية مبتكرة تعزز من فعالية المعلم وتميزه، وهذا الحماس قد يكون ناتجاً عن التجربة المباشرة أو عن سمع المعلم لتجارب إيجابية من زملائه، أو ربما ناتج عن بيئة تعليمية تشجع على التجريب والتطوير.

وجاءت الفقرة "أخشى أن يؤثر استخدام الذكاء الاصطناعي سلباً على دوري كمعلم" بالترتيب الأخير بمتوسط حسابي بلغ (٤,٠٨) وهذه الفقرة تشير إلى وجود درجة من القلق أو التردد لدى بعض المعلمين، حيث يخشون أن يؤدي الاعتماد على الذكاء الاصطناعي إلى: تقليص دورهم في الغرفة الصفية، واستبدالهم بتقنيات تعليمية ذكية، وفقدان جزء من سلطتهم التربوية أو التفاعل الإنساني مع الطلبة. وهذه النتيجة تدل على أن البُعد الوجداني لا يزال يحمل بعض التحديات المرتبطة بالهوية المهنية للمعلم، وهي مخاوف قد تعرقل التبني الكامل للذكاء الاصطناعي إذا لم يتم توضيح دوره كأداة دعم للمعلم وليس بديلاً عنه.

وحصلت بعض الفقرات السلبية على متوسط حسابي منخفض يشير إلى أن معظم أفراد العينة لا يتتفقون مع هذه العبارات، أي أنهم لا يشاركون في تلك الاتجاهات السلبية، والاتجاه العام هو رفض أو انخفاض درجة القلق أو التشكك في الذكاء الاصطناعي، وينتمي ذلك بوصفه مؤشراً على وجود قبول إيجابي واعٍ ومدروس لدى المعلمين تجاه التكنولوجيا.

المجال الثالث: السلوكي (النية والاستعداد للاستخدام)

جدول ٨: المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة على فقرات المجال

السلوكي مرتبة تنازليا

رقم المجال	المجال	أنوي تطوير مهاراتي في استخدام الذكاء الاصطناعي مستقبلاً.	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	الاتجاه	الترتيب
٥	أُخوبي تطوير مهاراتي في استخدام الذكاء الاصطناعي مستقبلاً.	٤,٣٤	٠,٥٧	١	إيجابي	
٣	أُحرض على دمج أدوات الذكاء الاصطناعي في الحصص الصفية متى توفرت.	٤,٠٨	٠,٦٨	٢	إيجابي	
١	أُستخدم أدوات الذكاء الاصطناعي في تخطيط الدروس.	٤,٠٥	٠,٦٦	٣	إيجابي	
٢	أُستعين بتطبيقات الذكاء الاصطناعي لتصحيح كتابات الطلاب.	٣,٩٤	٠,٧٣	٤	إيجابي	
٤	لأُرى فائدة عملية لاستخدام الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية.	١,٩١	٠,٨١	٥	سلبي	
		٤,٠٦	٠,٥٩		إيجابي	

يبين الجدول (٨) أن المتوسطات الحسابية لفقرات هذا المجال تراوحت ما بين (٤,٣٤ - ١,٩١) وكلها جاءت باتجاهات إيجابية، حيث جاءت الفقرة "أني تطوير مهاراتي في استخدام الذكاء الاصطناعي مستقبلاً" بالترتيب الأول بمتوسط حسابي بلغ (٤,٣٤) تعكس هذه النتيجة سلوكاً مقصوداً مخاططاً من قبل المعلمين نحو تحقيق نمو مهني تلقى، ما يدل على وعي متزايد بالحاجة لمواكبة التطور الرقمي في التعليم، وإدراك متزايد لأهمية الذكاء الاصطناعي كمهارة مستقبلية ضرورية في البيئة التعليمية، وداعية ذاتية لدى المعلمين للاستعداد للمتغيرات التقنية المتسارعة، وتعتبر هذه النتيجة مؤشراً إيجابياً يدل على وجود أرضية خصبة لبناء برامج تدريبية وتطوير مهني فعالة.

وجاءت الفقرة "لا أرى فائدة عملية لاستخدام الذكاء الاصطناعي في تدريس اللغة العربية" بأقل متوسط حسابي متوسط حسابي بلغ (١,٩١) ويشير هذا المتوسط المنخفض إلى أن الغالبية العظمى من المعلمين يرفضون الرؤية السلبية التي تقلل من فاعلية الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية، مما يدل على اقتناع عملي وواقعي بوجود فوائد واضحة وممكنة لتوظيف هذه التقنية، وتأثر المعلمين بتجارب شخصية أو جماعية إيجابية، أو اطلاعهم على نجاحات الذكاء الاصطناعي في بيئة تعليمية مشابهة، وضعف انتشار الموقف الرافضة أو المتحفظة، وهو ما يُعد تطويراً إيجابياً في التقبل السلوكي للتقنيات الحديثة.

نتائج السؤال الثاني ومناقشتها: هل هناك فروق ذات دلالة إحصائية في المتوسطات الحسابية لتقديرات أفراد العينة لاتجاهاتهم نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في تعليم اللغة العربية تعزى لمتغيرات (الجنس، والمؤهل، والخبرة)؟

وللإجابة عن هذا السؤال تم استخراج المتوسطات الحسابية والانحرافات المعيارية لاستجابات أفراد العينة حسب متغيرات الجنس والمؤهل والخبرة، وتم استخدام اختبار (ت) للتعرف على دلالة الفروق والجداول (٩ و ١٠ و ١١) تبين ذلك.

أولاً: الجنس

جدول ٩ : نتائج اختبار (ت) لمتغير الجنس

المجال	الجنس	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (T)	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	مستوى الدلالة
المعرفي	ذكور	٣,٩٨	.٥٨	٢,٨٣	٢١٩	٠,٠٥٥	دال عند $\alpha \leq 0,01$
	إناث	٤,١٩	.٥٢				
الوجوداني	ذكور	٣,٩٧	.٦٤	٢,٦٠	٢١٩	٠,٠١٠	دال عند $\alpha \leq 0,01$
	إناث	٤,١٨	.٦١				
السلوكي	ذكور	٣,٩٤	.٦٠	٢,٧٥	٢١٩	٠,٠٠٦	دال عند $\alpha \leq 0,01$
	إناث	٤,١٧	.٥٧				
الكلي	ذكور	٣,٩٦	.٥٩	٣,١٤	٢١٩	٠,٠٠٢	دال عند $\alpha \leq 0,01$
	إناث	٤,١٨	.٥٧				

يبين الجدول (٩) نتائج اختبار (T-Test) والتي أظهرت وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى ($\alpha \leq 0.01$) بين الذكور والإإناث في الاتجاهات الكلية وفي جميع المجالات، وجاءت الفروق لصالح الإناث، حيث بلغ المتوسط الكلي للإناث (٤,١٨) مقابل (٣,٩٦) للذكور. وقد يعزى ذلك إلى انخراط المعلمات بصورة أكبر في التفاعل مع الوسائل التعليمية الرقمية، واهتمامهن بتنويع طرائق التدريس، إضافة إلى ميل المعلمات لتحديث الأدوات والأساليب التي يستخدمنها.

ثانياً: المؤهل

جدول ١٠: نتائج اختبار (ت) لمتغير المؤهل

المجال	المؤهل	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (T)	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	مستوى الدلالة
المعرفي	بكالوريوس	٣,٩٥	.٦٠	٣,٥٢	٢١٩	.٠٠٠١	$\alpha \leq 0.01$ دال عند
	دراسات عليا	٤,٢٣	.٥٠				
الوجوداني	بكالوريوس	٣,٩٤	.٦٢	٣,١٠	٢١٩	.٠٠٠٢	$\alpha \leq 0.01$ دال عند
	دراسات عليا	٤,٢١	.٦١				
السلوكي	بكالوريوس	٣,٨٩	.٦٣	٣,٨٩	٢١٩	.٠٠٠٠	$\alpha \leq 0.01$ دال عند
	دراسات عليا	٤,٢٢	.٥٢				
الكلي	بكالوريوس	٣,٩٣	.٦٠	٤,٠٢	٢١٩	.٠٠٠٠	$\alpha \leq 0.01$ دال عند
	دراسات عليا	٤,٢٢	.٥٤				

يبين الجدول (١٠) وجود فروق دالة إحصائية بين حملة البكالوريوس وحملة الدراسات العليا لصالح حملة الدراسات العليا، حيث بلغ المتوسط لديهم (٤,٢٢) مقابل (٣,٩٣) للبكالوريوس. وقد يعزى ذلك إلى طبيعة الدراسات العليا التي تتضمن مهارات بحثية ومهارات التفكير الناقد والتحليلي، إضافة إلى تعرض حملة الدراسات العليا لمستجدات التكنولوجيا والتوجهات العالمية في التعليم أكثر من حملة البكالوريوس.

ثالثاً: الخبرة

جدول ١١: نتائج اختبار (ت) لمتغير الخبرة

المجال	الخبرة	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (T)	درجات الحرية	القيمة الاحتمالية	مستوى الدلالة
المعرفي	أقل من ١٠ سنوات	٤,٢١	.٥٢	٣,٠٠	٢١٩	.٠٠٠٣	$\alpha \leq 0.01$ دال عند
	١٠ سنوات فأكثر	٣,٩٨	.٥٨				
الوجوداني	أقل من ١٠ سنوات	٤,١٩	.٦٠	٢,٦٠	٢١٩	.٠٠١٠	$\alpha \leq 0.01$ دال عند

				٠,٦٣	٣,٩٧	١٠ سنوات فأكثر	
دال عند $\alpha \leq 0.01$	٠,٠٠٠	٢١٩	٣,٨٠	٠,٥٣	٤,٢٣	١٠ من سنوات	السلوكي
				٠,٦١	٣,٩٠	١٠ سنوات فأكثر	
دال عند $\alpha \leq 0.01$	٠,٠٠١	٢١٩	٣,٤٥	٠,٥٥	٤,٢١	١٠ من سنوات	الكلي
				٠,٥٨	٣,٩٥	١٠ سنوات فأكثر	

يبين الجدول (١١) وجود فروق ذات دلالة إحصائية لصالح المعلمين والمعلمات ممن تقل خبرتهم عن ١٠ سنوات، حيث بلغ المتوسط لديهم (٤,٢١) مقابل (٣,٩٥) لمن لديهم ١٠ سنوات فأكثر.

وقد يعزى ذلك إلى افتتاح المعلمين الجدد على استخدام التكنولوجيا كجزء من تأهيلهم الجامعي والمهني، إضافة إلى الحماس العالي لتجرب طرق جديدة ومتقدمة في التدريس، إضافة إلى تزايد توافر الموارد الرقمية والتطبيقات الذكية مؤخراً، مما يجعل المعلمين الجدد أكثر تمرساً بها مقارنة بزملائهم من ذوي الخبرة الطويلة.

التوصيات

في ضوء النتائج توصي الباحثة بالآتي:

- تصميم وتنفيذ برامج تدريبية متخصصة لعلمي اللغة العربية، تهدف إلى تنمية مهاراتهم في توظيف أدوات الذكاء الاصطناعي في التدريس، مع التركيز على الجوانب التطبيقية والعملية.
- العمل على دمج أدوات الذكاء الاصطناعي بشكل تدريجي في البيئة الصيفية، من خلال تهيئة البنية التحتية وتقديم الدعم الفني والتربوي اللازم للمعلمين أثناء التطبيق.
- تعزيز التعاون بين وزارات التربية والتعليم والمؤسسات التقنية لتطوير موارد تعليمية ذكية باللغة العربية، تتكامل مع المناهج الدراسية وتراعي الخصائص اللغوية والثقافية.
- تشجيع الدراسات الميدانية والمبادرات التربوية التي تستكشف أثر استخدام الذكاء الاصطناعي على تحصيل الطلبة ومهاراتهم اللغوية، ونشر التجارب الناجحة على نطاق أوسع.

المراجع

آل مسلم، نهى (٢٠٢٣) اتجاهات معلمات العلوم نحو استخدام تطبيقات الذكاء الاصطناعي في العملية التعليمية للمرحلة الابتدائية بإدارة تعليم منطقة جازان، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة نجران، السعودية.

الدليسي، حسن كريم.(2021) . تطبيقات الذكاء الاصطناعي في تحليل النصوص الأدبية: دراسة تقويمية.

الشهري، بندر (٢٠٢٣) اتجاهات المعلم نحو توظيف تطبيقات الذكاء الاصطناعي في مواجهة صعوبات التعلم بمنطقة عسير، بالمملكة العربية السعودية، مجلة القراءة والمعرفة .جامعة عين شمس، ٢٦٣، ٩٥ - ١٣٤ .

- العامري، خالد، والقرني، سعيد، والرويس، منيرة.(2023) . الذكاء الاصطناعي وتعليم اللغة العربية: الاتجاهات والتحديات. *مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس* (رابطه التربويين العرب)، عدد خاص ١٤٢، ص. ٤٥-٧٠.
- العتبي، فهد.(2022) . اتجاهات معلمى اللغة العربية نحو استخدام الذكاء الاصطناعي في التعليم. *مجلة جامعة الأمير سلطان للدراسات التربوية*، ٩(٢)، ١٣٤-١٦٠.
- عزمي، نبيل؛ إسماعيل، عبد الرؤوف؛ مبارز، منال (٢٠١٤). فاعلية بيئة تعلم الكترونية قائمة على الذكاء الاصطناعي لحل مشكلات صيانة شبكات الحاسب لدى طالب تكنولوجيا التعليم. *رسالة منشورة، الجمعية العربية لتكنولوجيا التربية*. دار المنشومة: <http://search.mandumah.com.mylibrary.qa/Record/788464>
- العلبيط، عبد الله؛ الجديع، علي (٢٠٢٥) وعي معلمى اللغة العربية بتقنيات الذكاء الاصطناعي واستخدامها في تعليم مهارات التعبير اللغوي الكتابي لطالب المرحلة الثانوية، مجلة *الدراسات الجامعية للبحوث الشاملة*، ٧(٣٨)، ١٥٢٧٣-١٥٣٢١.
- مجلة آداب الكوفة، ١٤(٢)، ٢٠١-٢٢٠.
- موسى، عبد الله؛ بلال، أحمد.(٢٠١٩) (الذكاء الاصطناعي ثورة في تقنيات العصر. المجموعة العربية للتدريب والنشر.
- هندي، ايرين. (٢٠٢٠). إمكانية تطبيق معلمى التربية الفنية بالمرحلة الإعدادية بمحافظة المنياى لمهارات توظيف الذكاء الاصطناعي في التعليم. *مجلة البحوث في مجالات التربية النوعية*، ٦(٣١) <https://doi.org/10.21608/jedu.2020.42978.1067>. 626-603
- Ajzen, I. (1991). The theory of planned behavior. *Organizational Behavior and Human Decision Processes*, 50(2), 179–211.
- Daniel, B. K. (2019). Big data and data science: A critical review of issues for educational research. *British Journal of Educational Technology*, 50(1), 101- 113. <https://doi.org/10.1111/bjet.12595>
- Davis, F. D. (1989). Perceived usefulness, perceived ease of use, and user acceptance of information technology. *MIS Quarterly*, 13(3), 319–340.
- Eagly, A. H., & Chaiken, S. (1993). *The Psychology of Attitudes*. Harcourt Brace College Publishers.
- Holstein, K., Wortman Vaughan, J., Daumé III, H. (2020). *Improving fairness in AI-supported education: Guidelines for teachers as human-in-the-loop*. ACM CHI Conference.
- Hubbard, P. (2008). CALL and the future of language teacher education. *CALICO Journal*, 25(2), 175-188.
- Luckin, R., Holmes, W., Griffiths, M., & Forcier, L. B. (2016). *Intelligence Unleashed: An argument for AI in Education*. Pearson Education.
- Sailer, M., Stadler, M., Baten, L., Fischer, F. (2023). Teachers' attitudes toward artificial intelligence: A review of current literature and future research directions. *Teaching and Teacher Education*, 123, 103961.

- Zawacki-Richter, O., Marín, V. I., Bond, M., & Gouverneur, F. (2019). Systematic review of research on artificial intelligence applications in higher education. *International Journal of Educational Technology in Higher Education*, 16(1), 1–27.
- Zhai, X. (2022). Exploring pre-service teachers' acceptance of AI-assisted educational applications: A technology acceptance model perspective. *Education and Information Technologies*, 27, 10673–10695.

فاعلية برنامج معرفي سلوكي في تعزيز مهارات التواصل لدى أسر مرضى الفصام بمستشفيات الخرطوم

زينب الطاهر الشيخ الطيب بدر^(٠)

د. إيتسام محجوب محمد نعيم

د. أمنة تاج السر محمد محمود

المستخلص

تهدف هذه الدراسة إلى تقصي فاعلية برنامج إرشادي قائم على أسس العلاج المعرفي السلوكي في تنمية مهارات التواصل لدى أسر المرضى المصابين بالفصام. وتبعد أهمية البحث من الحاجة إلى تزويد أسر المرضى بالأدوات الإرشادية التي تمكّنهم من تقديم الدعم النفسي والاجتماعي الفعال، مما يسهم في تحسين جودة حياة المرضى وتسريع وترة تعافهم. تتحدد مشكلة الدراسة في ضعف مهارات التواصل لدى أفراد أسر مرضى الفصام، وما قد يتربّط على ذلك من تحديات في التعامل معهم ومساندتهم خلال مراحل العلاج. وقد تم استخدام المنهج شبه التجاري للتحقق من فاعلية البرنامج، حيث تكونت عينة الدراسة من (٣١) فرداً من أسر المرضى الذين يعانون من اضطراب الفصام. أظهرت نتائج الدراسة وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين القياسين القبلي والبعدي لصالح القياس البعدى في مستوى مهارات التواصل، مما يشير إلى فاعلية البرنامج الإرشادي المستخدم. وقد تم تحليل البيانات باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وتحديداً اختبار "ت" لعينتين مرتبطتين، واختبار مربع كاي (Chi-Square). توصي الدراسة بتطبيق المزيد من البرامج الإرشادية الموجهة لأسر مرضى الفصام، لما لها من دور فاعل في تحسين مهارات التواصل، وتعزيز التفاعل الإيجابي مع المريض، مما ينعكس إيجاباً على حالته النفسية واستجابته للعلاج.

الكلمات المفتاحية: البرنامج الإرشادي، مهارات التواصل، الفصام.

المقدمة:

شهدت البرامج الإرشادية اهتماماً متزايداً في السنوات الأخيرة لما لها من دور فعال في دعم مرضى الفصام وأسرهم، إلى جانب فائدتها لمختلف فئات المجتمع في العديد من مجالات الحياة. وقد دفع هذا الاهتمام العديد من الباحثين إلى تبني البرامج الإرشادية كأداة تدخلية فعالة، نظراً لما تميّز به من كفاءة اقتصادية من حيث التكاليف المادية والوقت والجهد، فضلاً عن النتائج الإيجابية التي يحققها المستفيدون منها في الجوانب النفسية والاجتماعية والسلوكية.

وقد أظهرت مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة أن للبرامج الإرشادية دوراً مهماً في تحسين مهارات التواصل الاجتماعي لدى أسر مرضى الفصام، وهو ما ينعكس إيجاباً على المريض نفسه من خلال

(٠) أستاذ مساعد جامعة بحري - كلية العلوم الإنسانية - قسم علم النفس استشارية نفسية.

(*) أستاذ مساعد جامعة بحري - كلية العلوم الإنسانية - قسم علم النفس استشارية نفسية.

(**) أستاذ مساعد جامعة بحري - كلية العلوم الإنسانية - قسم علم النفس. استشارية نفسية.

تعزيز فرص تفاعله الاجتماعي، وإدراكه لوجود أشخاص يتشاركون معه الاهتمامات ويقدمون له الدعم، مما يسهم في تحسين حالته النفسية والاجتماعية.

تركزت هذه الدراسة على مرض الفصام لأنه يُعد من أكثر الاضطرابات العقلية انتشاراً وخطورة، حيث تتراوح نسبة حدوثه بين ٣٪ و٧٪ من السكان عالمياً (أي ما يعادل نحو ٣٠٠ مليون شخص على مستوى العالم Axios, 2021)، غالباً ما يظهر الفصام بين سن ١٥ و٣٥ عاماً، وينتشر نادر الحدوث قبل سن العاشرة أو بعد سن الأربعين، كما يصيب كلا الجنسين بنسب مقاربة، مع ارتفاع معدل الإصابة لدى الذكور قبل عمر الثلاثين والإإناث بعده (زهاران، ٢٠٠٥، ٨٧).

يُعد الفصام في طليعة الاضطرابات العقلية من حيث تأثيره على الوظائف العقلية والسلوكية، حيث تشير التقديرات إلى وجود ما بين ٢١ و٢٤ مليون شخص مصاب بهذا الاضطراب حول العالم بحلول عام ٢٠٢٠-٢٠٢٢ (Wikipedia 2022). وبالنسبة للعبء الاقتصادي، فقد أشير إلى أن العلاج السنوي المباشر وغير المباشر للفصام في الولايات المتحدة بلغ نحو ٣٤٣,٢ مليار دولار لعام ٢٠١٩، تشمل حوالي ٦٢,٣ مليار دولار تكاليف مباشرة للرعاية الصحية، و٣٥,٠ مليار دولار تكاليف مباشرة غير طبية، ونحو ٢٥١,٩ مليار دولار تكاليف غير مباشرة (مثل فقدان الإنتاجية وتكاليف الرعاية Psychiatrist.com 2021).

تشير الإحصاءات في المملكة المتحدة إلى أن مرض الفصام يتسبب في فقدان نحو ٨٠ مليون يوم عمل سنوياً، كما تتحمل الدولة ما يقرب من مليار جنيه إسترليني سنوياً لغطية تكاليف علاج المرضى، إضافة إلى ٤٠٠ مليون جنيه تُنفق على خدمات الرعاية الاجتماعية (النفسي، ٢٠١٥). وتُظهر التقارير أن ما بين ٦٠٪ إلى ٧٠٪ من نزلاء المستشفيات النفسية يعانون من هذا الاضطراب، كما يلاحظ أن انتشاره أعلى في المناطق الحضرية مقارنة بالمناطق الريفية (FSCE book, بدون تاريخ).

ومن اللافت أن مرض الفصام لا يرتبط بمتغيرات مثل العرق أو الدين أو مستوى الذكاء أو الموضع الجغرافي، مما يعكس طبيعته العالمية؛ حيث أشار مسح أجرته منظمة الصحة العالمية (WHO) إلى أن معدل انتشاره يبلغ نحو ١٪ في مختلف الدول التي شملها المسح (عبد الخالق، ٢٠٠٠، ٥٣٧).

وبحسب علم الباحثات، لا تتوفر إحصاءات دقيقة توضح مدى انتشار مرض الفصام في السودان، إلا أن العاملين في مجال الصحة النفسية يلاحظون تزايداً مطرداً في عدد الحالات خلال السنوات الأخيرة (Altahir & Musa, 2019, 45).

يتسنم الفصام أساساً باضطراب في التفكير، يليه اضطراب في السلوك، كما يؤثر على الجانب العاطفي، حيث تصبح المشاعر منقبضة، ويفقد الفرد القدرة على الإحساس الطبيعي. ويعزى ذلك إلى تأثير الفصام على قدرة الدماغ في استقبال وتفسير بعض الأحاسيس والمشاعر. فعلى سبيل المثال، قد يعاني المريض من هلوسات سمعية أو بصرية أو شمية أو ذوقية لا تستند إلى أي مصدر واقعي خارجي (أريتي، د.ت، ٤٩)، مما يصعب عليه التمييز بين الواقع والخيال. وقد تكون الأصوات التي يسمعها مزعجة إلى درجة تعيق تركيزه، فتُضعف من قدرته على فهم الأحاديث الجارية والتواصل الفعال مع الآخرين.

تتعدد الأعراض المصاحبة لمرض الفصام، ويمكن تصنيفها إلى ثلاث فئات رئيسة، هي: الأعراض الإيجابية، والأعراض السلبية، والأعراض المعرفية.

أولاً، الأعراض الإيجابية، وتشير إلى الأضطرابات الظاهرة في التفكير والإدراك، وتتمثل في الملاوس السمعية أو البصرية، والأوهام أو المعتقدات الخاطئة التي لا تستند إلى الواقع. هذه الأعراض هي الأكثر وضوحاً في التشخيص، وتمثل خللاً في الاتصال بالواقع. (Green et al., 2018, 40-41).

ثانياً، الأعراض السلبية، وهي أكثر خفاءً وتأثيراً على جودة الحياة، وتشمل الانسحاب الاجتماعي، وانخفاض الدافعية، وتبدل المشاعر، وضعف الحديث والتعبير الانفعالي، وهذه الأعراض تؤثر بشكل كبير في قدرة المريض على ممارسة أنشطته اليومية أو إقامة علاقات اجتماعية فاعلة (Forbes et al., 2012, 22; Silverstein & Robbins, 2014, 156).

ثالثاً، الأعراض المعرفية، وتُعد من الأعراض الجوهرية التي تؤثر في الأداء الوظيفي للفرد. تتجلى في ضعف الانتباه، واضطراب الذاكرة العاملة، وبطء المعالجة المعلوماتية، وهذه كلها تؤدي إلى صعوبات في التعلم، والتركيز، والخطيط، واتخاذ القرار. غالباً ما تظهر هذه الأعراض في وقت مبكر من المرض، وتُعد مؤشراً قوياً لتراجع الأداء الاجتماعي والمهني (Owen et al., 2023; Montaner-Ferrer et al., 2023).

أما فيما يتعلق بالاضطراب الوظيفي الاجتماعي لدى مرضى الفصام، فهو يُعد من أبرز التحديات التي تواجههم، ويتميز بعدة مظاهر، منها:

١. ضعف القدرة على إرسال الرسائل والتواصل الفعال مع الآخرين.
٢. قصور في مهارات التنظيم والتحكم الذاتي أثناء التفاعل الاجتماعي، مما يؤدي إلى صعوبة في كسب ثقة الآخرين.
٣. ضعف استقبال الرسائل الاجتماعية، وعدم القدرة على تفسيرها بطريقة حساسة ومسؤولة.
٤. العجز عن أداء أنماط سلوكية ضرورية للحياة الاجتماعية اليومية.
٥. التفاعل الاجتماعي غير الملائم للسياق، مثل الصחוק في مواقف حزينة أو البكاء في مواقف مفرحة.
٦. إصدار سلوكيات لا تتناسب مع المرحلة العمرية للفرد (Lemmers Jansen et al., 2023, 6-7; Green et al., 2018, 45).

تشير الدراسات إلى أن هذه الأعراض الاجتماعية والمعرفية ترتبط مباشرة بضعف الإدراك الاجتماعي (social cognition)، الذي يُعد أحد المؤشرات المهمة للتعافي الوظيفي. وقد أظهرت الأبحاث أن تحسين الإدراك الاجتماعي من خلال برامج تدريبية موجهة يُساهم في تحسين الأداء الاجتماعي والنفسي لمرضى الفصام (Silverstein & Robbins, 2014; Green et al., 2018).

مشكلة الدراسة:

يتضح مما سبق أن الفرد المصابة بالفصام يعاني من قصور متفاوت في جميع مهارات التواصل، وأن الأعراض المصاحبة لهذا الاضطراب لا تؤثر عليه فحسب، بل تمتد آثارها لتشمل المحيطين به، ولا سيما أفراد أسرته. وعلى الرغم من أن مرض الفصام يُعد من الاضطرابات النفسية المزمنة التي يصعب علاجها بسرعة، إلا أن الفرصة تبقى قائمة لتحقيق تحسن ملحوظ لدى المرضى، وقد يتمكن بعضهم من استعادة مستوى مقبول من الأداء الوظيفي والاجتماعي، حتى وإن استمرت بعض الأعراض، إذ يمكن التحكم فيها تدريجياً من خلال العلاجات المتوفرة.

إلا أن العلاج الدوائي بمفرده غالباً ما يكون غير كافٍ لتحقيق نتائج علاجية فعالة، وهنا تبرز أهمية الدور الأسري، إذ يُعد من العوامل المحورية في دعم المريض وتسهيل عملية تعافيه. ولا يتحقق هذا الدور إلا بتجاوز الأسرة للوصمة المرتبطة بالمرض، وقبلها للمريض، ومساندتها له عبر توفير بيئة أسرية وعاطفية مستقرة وداعمة. وعند توافر مثل هذه الظروف، تزداد احتمالات تحسن حالة المريض واستجابته السريعة للعلاج الدوائي.

وتتجدر الإشارة إلى أن أفراد أسر مرضى الفصام، ممن يواجهون صعوبات في التواصل والتفاعل مع ذويهم، يمكنهم الاستفادة من البرامج الإرشادية التي تهدف إلى تعزيز مهارات التعامل مع المريض ودعمه. كما أن هذه البرامج قد تسهم في تحسين مهارات التكيف الاجتماعي لدى المرضى أنفسهم. ويناقش البرنامج الحالي سبل تحسين تواصل الأسر مع المرضى، مما يوفر لها خبرة حياتية وإرشادية تساعد في توطيد علاقتها بالمريض وتعزيز التعاون الأسري.

وقد أظهرت بعض الدراسات فعالية البرامج الإرشادية في دعم مرضى الفصام وأسرهم، منها دراسة (Xiong, Phillips, Hu, & Kleinman 2003, 517) التي بيّنت أن النموذج الإرشادي ساهم في تحسين مهارات التكيف الاجتماعي لدى أسر مرضى الفصام، وذلك في عينة مكونة من 63 مريضاً كانوا يعيشون مع أسرهم. وكذلك دراسة (Lisiane 2005, 84)، التي أجريت على عينة من 66 فرداً تم تشخيصهم بالفصام أو ظهرت عليهم أعراض فصامية، وأوضحت نتائجها أن البرنامج الإرشادي أدى إلى تحسين واضح في مهارات التكيف الاجتماعي لدى أفراد العينة.

أسئلة الدراسة:

- هل توجد فروق ذات دلالة إحصائية في قدرة الأسر على استخدام مهارات التواصل مع مرضى الفصام قبل تطبيق البرنامج الإرشادي وبعده؟
- إلى أي مدى يُسهم البرنامج الإرشادي في تحسين قدرة الأسرة على التواصل الفعال مع مريض الفصام، بما يساعدها على تقبّلاته والتكيّف مع حالته؟
- ما أبرز الأعراض التي يعاني منها مرضى الفصام كما تظهر من خلال ملاحظات الأسر أو إفادات المرضى أنفسهم؟

أهمية الدراسة:

تبرز أهمية هذه الدراسة في تطوير برنامج إرشادي معرفي - سلوكي يمكن الأسرة السودانية من تحسين مهارات التواصل الفعال مع مريض الفصام، من خلال تزويدهم بأساليب واقعية للتفاعل والدعم. وتعكس الأدبيات أن برامج التثقيف النفسي (Psycho education) لا تعزز فقط التكيف الأسري والأسري، بل تقلل من معدلات الانتكاس وتحسن مجمل شفاء المرضى، وذلك عبر تعزيز مهارات التواصل وحل المشكلات ضمن بيئة داعمة تعاطفياً [Wikipedia](#). هذه النتائج تشجع المختصين وصناع القرار على تبني وتنفيذ برامج إرشادية مماثلة، خاصة ضمن سياسات تتطلب تكييفاً ثقافياً مثل مجتمعنا السوداني. إضافة إلى ذلك، تسهم الدراسة في تدعيم القدرة النفسية والاجتماعية للأسر، وتقديم أدوات عملية للتعامل مع تحديات الاضطرابات النفسية والسلوكية.

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق ما يلي:

1. التعرف على فاعلية البرنامج الإرشادي في تحسين قدرة الأسرة على استخدام مهارات التواصل مع مريض الفصام في السودان.
2. تحديد أبرز الأعراض التي يعاني منها مريض الفصام.
3. قياس مدى وعي أفراد الأسرة بالتوقيت المناسب للتواصل مع مريض الفصام.
4. تقييم مدى إلمام أفراد الأسرة بأساليب التواصل الفعالة مع مريض الفصام.
5. استكشاف طبيعة العلاقة بين أفراد الأسرة ومريض الفصام.

البرنامج الإرشادي: (Guidance Program):

هو مجموعة من الأساليب النفسية المخططة بعناية من حيث التسويق، التحضير، التقييم، والمتابعة، وتعتمد في بنيتها على نظريات وفنينيات ومبادئ الإرشاد النفسي. يتضمن البرنامج معلومات، وخبرات، ومهارات، وأنشطة متنوعة تقدم للأفراد خلال فترة زمنية محددة بهدف مساعدتهم على مواجهة المشكلات التي يعانون منها (حسين، ٢٠٠٤، ٢٨٣).

ويُعرف إجرائياً في هذه الدراسة بأنه: برنامج يتكون من سبع جلسات، مدة كل منها تسعون دقيقة، وتشتمل كل جلسة على مجموعة من الفعاليات والتدخلات الإرشادية المختلفة المستندة إلى النظرية المعرفية السلوكية، وينطبق هذا البرنامج على أفراد أسر مرضى الفصام بهدف تحسين مهاراتهم في التواصل.

مهارات التواصل: (Communication Skills):

تُعرف مهارات التواصل بأنها مجموعة من القدرات التي يستخدمها الفرد في حياته اليومية لنقل الأفكار والمعاني وتبادل المعلومات سواء شفهياً أو كتابياً، مع توظيف الإشارات غير اللفظية مثل تعبيرات الوجه ولغة الجسد ووسائل الاتصال المختلفة، بحيث يتمكن الطرف الآخر من استقبال الرسائل وفهمها والاستجابة لها بما يتناسب مع المقصود (عطيه، ٢٠٠٦، ٤٥).

الفصام: (Schizophrenia):

هو اضطراب ذهاني وظيفي، يؤدي في حال عدم علاجه مبكراً إلى اضطراب في انتظام الشخصية وتدھورها التدريجي. ومن أبرز سماته انفصال المريض عن الواقع، وتفكك الروابط النفسية الطبيعية في السلوك (زهران، ٢٠٠٥، م ٥٣٣).

منهجية الدراسة

أولاً: منهج الدراسة

اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج شبه التجريبي، وذلك من خلال تطبيق برنامج إرشادي معرفي-سلوكي يهدف إلى تحسين قدرة الأسرة على مهارات التواصل مع مريض الفصام.

ثانياً: مجتمع وعينة الدراسة

تكون مجتمع الدراسة من مرافقي مرضى الفصام في كل من مجمع فتح الرحمن البشير ومستشفى التجاني الماحي للطب النفسي، بولاية الخرطوم في جمهورية السودان. أما العينة، فقد شملت (٣١) فرداً من أفراد أسر مرضى الفصام، تم اختيارهم باستخدام أسلوب العينة العشوائية البسيطة.

ثالثاً: أدوات الدراسة

تم استخدام أداتين بحثيتين بعد التتحقق من خصائصهما السيكومترية من حيث الصدق والثبات، وهما:

- المقاييس القبلي والبعدي لقياس المعلومات المستمدّة من الاستمارة الأولية.
- البرنامج الإرشادي المعرفي-السلوكي، والذي تم تصميمه لتحسين مهارات الأسرة في التواصل مع مريض الفصام. يتكون البرنامج من سبع جلسات، مدة كل جلسة تسعةون دقيقة، ويركز على تنمية مهارات التواصل اللغطي وغير اللغطي لدى أفراد الأسرة.

رابعاً: المعالجات الإحصائية

لتحليل بيانات الدراسة واختبار فرضياتها، تم استخدام الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، وتضمنت المعالجات الإحصائية اختبار (ت) (T-test) (ومربع كاي Chi-Square) للتحقق من دلالة الفروق في مهارات التواصل لدى الأسر قبل وبعد تطبيق البرنامج الإرشادي.

الإطار النظري والدراسات السابقة

يُعد الفصام من الاضطرابات العقلية الشديدة التي تتسم بوجود خلل معرفي مصحوب بهلاوس وضلالات، بالإضافة إلى ضعف في مهارات التواصل نتيجة الاضطرابات الانفعالية المصاحبة. غالباً ما يكون الكلام غير منظم، وتستمر الأعراض عادةً لفترة تتراوح بين شهر وستة أشهر (عكاشه، ٢٠٠٩، ١١٢).

يرجع مصطلح "الفصام" إلى الطبيب النفسي الألماني يوجين بلويلر، أحد تلامذة كرييلين، حيث صاغه ليعبر عن "الانفصال في النشاط العقلي". ويكون المصطلح اللاتيني *Schizophrenia* من جزأين: "Schiz" وتعني الانقسام أو الانفصال، و "phrenia" وتعني النشاط العقلي. وبالتالي، فإن المقصود بالفصام هو الانقسام العقلي، وليس كما يُفهم شعبياً على أنه "انفصام في الشخصية"، إذ أن الشخصية لا تنفصّم، بل تتفكك وتخضع للتغيرات (عكاشه، ٢٠٠٩، ٤٥).

وفي هذا السياق، يُخطئ البعض في التمييز بين الفصام ومتلازمة تعدد الشخصية أو ما يُعرف بـ"تفكك الشخصية". فالأخير يُعد من اضطرابات العصاب، حيث يقوم الفرد بتقمص أدوار متعددة قد تباين فيما بينها، إلا أنه يُؤدي كل دور بأسلوب منظم وعقلاني ومتواافق مع الإطار الاجتماعي. أما الفصام، فهو من فئة الذهان، ويظهر من خلال استجابات غير واقعية، وسلوكيات تتنافى مع المعايير الاجتماعية والسياق الخارجي (ابراهيم & عسكر، ٢٠٠٨، ١١٢).

ومن الجدير بالذكر أن بعض الباحثين يتبنون نظرة متشائمة تجاه إمكانية الشفاء من الفصام، معتبرين أن الحالات التي تُسجل بها حالات شفاء تام هي في الحقيقة حالات ذهانية من نوع آخر. غير أن هذا الرأي يتجاهل ما أثبتته الدراسات من وجود نوبات فصامية قابلة للشفاء التام، إذ تشير الإحصاءات إلى أن ما لا يقل عن ٢٥٪ من المرضى يحققون تعافيًّا كاملاً. وقد عبر كريبلين في مؤلفه عام ١٨٩٦ عن هذا الاعتقاد، مشيرًا إلى أن الفصام مرض مزمن لا يُرجى الشفاء منه. إلا أن الدراسات الحديثة تدحض هذا الاعتقاد، حيث تؤكد أن نحو ثلث المصابين يمكن أن يشفوا تماماً، بينما يتمكن أكثر من ثلث آخر من التعايش مع المرض وتحقيق تكيف وظيفي واجتماعي جيد (عبد الله، ٢٠٠٠، ٢١).

أهمية دور الأسرة في علاج مرضي الفصام

شهدت العقود الأخيرة تحولاً ملحوظاً في أنظمة الرعاية النفسية، حيث غادر أعداد متزايدة من المرضى النفسيين المؤسسات العلاجية إلى المجتمع، وكان معظمهم من مرضى الفصام. فعلى سبيل المثال، يُقدر عدد المرضى النفسيين الذين غادروا المستشفيات في ولاية نيويورك خلال عام واحد بحوالي ٥٠ ألف مريض. كما أن المملكة المتحدة اتخذت نهجاً مشابهاً بتشجيع إخراج المرضى من المستشفيات إلى البيئة المجتمعية (أريتي، د.ت، ١٣).

وقد ترافق هذا التحول مع إجماع متزايد على ضرورة إشراك الأسرة في رعاية المريض الفصامي، حيث يُنظر إلى الأسرة بوصفها ركيزة أساسية في عملية الاستشفاء وإعادة التأهيل النفسي. فقد أُعيد التأكيد على الدور المحوري للأسرة في دعم المريض واستعادة توازنه النفسي والاجتماعي (أريتي، د.ت، ١٤٥). وتُعد مشاركة الأسرة ضمن إطار أوسع يُعرف بالتأهيل النفسي الاجتماعي، ركيزة في مساعدة المريض على التكيف والاندماج مجدداً.

ولَا يقتصر علاج الفصام على الأدوية فقط، إذ تظل مساهمة الأسرة عاملًا بالغ الأهمية في دعم المريض، وتسريع عملية التعافي. ويعُد التشجيع المستمر من قبل الأسرة أحد أبرز العوامل الإيجابية في التعامل مع مريض الفصام. وفي هذا السياق، من الضروري عدم شعور الأسرة بالخجل أو الوصممة الاجتماعية الناتجة عن وجود فرد مصاب بالفصام، بل علّها أن تنظر إلى مشاركتها كجزء فاعل من العلاج ([موقع موضوع](#)).

وفي ضوء هذه المعطيات، تسعى هذه الدراسة إلى تحسين قدرة الأسرة على التواصل مع المريض الفصامي، من خلال برنامج إرشادي معرفي-سلوكي. وقد أظهرت الدراسات أن التدريب على مهارات التواصل يُسهم بشكل فعال في التخفيف من الأعراض السلبية للفصام، وينتicipate في تأثيره ما تحققه

تقنيات العلاج المعرفي-السلوكي في معالجة الأعراض الإيجابية. ووفقاً لتيبرنر، فإن "إجراء المزيد من الأبحاث قد يساعد في تبديد الشكوك بشأن مدى قابلية تطبيق واستدامة التدريب على المهارات الاجتماعية بوصفه تدخلاً علاجياً عملياً" ([رويتز العربية](#)).

الدراسات السابقة

١- دراسة (Wxiong, Phillips, Hu, & Kleinman 2003)

هدفت هذه الدراسة إلى التعرف على أثر نموذج إرشادي موجه لأسر مرضى الفصام في إدارة المشكلات الاجتماعية، مثل ضعف التكيف وسوء التواصل الإيجابي مع المرضي. تكونت عينة الدراسة من (٦٣) مريضاً بالفصام يعيشون مع أسرهم، حيث تلقى أفراد أسرهم (٥٠) جلسة إرشادية، مدة كل منها ٤٥ دقيقة، تركز على كيفية التعامل مع المشكلات الاجتماعية الناجمة عن وجود مريض فصامي في الأسرة. أظهرت النتائج وجود فروق ذات دلالة إحصائية في القياس البعدي، مما يدل على فعالية البرنامج الإرشادي في تحسين مهارات التكيف الاجتماعي لدى أسر المرضى.

٢- دراسة الرشيد (٢٠٠٧)

أعد الرشيد برنامجاً تدريبياً جمعياً لتنمية مهارات التواصل، بهدف قياس أثره في خفض التوتر النفسي وتحسين مستوى الرضا الوظيفي لدى أفراد الشرطة في دولة الكويت. تألفت عينة الدراسة من (٣٠) شرطياً من حصلوا على أعلى الدرجات في مقياس التوتر النفسي وأدنى الدرجات في مقياس الرضا الوظيفي، وقسمت العينة عشوائياً إلى مجموعتين متساويتين: تجريبية وضابطة. تلقت المجموعة التجريبية تدريباً على مهارات التواصل استمر لمدة عشرة أسابيع، بمعدل جلسة واحدة أسبوعياً مدة كل منها ٩٠ دقيقة، في حين لم تتلق المجموعة الضابطة أي تدريب.

استخدم الباحث مقياس زواوي للتوتر النفسي ومقياس الرضا الوظيفي كقياسين قبل وبعد. وقد أظهرت النتائج فروقاً ذات دلالة إحصائية لصالح المجموعة التجريبية، سواء على الدرجة الكلية لمقياس التوتر النفسي، أو على أبعاده الفسيولوجية والمعرفية والنفسية، مما يؤكد فاعلية البرنامج في خفض التوتر النفسي وتحسين الرضا الوظيفي.

نتائج الدراسة

الجدول (١): التوزيع التكراري للمبحوثين وفقاً للأعراض التي يعاني منها المريض

النسبة المئوية	التكرار	الأعراض
12.9	4	سمع أصوات
45.2	14	هلاوس سمعية
41.9	13	معتقدات خاطئة
100.0	31	المجموع

الجدول (١): تشير البيانات الواردة في الجدول (١) إلى أن أكثر الأعراض التي يعاني منها مرضى الفصام هي الهلاوس السمعية، حيث بلغت نسبتها (٤٥٪)، تليها المعتقدات الخاطئة بنسبة (٤١,٩٪). في المقابل، بلغت نسبة المرضى الذين يعانون من سماع أصوات غير محددة (١٢,٩٪) فقط، مما يدل على شيوخ الأعراض الإدراكية والوهمية لدى هؤلاء المرضى.

الجدول (٢): فاعلية البرنامج الإرشادي المعرفي-السلوكي في تحسين مهارات التواصل لدى أسر

مرضى الفصام

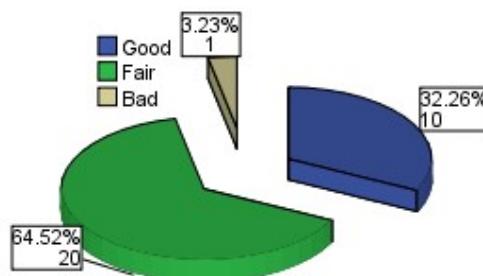
اختبار مربع كاكي	المقياس				الاستجابة	العبارة
	بعد		قبل			
القيمة الاحتمالية	النسبة	العدد	النسبة	العدد		
0.000	%9.7	3	%90.3	28	نعم	عندما يسمع المريض أصوات أو يرى هلاوس فإنه من المستحسن أن تقنعه بأنها غير حقيقية
	%90.3	28	9.7	3	لا	
0.000	%100.0	31	%61.3	19	نعم	هل تعلم متى وكيف تتواصل مع المريض؟
	%0	0	%38.7	12	لا	
	%22.6	7	%51.6	16	اتمسي	
	%61.3	19	%12.9	4	اتحدث إلى صديق	
	16.1%	5	%12.9	4	ازور افربانسي	

يوضح الجدول (٢) أن الغالبية العظمى من المشاركين (٩٠,٣٪) قبل تطبيق البرنامج كانوا يعتقدون أن من الأفضل إقناع مريض الفصام بأن الأصوات أو الهلاوس التي يسمعها غير حقيقية، كما أفاد معظمهم (٦١,٣٪) بأنهم يعرفون متى وكيفية التواصل مع مرضى الفصام.

أما بعد تطبيق البرنامج، فقد أظهرت النتائج أن النسبة ذاتها من المشاركين (٩٠,٣٪) أصبحت ترى أنه ليس من الأفضل إقناع مريض الفصام بأن الأصوات أو الهلاوس التي يسمعها غير حقيقية، في حين أشار جميع المشاركين (١٠٠٪) إلى معرفتهم بكيفية ومتى يتم التواصل مع مريض الفصام.

ونظرًا لأن جميع القيم الاحتمالية لاختبار مربع كاكي (Chi-Square) كانت أقل من مستوى الدلالة الإحصائية (٠,٠٥)، فإن ذلك يدل على وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين قدرة العائلات على مهارة التواصل مع مريض الفصام قبل وبعد تطبيق البرنامج الإرشادي. وعليه، يمكن الاستنتاج أن البرنامج قد ساهم بشكل فعال في تحسين قدرة الأسرة على التواصل مع مريض الفصام، كما عزز من درجة تقبّلها له.

الشكل (١): يوضح التوزيع التكراري للمشاركين حسب نوع علاقتهم بالمريض.



الشكل (١): يُظهر التوزيع التكراري أن معظم المشاركين يتمتعون بعلاقة متوسطة مع مرضاهما، حين أفاد ٣٢,٣٪ منهم بوجود علاقة جيدة، بينما أشار ٣,٢٥٪ فقط إلى أن علاقتهم بمرضاهما كانت سيئة.

الخلاصة:

يساهم البرنامج الإرشادي المعرفي السلوكي بشكل كبير في تعزيز قدرة أفراد الأسرة على التواصل الفعال مع مريض الفصام، مما يساعدهم على تبني نمط تفكير إيجابي وهادف في التعامل مع أعراض المرض. كما يعزز البرنامج من مشاعر الدعم والتعاضد الأسري، ويقوّي روابط الارتباط بين المريض وأسرته.

النوصيات:

في ضوء نتائج الدراسة الحالية التي بينت فاعلية البرنامج الإرشادي المعرفي السلوكي في تحسين قدرة الأسر على التواصل مع مريض الفصام، توصي الباحثات بما يأتي:

١. تصميم وتطبيق برامج إرشادية معرفية سلوكية إضافية تستهدف أفراد الأسرة، بهدف تزويدهم بالمهارات الالزامية للتعامل الفعال مع مريض الفصام، مما يسهم في تحسين حالته النفسية وتسريع استجابته للعلاج.
٢. تعزيز دور الأسرة في رعاية المريض النفسي من خلال التشجيع على تقبّله، وتوفير بيئة أسرية داعمة ومستقرة نفسياً وعاطفياً، لما لذلك من أثر إيجابي في تحسين جودة حياة المريض وأسرته على حد سواء.
٣. تشجيع الأسر على توظيف أوقات الفراغ للقيام بأنشطة ترفيهية أو اجتماعية يفضلها المريض، حيث تسهم هذه الأنشطة في تعزيز التفاعل الإيجابي بين المريض وأسرته وتدعم مهارات التواصل.
٤. توسيع نطاق استخدام البرامج الإرشادية الأسرية لتشمل التعامل مع مختلف الاضطرابات النفسية، بما يحقق مستوى أعلى من التكيف النفسي والاجتماعي للمرضى، ويعزز من اندماجهم في المجتمع.
٥. إجراء مزيد من الدراسات التجريبية والميدانية حول أثر البرامج الإرشادية على متغيرات أخرى (مثل الجنس، مدة المرض، الخلفية التعليمية لأفراد الأسرة)، بما يسهم في بناء قاعدة معرفية أوسع في مجال الصحة النفسية المجتمعية.

٦. إنشاء جمعيات أو منظمات أهلية غير ربحية تهدف إلى تقديم الدعم النفسي والاجتماعي لأسر مرضى الفصام، وتوفير التدريب والتأهيل اللازمين لهم.
٧. إصدار مجلة علمية دورية محكمة تُعنى بقضايا الاضطرابات النفسية المزمنة، وتسهم في نشر الأبحاث والتجارب الميدانية المتعلقة بأساليب العلاج والدعم الأسري النفسي.

المصادر والمراجع:

أولاً- العربية:

- ١- إبراهيم، حسن؛ عسكر، محمود. (٢٠٠٨). الطب النفسي وعلم النفس الاكلينيكي. القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية.
- ٢- إبراهيم، عبد الستار و عسكر، عبد الله. (٢٠٠٨). علم النفس الاكلينيكي في ميدان الطب النفسي. الطبعة الرابعة. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.
- ٣- حسين، طه عبد العظيم. (٢٠٠٤). الارشاد النفسي النظرية، التطبيقية، التكنولوجيا. الطبعة الأولى. القاهرة: دار الفكر العربي
- ٤- الرشيدى، س. (٢٠٠٧). فاعلية برنامج تدريسي جماعي لتنمية مهارات التواصل في خفض التوتر النفسي وتحسين مستوى الرضا الوظيفي لدى أفراد الشرطة بدولة الكويت. مجلة دراسات الخليج والجزيرة العربية، ٣٣(١٢٤)، ٤٥-١١.
- ٥- زهران، حامد عبد السلام. (٢٠٠٥). الصحة النفسية والعلاج النفسي. الطبعة الرابعة. القاهرة: عالم الكتب.
- ٦- زهران، حامد عبد السلام. (٢٠٠٥). علم النفس المرضي والعلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب.
- ٧- عبد الخالق، أحمد محمد. (٢٠٠٠). ط٣ ، اسس علم النفس. الاسكندرية. مصر: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع.
- ٨- عبد الخالق، أحمد محمد. (٢٠٠٠). علم النفس المرضي: الاضطرابات النفسية والعقلية. الكويت: دار القلم.
- ٩- عبد الله، مجدي أحمد محمد. (٢٠٠٠م). علم النفس المرضي دراسة في الشخصية بين السواء والاضطراب. الاسكندرية. مصر: دار المعرفة الجامعية للطبع والنشر والتوزيع.
- ١٠- عبد الله، محمد. (٢٠٠٠). الاضطرابات النفسية والعقلية: التشخيص والعلاج. القاهرة: دار الفكر العربي.
- ١١- عطية، راشد محمد. (٢٠٠٦). تنمية مهارات التواصل اللغوي. القاهرة: بترال للطباعة والنشر والتوزيع.
- ١٢- عكاشه، أحمد و عكاشه، طارق. (٢٠١٠). الطب النفسي المعاصر. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

١٣ - عكاشة، أحمد. (٢٠٠٩). الطب النفسي المعاصر، القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية.

ثانياً - الأجنبية:

- 1- Altahir, H. E., & Musa, S. A. (2019). Mental health services in Sudan: Challenges and future directions. *International Journal of Mental Health Systems*, 13(1), 1–6.
- 2- Beck, J. S. (2016). *Cognitive behavior therapy: Basics and beyond* (3rd ed.). Guilford Press.
- 3- Cuijpers, P., Karyotaki, E., Weitz, E., Andersson, G., Hollon, S. D., van Straten, A., & Ebert, D. D. (2020). The effects of psychotherapies for major depression in adults on remission, recovery and improvement: A meta-analysis. *Journal of Affective Disorders*, 277, 347–357. <https://doi.org/10.1016/j.jad.2020.08.057>
- 4- Forbes, N. F., Carrick, L., McIntosh, A. M., & Lawrie, S. M. (2012). Negative symptoms in schizophrenia: A review and clinical guide. *Journal of Psychiatric Practice*, 18(6), 1–14. <https://doi.org/10.1097/01.pra.0000422747.57912.1c>
- 5- Green, M. F., Penn, D. L., Bentall, R., et al. (2018). The importance of social cognition in improving functional outcomes in schizophrenia. *Frontiers in Psychiatry*, 9, 157. <https://doi.org/10.3389/fpsyg.2018.00157> <https://doi.org/10.1192/bjp.165.2.239> PubMedResearchGate
- 6- Lemmers-Jansen, I., Velthorst, E., & Fett, A.-K. (2023). The social cognitive and neural mechanisms that underlie social functioning in individuals with schizophrenia: A review. *Translational Psychiatry*, 13, 327. <https://doi.org/10.1038/s41398-023-02593-1>
- 7- Lemmers Jansen, I. L., van de Groep, I. H., van Amelsvoort, T. A., & Marcelis, M. (2023). Social functioning and social cognition in individuals with psychotic disorders: A systematic review.
- 8- Green, M. F., Horan, W. P., & Lee, J. (2018). Social cognition in schizophrenia. *Nature Reviews Neuroscience*, 19(1), 39–51.
- 9- Lisiane, C. (2005) The effect of family psychoeducational therapy and social skills training on burden, coping skills and social support of caregivers of patients diagnosed with schizophrenia and/or schizoaffective disorder. University of Houston, 178 pages; AAT 3178381.
- 10- Montaner-Ferrer, M. J., Gadea, M., & Sanjuán, J. (2023). Cognition and social functioning in first episode psychosis: A systematic review of longitudinal studies. *Frontiers in Psychiatry*, 14, 1055012. <https://doi.org/10.3389/fpsyg.2023.1055012>
- 11- Owen, M. J., Sawa, A., & Mortensen, P. B. (2023). Cognitive impairment in schizophrenia: aetiology, pathophysiology and treatment. *Nature Neuroscience*, 26, 1–15. <https://doi.org/10.1038/s41380-023-01949-9>.

- 12- Silverstein, S. M., & Robbins, T. W. (2014). Social impairment in schizophrenia: new approaches for treating a core feature. *Current Opinion in Psychiatry*, 27(3), 1–8.
<https://doi.org/10.1097/YCO.0000000000000074>
- 13- Xiong, W., Phillips, M. R., Hu, X., & Kleinman, A. (2003). Family-based intervention for schizophrenic patients in China: A randomized controlled trial. *The British Journal of Psychiatry*, 183(6), 429–435.
<https://doi.org/10.1192/bjp.183.6.429>
- 14- Xiong, W., Phillips, M. R., Hu, X., & Kleinman, A. (2003). Family-based intervention for schizophrenic patients in China: A randomized controlled trial. *British Journal of Psychiatry*, 183(6), 517–524.
<https://doi.org/10.1192/bjp.183.6.517>
- 15- Lisiiane, C. (2005). Group psychoeducation for people with schizophrenia: Effects on social functioning. *Psychiatric Services*, 56(1), 82–90. <https://doi.org/10.1176/appi.ps.56.1.82>

ثالثاً: المواقع الإلكترونية:

١. رويتز. (بدون تاريخ). (دراسة: مهارات التواصل قد تساعد مرضى الفصام . تم الاسترجاع من

<https://ara.reuters.com>

٢. موقع موضوع. (بدون تاريخ). الفصام وأهمية دور الأسرة. تم الاسترجاع من <https://mawdoo3.com>

- 1- alfesam.com
- 2- [Axios. \(2021\). Schizophrenia statistics and facts. Retrieved from https://www.axios.com](https://www.axios.com)
- 3- [axios.com.](http://axios.com)
- 4- [en.wikipedia.org.](http://en.wikipedia.org)
- 5- <http://www.hindawi.org>
- 6- <https://ara.reuters.com>
- 7- <https://mawdoo3.com>
- 8- [https://mawdoo3.com.](https://mawdoo3.com)
- 9- [https://www.alnafsy.com \(٢٠١٥\). \(النفسي\).](https://www.alnafsy.com)
- 10- <https://www.facebook.com>
- 11- <https://www.facebook.com>
- 12- [https://www.sehatok.com.](https://www.sehatok.com)
- 13- [psychiatrist.com.](https://psychiatrist.com)
- 14- Psychiatrist.com. (2021). *The economic burden of schizophrenia in the United States in 2019*. Retrieved September 2, 2025, from <https://www.psychiatrist.com>
- 15- Wikipedia. (2022). *Schizophrenia*. In *Wikipedia*. Retrieved September 2, 2025, from <https://en.wikipedia.org/wiki/Schizophrenia>
- 16- www.alnafsy.com

تصور مقترن لتأصيل منهج اللغة العربية لحالقة الأولى في التعليم العام بالسودان

د. طه محمد سعيد عبد المجيد^(٠)

المستخلص

هدفت هذه الدراسة إلى تقديم تصور مقترن لتأصيل منهج اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم العام بالسودان، انطلاقاً من الحاجة إلى منهج يعكس الهوية اللغوية والثقافية للبلاد، ويواكب خصائص المتعلمين في هذه المرحلة. استند التصور إلى أسس مرجعية تربوية وثقافية، أهمها: الهوية الإسلامية والوطنية، والوظيفة التواصلية للغة، ومراعاة خصائص النمو. وقد حدد البحث أهداف التأصيل، ومكونات المنهج من مجالات قرائية وشفهية وكتابية ولغوية، إضافة إلى استراتيجيات التدريس والتقويم المناسبة. وتوصلت الدراسة إلى أن هذا التصور يسهم في معالجة قصور المناهج الحالية، ويعزز الانتماء والهوية، ويمكن التلاميذ من إتقان المهارات اللغوية الأساسية.

الكلمات المفتاحية: تأصيل المناهج – الحلقة الأولى – التعليم العام.

المقدمة

إن محتوى مناهج اللغة العربية وتوزيعه على الفروع في كل مرحلة ووضع الأهداف الخاصة به له دلالات متعددة، منها ما يتصل بالقيم والمثل وما يتصل بفلسفة التربية وما يمكن أن تسهم في بناء الحياة الفردية والاجتماعية، حيث تُعد اللغة العربية وعاءً للثقافة والفكر وأداةً للتواصل والتعبير، وهي الركيزة الأساسية لبناء الهوية الوطنية والدينية في السودان. إلا أن مناهج اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم العام تواجه تحديات عديدة، مثل ضعف التأصيل المرجعي، وضعف الارتباط بالبيئة المحلية، والاعتماد على طرق تدريس تقليدية تركز على الحفظ والتلقين أكثر من تنمية المهارات. ومن هنا برزت الحاجة إلى تصوّر مقترن يسعى لتأصيل منهج اللغة العربية في هذه المرحلة بما يتناسب مع خصائص النمو العقلي والنفسي للمتعلمين، ويراعي الهوية والقيم السودانية.

مشكلة البحث

تتمثل مشكلة البحث في: قصور مناهج اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم العام بالسودان عن تحقيق التأصيل اللغوي والثقافي المطلوب، وعدم اتساقها مع احتياجات المتعلم السوداني وبيئته.

أسئلة البحث

أ. ما الأسس النظرية والتربوية لتأصيل مناهج اللغة العربية في الحلقة الأولى؟

(٠) استاذ مشارك كلية التربية - جامعة القرآن الكريم والعلوم الإسلامية - السودان

ب. ما واقع مناهج اللغة العربية في الحلقة الأولى بالتعليم العام في السودان؟

ج. ما التصور المقترن لتأصيل منهج اللغة العربية بما يحقق الهوية والقيم والوظيفة التواصلية للغة؟

أهداف البحث

أ. تحديد الأسس المرجعية والتربوية لتأصيل منهج اللغة العربية.

ب. تحليل واقع منهج اللغة العربية في الحلقة الأولى بالتعليم العام.

ج. بناء تصور مقترن لتأصيل منهج اللغة العربية في الحلقة الأولى بما يلبي حاجات المتعلمين.

أهمية البحث

أهمية علمية: يثري الأدبيات التربوية العربية بدراسة تنظيرية حول تأصيل مناهج اللغة.

أهمية عملية: يقدم تصوّراً عملياً يمكن أن تستفيد منه وزارة التربية والتعليم في تطوير المناهج.

حدود البحث

الحدود الموضوعية: تأصيل منهج اللغة العربية الحلقة الأولى من التعليم العام

الحدود المكانية: السودان.

المجال الزماني: العام ٢٠٢٥ م

الإطار النظري

تعريف المنهج

يُعرفه (مرسي، ٢٠٠٥، ١٢) بأنه مجموعة المقررات الدراسية التي يدرسها التلميذ في مرحلة معينة، وتحدد من قبل الجهات التعليمية الرسمية." كما يعرفه (الخطيب، ٢٠١٠، ٣٣). جميع الخبرات التربوية التي تهتم بها المدرسة للتلاميذ، داخل الصف وخارجها، بقصد مساعدتهم على النمو الشامل المتكامل في جوانب شخصيتهم المختلفة، وفق أهداف التربية المنشودة".

أما (زيتون، ٢٠٠٦، ٢١) فيعرفه " بأنه هو الخطة الشاملة التي تتضمن الأهداف، والمحظى، وطرق التدريس، والأنشطة، وأساليب التقويم، وكل ما تقدمه المدرسة للمتعلمين لمساعدتهم على التعلم والنمو".

يرى الباحث المنهج ليس مجرد كتاب مدرسي، بل هو منظومة متكاملة تشمل: الأهداف، المحتوى، طرائق التدريس، الأنشطة، أساليب التقويم، بهدف إحداث التعلم وتنمية شخصية التلميذ.

مفهوم اللغة العربية:

لغوية:

تُعرف اللغة العربية لغوياً بأنها «ما فُصح من الكلام، وُعرف به العرب. (ابن منظور، ١٩٩٠ م، ١٥/١).

أما اصطلاحياً، فتعرف اللغة العربية بأنها «وسيلة اتصال يتحدث بها العرب، وهي مجموعة من القواعد والصوتيات والمفردات التي تُستخدم للتعبير عن الأفكار والمفاهيم، وتميّزها عن غيرها من اللغات بالخصائص النحوية والصرفية والدلالية» (الموسوعة العربية، ٢٠٠٥ م، ١٢/١).

مفهوم تأصيل المنهج الدراسي

التأصيل في المجال التربوي يعني: «العودة بالمنهج الدراسي إلى أصوله الفكرية والثقافية والدينية والمجتمعية، بحيث يُبني المنهج على مرجعية حضارية خاصة بالمجتمع، مع الاستفادة مما أنتجته الإنسانية من معارف وتجارب». وينتقصد به أن تكون المناهج التعليمية منبثقه من قيم الأمة ومعتقداتها وظروفها الواقعية، مع مراعاة المستجدات العلمية والتكنولوجية. (النجار، ٢٠٠٥، ٤١).

ويرى (الهواري، ٢٠٠٨، ١١٢) أن التأصيل: «عملية تربوية تهدف إلى ربط المنهج بالمهنية الثقافية للمجتمع من خلال دمج القيم الإسلامية والعربية في بنية المقررات الدراسية، بحيث لا ينفصل التعليم عن مقومات الشخصية الحضارية للأمة، بينما يعرفه (الرغول، ٢٠١٢، ٩٥) بأنه: «عملية موازنة بين الأصالة والمعاصرة في بناء المناهج، حيث يتم الأخذ بالمعارف الحديثة وتنظيمها بما يتفق مع عقيدة الأمة وقيمها».

يرى الباحث أن تأصيل المنهج الدراسي هو جعل المناهج التعليمية منبثقه من مرجعية المجتمع العقدية والثقافية والحضارية، مع الاستفادة من معطيات العصر، لتحقيق التوازن بين الأصالة والمعاصرة.

المرحلة الابتدائية:

حسب تعريف الاستراتيجية القومية الشاملة، فإن مدرسة التعليم الابتدائي هي المدرسة التي توفر قدرًا من التعليم الضروري من المعارف والقدرات الذهنية والتربوية والروحية والقيمية والمهارات والاتجاهات التي ينبغي للفرد أن ينالها ويتمكن إن أراد من مواصلة تعليمية إلى مستويات ارفع في سلم المعرفة وخروجه إلى الحياة العلمية مزودًا بالقدر الكافي من التعليم الذي يمكنه من الانخراط فيها والمشاركة الفاعلة في المجتمع (جمهورية السودان الاستراتيجية القومية، ٢٠٠٣ م، ٦٧).

تُعرف المرحلة الابتدائية بأنها:

«مرحلة التعليم الأساسي الأولى التي يلتحق بها الطفل بعد مرحلة ما قبل المدرسة، وتمتد عادة من سن ٦ سنوات، وتهدف إلى إكساب المتعلم المهارات الأساسية في القراءة والكتابة والحساب، وتكوين الاتجاهات السلوكية والاجتماعية السليمة». (العساف، ٢٠٠٧، ٢٣).

وبحسب (مرسي، ٢٠٠٥ م، ١٧) يُنظر إليها على أنها:

"المراحل التي تشكل قاعدة التعليم العام، وتُعدّ الطفل لمواصلة تعلمه في المراحل الأعلى، من خلال بناء الأساس اللغوي والمعرفي والسلوكي."

١- **خصائص المراحل الابتدائية:** (الهواري، ٢٠١٠، ٨٩).

أ. **العمومية:** إلزامية ووجهة لجميع الأطفال.

ب. **الأساسية:** تركز على إكساب مهارات أساسية (القراءة، الكتابة، الحساب).

ج. **الشموليّة:** تُعنى بالنمو المتكامل (العقلي، الجسدي، الانفعالي، الاجتماعي).

د. **التمهيدية:** تمهد للمراحل اللاحقة من التعليم.

٢- **تعريف الحلقة الأولى في السودان**

حسب (وزارة التربية والتعليم، ٢٠١٥، ٢٠١٤) الحلقة الأولى تتكون من الصف الأول حتى الثالث من المراحل الابتدائية.

وهي المراحل التي يتوقع أن يتقن فيها التلميذ مهارات القراءة والكتابة الأولية، والعمليات الحسابية الأساسية، إلى جانب القيم والاتجاهات.

كما تعرف "الحلقة الأولى من التعليم العام في السودان تمثل السنوات الثلاث الأولى من المراحلة الابتدائية، وتُعدّ حجر الأساس لبقية التعليم، إذ تركز على محو الأمية الأولية، وتكوين العادات السلوكية، وتدريب التلاميذ على التعلم الذاتي." (وزارة التربية والتعليم، ٢٠١٤).

يُعرف الباحث الحلقة الأولى في السودان هي الصنوف من الصف الأول إلى الصف الثالث الابتدائي، وتركز على بناء الأساس اللغوي والمعرفي والسلوكي للتلميذ.

الدراسات السابقة

دراسة: (أحمد، الشفاء، ٢٠١٦) تناولت الدراسة تطوير منهج اللغة العربية للمراحلة الثانوية التقنية وفقاً لمعايير تصميم المناهج الحديثة، مع التركيز على تحسين الكفايات اللغوية للطلاب، دراسة: (أحمد، ٢٠١٩). ركزت الدراسة على استخدام استراتيجيات التعلم بالمشروع في تدريس اللغة العربية للمراحلة الإعدادية، وقياس أثرها على كفايات الطلاب اللغوية، دراسة: (حسن، ٢٠٢٠)، اقترحت الدراسة تطوير منهج اللغة العربية للمرحلة الثانوية وفق أبعاد الحكم، مع التركيز على دمج القيم التربوية والمهارات اللغوية للطلاب، دراسة: (حسبو، ٢٠٢٣) ركزت الدراسة على تقييم جودة الكتب المدرسية للصف الثالث الابتدائي في السودان، وتحديد مدى تواافقها مع معايير الجودة التربوية الحديثة، دراسة: (سيد احمد، ٢٠٢٤)، بحثت الدراسة في السياسة اللغوية والتخطيط للغة العربية في السودان، مع تحليل أثر السياسات على تعليم اللغة العربية في المدارس العامة،

الفجوة البحثية

- من خلال مراجعة الدراسات السابقة، يمكن استخلاص الفجوات البحثية التالية:
- أ. أغلب الدراسات السابقة ركزت على المرحلة الثانوية أو الإعدادية، ولم تتناول الحلقة الأولى من التعليم الابتدائي بشكل مباشر.
 - ب. لم تقدم الدراسات السابقة تصوّراً متكاملاً لتأصيل منهج اللغة العربية للحلقة الأولى في السودان يأخذ في الاعتبار الخصائص النفسية واللغوية للطلاب في هذه المرحلة.
 - ج. الدراسات ركزت إما على جودة الكتاب المدرسي، أو السياسة اللغوية، أو استراتيجيات التدريس، لكنها لم تربط بين تصميم المنهج، متطلبات الطلاب، والمعايير الحديثة لتطوير المناهج في المرحلة الابتدائية المبكرة.
 - د. هناك نقص في الدراسات التي تطبق منهجيات حديثة لتطوير المناهج مثل التعلم النشط، التعلم بالمشروع، والتقييم التكعيبي، مع التركيز على اللغة العربية للحلقة الأولى.

تصور مقترن لتأصيل منهج اللغة العربية للحلقة الأولى في التعليم العام بالسودان

تمهيد

تُعد اللغة العربية من الركائز الأساسية للهوية الثقافية والتعليمية في السودان، ولها دور محوري في تنمية التفكير اللغوي والتواصل الفعال لدى المتعلمين (الماجدي، ٢٠١٥، ٢٣). ومع ذلك، تواجه مناهج اللغة العربية في المرحلة الأولى تحديات تتعلق بقدرتها على تحقيق الترابط بين المعرفة اللغوية والقيم الثقافية، وكذلك في مواكبة التطورات المعرفية والتقنية الحديثة (محمد، ٤٥، ٢٠١٨). لذلك، يتطلب الأمر تصوّراً تأصيليّاً لإعادة بناء المنهج بما يحقق التكامل بين الجانب اللغوي والجانب التربوي والثقافي.

ثانياً: أهداف تأصيل المنهج

يهدف هذا التصور إلى تحقيق عدة أهداف رئيسية:

- أ. تعزيز الفصاحة والبلاغة لدى المتعلمين من خلال التركيز على القواعد التحويية والصرفية بشكل تطبيقي.
- ب. تنمية مهارات القراءة والكتابة بشكل متدرج ومتواافق مع قدرات الطلبة في الحلقة الأولى.
- ج. غرس القيم الثقافية والاجتماعية المرتبطة باللغة العربية، بما يعزز الانتماء الوطني والهوية الثقافية.
- د. ربط التعليم بالمستجدات التربوية، كالأنشطة التفاعلية وأساليب التعلم النشط، لتطوير مهارات التفكير العليا (رضا، ٢٠١٧، ٣٢).

أسس تأصيل المنهج

يعتمد تأصيل المنهج على عدة أسس تربوية ولغوية، أهمها:

- أ. الأساس اللغوي: التركيز على اللغة العربية الفصحى، وتعليم القواعد النحوية والصرفية ضمن سياق الاستخدام اليومي والنصوص القرائية.
- ب. الأساس التربوي: توظيف استراتيجيات التعليم النشط، مثل التعلم التعاوني والتعلم القائم على المشاريع، لتشجيع الطالب على المشاركة والتفكير النقدي (الخولي، ٢٠١٦، ٤٨).
- ج. الأساس الثقافي: اختيار نصوص تحمل مضامين ثقافية وأخلاقية واجتماعية، لتعزيز الهوية والانتماء الوطني.
- د. الأساس التطبيقي:ربط تعلم اللغة العربية بالمهارات الحياتية العملية، كالكتابة الرسمية والتعبير الشفهي والتواصل الرقمي.

مكونات المنهج المقترن

يقترح أن يتضمن المنهج أربع مكونات أساسية:

- أ. المفردات: اختيار مفردات أساسية تتناسب مع مستوى الطلبة في الحلقة الأولى، مع تدريبات على المعاني والاستخدام الصحيح.
- ب. القواعد النحوية والصرفية: تقديم القواعد بشكل تدريجي وتطبيقي مع ربطها بالنصوص.
- ج. القراءة والفهم: نصوص قراءة متنوعة بين أدبية وثقافية واجتماعية، مع تدريبات على الفهم والاستيعاب.
- د. التعبير الكتابي والشفهي: تدريبات على الكتابة الإبداعية والتعبير عن الأفكار والمواقف اليومية، بما يعزز مهارات الاتصال والتفكير النقدي.

أساليب التدريس والتقويم

- أ. أساليب التدريس: استخدام طرق تفاعلية، مثل التعلم النشط، والمناقشات الجماعية، وحل المشكلات، إلى جانب التقنيات الرقمية لتعزيز تعلم اللغة (يوسف، ٢٠١٩، ٢٧).
- ب. التقويم: اعتماد أساليب متنوعة للتقويم، تشمل التقييم المستمر للمهارات اللغوية، والاختبارات التحريرية، والمشروعات الجماعية، لضمان قياس شامل لمستوى الطلبة وتقديرهم.

دور المعلم في تأصيل المنهج

- أ. يلعب المعلم دوراً محورياً في تطبيق المنهج المؤصل، إذ يجب أن يكون قادرًا على:
- ب. توظيف النصوص التعليمية بطريقة تربوية وفعالة.
- ج. تشجيع الطلاب على استخدام اللغة العربية في التعبير عن أفكارهم ومهاراتهم اليومية.

د. تقييم مدى استيعاب الطالب للمهارات اللغوية وربطها بالمهارات الحياتية.

١. التوصيات

أ. تطوير دليل للمعلم يوضح أساليب التأصيل واستراتيجيات التعليم النشط.

ب. إعداد كتب مدرسية مؤصلة تراعي المستويات اللغوية والثقافية للطلاب.

ج. تنظيم ورش تدريبية للمعلمين لتعزيز مهاراتهم في التدريس التفاعلي واللغوي.

د. إجراء تقييم دوري لمنهج لتحديثه بما يتواافق مع التطورات التربوية والثقافية.

الخاتمة:

يتوقع أن يسهم التصور المقترن في بناء منهج لغة عربية متصل يعكس هوية السودان، ويعالج قصور المناهج الحالية، ويزود التلاميذ بمهارات لغوية متكاملة منذ السنوات الدراسية الأولى.

تُعد اللغة العربية وعاءً للثقافة والفكر وأداةً للتواصل والتعبير، وهي الركيزة الأساسية لبناء الهوية الوطنية والدينية في السودان. إلا أن مناهج اللغة العربية في الحلقة الأولى من التعليم العام تواجه تحديات عديدة، مثل ضعف التأصيل المرجعي، وضعف الارتباط بالبيئة المحلية، والاعتماد على طرق تدريس تقليدية تركز على الحفظ والتلقين أكثر من تنمية المهارات

المصادر والمراجع

ابن منظور، جمال الدين أبي الفضل محمد. (١٣١١هـ/١٩٩٠م). لسان العرب (ج. ١). دمشق: دار المعرف.

الموسوعة العربية. (٢٠٠٥).تعريف اللغة العربية (ج. ١). بيروت: دار صادر.

أحمد فتحي أحمد (٢٠١٩). تعلم منهج اللغة العربية باستخدام مدخل التعلم بالمشروع. مجلة كلية التربية بدبياط

أحمد محمد عبد العزيز، الشفاء عبد القادر حمد (٢٠١٦). مقترن لمنهج اللغة العربية بالمرحلة الثانوية التقنية في ضوء المعايير الحديثة لتصميم المناهج. الخرطوم: جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا.

جمهورية السودان الاستراتيجية القومية ، ٢٠٠٣م .

حسبو إبراهيم محمد أحمد (٢٠٢٣). واقع مناهج التعليم الابتدائي في السودان وجدلية توافر معايير جودة الكتاب المدرسي. مجلة منار الشرق للتربية وتكنولوجيا التعليم، ٢(٢).

حسن سعيد جمال محمد (٢٠٢٠). تصور مقترن لتطوير منهج اللغة العربية للمرحلة الثانوية في ضوء أبعاد الحكم. المجلة الدولية للبحوث في العلوم التربوية، ٣(٣)، ٢٨٩-٣٥٦.

الخطيب، عبد الرحمن. مناهج التربية: أسسها وتنظيماتها. عمان: دار المسيرة، ٢٠١٠.

- الخولي، عبد الرحمن محمد. (٢٠١٦). استراتيجيات التعليم النشط وتطوير المناهج. القاهرة: دار الفكر العربي.
- رضا، فاطمة حسن. (٢٠١٧). مهارات التفكير العليا في تعليم اللغة العربية. عمان: دار الرشد.
- الزغول، فريد. مناهج التربية: أساسها وتنظيماتها. عمان: دار المسيرة، ٢٠١٢.
- زيتون، كمال. مناهج التعليم: رؤية معاصرة. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٦.
- سيد أحمد حسن (٢٠٢٤). اللغة العربية في السودان في ضوء التخطيط اللغوي والسياسية اللغوية.
- العساف، عبد الرحمن. مناهج التعليم الابتدائي: أساسها وتطبيقاتها. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٧.
- الماجدي، أحمد محمد. (٢٠١٥). اللغة العربية وتحديات التعليم في السودان. الخرطوم: دار السودان.
- محمد، رامي عبد الله. (٢٠١٨). تطوير مناهج اللغة العربية في التعليم الابتدائي. بيروت: دار العلم للملائين.
- مرسي، محمد منير. التعليم الابتدائي أساسه وتطوره. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥.
- مرسي، محمد منير. مناهج التعليم: أساسها وتنظيمتها. القاهرة: عالم الكتب، ٢٠٠٥.
- النجار، عبد الله. تأصيل المناهج التربوية في ضوء الفكر التربوي الإسلامي. القاهرة: دار الفكر العربي، ٢٠٠٥.
- الهواري، محمد. أصول التربية. الرياض: دار الزهراء، ٢٠١٠.
- الهواري، محمد. التربية الإسلامية ومشكلات المناهج. الرياض: مكتبة الرشد، ٢٠٠٨.
- وزارة التربية والتعليم - السودان. الوثيقة القومية لمناهج وخطط التعليم العام. الخرطوم: المركز القومي للمناهج والبحث التربوي، ٢٠١٥.
- يوسف، محمد علي. (٢٠١٩). تطبيقات تكنولوجيا التعليم في تدريس اللغة العربية. دبي: مكتبة الجامعة.

دور الإدارة الأهلية في الحد من آثار الأزمة السودانية وتعزيز استدامة الأمن بمحليات كبكابية

د. سعيد علي كوزي^(*)

د. أسمهان عبد الله محمد محمود

المستخلص:

هدفت الدراسة إلى الوقوف على الوضع الأمني والخدمي بمنطقة الدراسة بعد خروجها عن سلطة الدولة، والدور الذي لعبته الإدارة الأهلية كسلطة مساندة للسلطة القائمة بالمنطقة، ومعرفة مدى فاعلية الترتيبات الأمنية والخدمية التي ابتكرتها الإدارة الأهلية بمنطقة الدراسة. ولتحقيق هذه الأهداف والتحقق من فرضية البحث تم استخدام المنهجين التاريخي والسلوكي. وللحصول على بيانات الدراسة اعتمدت الدراسة على الملاحظة والمقابلات الشخصية وبعض التقارير والمعلومات المدونة. توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها: لعبت الإدارة الأهلية دوراً عظيماً في حفظ أمن المجتمع وثبتت أركان العدل في ظل غياب سلطة الدولة. وعي وإدراك المواطن بالمخاطر المحدقة بمنطقة الدراسة ساعد على التعايش مع الظروف المؤقتة؛ وفقاً لرؤية الإدارة الأهلية والأعيان. اختصار لجنة الإدارة الأهلية دورها في الجانب الأمني، وإهمال الجانب الخدمي خلق فجوة خدمية كبيرة مع طول أمد المشكلة السياسية في السودان. ومن التوصيات يجب تطوير اللجنة الإدارية العليا لتشمل بعض اللجان المساندة، بحيث تهتم بالخدمات والإندار المبكر لبعض المخاطر المحتملة، تجربة الإدارة الأهلية في الحفاظ على تماسك المجتمع وصون مقدراته يجب أن تولي المزيد من الدراسات، بحيث يستفاد منها في نظم الإدارة والحكم في عموم السودان والمناطق ذات الظروف المشابهة.

الكلمات المفتاحية: كبكابية، الإدارة الأهلية، المحاكم الشعبية، الأعيان

مقدمة:

شهد السودان بعد اندلاع الثورة السودانية وتغيير نظام الحكم في إبريل ٢٠١٩ م اضراب سياسى وأمنى كبير نتيجة للتحول المفاجئ للسلطة، والصراع بين طرق العملية السياسية في الدولة المتمثل في العسكريين من جهة والمدنيين من جهة أخرى، فضلاً عن التدخلات الإقليمية والدولية لصالح أحد طرفي النزاع بصورة مباشرة وغير مباشرة الأمر الذي زاد المشهد السياسي تعقيداً على ما هو عليه؛ ولما كان الصراع أساسه تعظيم المصالح السياسية لكل طرف والسيطرة على الفترة الانتقالية التي من شأنها رسم الملامح السياسية لمستقبل السودان شهدت الساحة تكتلات وأحالف سياسية وعسكرية بعضها داعم للمدنيين من جهة والبعض الآخر داعم للعسكريين من جهة أخرى؛ فضلاً عن التدخلات الدولية السافر التي لا يخلو بعضها من غرض ! هذا المشهد أدى في نهاية المطاف إلى فقدان الثقة

(*) أستاذ الجفر افيا المشارك، جامعة بلاغراري، بنغازى، جامعة الفاشر، السودان

(*) أستاذ الجفر افيا المشارك، جامعة الجزيرة، السودان

بين القادة العسكريين أنفسهم! ترتب على ذلك انحياز قوات الدعم السريع (وهي إحدى الفصائل العسكرية التي تتبع للجيش) إلى طرح المدنيين باعتباره المخرج الأنسب لحل الأزمة السياسية السودانية؛ الأمر الذي أثار حفيظة القيادة العليا للجيش التي لها تقديراتها الخاصة التي خالفت ما نحت إليه قوات الدعم السريع، وبذلك لاحت نذر الصدام بين المؤسسة العسكرية وأصبح الكل يتربّب المشهد إلى أن انفجر الوضع وخرج عن السيطرة عندما خرجت أول طلقة بين الطرفين بتاريخ ١٥/٤/٢٠٢٣ م معلنة الحرب آيذاناً برسم مشهد جديد لم تضج ملامحه بعد.

أسفرت هذه الحرب (بين طرفين المؤسسة العسكرية) عن تردي أمني كبير في معظم ولايات السودان، ودمار للبني التحتية، بالإضافة إلى تردي الأحوال الاقتصادية والاجتماعية للسكان في الولايات المتاثرة بالحرب بصورة مباشرة، فضلاً عن، وموحات النزوح واللجوء داخل وخارج السودان والفقد الكبير في أرواح المدنيين، حيث أوردت الأمم المتحدة من خلال منظمة الهجرة الدولية (IOM) والمفوضية السامية لحقوق الإنسان (HRW) أن السودان يشهد أعلى معدل نزوح في العالم بلغ حوالي ١٤ مليون نازح منهم ١١ مليون نازح داخلياً، و٣٠٠ لاجئ خارج البلاد حتى أكتوبر ٢٠٢٤، كما أورد مكتب الأمم المتحدة لتنسيق الشؤون الإنسانية (OCHA) ومفوضية الأمم المتحدة لحقوق الإنسان (OHCHR) في تقاريرهما الصادر في أكتوبر ٢٠٢٤ أن عدد القتلى من المدنيين بلغ (١٥٠٠٠) شخص، والمصابين حوالي (٢٦٥١).

وما كانت الحرب شاملة في معظم بقاع السودان سقطت العديد من المناطق على يد قوات الدعم السريع المناوئة للحكومة بشكلها القائم، وكانت محلية كبكابية أول محلية في السودان تسقط بالكامل مع بداية انطلاق الحرب؛ وبذلك دانت السلطة العسكرية المطلقة لقوات الدعم السريع، ولكن في نفس الوقت صاحب ذلك وبصورة تلقائية سقوط كل السلطات المدنية الأخرى بلا بديل لارتباطها بالسياسة العليا للدولة، وتوقفت كل الخدمات ذات الطبيعة المدنية واحتلت الحياة الاقتصادية والاجتماعية مع زيادة فترة الحرب وحداثة تجربة الحكم بالنسبة للسلطة الجديدة، فكان لابد من بديل يضمن استمرارية الحياة في حدتها الأدنى واستدامة الأمن؛ الأمر الذي انبرت له الإدارة الأهلية كسلطة شعبية بديلة إلى أن ينجل الأمل بالتسوية السياسية متى ما قدر ذلك.

مشكلة البحث: تمثل مشكلة البحث في الخلل الأمني والإداري الذي نجم عن سقوط محلية كبكابية على يد قوات الدعم السريع وخروجها المبكر عن سيطرة الدولة، وما ترتب على ذلك من توقف للمؤسسات المدنية المناطق بها ترتيب حياة السكان وإدارة العلاقات الرأسية والأفقية للمحلية مع أجهزة الدولة، مما حدا بالإدارة الأهلية لعب دور بديل عن سلطة المؤسسات المدنية التي كانت قائمة. ولكي توضح المشكلة بصورة أوضح يمكن أن نطرح السؤال الرئيس التالي: ما الوضع الأمني والاجتماعي والانساني بمحلية كبكابية بعد سقوطها على يد قوات الدعم السريع وخروجها عن سيطرة الدولة؟ وهذا السؤال يمكن أن تتفرع منه الأسئلة التالية:

١- كيف استطاعت مؤسسة الإدارة الأهلية المحافظة على تماسك مجتمع المحلي واستدامة أمنه بعد سقوط واهيار مؤسسات الدولة؟

٢- ما المؤسسات الخدمية التي ظلت قائمة بمحليه كبكابية بعد اندلاع الأزمة؟

٣- ما طبيعة تكوين الإدارة الأهلية بمحليه كبكابية؟

٤- ما شكل العلاقة القائمة بين الإدارة الأهلية والسلطة القائمة بالمحليه؟

أهداف البحث: يهدف البحث إلى الآتي:

١- الوقوف على الوضع الأمني والخدمي بمنطقة الدراسة بعد خروجها عن ولاية الدولة

٢- معرفة الدور الذي لعبته الإدارة الأهلية كسلطة مساندة للسلطة العسكرية القائمة في منطقة الدراسة.

٣- الوقوف على مدى فاعلية الترتيبات الأمنية والخدمية التي ابتكرتها الإدارة الأهلية بالتنسيق مع قوات الدعم السريع بمنطقة الدراسة.

فرضيات البحث: يسعى الباحث للتحقيق في الفروض التالية:

١. التنسيق بين الإدارة الأهلية والسلطة العسكرية القائمة في حد الأدنى ساعد على استتاب الأمن والمحافظة على بعض الخدمات الضرورية بمنطقة الدراسة.

٢. طبيعة المجتمع العثاثيري مكنت الإدارة الأهلية من بسط نفوذها والمحافظة على تماسك المجتمع.

٣. مركبة منطقة الدراسة وأهميتها الاقتصادية ساعدة أن يتبنى المجتمع مبدأ حمايتها من الانهيار الأمني والخدمي.

أسباب اختيار البحث: تمثل أسباب اختيار البحث في أسباب موضوعية وأسباب ذاتية وذلك على النحو التالي:

أولاً الأسباب الموضوعية: تمثل في أن منطقة الدراسة تعرضت لتعقيدات أمنية واجتماعية كبيرة بعد أن خرجت من نسق إدارة الدولة منذ أول يوم لأزمة مؤسسة الرئاسة السودانية في منتصف أبريل ٢٠٢٣م، هذه التعقيدات كانت كفيلة بنصف استقرار وحياة المجتمع الذي يتصرف بالهشاشة أصلاً لولا المبادرات والجهود التي بذلتها الإدارة الأهلية لسد الفراغ الناجم عن غياب مؤسسات الدولة، هذه الجهود جديرة بالدراسة لعلها تصلح كخارطة طريق لتحفييف آثار مشكلات أخرى مشابه داخل أو خارج السودان. كما أن تجربة التعايش مع السلطات القائمة خارج إطار سلطة الدولة لم تكن تشهد لها منطقة الدراسة من قبل، ولم يقف الباحثين على دراسة سودانية توثق هذا النوع من التفاعل بين السلطة الشعبية والسلطة الخارجية عن الدولة في إطار مصلحة المنطقة.

ثانياً الأسباب الذاتية: تمثل في أن أحد الباحثين من أبناء منطقة الدراسة فضلاً عن اهتمام الباحثين بدراسة النزاعات وتداعياتها على المناطق الهشة كجزء تطبيقي للجغرافيا السياسية.

حدود البحث: تنقسم حدود البحث إلى الآتي:

أولاً- الحدود المكانية: تمثل الحدود المكانية في الحدود الجغرافية محلية كبكابية التي تقع في الاتجاه الجنوبي الغربي لولاية شمال دارفور والتي تبعد حوالي ١٥٦ كيلومتر عن عاصمة الولاية (الفasher) وسوف يفصل الباحثان أكثر عند تناول الخصائص الجغرافية للمنطقة.

ثانياً- الحدود الزمانية: وهي تشمل الفترة من منتصف إبريل ٢٠٢٣م - ٢٠٢٥م وهي فترة تقييم الأحداث منذ أن خرجت محلية كبكابية عن ولاية الدولة وألت بصورة رسمية لنفوذ قوات الدعم السريع.

مناهج البحث: لتحقيق أهداف الدراسة وايجاد حل مشكلة البحث استخدمت الدراسة المناهج التالية:

أولاً المنهج التاريخي: استخدم الباحثين هذا المنهج لتبني نشأة وتطور الإدارة الأهلية في السودان ومنطقة الدراسة؛ ومن ثم معرفة أهم الأدوار الإدارية والاجتماعية التي ظلت تقوم بها في خدمة المجتمع، وما يمكن أن تقوم به في المستقبل.

ثانياً- المنهج السلوكي: بما أن هذا المنهج يتم بتناول سلوك البشر أفراد وجماعات تجاه ظاهرة سياسية معينة كالإدراك المكاني للسياسة؛ فإن الدراسة استفادت منه في معرفة وتقييم المرونة السياسية التي تعاملت بها الإدارة الأهلية مع السلطة العسكرية الجديدة في منطقة الدراسة، دون الالتفاف في كونها مؤسسة تدين للدولة بالولاء في ظل خروج المنطقة عن سيطرة الدولة.

مصادر- جمع المعلومات: اعتمدت الدراسة في الحصول على المعلومات الخاصة بالبحث على البيانات الأولية المتمثلة في الملاحظة ومعايشة الأحداث خلال العمل الميداني، فضلاً عن المقابلة الشخصية لعدد من رجالات الإدارة الأهلية وأعيان المنطقة. أما المعلومات الثانوية تتمثل في الكتب والرسائل العلمية والأبحاث المنشورة والتقارير والإحصاءات الحكومية وغير الحكومية ذات الصلة بالبحث.

الإطار النظري:

أولاً: **الإدارة الأهلية بالسودان:**

المفاهيم والمصطلحات:

١. **الإدارة الأهلية:** بمفهومها العام هي نمط من أنماط الحكم التقليدي التي اشتهرت به الدولة السودانية عامة ودارفور على وجه الخصوص (عبد البنات، ٢٠٢٢م).

٢. **الشرطاني:** أحدى الوظيفية القيادية الأهلية تعادل الملك أو السلطان أو الناظر حسب العرف المحلي في دارفور وهو مسؤولاً عن مجتمعة وحلقة وصل بين المجتمع المحلي والسلطات الرسمية (عبد البنات، ٢٠٢٢م).

٣. **الناظر:** هو الرعيم الأعلى في نظام الإدارة الأهلية بالسودان (خاصة لدى القبائل العربية الأصل) يتربع على قمة الهرم الإداري للقبيلة... وعادة ما يورث هذا المنصب ضمن العائلة (قاسم، ١٩٩٦).

٤. الأمير: هو أحد المناصب التقليدية في نظام الإدارة الأهلية بالسودان ... وهو زعيمًا محليًّاً ذا مكانة بارزة داخل القبيلة يحظى بالاحترام والتقدير داخل بين أفراد قبيلته وبعد حلقة وصل بين المجتمع المحلي والسلطة الحكومية (بانقا، ١٩٩٩)

مفهوم الإدارة الأهلية:

لأن الإنسان هو الكائن الاجتماعي الوحيد الذي يلتجأ إلى تنظيم حياته في شكل كيانات صغيرة ابتداءً من الأسرة إلى الكيان العشائري أو القبلي الذي يشمل كل فرد من أفراد القبيلة أو رقم من القبائل بينما علاقات تعايش ومصالح مشتركة، أو بناء تحالفت تساعده على حماية الممتلكات ومنعاً للعصبية والجهوية، ومن هذا المنطلق تطور شكل الإدارة الأهلية ليأخذ شكل الدولة الحديثة بمؤسساتها وقوانينها ومظاهر قوتها، كآخر مستوى من التطور الذي يمكن أن يصل إليه الفكر الإنساني في تطوير أساليب الحكم والإدارة. (عبد البنات، ٢٠٢٢م).

كان للإدارة الأهلية الفضل في بدايات تكون الدولة والهوية السودانية التي بدأت ببداية مملكة كوش بفرعها نبتة ومرwoي في أقصى شمال البلاد (٧٥٠ ق.م - ٣٥٠ ق.م) وتلتها فترة الممالك المنساوية ملكي المغرة وعلوة والتي استمرت حتى القرن الخامس عشر وانتهت بقيام دولة الفونج (مملكة سنار الإسلامية ١٥٠٤) التي امتدت إلى كردفان وبلاد البحار في الشرق، وكانت هناك ممالك مستقلة مثل مملكة تقلي وسلطنة المسبعات في كردفان وسلطنة الفور وسلطنة المساليت في دارفور، وكان جنوب السودان مستقلاً بكياناته المحلية والقبيلية، على مر الزمان (١٨٢١-١٨٧٥ق.م) لم توجد سلطة مركبة تجمع هذه الكيانات وتعمل على توحيدها وإن أنها كانت تخضع لطرق مختلفة في الحكم والإدارة تعتمد بشكل أساسي على المكونات القبلية الموجودة بها وإدارتها الأهلية، وبمجيء الاستعمار التركي - المصري توسيع رقعة السودان وضمت مملكة تقلي وسلطنة المسبعات في كردفان وبلاد البحار في الشرق وسلطنة الفور (١٨٧٤م) و المناطق الاستوائية جنوب دائرة العرض ١١° ش (وبدأت محاولات تقوية السلطة المركزية لأغراض استعمارية، ليس لها علاقة بتكوين الوحدة الوطنية أو الهوية السودانية، فأبقيت الحال كما هو وتركت للقبائل حرية الإدارة الذاتية مع محاولات ضعيفة لتغنين سلطات زعماء القبائل وبعض الأعراف من خلال قانون مشايخ الرحل) (شرفي: ١٩٩٢) ثم جاءت الدولة المهدية من (١٨٢١-١٨٨٩م) كأول حكم وطني (استقل السودان عن الحكم التركي المصري بقيام الثورة المهدية في العام ١٨٨٦ ورغم أن نظام الحكم فيها كان ذا طابع ديني وعسكري صارم إلا أنها قسمت الدولة المهدية إلى عمارات أو ولايات بلغ عددها اثنتي عشر عمالة وعلى رأس كل منها عامل يتمتع بالسلطة السياسية والعسكرية والإدارية (الأصم: ١٩٨٣) ثم أتت فترة الحكم الانجليزي المصري (١٨٩٨م - ١٩٥٦م) الذي قضى على حكم المهدية وسار بالبلاد في اتجاه الحكم المركزي، وأراد أن يطبق بعض النظم الإدارية التي طبقها في مستعمراته مثل نيجيريا وغيرها فأسس نظامين أداريين الأول هو الإدارة النظامية التي تمثلها الحكومة المحلية أو المركزية والثاني هو نظام الإدارة الأهلية وهو نظام حكم غير مباشر قائم على إن لكل قبيلة دارها ونظمها العرفي الخاص بها

وان يحكم كل مدينة أهلها وأصحاب المصالح فيها لكي يصلحوا من شأنها. أنشئت الإدارات الأهلية بشكلها الحالي ما بين عامي ١٩٣٧ و ١٩٤٢ خلال فترة الحكم الثنائي المصري البريطاني للسودان (لتساعد الحكومة المركزية في ادارة السودان معتمده على بعض القوانين الإدارية التي صدرت مثل قانون سلطات المشايخ الرحيل في ١٩٢٢ وقانون شيوخ القرى في ١٩٢٥ سلطات المشايخ وشيوخ القبائل الذي صدر في العام ١٩٢٧ وقانون تحصيل الضريبة المحلية الصادر في ١٩١٩) (علي: ١٩٩٩) والذي يعطى الإداريين المحليين وشيوخ القبائل حق جباية بعض الأموال وصرفها على خدمات ومصالح مناطقهم، هذه القوانين استندت علىها الإدارة الأهلية لتتمتع بسلطات لتوفير الخدمات الاجتماعية في المناطق داخل نطاق الإدارة المحلية لمعاضدة مجالس المحافظات المشرفة على أنشطة خارج نطاق الدارة المحلية الرسمية (أصبح شيوخ القبائل مسؤولين بصورة غير مباشرة عن صيانة الطرق والأبار والخدمات الصحية والبيطرية والأمن العام والفصل القضائي في النزاعات المتعلقة باستخدام الأرض الزراعية والرعوية والخلافات الاجتماعية) (فيصل: ١٩٩٩)، (إرادة الإدارة البريطانية أن يكون شيوخ القبائل ممثلين لقبائهم لهم سلطات خدمية مستقلة فضفاضة ولا يأخذون أي صفة رسمية كموظفين في الدولة ولا يتلقاون مرتبات) (موسي: ١٩٧٠)، (اعتمد الحكم الثنائي المصري البريطاني في إرساء دعائم الإدارة الأهلية على اعتماد تنوعاً عرقياً ولغوية ودينية للسودان حوي ١٩ مجموعة عرقية قبلية رئيسية تضم ٥٩٧ قبيلة فرعية) (نعميم: ١٩٩٢)، في العام ١٩٣٢ أصدر قانون المحاكم الأهلية الذي يعتبر الأساس للصلاحيات والسلطات القضائية للإدارة الأهلية وفي العام ١٩٣٧ اعتمدت الإدارة الأهلية كواحدة من مستويات الحكم المحلي تتمتع بنظام مستقل يحوي مسؤوليات قضائية ومسؤوليات تنفيذية وإدارية، وفي عام ١٩٥٦ نال السودان استقلاله وهو على هذه الشكلة من التنوع والتعدد العرقي والثقافي . ومنذ تلك الفترة اعتمد السودان نظام الإدارة الأهلية التقليدية والمستند على قانون ١٩٣٧ والمكون من شيوخ العشائر ووجهاء المجتمع أصحاب النفوذ والمكانة القبلية ، والذي تدرج من المستوى الأدنى (المشايخ، فالعمد، النظار)، وبموجب هذا النظام منح زعماء القبائل المحليين سلطات قضائية وإدارية ومالية ، وعليه انتشرت المحاكم الأهلية التي تعرف بمحاكم النظار والعمد، وقد دعمت الأنظمة المتعاقبة على البلاد هذه الهياكل التي تهدف إلى تنظيم سبل التعايش السلمي ومراقبة الخدمات وحل النزاعات ورعاية العلاقات الودية بين مناطق الالتماس القبلي.

تعتبر الإدارة الأهلية من أبرز النظم التقليدية التي نشأت وتطورت تاريخياً في المجتمعات السودانية والأفريقية، حيث اضطاعت بأدوار محورية في تنظيم شؤون المجتمعات المحلية، مثل تسوية النزاعات، وتوزيع الموارد، وتحقيق التوازن الاجتماعي. وقد استمدت هذه الإدارة مشروعيتها من الأعراف والتقاليد المجتمعية المتوارثة، ما أكسبها درجة عالية من القبول والاحترام من قبل أفراد المجتمع المحلي (محمد، ٢٠١٨).

في ظل ضعف مؤسسات الدولة أو غيابها في بعض المناطق، اضطاعت الإدارة الأهلية بدور محوري في حفظ السلم الاجتماعي، إذ شكلت وسليماً مهماً بين الدولة والمجتمع المحلي، وأسهمت بفاعلية في

تسوية النزاعات عبر الأعراف والتقاليد المتعارف عليها، بعيداً عن الإجراءات الرسمية المعقدة أو التدخلات الأمنية التي قد تؤدي إلى تفاقم التوتر. كما ساهمت في ترسیخ منظومة اجتماعية قائمة على المصالح المشتركة والاحترام المتبادل بين مختلف المكونات المجتمعية (عبد الله، ٢٠١٧).

اعتمد فاعلية الإدارة الأهلية في تحقيق السلم الاجتماعي على مجموعة من العوامل، من أبرزها المكانة الاجتماعية والرمزية التي يتمتع بها الزعماء التقليديون، ومدى تمثيلهم العادل لمكونات المجتمع المحلي، بالإضافة إلى قدرتهم على التوسط بحيادية، وتوفيرهم على آليات عرفية فعالة لحل النزاعات. غير أن هذه الفاعلية أصبحت تواجه جملة من التحديات في ظل التحولات التي طرأت على المجتمعات المعاصرة، من بينها تراجع مكانة الإدارة الأهلية في بعض المناطق، وظهور مؤسسات بديلة، إلى جانب تدخلات سياسية أثّرت على حيادها وفاعليتها في إدارة الأزمات المجتمعية (إسماعيل، ٢٠٢٠).

انطلاقاً من هذه المعطيات، يهدف هذا البحث إلى تحليل الدور الذي تضطلع به الإدارة الأهلية في تعزيز السلم الاجتماعي، من خلال تناول الإطار المفاهيمي لهذا النمط من الإدارة، واستعراض نماذج تطبيقية لتدخلاتها في تسوية النزاعات المجتمعية، إلى جانب تحليل العوامل التي تسهم في تفعيل دورها أو تعوق فاعليتها ضمن السياقات المحلية المختلفة (الطيب، ٢٠٢١).

ثانياً: الملامح الجغرافية لمنطقة الدراسة:

الموقع والمساحة:

أولاً الموقع: تقع منطقة الدراسة تقربياً بين دائري عرض (°13-°16-°14) شماليًّاً وخطي طول (°23-°24-°30) شرقاً، وجغرافياً تقع منطقة الدراسة في الجزء الغربي لشمال دارفور، حيث تحدّها من الناحية الشرقية الحدود الإدارية لريفي الفاشر، ومن الناحية الشمالية الشرقية الحدود الإدارية محلية كتم، ومن الاتجاه الشمالي الغربي محلية السريف بني حسين، ومن الاتجاه الغربي محلية سرف عمرة، وفي الاتجاه الجنوبي حدودها الإدارية مع ولاية وسط دارفور الشكل رقم (١).

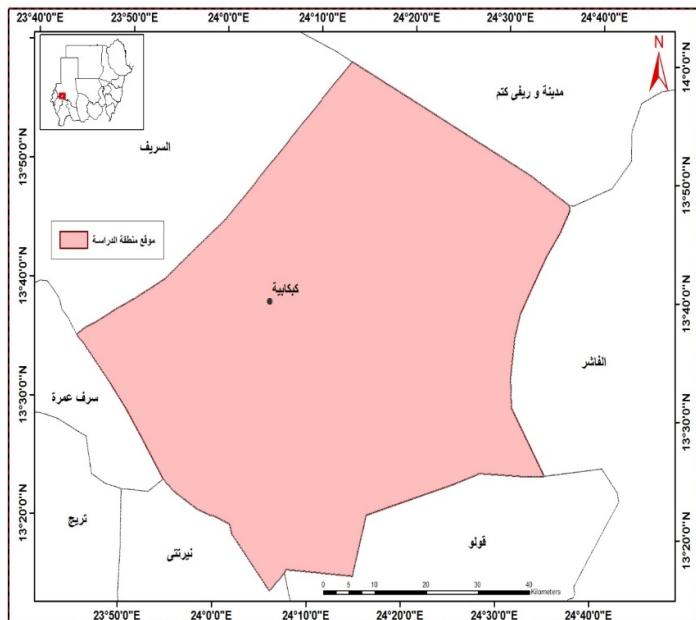
ثانياً المساحة: مرت محلية كبايبة بشكلها الحالي (بعد قيام حكومة الانقاذ) بعدة مراحل إدارية تراوحت بين التبعية والاستقلال، والانقسام، حيث كانت جزء من محافظة كتم حتى يناير ١٩٩٧م ثم لاحقاً عام ١٩٩٧م أصبحت محافظة قائمة بذاتها، وفي حينها كانت محلية سرف عمرة والسريف الحاليتين جزء منها إلى أن انفصلت عنها لاحقاً وأصبحت محليات قائمة بذاتها وعندئذ كانت مساحتها حوالي ١١٥٥٥ كيلم (ديوان الحكم الاتحادي: ١٩٩٩م) ثم لاحقاً انفصلت عنها محلية جبل سي ثم اندمجت معها للمرة الثانية، وكان كل ذلك بناء على التطورات الإدارية المختلفة في المنطقة ككل لذلك مساحتها وحدودها الإدارية تميزت بالتمدد والانكماس منذ إنشاءها حتى حق الان! لذلك لم يقف الباحث على أي مصدر يحدد مساحتها الحالية بصورة دقيقة، ولكن مع ذلك تقدّرها بعض المصادر بين ٤٠٠٠-٥٠٠٠ كيلم مربع.

السطح والتضاريس: إن سطح منطقة الدراسة هو عبارة عن هضبة كبيرة متوسط ارتفاعها بين (١٥٠٠-٢٠٠٠) قدم تحدُّر انحداراً خفيفاً من الشرق إلى الغرب وهي امتداد طبيعي لسلسلة جبل مرة (كوزي، ٢٠٠٤). وما يؤكد ذلك جريان كل المصارف المائية صوب الغرب.

خلال هذه الهضبة نجد هناك تنوع تضاريس يتمثل في السهول والأراضي الجبلية والمجاري المائية، حيث نجد في الاتجاه الشرقي توجد سلسلة جبال سي التي تمتد من الجنوب إلى الشمال في شكل سلاسل جبلية تعمل كحصون طبيعية للمنطقة. كذلك في الاتجاه الجنوبي نجد جبل شوبا وكشمر وجبل ساقة وجبل أورى، وفي الاتجاه الشمالي توجد جبال أرمبا وجبل جلي، وفي الاتجاه الغربي هناك جبل المضيب وجبل سير.

أيضاً توجد بمنطقة الدراسة سهول متوسطة الارتفاع تتخللها كتل متناثرة وتكون من نطاقات رملية واسعة ومساحات صخرية تنمو بها الأشجار والخشائش، وهذه السهول تغطّيها أودية كبيرة تُنبع من سفوح جبل مرة الغربية وقد استغلت هذه السهول في زراعة المحاصيل الزراعية المطيرية والمروية (كوزي ومحمود ٢٠٢٣م).

خريطة (١) الموقع الجغرافي لمنطقة الدراسة



المصدر: وزارة التخطيط العمراني، الفاشر ٢٠٢٣م

المناخ: إن مناخ منطقة الدراسة ذو ميزة خاصة حيث نجده يختلف عن العروض المدارية الموازية له وذلك لتأثيره الكبير بكتلة جبل مرة التي تقع إلى الجنوب والجنوب الشرقي منها فضلاً عن أن المنطقة كلها امتداد لسلسلة جبل مر، وفي هذا الصدد ذكر (إبراهيم، ٢٠١٩م، ٦٧) أن كمية الأمطار التي تهطل بمنطقة الدراسة أعلى بكثير من تلك التي تسقط في المناطق المحاذية لها في دوائر العرض مثلاً الفاشر التي تقع على دائرة عرض (٣٨° ١٣') متوسط الأمطار فيها ٢٨٦ ملم بينما أم كدادة التي

تقع على دائرة عرض (°36 36° 13° 13°) معدل الأمطار فيها 262 ملم في السنة حيث أن متوسط الأمطار في كبكابية التي تقع على دائرة عرض (°39 39°) خلال الفترة 1990-2015 هي 365 ملم أي بمعدل يزيد 79 ملم عن مدينة الفasher، و103 ملم عن مدينة أم كدادة؛ وهاتين المدينتين تقعان في نفس العروض تقريباً.

وبصفة عامة أن مناخ منطقة الدراسة يتأثر تأثيراً كبيراً بموقع المنطقة بالنسبة لجبل مرة لوقوعها إلى الشمال الغربي من الكتلة الرئيسية له، وإلى الغرب من امتداده الشمالي، وبالتالي هذا الموقع أكسب المنطقة خصوصية في المناخ مقارنة بالمناطق التي تقع محاذية لها في دوائر العرض.

مجتمع منطقة الدراسة:

تعتبر محلية كبكابية من المناطق ذات التداخل القبلي الكبير، وبناء على المؤتمر الأهلي الذي انعقد بكبكابية عام 1997م) أن كبكابية تتكون من (21) قبيلة، وهناك ستة قبائل رئيسة تتوزع بنسب متفاوتة، ومن أكبر المكونات الاجتماعية هي قبيلة الفور ويمثلون 50٪ من مجتمع المنطقة، ويتركزون داخل المدينة خاصة بعد موجات النزوح التي شملت المنطقة مع وجودهم في الريف الجنوبي والجنوبي الغربي لمدينة كبكابية. أما في المرتبة الثانية فتأتي القبائل العربية ويتركزون بصورة أساسية في البوادي (قرى خاصة بالرحل) حول كبكابية، ولهم وجود داخل المدينة، فضلاً عن جود مجموعات غير مستقرة ترحل من مكان لآخر حول المنطقة، وقدر عددهم حسب المؤتمر المذكور بحوالي 22٪. وفي المرتبة الثالثة قبيلة القرم، وقدرت نسبتهم بـ 11٪، ويتركزون في الريف الغربي لكبكابية. ثم في المرتبة الرابعة الزغاوة وقدرت نسبتهم بحوالي 7٪، ونجدهم يتركزون داخل مدينة كبكابية. وفي المرتبة الخامسة تماماً وقدرت نسبتهم بحوالي 5٪ ونجدهم يتركزون داخل المدينة وبعض القرى في الاتجاه الشمالي والشمال الغربي منها (وهم الطبقة الأكثر استنارة وتعليم بين المكونات الاجتماعية). وفي المرتبة السادسة تأتي قبيلة التنجر ويمثلون حوالي 3٪ من مجتمع منطقة الدراسة.

بالإضافة لهذه المكونات الاجتماعية للمحلية هناك مجموعات قبلية من كافة أنحاء السودان يتمثلون في بعض التجار والعاملين بالدولة.

الجدير بالذكر أن هذه الإحصاءات الواردة في المؤتمر المشار إليه كان الهدف منها تحديد التمثيل النسي لـ كل قبيلة في مجلس المحلية، وهي أساساً بنيت على تعدادات مجالس الأحياء والقرى إضافة لتقدير بعض وكالات الأمم المتحدة: لعدم وجود بيانات في التعدادات السكانية تبين المكونات الاجتماعية، كذلك هذه النسبة في التوزيع القبلي قد لا تكون بنفس التقديرات السابقة نتيجة لعامل الهجرة والتزوج الذي صاحب المحلية خاصة فيما يلي نسبة القبائل العربية والزغاوة وهم الأكثر حركة وتحوال مقارنة بالمكونات الاجتماعية الأخرى، وبالتالي هذه النسب الوارد في مجلتها هي مؤشرات فقط ملامح المجتمع بمنطقة الدراسة.

الإدارة الأهلية بمحلية كبكابية:

محلية كبكابية أحدى محليات ولاية شمال دارفور التي تميز بالتنوع القبلي شأنها في ذلك شأن معظم محليات الولاية، ولكنها الأكثر تعقيداً لعوامل اجتماعية وأخرى تتعلق بالمحيط الإقليمي للمحلية، ونتيجة لهذا التنوع والثراء القبلي تتعدد الإدارات الأهلية؛ حيث نجد بها أربعة إدارات أهلية تحت كل إدارة عدد من العُمُد والمشايخ الجدول رقم (١) وعادة ما نجد كل إدارة أهلية مرتبطاً بحاكورة معينة (دار القبيلة) باستثناء إدارة الرجل الوحيدة الموجودة بالمنطقة (إدارة الزيلات) ليس لها حاكورة وذلك لطبيعتها المرتبطة بالترحال من منطقة لأخرى داخل حدود المحليات، أو قد يرتحل مؤقتاً بعض أفراد القبيلة خارج حدود المحلية أو الولاية مع ارتباطهم الإداري بمركزية القبيلة بالمحليات التي لهم تاريخ طويل فيها يرجع لسلطان دارفور الأولى، ويمكن توصيف هذه الإدارات على النحو التالي:

١- إدارة دارفينا: وهي الإدارة الأكبر بالمحليات بحكم مقرها داخل المدينة ووقوع عاصمة المحليات نفسها داخل الحدود الإدارية لها، وتعتبر قبيلة الفور هي المكون الاجتماعي الرئيس لها، بالإضافة لقبائل أخرى خارج إطار قبيلة الفور تتبع لها إدارياً على مستوى العموديات والمشايخ وهم: الكروبات والمستوى الإداري لهم عمودية وتحتها عدد من المشايخ، والتاما والمستوى الإداري لهم أمير (مستوى عدمة) وتحتها عدد من المشايخ، القمر والمستوى الإداري لهم عمودية وتحتها عدد من المشايخ، الكنين عمودية وتحتها عدد من المشايخ، أولاد مانا عمودية وتحتها عدد من المشايخ، أولاد زيد (قبيلة عربية الأصل) عمودية وتحتها عدد من المشايخ، أخيراً البرتي والتنجر وتمثيلهم الإداري شيخ أفراد (أحمدى، .٢٥/٨/٢٣ م).

٢- إدارة سمني كوري: ومقرها الرئيس منطقة تومي (شرق مدينة كبكابية حوالي ٣٠ كم تقريباً) انتقلت الإدارة إلى عاصمة المحليات مؤقتاً بعد موجات النزوح التي ضربت إقليم دارفور بصورة عامة بعد عام ٢٠٠٣م وت تكون الإدارة من قبيلة الفور وأقلية من قبيلة القرعان، فضلاً عن بعض التداخلات القبلية الطفيفة من خارج القبيلة (ريفة، ٣/٨/٢٣ م).

٣- إدارة الزيلات: مقرها الرئيس ضاحية دار النعيم (أم بلديسو سابقاً) ويكون المكون الأساسي لها من قبيلة الزيلات أحدى بطون القبائل العربية، فضلاً عن بعض القبائل من غير الزيلات مثل قبيلة أولاد زيد والتمثيل الإداري لهم في الإدارة عمودية وتحتها عدد من المشايخ، كذلك الميماء، والمستوى الإداري لهم عمودية وتحتها عدد من المشايخ، أيضاً المهادي والصعداء والبرقو تمثيلهم الإداري بمستوى شيخ أفراد (عبد الباقي، ٢٥/٧/٢٣ م).

إدارة سمني كارا: ومقرها الرئيس بورا (حوالي ٢٠ كم شمال مدينة كبكابية) انتقلت مؤقتاً إلى داخل مدينة كبكابية لظروف الحرب والتزوح، شأنها في ذلك شأن إدارة سمني كوري، والجدير بالذكر أن هذه الإدارة الآن تمارس نشاطها الإداري داخل مدينة كبكابية حيث المقر المؤقت؛ وذلك لنزوح جميع أفراد القبيلة إلى المدينة، حيث يتتوفر الأمن النسبي مقارنة بالريف. ويعتبر الفور هم المكون الوحيد للقبيلة باستثناء التصاهر والتداخلات القبلية التي لا تخلوا قبيلة سودانية منها. (أبو شوك، ١١/٨/٢٣ م)

إضافةً لهذه الإدارات الأربع توجد بعض القبائل تسكن محلية كبكابية ولكنها لا تتبع لها إدارياً كما هو الحال بالنسبة للإدارات الوارد ذكرها، مثل المحاميد الذين يسكنون في الريف الغربي لبكابية وهم يتبعون إدارياً للشيخ موسى هلال، ومقر إدارتهم بادية بوا بمحلية الواحة، والماهرية الذين يسكنون شمال كبكابية وبعدهم داخل المدينة (لهم ثلاث عموديات)، وهم يتبعون إدارياً للناظر محمدين الدود، ومقر إدارتهم بادية قرير بمحلية الواحة، كذلك العريقات (لهم عمودية واحدة) ويسكنون ضاحية المنارة في الاتجاه الغربي لمدينة كبكابية، ويتبعون إدارياً للناظر حماد عبدالله جبريل، ومقر إدارتهم منطقة مصرى، وهم كذلك ضمن مكونات محلية الواحة. أيضاً هناك فروع من قبيلة الزغاوة على اختلاف مرجعياتهم القبلية (وقى - وكوبى) (لهم عمودية واحدة) رغم وجودهم الدائم في محلية كبكابية إلا أنهم ظلوا على الدوام يتبعون إدارياً إلى إداراتهم الأهلية في محليات (الطينة - أمبرو - كربنوى) فيما يتعلق ببعض مشكلاتهم وعلاقتهم القبلية. كذلك هناك عدد من الأسر من قبيلة النبي حسين (لهم عموديتان) على الرغم من وجودهم الدائم في محلية كبكابية ظلوا على الدوام يتبعون إدارياً (في شؤونهم القبلية العليا) إلى إدارة النبي حسين بمحلية السريف التي يرأسها الآن الناظر محمد اسماعيل ادم حامد.

الجدير بالذكر على الرغم من ارتباط بعض القبائل بإداراتهم الأهلية خارج محلية كبكابية إلا أنهم على تنسيق تام مع المكونات الاجتماعية التي تتبع إدارياً لمحلية كبكابية فيما يلي القضايا السياسية والأمنية والاجتماعية المتعلقة بالمنطقة، وليس هناك أي نوع من أنواع التمييز أو التمايز في هذا الشأن.

أهم ما يميز مجتمع المحلي بمختلف مشاريعه الإثنية والثقافية (خاصة الشباب منهم) ارتباطهم الوجوداني بالمنطقة وحيهم الشديد لها؛ رغم المعضلات العديدة التي مرت بها في سنين الحرب والتعقيدات الاجتماعية الحاضرة دائماً في كل المواقف، متمسكون في ذلك بالشعار الذي علق على المدخل الشرقي للمدينة (كبكابية بلدة طيبة وربة غفور) الذي أستوحى من سورة سباء الآية الكريمة رقم (١٥) هذا الشعار يجسد بوضوح الأزمات المتعددة التي مرت بها المنطقة نتيجة للهشاشة النابعة عن المتغيرات البيئية، والتقاطعات الاجتماعية، إضافةً لوسطية الموقع (بالنسبة للمحليات المجاورة) مما جعلها تتأثر بالعديد من المشكلات الأمنية والبيئية التي تحدث في أي من المحليات المجاورة، لاسيما وأنه لا توجد حدود فاصلة بين المحليات، كما أن المجتمعات نفسها متداخلة تتأثر بعضها البعض، هذه الظروف جعلت من إنسان المنطقة واع ومدرك للمخاطر المحدقة بالمحلي؛ هذا الوعي دائماً ما يساعد القيادات الأهلية والرسمية على تجنب العديد من المشكلات الناجمة عن هذه الهشاشة.

جدول (١) الإدارات الأهلية بمحلية كبكابية

اسم الإدارة	رئيس الإدارة	صفة الإداري	عدد العمد	عدد المشايخ
دارفيا	الطيب أبکورة أحتمادي	شرطى	١٣	٣٤٩
سمبي كوري	سيف الدين عبدالله رففة	ملك	٦	١٥٠

٦٤	٩	ناظر	عبدالباقي عبد الرحمن عبد الباقي	الزيارات
١٣٨	١٦	شرتاي	عبد الله موسى أبو شوك	سمبي كارا

المصدر: العمل الميداني، ٢٣-٢٠٢٣ م

هذه الإدارات على الرغم من اختلاف المسميات (شرتاي - ملك - ناظر) فهي على مستوى إداري واحد (في دواوين الدولة)؛ ويرجع اختلاف المسميات بصورة أساسية إلى الاختلاف في الثقافة والعادات والتقاليد لكل مجتمع.

يعتبر دور الإدارة الأهلية في السودان مكملاً لمسؤولية الدولة خاصة في الأقاليم التي يرتفع فيها صوت القبيلة (مثل إقليم دارفور) لذلك نجد للإدارة الأهلية وضع خاص في الحكم، ولو لاها يصعب إدارة العديد من الملفات الأمنية والاجتماعية، وهي فعالة جداً في إدارة الشأن الداخلي للقبيلة وعلاقتها بالقبائل الأخرى، بل في بعض الأحيان قد يصل إلى حد علاقتها بالدولة والنظام الحاكم! لاسيما فترة حكم الإنقاذ حيث تسبّبت القبائل لمبادعة النظام الحاكم بحثاً عن مكاسب سياسية أو تنمية.

وتعتمد الإدارة الأهلية في إدارتها للشأن القبلي على تجربة وحنكة زعيم الإدارة الأهلية فضلاً مجالس الأجوaid المكون من وجهاً القبيلة، بالإضافة إلى المحاكم الخاصة (محاكم درجة ثانية أو ثالثة) التي منحت للإدارات الأهلية بموجب القانون، وهذه المحاكم تعبر الأداة الفاعلة في ضبط المجتمع بالنسبة

المحاكم الأهلية:

المحاكم الأهلية (الشعبية) هي محاكم أنشأت في السودان لأول مرة عام ١٩٨٣ م بموجب قانون الإجراءات المدنية، ومنحت اختصاصات مدنية محددة، وحسب ما ورد في دليل العمل القضائي للمحاكم الشعبية عام ٢٠١٨ م هي تختص في القضايا القيمية البسيطة غير المعقّدة، أما تلك التي تتسم بالشعبية والتعدد والتعددية، فتم إنشاؤها بموجب قانون تنظيم المحاكم الشعبية حتى لو اتسمت بالبساطة مثل:

- ١- الدعاوى التي تكون أي مصلحة حكومية أو مؤسسة ذات شخصية اعتبارية طرف فيها
 - ٢- الدعاوى التي تكون متصلة بملكية الأرض
 - ٣- الدعوة التي يكون سبب الدعوة فيها أوراق تجارية أو مستندية
 - ٤- الدعاوى، التي يصدر، بشأنها أمر من رئيس، القضاء من وقت لآخر.

وفي عام ١٩٩١ م سمح القانون للمحاكم الشعبية النظر في القضايا الجنائية، ولكن بعد أن تستكمل التحريات في الشرطة، لذلك أصبحت هناك بعض القضايا البسيطة وغير المعقدة تحال مباشرة للمحاكم الشعبية للنظر فيها مع وجود القاضي المقيم بالمنطقة، وقد منح القانون المحاكم الشعبية عقوبات عديدة منها السجن حتى ٥ سنوات مع الغرامات؛ وذلك حسبما ورد في قانون الغابات والموارد الطبيعية لعام ٢٠٠٢ م.

بصورة عامة تعتبر المحاكم الشعبية مساندة للسلطة القضائية وأحكامها نافذة، وهي تميز بالمرونة وتقلل من حدة جفاف النصوص القانونية التي قد تخلق بعض الآثار الشخصية أو

المجتمعية بين المتخصصين، لذلك تمثل المحاكم الشعبية في بعض الأحيان إلى أن تحل المشكلات خارج نطاق القانون بحيث يصفح المتخصصين عن بعضهم البعض بعد التسوية.

ارتبطة كل إدارة أهلية في منطقة الدراسة بمحكمة خاصة يرأسها رئيس الإدارة الأهلية المعنية وعضوية عدد من الأعيان يراعي في اختيارهم تمثيل مجتمع الإدارة الأهلية المعنية تمثيلاً مناسباً الجدول رقم (٢). والجدير بالذكر إن المحاكم الشعبية على الرغم من ارتباطها بالإدارات الأهلية المعنية لكونها أنشأت في الأساس لهذا الغرض إلا أنها كثيراً ما ت تعرض لها قضايا من قبل أفراد ينتمون لإدارات أخرى، وذلك حسب ثقة الشاكى في المحكمة وأملة في أن يجد الاصناف فيها، الأمر الذي يؤكد قوميتها وبعدها عن الدائرة القبلية الضيقية.

كذلك من جانب آخر نجد هناك بعض القضايا البسيطة (الغير معقدة) قد ت تعرض لقاضي محكمة المحلية ولكنه يحيلها للمحاكم الشعبية للنظر فيها خاصة تلك التي يمكن أن تعالج بالعرف السائد والمحكمة الإيجازية خاصة وأن بعضها قد يتربى على تطبيق القانون فيها آثار اجتماعية محتملة لاسيما وأن المجتمع عشائري تسود فيه الضغينة وروح الانتقام.

جدول (٢) المحاكم الإدارية بمحلية كبكابية

اسم المحكمة	رئيس المحكمة	درجة المحكمة	مقر المحكمة
م. دار فيا	الشرتاي الطيب أبكروة أحmedi	درجة ثانية	داخل المدينة
م. المدينة	الأمير إبراهيم سليمان اسحق	درجة ثالثة	داخل المدينة
م. سمي كوري	الملك سيف الدين عبدالله ريفة	درجة ثالثة	داخل المدينة
م. الزيلات	الناظر عبد الباقى عبد الرحمن عبد الباقى	درجة ثالثة	دار النعيم (ريفى المدينة)
م. سمي كارا	الشرتاي عبدالله موسى أبو شوك	درجة ثالثة	داخل المدينة

• الشرتاي عبدالله موسى أبو شوك توفاه الله نهاية العام ٢٠٢٤ م

المصدر: العمل الميداني، ٢٠٢٤

هذه المحاكم الواردة في الجدول (٢) تعمل وفقاً للصلاحيات الوارد ذكرها سابقاً وهي جماعها بمستوى واحد (محاكم ريفية درجة ثالثة)، فيما عدا المحكمة الوسطى (محكمة دار فيا) وهي محكمة درجة ثانية، من صلاحياتها إمكانية استئناف القضايا التي فصلت في محاكم الدرجة الثالثة لديها إذا لزم الأمر، ولا يمكن العكس؛ وإنما تستأنف القضايا التي فصلت فيها لدى محكمة القاضي المقيم. ولكن بصورة عامة يلاحظ عمل هذه المحاكم بتوافق وانسجام كبيرين بما يصب في صالح أمن وسلامة المجتمع.

دور الإدارة الأهلية في استدامة الأمن بمنطقة الدراسة خلال الفترة بين ٢٠٢٣-٢٠٢٥ م
 سقطت محلية كبكابية بالكامل لدى قوات الدعم السريع في أول يوم للمواجهة بين العسكريين في منتصف ابريل ٢٠٢٣ م، وهذا السقوط كان مفاجئاً! حيث لم تكن هناك أي ترتيبات إدارية للمرحلة الجديدة، أتضح ذلك بعد أن سقطت لجنة أمن المحلية التي يرأسها المدير التنفيذي وعضوية كل من

مدير الشرطة، وقائد القوات المسلحة، وقائد الاحتياطي المركزي، ومدير جهاز المخابرات، ووكيل النيابة، تلي ذلك أغلاق محلية لأبوابها، وكذا الحال بالنسبة للمؤسسات التعليمية والصحية والبنوك التجارية، والدوائر القانونية، ومن ثم أغلقت محلات التجارية أبوابها بالكامل، ولم يستثنى من ذلك حتى المنظمات التي تعمل في مجال العمل الإنساني، ولزم المواطنين متنزههم تحسباً لما هو آت .
إسحق (٢٩/٧/٢٠٢٣م).

في هذه الظروف المعقّدة فكر رجال الإدارة الأهلية ومعهم بعض الأعيان من منطلق مسؤوليّتهم الاجتماعيّة في كيفية السيطرة على الموقف واستمرار الحياة في ظل الظروف والمتغيرات الجديدة التي أحاطت بالمنطقة، عندئذ بادرت الإدارة الأهلية بما لها من خبرات سابقة في إدارة الأزمات بالتواصل من قوات الدعم السريع (باعتبارها السلطة القائمة) في كيفية الحفاظ على أمن وسلامة المواطنين واستمرار الحياة، فوجدت تلّكم المبادرة القبول والموافقة على الفور من السلطة الجديدة (قوات الدعم السريع)، وتم الاتفاق على التنسيق المشترك لإدارة المحلية خاصة فيما يتعلق بأمن المجتمع دون الخوض في تفاصيل مع أو ضد الواقع الجديد في السودان على أن ترتب الإدارة الأهلية نفسها للمرحلة.

بعد أن وجدت الإدارة الأهلية الموافقة على التنسيق المرحلي لإدارة المرحلة تم عقد اجتماع موسّع بتاريخ ٢٠٢٣/٤/٣٠ م ضم إلى جانب رموز الإدارة الأهلية بعض الأعيان للتنسيق في كيفية إدارة الأزمة، فكان أن تم التوافق على إدارة الأزمة بعدة إجراءات جاءت في مراحلين على النحو التالي:

المرحلة الأولى:

تم تكوين لجنة عليا برئاسة الشرتاي الطيب أبکورة أحمداي رئيس إدارة دارفيا وهو (من المكون الاجتماعي للفور) وينوب عنه الناظر عبد الباقى عبد الرحمن عبد الباقى (من المكون الاجتماعي للقبائل العربية)، والأمير إبراهيم سليمان إسحق (من المكون الاجتماعي للتاما) مقرراً للجنة، وعضوية آخرين رُعيت في اختيارهم الاعتبارات القبلية والحكمة والحنكة الإدارية.

هذه اللجنة العليا انبثقت منها لجنتين تمثل كل لجنة محكمة خاصة للنظر في القضايا الأمنية التي تهدّد أمن المجتمع وجاءت اللجنة الأولى برئاسة وكيل ملك إدارة سمي كوري نوري عبید الله ريفة وعضوية آخرين، أما اللجنة الثانية برئاسة الناظر عبد الباقى عبد الرحمن عبد الباقى رئيس إدارة الزيلات وعضوية آخرين الجداول (٣) و(٤). تعمل هاتين المحكمتين بالتنسيق والتباوب، حيث تنظر اللجنة الأولى في القضايا يومي الأحد والخميس على أن يكون مقر المحكمة يوم الأحد بالمنزل الرئاسي (منزل المدير التنفيذي) ويوم الخميس بالسوق الرئيسي للمدينة، أما اللجنة الثانية تتعقد يومي الثلاثاء والاثنين على أن تتعقد يوم الثلاثاء بالمنزل الرئاسي والاثنين بسوق المدينة، والغرض من انعقاد اجتماعات اللجنة والنظر في القضايا أيام الأسواق (الاثنين - والخميس) وداخل السوق نفسه هو للمحاكمات الميدانية لبعض الجرائم الخفيفة فضلاً عن إظهار روح السلطة بين المواطنين لاسيما القادمين من خارج المدينة بعرض التسوق.

جدول (٣) المحكمة الأهلية الأولى

الاسم	الصفة	ملاحظات	م
الوكيـل / الملك نورين عـبـدـالـله رـيفـة	رئيسـاً	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ لـفـورـ وكـيلـ إـداـرـةـ سـمـيـ كـورـي	١
الأمير / إبراهيم سليمان اسحق	نائـباً	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ لـلتـاماـ أمـيرـ قـبـيلـةـ التـاماـ	٢
العمـدةـ /ـ مـضـوـيـ عـبـدـ الرـحـيمـ يـوسـفـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـكـروـبـاتـ عـمـدةـ الـكـروـبـاتـ	٣
العمـدةـ /ـ جـمـالـ إـبرـاهـيمـ مـنـصـورـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـقـمـرـ عـمـدةـ قـبـيلـةـ الـقـمـرـ	٤
الـسـيـدـ /ـ يـوسـفـ عـلـيـ كـوـزـيـ	عـضـواًـ	(ـنـائـبـ رـئـيـسـ مـحـكـمـةـ إـداـرـةـ الـزـبـلـاتـ)	٥
الـشـيـخـ /ـ مـحـمـودـ مـدـخـيرـ خـمـاجـانـ	عـضـواًـ	من الـأـعـيـانـ الـمـكـونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ (ـقـبـيلـةـ الـحـامـيدـ)	٦
الـشـيـخـ /ـ سـلـيمـانـ طـاهـرـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـفـورـ (ـمـمـثـلـ النـازـحـينـ)	٧
الـعـمـدةـ /ـ مـحـمـودـ الدـوـمـةـ حـقـارـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ إـداـرـةـ الـزـبـلـاتـ	٨
الـعـمـدةـ /ـ يـاـسـ عـبـدـ الـخـيـرـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـكـنـينـ عـمـدةـ الـكـنـينـ	٩
الـعـمـدةـ /ـ أـحـمـدـ أـبـكـرـ كـرـسيـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـرـغـاـوـةـ عـمـدةـ الـزـغاـوـةـ	١٠
الـسـيـدـ /ـ مـحـمـدـ عـلـيـ حـمـدـوـانـ	عـضـواًـ	من الـأـعـيـانـ الـمـكـونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ (ـمـنـ قـبـيلـةـ الـحـامـيدـ)	١١
الـسـيـدـ /ـ صـالـحـ مـوـسـيـ يـوسـفـ كـمـونـ	عـضـواًـ	من الـأـعـيـانـ مـنـ الـمـكـونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـفـورـ	١٢

المصدر : محضر اجتماعات اللجنة العليا للادارة الأهلية والأعيان يونيـو ٢٠٢٣ م

جدول رقم (٤) المحكمة الأهلية الثانية

الاسم	الصفة	ملاحظات	م
الـناـظـرـ /ـ عـبـدـ الـبـاقـيـ عـبـدـ الرـحـمـنـ	رئيسـاًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ -ـ رـئـيـسـ إـداـرـةـ الـزـبـلـاتـ	١
الـشـرـتـايـ /ـ عـبـدـ اللهـ مـوـسـيـ أـبـوـشـوكـ	نـائـباًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـفـورـ -ـ رـئـيـسـ إـداـرـةـ سـمـيـ كـارـاـ	٢
الـعـمـدةـ /ـ آـمـ مـنـزـولـ صـابـرـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ -ـ عـمـدةـ الـعـرـيفـاتـ	٣
الـشـيـخـ /ـ مـحـمـودـ سـعـيدـوـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ -ـ شـيـخـ قـبـيلـةـ الصـعـداـ	٤
الـعـمـدةـ /ـ عـبـاسـ عـبـدـ اللهـ سـعـدـ التـورـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـفـورـ عـمـودـيـةـ دـارـفـيـاـ	٥
الـشـيـخـ /ـ مـحـمـدـ عـبـدـ الرـحـمـنـ حـسـينـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـفـورـ	٦
الـسـيـدـ /ـ إـبـراهـيمـ لـونـ	عـضـواًـ	من أـعـيـانـ الـمـنـطـقـةـ -ـ مـنـ قـبـيلـةـ التـنـجـرـ	٧
الـسـيـدـ /ـ عـبـدـ الـعـزـيزـ سـلـيمـانـ	عـضـواًـ	من أـعـيـانـ الـمـنـطـقـةـ -ـ مـنـ قـبـيلـةـ الـفـورـ	٨
الـوـكـيلـ /ـ مـحـمـدـ إـبـراهـيمـ تـيرـابـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـفـورـ -ـ وـكـيلـ إـداـرـةـ دـارـفـيـاـ	٩
الـعـمـدةـ /ـ الصـادـقـ آـمـ الـفـكـيـ	عـضـواًـ	من المـكونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـكـنـينـ -ـ عـمـدةـ الـكـنـينـ	١٠
الـسـيـدـ /ـ مـيـارـكـ إـبـراهـيمـ الـحـاجـ	عـضـواًـ	من أـعـيـانـ الـمـكـونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـائـلـ الـعـرـبـيـةـ (ـقـبـيلـةـ الـمـاهـرـيـةـ)	١١
الـسـيـدـ /ـ عـبـدـ اللهـ مـحـمـدـ آـدـمـ	عـضـواًـ	من أـعـيـانـ الـمـنـطـقـةـ مـنـ الـمـكـونـ الـاجـتمـاعـيـ لـقـبـيلـةـ الـمـسـالـيـتـ	١٢

المصدر: محضر اجتماعات اللجنة العليا للإدارة الأهلية والأعيان يونيو ٢٠٢٣ م

عملت هاتين المحكمتين بانسجام تام وتقدير كبير للمسؤولية الملقاة على عاتقهم يتناسب مع تعقيد الموقف، وكانت البداية صادقة حيث أدى القسم جميع رجال الإدارة الأهلية وبعض الأعيان ممن لهم وزن مجتمعي، بتاريخ ٤/٣/٢٠٢٣ م على إخلاص النية والبعد عن الذاتية والقبلية وعدم حماية المجرمين والوقوف معهم بأي صورة من الصورة ... والملاحظ هناك التزام صارم بهذا القسم الأمر الذي رفع من شأن الإدارة الأهلية وجعلها تناول ثقة المجتمع.

ولعل الجدير بالذكر كان دور قوات الدعم السريع ايجابياً وداعماً للإدارات الأهلية في سبيل تأمين حياة المواطنين(في بداية هذا الحراك الإداري)، ويتمثل دورهم في القبض على الجناة وال مجرمين وتقديمهم للمحاكمات من قبل الإدارات الأهلية، فضلاً عن تكوين دوريات لحماية المقار الاستراتيجية مثل السوق وبعض المؤسسات، وقبول البلاغات عن أي خروقات أمنية، والقبض على المجرمين والجناة في حالة إصدار أوامر قبض من المحاكم المكونة، أو حتى من محاكم الإدارات الأهلية المستقلة. كما لاحظ الباحثين ترکز دورهم في أمن المجتمع فقط دون التدخل في الشؤون الإدارية والتنظيمية لأي مستوى من المستويات.

تکفل المجتمع في بادی الأمر بمبادرة من الإدارة الأهلية ببعض التسهيلات المالية لقوات الدعم السريع تمثلت في تکلفة الإعاشه ووقد العربات التي تحمي المقار الاستراتيجية آنفة الذکر.

وفي هذا الخصوص أفاد السيد مقرر اللجنة العليا للإدارات الأهلية الأمير اسحق بتاريخ ٢٩/٧/٢٠٢٣ م أن هناك تفاعل جيد من قبل المواطنين تمثل في نفرة دعم استقرار المنطقة في مايو ٢٠٢٣ م ترتب عليه في ذلك العين دفع ١٤ مليون جنية (٢٣,٣) ألف دولار بصورة فورية من قبل الغرفة التجارية، بالإضافة إلى ٢ مليون جنية (٣,٣) ألف دولار أسبوعياً، فضلاً عن مساهمة الأسر مساهمة مبدئية بمبلغ ١٠٠٠ جنية (٧,١) دولار، أو كورتين من الدخن (٨ أرطال) عن كل أسرة، هذا الجزء الأخير وجد تفاعلاً متفاوتاً بين المواطنين بعضهم ساهم وبعض الآخر تحفظ على هذه المساهمة! ويرجع ذلك إلى الانقسام السياسي في السودان ما بين ما هو داعم للقوات المسلحة أو لقوات الدعم السريع، وهناك شريحة أخرى تعاملت مع هذا الموضوع بسياسة قبول الأمر الواقع.

ولم يتمكن الباحثان من تحديد نسبة دقیقة تحدد نسبة تفاعل المجتمع في هذا الخصوص، ولكن بصورة عامة لم تکن هناك مشكلة واضحة في إعاشه أو نثريات قوات الدعم السريع (على الأقل إبان كتابة البحث) تضرهم لأخذ أي أموال بصورة مباشرة من المواطنين.

لاحظ الباحثان في هذه المرحلة(المراحل الأولى) ترکز دور الإدارة الأهلية في ضبط الوضع الأمني وإهمال دور الخدمات الأخرى! فلم يجد الباحثان لجان خاصة بالخدمات الأخرى أي كان نوعها باستثناء وضعية خاصة لمستشفى المدينة لضممان استمرار الخدمات العلاجية... وهناك إهمال لصحة البيئة حيث تنتشر النفايات بصورة عامة خاصة في الأسواق والمطاعم والطرقات والمنازل، وغابت مراقبة الذبائح الأمر الذي أدى لتفشي بعض الأمراض بصورة ملحوظة مثل التايفويد والنزلات المعوية، وتلوث الأطعمة والمشروبات وغيرها من الأمراض ذات الصلة بتردي صحة البيئة.

كذلك لا توجد لجان للإمداد الكهربائي أو المائي، فكان الأجدى في مثل هذه الظروف أن تكون لجان شعبية مساندة للإدارة الأهلية تقوم مقام السلطة الحكومية لضمان انسياط وجودة الخدمات في حدتها الأدنى.

كذلك هناك سمة ملاحظة أخرى في اللجنة العليا المكونة من الإدارة الأهلية والأعيان تمثلت في غياب تمثيل المرأة ضمن فرص الأعيان، حيث كان الأوفق أن تمثل بمقعدتين على الأقل؛ لأن طبيعة مشكلات المجتمع أحياناً متداخلة ومعقدة قد تكون المرأة طرفاً فيها ... ولأن المجتمع محافظ يصعب استنطاق المرأة في بعض القضايا خاصة القضايا الأسرية وقضايا الشرف إلا عبر نوعها، كما تأتي الحاجة للمرأة في حالات الاستنفارات الشعبية والتعبوية والتوعية الأسرية وغير ذلك من أدوار.

أهم مظاهر الجريمة في محلية كبكابية خلال فترة الدراسة

إن منطقة الدراسة تتميز بمركزية الموقع مقارنة بمحيطها الإقليمي الأمر الذي جعلها منطقة عبور تربط بين العديد من المحليات الشكل رقم (٢) وكوئها منطقة تجارية زاد من أهميتها الاستراتيجية، لاسيما بعد المشكلة السياسية في السودان أصبحت منطقة عبور للعديد من السلع الواردة من دول الجوار الغربي (تشاد وليبيا) حيث تصل عبرها إلى ربوع ولايات شمال وجنوب وغرب ووسط دارفور. وفي هذا الخصوص أورد كوزي وسليمان (٢٠٢٣م، ٧١) أن منطقة الدراسة منطقة انتقالية تربط بين شمال وجنوب وغرب دارفور؛ لذلك تاريخياً تمر عبرها العديد من الطرق والقوافل التجارية، فضلاً عن ميزة التفضيلية في تجارة المحاصيل الزراعية والثروة الحيوانية. وفي هذا الصدد أورداً حسین، وإسحق (٢٠٢٢م، ١٧) إن كبكابية كانت عبر التاريخ مركزاً تجارياً مهماً تمر عبره الطرق من غرب بلاد السودان من بربو وسكتو ووداي وغيرها من الممالك المجاورة للسودان، وكلها كانت تمر عبر كبكابية التي كانت أهم المراكز التجارية، ومن ثم إلى كردفان وستان وشندي والبحر الأحمر إلى مكة والمدينة، وهو طريق تمر به البضائع والحجاج العابرين إلى الحجاز، وكثيراً ما استقر هؤلاء أثناء ترحالهم بكبكابية.

هذه الخاصية الاستراتيجية لمنطقة الدراسة جعلت منها منطقة جذب يرتادها العديد من المواطنين من خارج المحلية بغرض العبور أو التجارة أو التسوق؛ و كنتيجة طبيعية لهذا الارتفاع والوجود الفوضوي ظهرت العديد من المظاهر السالبة لاحظها الباحث وأكدها له بعض الأعيان عبر المقابلات الشخصية لاسيما بعد سقوط المنطقة تمثلت في الآتي:

أولاً - انتشار السلاح : ينتشر السلاح بصورة واسعة وسط الشباب الذين تتراوح أعمارهم بين (٢٠-٤) سنة خاصة في الأسواق ووسط الأحياء والقري والفرقان، وليس بالضرورة أن يكون حملت هذه الأسلحة من العسكريين أو مصري لهم بحملها؛ وإنما يأتي ذلك بصورة فوضوية نتيجة لخلل الذي تشهده المنطقة، وليس بمقدور قوات الدعم السريع أو الإدارة الأهلية الحد من ذلك في الوقت الراهن تجنباً لأي احتكاك محتمل في مثل هذه الظروف، ولكن حسناً فعلت قوات الدعم السريع بمنع تجارة السلاح التي كانت رائجة، حيث كان لهم سوق خاص في ركن قصي شرق السوق الرئيسي للمدينة يتم فيه عرض أنواع مختلفة من الأسلحة الخفيفة والثقيلة. والملاحظ في هذا الخصوص هناك إطلاق

للأعيرة النارية بصورة كثيفة وعشوائية خاصة في الفترات المسائية دون رغيب أو حسيب يحد من ذلك، ولكن بعد الاجتماع الذي عقده قائد قوات الدعم السريع بتاريخ ٢٠٢٣/٩/٥ م مع الإدارات الأهلية والأعيان والفاعلين في المجتمع بعرض التفويض الأهلي لمحاربة الظاهرة (التفويض لعدم وجود قانون) لاحظ الباحثان تراجع هذه الظاهرة بصورة واضحة، ولكنها لم تختف تماماً.

ثانياً - تجارة المخدرات: تنتشر تجارة المخدرات بصورة عشوائية في منطقة الدراسة، حيث كان لها سوق معروف بسوق كولبيا وسط السوق الرئيسي تباع فيه المخدرات بشتى أنواعها بصورة علنية، بجهود كبير من قوات الدعم السريع والإدارة الأهلية تم القضاء على هذا السوق، ولكن مع ذلك ما تزال تجارة المخدرات موجودة بكثرة ولكنها بصورة غير معنفة بديل القبض على بعض من المروجين لها وتقديمهم للمحاكمة.

ثالثاً-تجارة الخمور: تنتشر تجارة الخمور بأنواعها المختلفة (المستوردة والبلدية) بصورة كبيرة مع عدم وجود آلية واضحة أو منظمة لمحاربتها لغياب دور المؤسسات المهمة بأمن المجتمع؛ الأمر الذي دائماً ما يترتب عليه ارتكاب العديد من الجرائم بداعف السكر.

رابعاً- السرقة: تشهد منطقة الدراسة العديد من جرائم السرقات بصورة ملحوظة خاصة في فترة الدراسة؛ وذلك نتيجة لغياب الأجهزة الشرطية والأمنية المدرية المهمة بأمن المجتمع، وفي هذا الصدد أورد اسحق بتاريخ (٢٠٢٣/٧/٢٩) أن جرائم السرقات زادت بصورة ملحوظة في منطقة الدراسة بعد توقف قوات الشرطة عن العمل (إبان الأزمة السياسية) خاصة السطو الليلي وكسر المتاجر بالسوق الرئيس للمدينة، حيث بلغ معدل ذلك كسر ما بين ١٥-١٢ متجر يومياً. ولللاحظ أن قوات الدعم السريع شكلت دوريات يومية قد حدث كثيراً من هذه الظاهرة إلا أنها ما تزال موجودة بأساليب مختلفة ساعدتها على ذلك ضعف خبرة قوات الدعم السريع في محاربة هذا النوع من الجرائم.

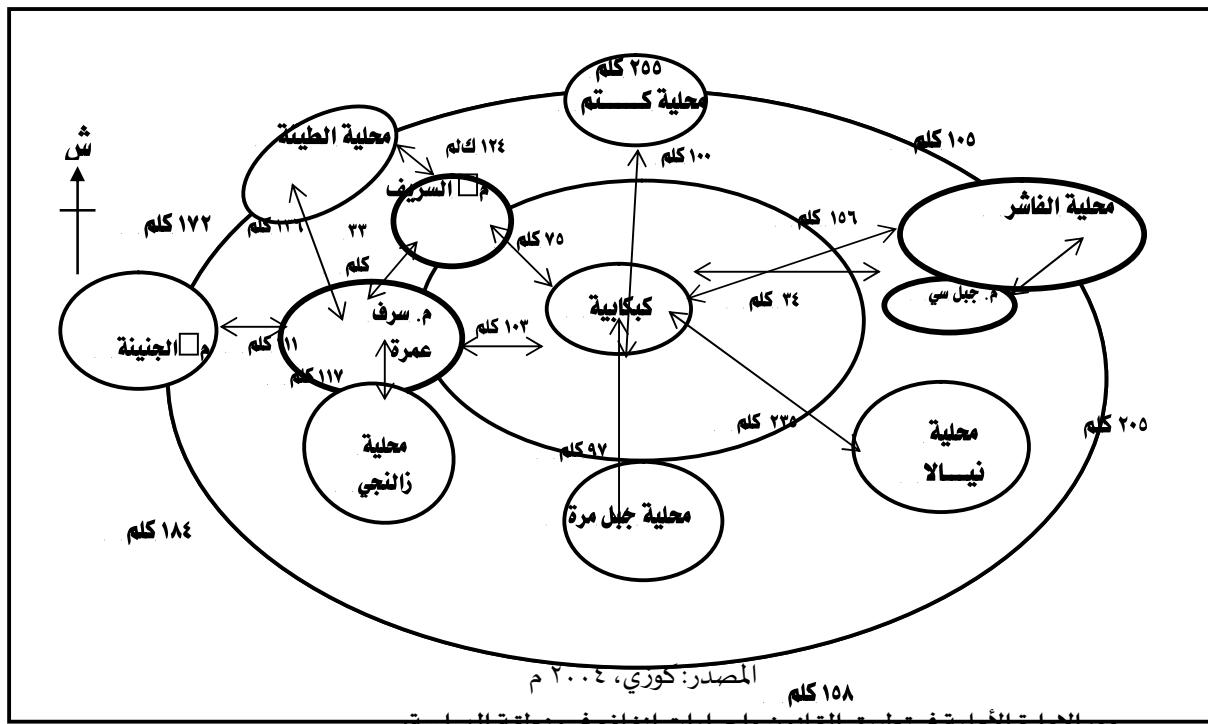
خامساً- القتل العمد والأذى الجسيم: وهو من أكبر المشكلات التي ظلت تعاني منها المنطقة حيث راح ضحيه ذلك عدد من الأفراد، الجدول رقم (٥) ومرد ذلك أحساس الجناء بضعف الملاحقة وإمكانية الالفافات من القانون، كما أن عامل التسوية في جرائم القتل أو الأذى الجسيم يتم وفقاً للعرف الأهلي حيث تتم معالجة كل الجرائم من هذا النوع بالتسوية الأهلية (نتيجة لعدم إمكانية إنفاذ القانون في هذه الظروف) كما أن كل التبعات المالية الخاصة بالتسوية تتحملها قبيلة الجاني كل مما يجعل الجاني لا يهاب الردع.

هذه هي الجرائم الأكثر انتشاراً في منطقة الدراسة والتي تسعى الإدارة الأهلية رفقة الدعم السريع لمحاربتها والحد منها، وحسب المقابلات الشخصية للباحث ومقابلة السيد نور الدين أتييم سليمان المكلف بالإمساك بأصول ومستندات الشرطة خلال الأزمة (سليمان، ٢٠٢٣/٨/٢) أتضح أن الوضع الأمني لم يكن بأفضل مما كان عليه قبل المشكلة السياسية في السودان، وذلك لضعف خبرة قوات الدعم السريع في محاربة الجريمة خاصة الجريمة المركبة، كما أن طبيعة المحاكمات التي تجريها محاكم الإدارات الأهلية (على الأقل في المرحلة الأولى) ليست رادعة بما فيه الكفاية، فضلاً عن عدم وجود مؤسسة السجن نفسها أثر سلباً على الحد من الجريمة.

كذلك هناك بعض المظاهر السالبة لم تستطع قوات الدعم السريع والإدارة الأهلية من محاربتها أو الحد منها مثل تجارة الخمور، وانتشار السلاح وتهريب السلع المحظورة أو التي تحتاج لرقابة مؤسسية من وإلى المنطقه لحماية للمواطن من تداعياتها السلبية.

يرى بعض المواطنين أنهم ممتنون للإدارة الأهلية على بسط الأمن، وهذه حقيقة، ولكنها من زاوية المقارنة ما بين منطقة الدراسة وبعض المناطق التي لم تكن السيادة المطلقة فيها على أي طرف عسكري كما هو الحال بمنطقة الدراسة؛ حيث تسود الفوضى الإدارية وتعارض مراكز اتخاذ القرار ما بيت القوات المسلحة وقوات الدعم السريع كما هو الحال في كل المدن التي لم تحسس السيطرة العسكرية فيها لأي طرف من الأطراف.

شكل رقم (٢) موقع منطقة الدراسة بالنسبة للمحليات المجاورة .



بعد خروج المحلية عن سلطة الدولة أغلقت كل المكاتب العدلية والقانونية، وتلك الخاصة بمنع وقوع الجريمة بصورة تلقائية باعتبار تبعيتها للنظام الدستوري القائم، وبناء على ذلك أغلق مكتب وكيل النيابة ومحكمة القاضي المقيم، وأغلقت مكاتب الشرطة وجهاز المخابرات، وأُغلق السجن المركزي بعد تحرير النزلاء، وبالتالي عممت الفوضى لغياب القانون وأليات تنفيذه، وأصبحت الجريمة تحاصر المجتمع خاصة بعد تحرير معتادي الإجرام من قيود السجون، وفي هذه الخلوة أشار إسحق بتاريخ (٢٩/٧/٢٠٢٣م) إلى ارتفاع الجريمة بعيد سقوط المحلية مباشرة بصورة غير مسبوقة خاصة السطو

الليلي على المحلات التجارية بالسوق المركزي، فضلاً عن جرائم النهب والنصب والمخدرات وغيرها كما سبقت الإشارة.

نتيجة لهذه الظروف تم تشكيل المحاكم الطارئة السابقة بالإضافة لمحاكم الإدارات الأهلية التي سمح لها بموازنة العمل للحد من الجريمة وردع المجرمين حفاظاً على أمن المجتمع. ويمكن استعراض أداء هذه المحاكم التي تم تكوينها في مرحلتين على النحو التالي:

أولاًً محاكم المرحلة الأولى ٢٣/٩/٣٠ - ٢٣/٤/٣٠ م:

باشرت المحاكم الطارئة التي تم تشكيلها بتاريخ ٢٣/٤/٣٠ م مهامها بكل قوة وحزم الأمر إلى ترك أثر فوري على أمن المنطقة، وذاع صيتها وسط المجتمع ولكنها سرعان ما واجهت مشكلة قللت من فاعليتها على المدى البعيد تمثلت في غياب الإجراءات الشرطية، أو وجود سجن يمكن أن يحال إليه المحكومين! لذا تمثلت الإجراءات الأولية في الحبس موقتاً في الحراسات أنسأتها قوات الدعم السريع في مدة لا تتجاوز الأسبوع ومن ثم يحال المتهم للمحاكمة ليحاكم ايجازياً، وهنا تنقسم الجرائم التي ترد إلى المحاكم الطارئة إلى قسمين جرائم كبيرة وجرائم صغيرة (حسب تقدير المحاكم المشكلة) وتمثل الجرائم الصغيرة في السرقة والنصب والاحتيال وتعاطي المخدرات أو الإتجار بها، وهذه عقوبتها الغرامة ١٠٠ ألف جنية (١٠٠) دولار بالإضافة إلى الإنذار بمضاعفة العقوبة في حالة تكرار الجريمة، وكتابة تعهد من ولی المدانت بالجريمة، أو من الجهة الإدارية التي يتبع لها (العمدة أو الشیخ) وفي حالة تعذر ذلك ينفي المدانت من المحلية، ويحدث ذلك عندما يكون المجرم مقطوع السند الأهلي (مرجعية اجتماعية) أو من خارج المنطقة في هذه الحالة يأمر بالهلاك فوراً على أن تتبع قوات الدعم السريع متابعة وإنفاذ ذلك، وفي هذاخصوص أفاد السيد مقرر اللجنة العليا للأمير إسحق بتاريخ ٢٩/٧/٢٣ م، بإنفاذ حالة طرد تمت لأحد المدانين لذات الشخص.

لاحظ الباحثان في حالة فشل المدان من دفع الغرامة المالية يستدعي ولی أمره للدفع نيابة عنه، وفي ذلك خلل قانوني وأخلاقي كبير تقع فيه المحاكم بداعي عدم وجود عقوبة أخرى مناسبة يمكن أن توقع على المدان (نتيجة لعدم وجود مؤسسة السجن)، وهذه المسألة تحتاج للمراجعة.

أما الجرائم الكبيرة تمثل في القتل العمد أو الأذى الجسيم (في الأنفس) وفي هذه الحالة تبدأ الإجراءات بالقبض على الجاني من قبل قوات الدعم السريع ويتم التحفظ عليه لمدة لا تقل عن أسبوع ثم يحال إلى محاكم الإدارات الأهلية، وفي هذه الحالة تجتمع اللجنة بكامل عضويتها وتجمع أطراف القضية (أسرة الجاني وأسرة الضحية) للنظر في القضية وبعد التحري الدقيق إذا ثبت ارتكاب الجريمة في حالة الأذى الجسم تعالج وفقاً للأعراف الأهلية المعمول بها مثل دفع تكاليف العلاج أو التعويض، أو النظر في وجود سوالف سابقة (قضايا مشابه) بين الطرفين أو إمكانية بناء رکوبه وهي: (عرف اجتماعي يتم بموجبه التنازل جزياً أو كلياً عن الحق مقابل أن يكون ذلك عرفاً بين القبيلتين يبني عليه في المستقبل) بين الإدارة الأهلية للطرفين إذا لم يكن الجاني والمتضرر من قبيلة واحدة.

ففي حالة ثبوت القتل (عمداً أو خطأ) يعطي أهل الضحية الخيار بين الدية أو العفو أوأخذ بعض المال وترك بعضه (تكلفة الكرامة) وهو الحل الوحيد المتاح لعدم وجود أمكانية للجنس أو القصاص، ففي حالة القتل الخطأ يكون الحل سهلاً عن طريق الدية، أما في حالة القتل العمد ف تكون الإجراءات والتسوية معقدة بعض الشيء ولكن في النهاية لا خيار متاح غير قبول الدية، أما إذا أصرت أسرة الضحية على القصاص في حالة القتل العمد فلا سبيل لذلك إلا انتظار عودة المؤسسات العدلية المنوط بها إنفاذ القصاص بعد حل المشكل السياسي في السودان! وهذا الخيار دائماً يجعل أسر الضحايا مرغمين على قبول الدية بعلاقتها.

الدية السائدة لكل القبائل في حالة القتل العمد هي ٥٠ بغيراً أو ما يقابلها نقداً يضاف إليه قيمة أي تكاليف مالية متعلقة بمتطلقات القتيل أو سير القضية، وفي حالة القتل الخطأ تتراوح تكلفة الكرامات ما بين ١٥-١٢ بغيراً (كوزي، ٢٠٢٣/٨/٦).

خلال المرحلة الأولى للمحكم الطارئة تمت معالجة العديد من القضايا بشقيها المدني والجنائي وذلك وفقاً للجدول رقم (٥) كان لها أثر جيد في الحد من الجريمة، ولكن مع مرور الوقت اتضح وجود بعض التغيرات عجلت من إعادة النظر في المحاكم بشكلها القائم.

جدول (٥)

أهم القضايا التي تم الفصل فيها خلال المرحلة الأولى (١٥ مايو إلى ١٥ سبتمبر ٢٠٢٣ م)

نوع الجريمة	العدد	نوع العقوبة أو العلاج
أحداث القتل	١٢	الدية وفقاً للأعراف في المنطقة (٥٠ بغير)
الأئي الجسيم	٤	تمت التسوية وفق الأعراف
السرقة	٢٠	استرداد المسروقات أو قيمتها بالإضافة للغرامة ١٠٠ ألف جنيه (١٠٠ دولار)
المخدرات	٦	غرامة ١٠٠ ألف جنيه (١٠٠ دولار) بالإضافة للإنذار
أخرى	٢	إنصاف المظلوم بالإضافة للإنذار
الجملة	٤٣	قضية

المصدر: محضر محاكمات الإدارة الأهلية بمنطقة الدراسة ٢٠٢٣ م

نلاحظ من خلال الجدول (٥) أن نوعية القضايا الواردة بعضها من نوع الجرائم التي تهدد أمن المجتمع كله مثل جرائم القتل أو المخدرات أو السطو الليلي في الأسواق، وهي جرائم ذات طبيعة خاصة تتعلق بالفوضى نتيجة للسيولة الأمنية بعد سقوط المحاكم، وهي جرائم غالباً ما تبادر قوات الدعم السريع بالقبض على المجرمين وتقديمهم للمحاكمة. كذلك نلاحظ عدم وجود قضايا مثل السكر وتجارة الخمور والأسلحة وغيرها؛ وذلك لعدم وجود آلية واضحة لمكافحتها.

ثانياً: المرحلة الثانية ٢٠٢٣/٩/٣٠ م- يناير ٢٠٢٥ م

في هذه المرحلة تم إعادة النظر في المحكمتين الطارئتين السابقتين وتم دمجهما في محكمة واحدة لأسباب موضوعية تتعلق بعدم مرونة العمل في المحكمتين منفصلتين مشكلتين لغرض واحد، وتعارض بعض الأحكام الصادرة منها، وظهور بعض الجرائم لم يكن منصوص عليها في العقوبات

السابقة، كما أن العقوبات لم تكن صارمة بما فيه الكفاية الأمر الذي جعل معدل الجريمة في زيادة ملحوظة، فضلاً عن عدم التزام بعض الأعضاء لحضور جلسات المحاكم، كما أن المظهر العسكري وانتشار السلاح الملفت للنظر (خاصة من قبل القبائل العربية) في الأسواق والطرقات العامة أصبح مهدد للمجتمع بصور أوسع من ذي قبل؛ كل هذه الأسباب جعلت بالضرورة التفكير في توحيد المحكمتين و اختيار شخصية مناسبة تستطيع التصدي لهذه المسئولية من خلال محكمة موحدة.

انعقد أول اجتماع للتفكير في هذا الموضوع بتاريخ ١٥-٩-٢٠٢٠م بمبادرة من الناظر عبد الباقي عبد الرحمن عبد الباقي، حضر هذا الاجتماع حوالي ٢٧ من الإدارات الأهلية والأعيان، حيث كان الباحث الأول حضوراً بينهم، وخلال هذا الاجتماع تم تقييم المرحلة السابقة بالوقوف على أهم سلبيات وابيجابيات المرحلة السابقة، وتم الاتفاق على أن تعقد اجتماعات أخرى لاحقة لتوسيع تمثيل المجتمع ودائرة الشورى. وبعد عدة اجتماعات متلاحقة تم التوافق على الناظر عبد الباقي عبد الرحمن عبد الباقي رئيس إدارة الزيلات أن يكون رئيساً للمحكمة بشكلها الجديد (الموحد) والشريطي عبد الله موسى أبوشوك رئيس إدارة سمي كارا رئيساً مناوباً (توفاه الله ٢٤-٢٠٢٠)، وكذلك وكيل إدارة سمي كوري الملك نورين عبيد الله ريفة رئيساً مناوباً ثانياً، والأمير إبراهيم سليمان إسحق مقرراً، والأستاذ المحامي عبد الله مطر عبد الله مستشاراً قانونياً للمحكمة، بالإضافة لعضوية ٥٤ آخرين يمثلون كافة الطيف المجتمعي للمحلية، على أن يكون مقر المحكمة هو مقر السلطة القضائية السابق (مكتب القاضي المقيم). تتعقد هذه المحكمة مرتين في الأسبوع (يومي السبت والثلاثاء). انقسم أعضاء المحكمة إلى ثمانية مجموعات ينظرون في القضايا المقدمة للمحكمة بالتناوب مع عضوية دائمه للرئيس ونائبه ومقرر المحكمة.

وبناء على الترتيبات السابقة تم إعداد لائحة سميت بلائحة الإدارة الأهلية والناشطين لتأمين محلية كبكابية وضواحيها تم خلالها إعادة النظر في العديد من الأحكام وإضافة مخالفات أخرى لم تكن ضمن قائمة المخالفات القديمة وهي على النحو التالي:

جدول رقم (٦) لائحة الإدارة الأهلية والناشطين لتأمين محلية كبكابية وضواحيها

نوع الجريمة	الغرامة بالجنيه	القيمة بالدولار حتى يناير ٢٠٢٤
ضرب السلاح العشوائي	٢٠٠	٢٠.....
التستر على ضرب السلاح	١٠٠	١٠.....
حمل السلاح في الأسواق لغير العسكريين (بالزي الرسبي)	٥٠	٥.....
دخول الفتيات للكفترهات والمتاجر المظلمة بدون محروم	٥٠٠	٥.....
حامل ومروجه الخمور والمخدرات	٢٠٠٠	٢٠.....
التستر على الخمور والمخدرات	٥٠٠	٥.....
الطلاق المبكر (دخول الحيوانات للمزارع قبل الوقت المحدد)	١٠٠٠	١٠.....

٢٠٠	٢٠٠٠٠	السرقة المزالية الكبيرة
٥٠٠	٥٠٠٠٠	سرقة المهام

المصدر: لائحة الإدارة الأهلية والناشطين لتأمين محلية كبكابية وضواحها سبتمبر ٢٠٢٣م
أصبحت هذه اللائحة سارية المفعول اعتباراً من ٣٠/٩/٢٠٢٣م مع أول يوم لافتتاح المحكمة وجاءت
ملبية لعلاج العديد من المشكلات التي لم توضع في الاعتبار في المرحلة الأولى، حيث تم الفصل في
 حوالي (١٦٦) قضية بالشقين المدني والجنائي جدول رقم (٧)، كما أنها اعتمدت فقط على الغرامات
 كسابقها مع زيادة قيمة الغرامات والتمييز بينها حسب نوع الجريمة بعكس الغرامات السابقة التي
 كانت بقيمة واحدة (١٠٠ جنيه) (١٠٠ دولار تقريباً) لكل الجرائم ما عدا تلك المتعلقة بالاعتداء
 على النفس حيث ظل العرف الأهلي هو الفيصل فيها.

جدول رقم (٧) القضايا التي فصلت في المرحلة الثانية لمحكمة الإدارة الأهلية

الرقم	نوع القضية	العدد
١	مدنية	٩٣
٢	جنائية (عامة)	٣١
٣	جنائية (أحداث قتل)	٤٢
	الجملة	١٦٦

المصدر: محضر محكمة الإدارة الأهلية د ٢٠٢٤م

هذه القضايا التي تم الفصل فيها قضايا أما مدنية أو جنائية تحاكم فيها الخصوم في المحكمة بشكلها الجديد حيث وجدت الالتفاف والسمعة الطيبة وسط المجتمع. الملاحظ هناك تراجع كبير في معدل الجريمة المنصوص عليها في اللائحة، كما لم تصل المحكمة أبداً بلالغات في البعض منها. ورغم هذا القانون الذي تم التوافق عليه ما تزال هناك العديد من الظواهر السالبة لا تزال موجودة وتمثل تهديد حقيقي للمجتمع مثل: انتشار السلاح والضرب العشوائي، وانتشار الخمور والمخدرات فلم تكن هناك أي حملات لمكافحتها أو ترتيبات وقائية تحد منها (في المراحلتين على حد سواء) سوى بعض المحاولات الخجولة من قوات الدعم السريع للحد من الضرب العشوائي بعد التفويض الأهلي الذي أُعطي لهم بتاريخ ٥/٩/٢٠٢٣م ولكن سرعان ما رجعت الأمور على ما هي عليه.

ثانياً: المحاكم الإدارية الخاصة

إلى جانب هذه القضايا العامة التي عولجت في المحاكم الطارئة هناك عدد كبير من القضايا يتم معالجتها إدارياً في محاكم الإدارات الأهلية الجدول رقم (٨) حيث ظلت تعمل بصورة تقليدية كالمعتاد على الرغم من أن خروج المنطقة من نسق الدولة يعني تلقائياً تجميدها، حيث لا توجد شرطة محاكم، ولا توجد سجون يمكن يحال إليها المحكومين، كما لا توجد مستندات مالية تحت رقابة الدولة؛ وإنما الضرورة الاجتماعية فرضت استمرار هذه المحاكم لتكون أحکامها إيجازية تتمثل في الغرامة المالية والجلد تعزيراً،

وكثيراً ما تلجأ هذه المحاكم إلى التسوية بصورة ودية في إطار الصالحيات الإدارية لرئيس المحكمة.

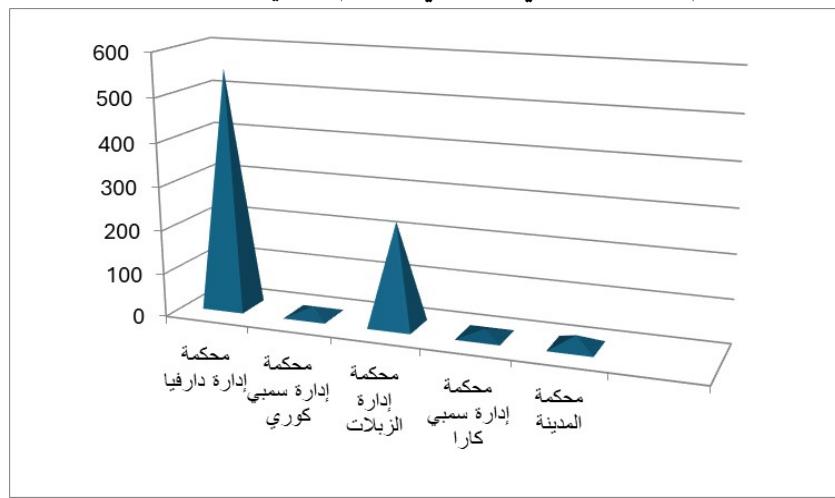
جدول (٨) القضايا التي فصلت في المحاكم الإدارية بمنطقة الدراسة خلال فترة الدراسة

الرقم	المحكمة	عدد القضايا	مدينة	جنائية
١	محكمة إدارة دارفيا	٥٥٢	١٩٤	٣٥٨
٢	محكمة إدارة سمي كوري	١٩	٧	١٢
٣	محكمة إدارة الزيلات	٢٣٧	١٣٦	١٠١
٤	محكمة إدارة سمي كارا	١٥	٩	٦
٥	محكمة المدينة	٢٥	٨	١٧
	الجملة	٨٤٨	٣٥٤	٤٩٤

*توقفت محكمة سمي كارا بعد وفاة الشرتاي عبدالله موسى نهاية العام ٢٠٢٤

المصدر: محاضر المحاكم الإدارية الأهلية ٢٠٢٤ م

شكل رقم (٣) القضايا التي فصلت في المحاكم الإدارية بمنطقة الدراسة



المصدر: عمل الباحثان بناء على بيانات الجدول (٨)

ونلاحظ من خلال الجدول (٨) والشكل (٣) أن المحاكم الأهلية لها القدر المعلى في الحد من الجريمة في الظروف المعقّدة التي تمر بها المحلية إذ بلغت جملة القضايا التي حسمت حوالي (٨٤٨) قضية بالشقيين المدني والجنائي، ونلاحظ أن محكمة دارفيا بحكم أقدميتها مقرها داخل المدينة وبحكم أنها محكمة وسطي ورئيسها رئيس الإدارة الأهلية بالمحليه وتفرغه الكامل للقضايا الإدارية يرد إليها أكبر عدد من القضايا مقارنة بالمحاكم الأخرى، وتليها في المرتبة الثانية محكمة الزيلات ولعل السبب في ذلك تعقيدات المجتمع التي تجعل معظم القضايا التي أطراها من القبائل العربية ترد إلى هذه المحكمة، فضلاً عن موقعها خارج المدينة جعل عدد من سكان القرى المجاورة (في الاتجاه الغربي من المدينة) من القبائل غير العربية تتحاكم عند هذه المحكمة، كما سأله الباحثان عدد من المظالم الذين وجدتهم في المحكمة عن سبب اختيارهم لهذه المحكمة أفادوا بأن سرعتها في فصل القضايا إلى جانب توخي العدل هما العامل الأهم في ذلك.

بالإضافة لهذه القضايا التي تم الفصل فيها (إيجازياً) في المحاكم الأهلية هناك عدد كبير من القضايا التي ترد إلى هذه المحاكم ولكنها تعالج بصورة عرفية خارج الإطار الرسمي للمحكمة تحسباً لبعض الاعتبارات المجتمعية، وهذه القضايا ليست بالقليلة، وإنما ترد إلى المحاكم بصورة يومية، على سبيل المثال أفاد السيد أحتمادي رئيس إدارة دارفيا بتاريخ ٢٥/٨/٢٣ إنه عالج بشكل ودي خلال فترة الدراسة مالا يقل عن (٣٠٠) قضية خارج إطار المحكمة، وكذلك عالج السيد الناظر عبد الباقى رئيس إدارة الزيلات ما يزيد عن (١٠٠) قضية بصورة ودية، وهذا النوع من القضايا هي في الغالب قضايا لها أبعاد أسرية كأن تكون بين الأسرة الواحدة، أو بين أبناء العمومة، أو بين الزوجين، أو الأشقاء، وذلك حتى لا يكون تطبيق القانون سبباً في أي شرخ اجتماعي محتمل في المستقبل.

والملاحظ أن عدد القضايا التي عُلّجت في المحاكم الإدارية أكثر بكثير مقارنة بتلك التي عُلّجت في المحاكم الطارئة حسب الجداول (٨,٧,٥) ولكن مع ذلك تعتبر المحاكم الطارئة هي الأكثر صلاحية وفاعلية؛ لطبيعة القضايا التي تنظر فيها، حيث تفصل في القضايا المقدمة مثل القتل بشقيه (العمد وغير العمد) والقضايا التي تمس أمن المجتمع، فضلاً عن كونها توّاكب تطور الجريمة وتضع التدابير الاحترازية لها. وبصفة عامة هذه المحاكم تتجاوز صلاحياتها الإطار التقليدي لمحاكم الإدارات الأهلية.

بعض المبادرات الخدمية:

من جانب آخر شهدت منطقة الدراسة بعد أن طال أمد الحرب مبادرات من بعض أبناء المنطقة بالتنسيق مع الإدارة الأهلية وباركة من قوات الدعم السريع تمثلت في سد الفجوة الخدمية لبعض المرافق الضرورية.

وفي هذا الصدد أقام بعض شباب المنطقة مبادرة شعبية سميت بمبادرة المجتمعية لتعزيز الصحة وإصلاح البيئة أقامت حملتين لنظافة الأسواق الأولى بتاريخ ٣١ ديسمبر ٢٠٢٣م، والثانية بتاريخ ١٦ يناير ٢٠٢٤م تم خلالهما نقل وإيادة ٢٢٠ ألف طن من النفايات حسب تقدير مدير صحة البيئة بالمحليية الأستاذ محمد عمر وإفادة الأستاذ فيصل بريمة حامد منسق المبادرة (حامد، ٢٠٢٠/١) هذا بالإضافة لحملات إصلاح بيئية أخرى شملت معظم أحياء المدينة بإشراف هؤلاء المبادرين. وبفضل هذه المبادرة والمجهود الإعلامي الذي بذل انتشرت ثقافة العمل الجماعي (الطوعي) في معظم أحياء المدينة الأمر الذي قلل كثيراً من تراكم النفايات وسط الأحياء والطرقات العامة.

وبعد نجاح المبادرة الشعبية لتعزيز الصحة وإصلاح البيئة شجعت هذه المبادرة لإطلاقات مبادرات خدمية أخرى حيث تم إطلاق مبادرة شعبية كبرى سميت بمبادرة الشعوبية لتسهيل الخدمات بمحلية كبكابية في نوفمبر ٢٠٢٣م هدفت هذه المبادرة بصورة أساسية إلى إنعاش التعليم وتسهيل الخدمات الصحية، حيث تم تكوين لجن عليا من ١١ عضو سبعة من الأعيان إضافة عضوين من التعليم ومثلهما من الصحة، ومن ثم تم تكوين لجنة خاصة بالتعليم وأخرى خاصة بالصحة.

فيما يتعلق بالتعليم الهدف كان فتح المدارس التي أغلقت منذ اندلاع الأزمة والآن (تاريخ كتابة البحث) أكملت عامها الثاني، حيث تم اختيار السيد/ محمد إبراهيم أبو بكر رئيس المجلس التربوي بالمحليية رئيساً لهذه المبادرة ومعه تسعة آخرين أربعة منهم يمثلون الإدارة العليا للتعليم (مدير التعلم قبل

المدرسي، ومدير التعليم الأساسي، ومدير التعليم المتوسط ، واخيراً مدير التعليم الثانوي) بـأن تستأنف هذه اللجنة اجتماعها ولكنها سرعان ما اجهت بعض الصعوبات تمثلت في الجانب الفنى والإداري؛ نسبة لعدم انتظام صرف المعلمين لمرتباتهم منذ اندلاع الأزمة حتى تاريخ كتابة البحث! وارتباط كل مدارس الولاية بتفوييم موحدة.

ووجدت هذه المبادرة تفاصلاً جيداً وسط أولياً أمور التلاميذ والمعلمين؛ حيث أعلنت معظم المدارس استعدادها لاستئناف الدراسة ابتداءً من مارس ٢٠٢٤م، ولكن للأسف تبدلت هذه المبادرة بعد قصف الطيران للمنطقة تحسباً لسلامة التلاميذ.

أما فيما يتعلق بالخدمات الصحية بشقيها العلاجي والوقائي، تم تكوين لجنة شعبية اختير فيها الدكتور يوسف علي كوزي مفتش شفخانات المحلية السابق رئيساً لهذه اللجنة ومعه ستة آخرين بهدف تحسين الخدمات الصحية المتداة جداً في المحلية.. وهذا اللجنة الآن في طور الترتيب والتنظيم وإيجاد مصادر للتمويل، فلم تر مشروعاتها النور حتى الآن ولكنها بقليل من الجهد يمكن أن تنجح وتحقق أهدافها المرجوة.

النتائج والتوصيات:

بناء على العمل الميداني والاطلاع على أدبيات البحث توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج والتوصيات أهمها ما يلي:

أولاً النتائج:

- ١- التنسيق الأمني الذي تم بين الإدارة الأهلية وقوات الدعم السريع ساعد بصورة تلقائية في استباب الأمن وانحسار الجريمة خوفاً من الواقع في طائلة القانون.
- ٢- لعبت الإدارة الأهلية في منطقة الدراسة دوراً عظيماً في حماية أمن المجتمع وثبتت أركان العدل في ظل غياب سلطة الدولة واحتلال السلطات المدنية المناط بها ترتيب حياة السكان.
- ٣- اتضح من خلال تجربة محلية كبكارية مع غياب سلطة الدولة إن الإدارة الأهلية ليست بديل لسلطة الدولة، ولكن إذا تم تمكينها بالقدر المناسب تستطيع معالجة العديد من القضايا الأهلية بصورة أكثر مثالية لكونها الأكثر التصاقاً بالمجتمع.
- ٤- إدراك قادة قوات الدعم السريع بالحقيقة لطبيعة تعقيدات المرحلة والمجتمع جعلها تتأى بنفسها عن ممارسة أي نوع من أنواع الحكم (في بادي الأمر) مما سهل للإدارة الأهلية مهامها في بسط الأمن في ظل غياب النظام الإداري للدولة.
- ٥- ضعف خبرة قوات الدعم السريع بالعمل الشرطي ساعد على عدم اكتشاف العديد من الجرائم المركبة التي تهدد أمن المجتمع.
- ٦- المحاكمات الإيجازية التي تقوم بها المحاكم الأهلية (المُشكّلة) لبعض الجرائم الكبيرة مثل جرائم القتل وتجارة المخدرات خفيفة وغير رادعة الأمر الذي قد يجعل الجناة يتمادون في ارتكابها في المستقبل في حال استمر الأمر على ما هو عليه الآن.

- ٧- عدم تمثيل عنصر النساء في اللجنة العليا المكونة من قبل الإدارة الأهلية والأعيان بالمحليه غيب خصوصية قضايا المرأة والطفل ودورها الطبيعي في المجتمع.
- ٨- اختصار دور الإدارة الأهلية في الجانب الأمني، وإهمال جانب الخدمات خلق فجوة خدمية كبيرة مع طول أمد المشكلة؛ مما حفز المجتمع لاحقاً لتدارك هذا الخلل عن طريق بعض المبادرات.
- ٩- آلية جمع الإعلانات المالية لقوات الدعم السريع المتمثلة في ملاحقة التجار كل أسبوع مملاة وغير عملية أفقدت الثقة بين التجار والغرفة التجارية من جانب، وقوات الدعم السريع والغرفة التجارية من جانب آخر.
- ١٠- وعي وإدراك مواطن المحليه بالمخاطر المحدقة ساعد على التعايش مع الظروف المؤقتة، وفقاً لرؤيه الإدارة الأهلية والأعيان.

ثانياً - التوصيات:

- بناءً على النتائج السابقة توصي الدراسة بما يلي:

 - ١- يجب تطوير اللجنة الإدارية العليا لتشمل بعض اللجان المساندة، بحيث تهتم بالخدمات والإنذار المبكر لبعض المخاطر المحتملة.
 - ٢- ضرورة مراعات تمثيل المرأة في اللجان الأهلية حفاظاً على حقوقها وتقديرأً لدورها في خدمة المجتمع.
 - ٣- تجربة الإدارة الأهلية في استدامة الأمن والحفاظ على تماسك المجتمع وصون مقدراته يجب أن تولي المزيد من الدراسات، بحيث يستفاد منها في نظم الإدارة والحكم في عموم البلاد.
 - ٤- يجب على قادة الدعم السريع (سلطة الأمن) التفكير في موارد بديلة لأن استمرار النثارات المقدمة طوعاً من قبل الغرفة التجارية أصبح مرهقاً للتجار واللجنة المكلفة بذلك (الطول الزمني) حتى لا تحدث قطبيعة بين الطرفين ينجم عنها خلل أمني يتضرر منه المواطن.
 - ٥- هناك بعض الخدمات تحتاج لتدخل عاجل بحيث يتم توفير مال بصورة عاجلة لمواجهة التحديات الخدمية لاسيما الخدمات الصحية التي تشهد تدهوراً مريعاً.
 - ٦- يجب التفكير بصورة جادة في كيفية إيجاد سجن لبعض المجرمين الذين تتم إدانتهم بالغرامة ولا يملكون قيمتها، فيليس من العدل أن يلزم ولـي الأمر بدفع الغرامة كما درجت المحاكم على ذلك.
 - ٧- يجب تشديد العقوبات وتنويعها على بعض الجرائم الكبيرة كالمخدرات وتجارة السلاح والحرابه لأن العقوبات الواردة ضعيفة لا ترقى لمستوى هذه الجرائم، فالتساهل فيها يؤدي إلى المزيد منها.
 - ٨- على الإدارة الأهلية وسلطة الأمر عقد اجتماعات دورية مشتركة لمزيد من التنسيق وإبداء الملاحظات؛ لأن ذلك من شأنه إحكام العمل صون أمن المجتمع.
 - ٩- على الجهات المسؤولة السماح للمنظمات الإنسانية بالتدخل العاجل في حالة إبداء رغبها على ذلك؛ لوجود ظروف إنسانية حرجة وسط الأسر الضعيفة والنازحة.

١٠- ضرورة ايجاد حل للمشكلة السياسية القائمة بأسرع وقت ممكن لأن جميع الإجراءات التي تمت في منطقة الدراسة مؤقتة ولا تقوم مقام الدولة، ولا يمكن أن تصمد لفترة طويلة دون أن يكون لها تداعيات.

١١- على طفي الصراع السعي الجاد للوصول لاتفاق سياسي يعيد مؤسسات الدولة لطبيعتها ويحفظ للمجتمع أمنه وسلامته.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم، مبارك يعقوب محمد(٢٠١٩) معوقات الإنتاج الزراعي في محلية كبكابية في الفترة من ١٩٩٠-٢٠١٥م ، رسالة دكتوراه غير منشورة، كلية الدراسات العليا جامعة الفاسير.
٢. إسحق، ياسر موسى يحيى، ومحمد، سعد يوسف عبيد (٢٠١٨) آفاق الحلول الاجتماعية لأزمة دارفور، مجلة جامعة زالنجي للعلوم التطبيقية والأداب العدد التاسع الجزء الثالث.
٣. الأصم. مختار. ١٩٨٣. الحكم المحلي في السودان. نشأته وتطوره وبعض قضيائاه. سودان بك شوب. الخرطوم. السودان.
٤. حسين، مستورة عبدالله وإسحق، عبد العزيز عبد الرحمن(٢٠٢٢) الفكي سنين أمير المهدية في الغرب، المكتبة الوطنية، الخرطوم.
٥. سليمان، سليمان محمد أحمد(٢٠٢٣م) قوات الدعم السريع – النساء والتمدد والطريق إلى حرب أبرييل ٢٠٢٣ م مركز أبحاث السودان، الخرطوم.
٦. شرفي . حسين محمد احمد. ١٩٩٢. صور من الأداء الإداري في السودان. دار جامعة الخرطوم للنشر. الخرطوم. السودان.
٧. علي. فاطمة الأمين. ١٩٩٩م. دور الآليات التقليدية في فض التزاعات القبلية. رسالة ماجستير. كلية الدراسات الاقتصادية والاجتماعية. جامعة الخرطوم.
٨. فيصل. أميمة أحمد: ١٩٩٩. فلسفة السلام وأثرها على الحكم والنزاع والنمو الاقتصادي. رسالة ماجستير. معهد الدراسات الإفريقية والأسيوية. جامعة الخرطوم.
٩. كوزي، سعيد علي (٤) (٢٠٠٠) الرعي المتنقل وأثره على البيئة والمجتمع بولاية شمال دارفور، دراسة تطبيقية على محلية كبكابية، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا جامعة الخرطوم.
١٠. كوزي، سعيد علي وسليمان، محمد يعقوب (٢٠٢٣) العوامل الجغرافية ودورها في حسم المعارك العسكرية دراسة جيو تاريخية تطبيقية على معارك الفك سنين مع السلطان علي دينار ١٨٨٩-١٩٠٩ م بمنطقة كبكابية - إقليم دارفور، مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية، المجلد (٩) العدد ٢٠٢٣-٢ م

١١. كوزي، سعيد علي ومحمد، أسمهان عبدالله محمد(٢٠٢٢م) مشكلات تعليم الرحل في ولاية شمال دارفور، دراسة تطبيقية على منطقة كبكابية، المجلة العربية للعلوم الإنسانية والاجتماعية العدد السابع عشر الجزء الثاني فبراير ٢٠٢٢م، عمان، الأردن.
 ١٢. موسى. ابراهيم الحاج. ١٩٧٠. التجربة الديمقراطية وتطور نظم الحكم المحلي في السودان. دار الجيل. بيروت. لبنان.
 ١٣. نعيم. علي جرقندي ١٩٩٢ تمويل الحكم المحلي في السودان. دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر. السودان.
 ١٤. محمد، ع. أ. ٢٠١٨. (الإدارة الأهلية في السودان: الجذور التاريخية والدور الاجتماعي والسياسي). الخرطوم: مركز الدراسات السودانية.
 ١٥. عبد الله، م. س. (٢٠١٧). (الإدارة الأهلية وبناء السلام في السودان: دراسة في أدوارها ومحدودياتها) الخرطوم: مركز دراسات السلام والتنمية.
 ١٦. إسماعيل، ن. ع. (٢٠٢٠). (تحولات الإدارة الأهلية في السودان: بين التقاليد والتحديات المعاصرة . أم درمان: دار جامعة أم درمان الإسلامية للنشر.
 ١٧. الطيب، ع. م. (٢٠٢١). (الإدارة الأهلية ودورها في بناء السلام المحلي: دراسة تحليلية . الخرطوم: المعهد السوداني لأبحاث السلام والتنمية.
 ١٨. ديوان الحكم الاتحادي: ١٩٩٩م تقرير عن محافظات وولايات السودان.
 ١٩. السلطة القضائية بالتعاون مع منظمة اليوناميد (٢٠١٨) دليل العمل القضائي للمحاكم الشعبية
 ٢٠. وزارة العدل (٢٠٠٢) قانون الغابات الطبيعية المتعددة، جمهورية السودان.
 ٢١. لائحة الإدارة الأهلية والناشطين لتأمين محلية كبكابية وضواحيها ٢٠٢٣م
 ٢٢. محضر اجتماعات اللجنة العليا للإدارة الأهلية والأعيان يونيو ٢٠٢٣م
 ٢٣. محضر محكمة الإدارة الأهلية سبتمبر ٢٠٢٣م
 ٢٤. محضر محكمة الإدارة الأهلية يناير ٢٠٢٤م أهم القضايا التي تم الفصل فيها
 ٢٥. محضر محكمة إدارة دارفيا الوسطى (٢٠٢٣م) أهم القضايا التي تم الفصل فيها
 ٢٦. محضر محكمة إدارة كوري الريفية (٢٠٢٣م) أهم القضايا التي تم الفصل فيها
 ٢٧. محضر محكمة إدارة الزيلات الريفية (٢٠٢٢م) أهم القضايا التي تم الفصل فيها
 ٢٨. محضر محكمة إدارة سمي كارا الريفية (٢٠٢٣م) أهم القضايا التي تم الفصل فيها
 ٢٩. محضر محكمة المدينة الريفية (٢٠٢٣م) أهم القضايا التي تم الفصل فيها
 ٣٠. محضر مجلس محلية كبكابية (١٩٩٧) مداولات الأجندة الخاصة بكيفية التمثيل في مجلس محلية.
 ٣١. وزارة التخطيط العمراني، الفاشر، قسم المساحة (٢٠٢٣م) خريطة منطقة الدراسة
- المصادر الأجنبية**

-R.S.O Fahey (1980) State and Society in Darfur, C Hurst & Company, London.

International Organization for Migration (IOM) (2024). Sudan: Internal and External Displacement Repot. Available at:

[Https://mena.iom.int](https://mena.iom.int).

-Human Rights Watch(HRW) (2024). Sudan Internal Displacement Crisis. Available at:

[Https://www.hrw.org](https://www.hrw.org).

-United Nation Office for the Coordination of Humanitarian affaires (OCHA).(2024). Sudan Humanitarian Update-January 2024. Available at:

[Https://reports.unocha.org](https://reports.unocha.org)

- Office of the United Nation High Commissioner for Human Rights (OHCHR) . (2024). Human Rights Repot on Sudan – January 2024. Available at:

<https://www.ohchr.org>

المقابلات الشخصية:

الرقم	الاسم	الصفة	تاريخ المقابلة
١	أبوشوك، عبدالله موسى	رئيس إدارة سمي كارا	٢٠٢٣/٨/١١
٢	أحمداي، الطيب أبكروة	رئيس إدارة سمي كارا	٢٠٢٣/٨/٢٥
٣	اسحق، إبراهيم سليمان	أمير قبيلة التاما	٢٠٢٣/٧/٢٩
٤	كوزي، يوسف علي	نائب رئيس محكمة الزيارات	٢٠٢٣/٨/٦
٥	سليمان، نور الدين أتيم	مساعد شرطة	٢٠٢٣/٨/٢
٦	عبدالباقي، عبد الباقي عبد الرحمن	رئيس إدارة سمي كارا	٢٠٢٣/٧/٢٥
٧	ريفة، عبد الصادق عبد الله	وكيل إدارة سمي كوري	٢٠٢٣/٨/٣

العلاقات السودانية السعودية في ظل التحولات السياسية بالسودان 1970-1969م

هاني محمد إبراهيم المكي^(٠)

المستخلص

يهدف هذا البحث إلى دراسة سياسة المملكة العربية السعودية من انقلاب مايو ١٩٦٩م في السودان، مع ترکيز خاص على أحداث الجزيرة أبا عام ١٩٧٠م باعتبارها لحظة محورية في تطور العلاقات السودانية السعودية، وتكمّن مشكلة الدراسة في كيف تأثرت العلاقات السودانية السعودية خلال الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠م بتحولات مايو ١٩٦٩م، وموقف السعودية من هذه التحولات. اعتمدت الدراسة على منهج تاريجي مدعوم بالوثائق والمصادر الأولية، بهدف تتبع ردود الفعل السعودية تجاه التحولات السياسية في السودان وفهم العوامل الإقليمية والدولية التي شكلت هذا الموقف، ويلخص البحث إلى إبراز الأبعاد السياسية والدينية للعلاقة بين البلدين خلال هذه الفترة، بما يعكس طبيعة ميزان القوى الإقليمي في أوائل سبعينيات القرن العشرين.

أهمية البحث:

- ١/ يكتسب هذا البحث أهميته من تحليل العلاقات السودانية السعودية خلال الفترة الحرجة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠م والتي شهدت تحولات سياسية داخل السودان كان أثر مباشر على موقف السعودية.
- ٢/ فهم طبيعة هذه العلاقات وبيان العوامل الإقليمية والدولية التي شكلت موقف السعودية تجاه حكومة مايو ١٩٦٩م، ودعمها للمعارضة في الجزيرة أبا ١٩٧٠م.

أهداف البحث:

- ١/ تحليل موقف السعودية تجاه التحولات السياسية في السودان خلال هذه الفترة.
- ٢/ تقييم دور المملكة العربية السعودية في دعم المعارضة خلال أحداث الجزيرة أبا وعلاقته بالتحولات الإقليمية.
- ٣/ ربط الأحداث الداخلية في السودان بالد الواقع الإقليمية والدولية لتفسير السياسة السعودية.
- ٤/ تقديم رؤية متكاملة للعلاقات السودانية السعودية في هذه الفترة المهمة تاريخياً.

أسباب اختيار الموضوع:

- ١/ أهمية الفترة الزمنية بالرغم من قصرها لكونها كانت محورية في تاريخ العلاقات بين البلدين.
- ٢/ نقص الدراسات التحليلية التي تناولت موقف السعودية تجاه السودان في تلك المرحلة.
- ٣/ إتاحة الفرصة لربط الأحداث الداخلية في السودان بالسياسات الإقليمية والدولية للمملكة العربية السعودية.
- ٤/ المساهمة في إثراء المعرفة بتاريخ العلاقات السودانية السعودية.

(٠) محاضر بقسم التاريخ، كلية الآداب والدراسات الإنسانية، جامعة دنقالا

منهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على المنهج التاريخي، من خلال المصادر الأولية والثانوية مثل الوثائق الرسمية والمذكرات الدبلوماسية والدراسات السابقة، وتحليل الأحداث السياسية والاقتصادية والاجتماعية لتفسير دوافع المملكة تجاه السودان.

مشكلة الدراسة:

كيف تأثرت العلاقات السودانية السعودية خلال الفترة من ١٩٦٩ إلى ١٩٧٠ م بتحولات مايو ١٩٦٩ م، و موقف السعودية من هذه التحولات ودعمها لالمعارضة في أحداث الجزيرة أبا ١٩٧٠ م، في ظل التحولات الإقليمية الدولية.

انقلاب مايو ١٩٦٩ م وبداية حكم نميري

تزايدت الرغبة في الاستيلاء على السلطة في السودان منذ تشرين الأول عام ١٩٦٩ م، من لدن مجموعة من الضباط على أثر اجتماع الضباط الأحرار، من أجل التباحث لقيام انقلاب عسكري في السودان، بعدأخذ رأي أغلبية الأصوات لتمكين الضباط من الاستيلاء على السلطة بعد وضع خطة الانقلاب، في وقت محدد عند تأسيس تنظيم الضباط الأحرار السوداني بعد قيام ثورة ٢٣ تموز عام ١٩٥٢ م في مصر واستلهام التجربة المصرية إلى جانبها الإداري، وجعل إدارة الشؤون السياسية العليا للبلاد من مسؤولية مجلس قيادة الثورة، الذي بدوره يشرف على تشكيل السلطة المدنية بعد الانقلاب، (حسين، ٢٠١٠، ٤٦). وبعد مناقشات على من يتولى قيادة الانقلاب وقع الاختيار على جعفر محمد نميري ففي مطلع عام ١٩٦٩ م أخذ مع مجموعة من الضباط الأحرار بوضع خطة الانقلاب، وأجرى تنقلاته بين وحدات الجيش السوداني التي بدأها من منطقة (خور عمر) شمال أم درمان، لغرض الاتصال بالضباط البالغ عددهم حوالي ٢٠٠ شخص، وكانت توجد في المنطقة فرقة من المدرعات ووحدات من المظلات التي تواجه فيها الضباط الأحرار (عطا الله، ٢٠١٥، ٦٤).

وبعد الاتفاق على خطة الانقلاب انطلق جعفر نميري إلى منطقة (خور عمر) التي تواجدت فيها فرقة من المدرعات وفرقة من المظلات التي كانت تقوم بالتدريبات هناك، علاوة على ذلك التقى جعفر نميري ببعض الضباط في التنظيم واتفقا على موعد تنفيذ الانقلاب المقرر في شهر مايو وذلك لكون أغلب الضباط الكبار في الجيش يسافرون إلى خارج البلاد، بسبب حرارة الجو، مما أعطى ذلك فرصة لجعفر نميري للسيطرة على العاصمة الخرطوم (الحلبوسي، ٢٠١٨، ٨٣).

اكتملت الصورة بوضع خطة تنفيذ الانقلاب والاستيلاء على السلطة، وذلك في مارس عام ١٩٦٩ م، إلا أن (٧) من مجموع (١٣) عضواً الذين حضروا الاجتماع كانوا معتبرين على تنفيذ الانقلاب، بحجة أن القوى الفاعلة في صفوف الشعب غير مهيأة، لا سيما أن أغلب المعتبرين كانت لهم صلة بالحزب الشيوعي السوداني، في حين بقية الأعضاء أصروا على الانقلاب، ولم يبدوا اهتمام لزملائهم المحسوبين على الشيوعيين الذين عرّفوا باسم عصابة الستة (حسين، ٢٠٠٩، ٢٢٠)، الذين كانوا يشغلون مواقع قيادية رئيسية في مدرسة المدرعات والقوات المطلية، وتأمروا سراً للقيام بالانقلاب بعد أسابيع تحت قيادة جعفر نميري، وأيدهم بالرأي بابكر عوض الله.

تحرك الجيش السوداني من ثكناته في ضوء تلك التطورات، الذي بلغ تعداده ٥٠٠ ضابطاً وجندي من منطقة خور عمر، لتنفيذ خطة الاستيلاء على السلطة، فكانت كلمة السر التي اختارها جعفر نميري وهي النصر لنا (العقد، د، ت، ١٤٩)، مخاطباً قواته أنها معركة حياة أو موت فإذا وقع أحد منا أسيراً فليقتل نفسه على الفور، ففي فجر يوم ٢٥ مايو عام ١٩٦٩ وصلت وحدات من المشاة والمظليين والمصفحات، إذ تمكنت من السيطرة على المطارات والقصر الجمهوري، وقطع كافة الاتصالات من أجل السيطرة على مقر مجلس الوزراء وجامعة الخرطوم دون أي مواجهة أو مقاومة مضادة (الدار العربية للوثائق، ١٩٧٧م).

تمكن الضباط الأحرار من السيطرة على الحكم في السودان تحت قيادة جعفر نميري والحزب الشيوعي السوداني والديمقراطيين العرب، Central Intelligence Agency (١٩٨١). في تلك الأثناء أكد نميري من خلال أول بيان له في إذاعة أم درمان قائلاً: إن بلاده لم تنعم بالاستقرار في الحكم منذ استقلال السودان عام ١٩٥٦م، وذلك بسبب تعدد الأحزاب السياسية التي كانت متمسكة بالسلطة، فعم الفساد والرشوة والنفوذ الأجنبي في البلاد لذلك عمل على حل الأحزاب السياسية وإلغاء الدستور، مؤكداً في الوقت نفسه على أن الثورة ستتولى منذ تلك اللحظة إدارة شؤون البلاد وتولي الحكم في السودان (الوثائق العربية، ١٩٦٩م، ٤٧٨)، لا سيما بعد تشكيل مجلسين مجلس قيادة الثورة المؤلف من (٩) أعضاء، برئاسة جعفر نميري، الذي أصبح برتبة لواء بعد ترقيته، ومجلس الوزراء الذي تشكل برئاسة بابكر عوض الله المؤلف من (٢١) وزيراً غالبيتهم من عناصر فعالة في الأحزاب السياسية السودانية، فضلاً عن مشاركة الأحزاب السودانية والاشتراكيين العرب القوميين (كرار، ١٩٨٥م، ٨).

عمدت السلطات الانقلابية إلى تصفية قادة النظام السابق وتم اعتقال رئيس مجلس السيادة اسماعيل الأهري رغم كبر سنه، فضلاً عن وضع محمد أحمد ممحوب رئيس الحكومة السابقة تحت الإقامة الجبرية في منزله، وشملت الاعتقالات قادة الأحزاب، فتم تصفية قسم منهم سياسياً والقسم الآخر تم محاكمتهم عند تشكيل محكمة الشعب ومن بقي على قيد الحياة عند قيام الانقلاب من قبل القادة العسكريين عام ١٩٦٩م (الحلبوسي، ٢٠١٨م، ٩٥) ذكر جعفر نميري في خطابه الأول الذي ألقاه في ٢ يونيو عام ١٩٦٩م "على أن أحزاب الأمة والوطني الاتحادي والشعب الديمقراطي وتواضعهم من الاخوان المسلمين، فقد برهنت ثورتنا أنهم أعداء شعبنا، لهذا تسلم الضباط الأحرار السلطة في السودان، بمساعدة الدول العربية، لا سيما ليبيا والمملكة العربية السعودية وثم اعادة الحكم العسكري في البلاد" (جميل، ٢٠١٩م، ٥).

وقد تم كشف أمر الاخوان المسلمين في جميع البلدان العربية بأنهم تنظيم رجعي ارهابي مرتبط بالاستعمار والرجعية العربية، مستغلين الدين في بلد يحترم أهله دينهم ويقدسونه في خط السياسة الاستعمارية، فكانوا ضد التقدم من خلال ارتباطهم مع المرجعية الطائفية السودانية عن طريق الحكومات السابقة، من خلال تدريس مناهجهم السابقة في المعاهد الدينية والجامعة الإسلامية، من

أجل ادخال السودان بالاًحلاف التي تبنتها المملكة العربية السعودية لا سيما الحلف الإسلامي (الكيلي، ٥٧١/٢).

زيارة جمال عبد الناصر إلى السودان وأبعادها السياسية:

كان انقلاب مايو ذا أهمية تاريخية كبرى في السودان، فقد أوضح بأن قضية أخذ السلطة من الأحزاب التي أخفقت في بناء السودان أصبح من الممكن، وأنها كانت نقطة تحول حاسمة في تاريخ السودان وتحديد مصيره العربي (بشار، ١٩٧٠، م ٣٣).

من خلال الموقف الوطني الذي تطلع إليه كل السودانيين، وليس بالخطب السياسية والتصريحات الرنانة من البعض الآخر، فضلاً عن ذلك أن الحكومة كانت حريصة على العمل في المجال العربي بادرالك تام على خلق الروابط والعلاقات في كافة المجالات السياسية والاقتصادية والعسكرية والثقافية مع الدول العربية الشقيقة، منها مصر والكويت والمملكة العربية السعودية، من أجل تقوية قاعدة الأمة العربية في سبيل القضية الفلسطينية ونضالها العربي ضد الكيان الصهيوني (نصر الله، ١٩٧١، م ٢٩٩).

رحب الرئيس جمال عبد الناصر بانقلاب عام ١٩٦٩ م الذي عده انتصاراً للثورة العربية القومية، التي على أثرها وقع السودان اتفاقية الوحدة الاقتصادية العربية في إطار الجامعة العربية عام ١٩٧٠ م، والوقوف مع القضايا المصيرية فكان أبرزها القضية الفلسطينية (حسين، ٢٠١١، م ٢٢٥) جاء ترحيب الرئيس جمال عبد الناصر للانقلاب ودعم جعفر نميري بعد انحياز الجنة الثلاثية التي تشكلت عام ١٩٦٧ م على قرار مؤتمر الخرطوم برئاسة محمد أحمد محجوب إلى جانب المملكة العربية السعودية وحمله مسؤولية ذلك (الحواتي، ٢٠٠٧، م ٢٣٧).

على أثره زار جمال عبد الناصر الخرطوم في الأول من يناير عام ١٩٧٠ م، وبدأت الصحف السودانية في عنوانين صفحاتها الأولى، التي أشادت بزيارة الرئيس جمال عبد الناصر إلى السودان، فضلاً عن اشادته بالنظام الجديد وسياسة الانقلاب، التي جسدت روح الإخاء العربي بين الشعوبين والدعم المصري على أثر هذه الزيارة (الحسن، ١٩٩٢، م ١٢٢).

وقد صرّح الرئيس جمال عبد الناصر لقد كانت ثوراتكم هنا في السودان دعماً عظيماً للنضال العربي والأمة العربية، وأملأ كثيراً لكل فرد من أبناء الأمة المناضلة العربية للمستقبل، بهذا كان معنى هذا التصريح بأن الاستعمار أراد أن يدمرنا فخرجتم أنتم هنا بالخرطوم ودمتموه وحررتتم الأرض (العالم العربي، ١٩٧٠، م ٥).

حاولت مصر من ذلك عزل السودان عدم ارتباطها والتقرّب من المملكة العربية السعودية، الأمر الذي دفعها إلى الوقوف بوجه ذلك التقارب، لا سيما بعد اعلان الانقلابيين بأن حركتهم ما هي إلا كجزء من حركة الثورة العربية، وضرورة اتجاه البلاد نحو النهج القومي العربي (أبو القاسم، ١٩٩٦، م ٣٩).

أما في مجال السياسة الداخلية في السودان بعد وقوع الانقلاب، إذ أخذ الحزب الشيوعي السوداني يشكل جبهة معارضة ضد الحكم الجديد، لا سيما بعد اتهام جعفر نميري الأحزاب المسؤولة عن

تدهور وتردي الأوضاع الاقتصادية، لذلك فقد تشكلت جبهة معارضة سميت بـ(جبهة المقاومة الشعبية) قوامها محمد نورالدين من حزب الأمة وحسن الترابي من جهة الميثاق الإسلامي، التي ترأسها الشريف حسين الهندي، ومن هنا بدأت الخلافات تظهر بين الحزب الشيوعي والقوميين العرب الناصريين، حول المشاكل التي كان يعاني منها السودان، لذلك رفع القوميين شعار الدين في وجه الشيوعيين المطالبين بالاشتراكية العربية، ونتيجة ذلك انقسم الحزب الشيوعي على نفسه، فاستغل ذلك الانقسام جعفر نميري للتخلص منهم، لا سيما بعد أن شكل أنصار الحزب الشيوعي قاعدة شعبية لها، وتواترت المنظمات التابعة له بدعم النظام الجديد(تاتا، ٢٠١٢م، ٣١).

لعبت المملكة العربية السعودية دوراً مهماً في السودان في انقلاب ٢٥ مايو عام ١٩٦٩ م بقيادة نميري، الذي واجه تهديدات بالقيام بنشاطات معاذية ضده من قبل الشيوعيين، الذين استلموا حقائب وزارة في حكومته، التي شكلها في يونيو عام ١٩٦٩ م، والتي توثقت علاقتها مع القاهرة وموسكو، يرى الباحث أن السعودية لعبت دوراً استراتيجياً في انقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩ م في السودان، من خلال دعم نميري في مواجهة القوى اليسارية والقومية التي استلمت حقائب وزارة، وسعها لإبقاء السودان بعيداً عن التأثير المصري والسوفيتي، وضمان بقائه ضمن دائرة النفوذ الخليجي الغربي، بما يعزز استقرار البلاد ويحمي مصالح السعودية السياسية والاقتصادية.

استقبلت المملكة العربية السعودية العناصر السودانية المعاذية لنظام الحكم الجديد في جدة، لا سيما الشريف حسين الهندي وحسن الترابي، متخذة من ذلك ظرفاً مناسباً للتدخل في شؤون السودان الداخلية مستفيدة من انشغال مصر على جهة السويس(خلف الله، ٢٠١٨م، ٧٥).

زيارة الوفد الحكومي السوداني إلى المملكة العربية السعودية.

في الثامن والعشرين من يونيو عام ١٩٦٩ م، تم إرسال وفد مثل الحكومة السودانية الجديدة إلى المملكة العربية السعودية، الذي تألف من بايكر عوض وزير الخارجية السوداني وأبو القاسم محمد ابراهيم والنائب الأول للرئيس النميري لمقابلة الملك فيصل ومستشاريه، وبالفعل تم اللقاء في اليوم التالي لمناقشة سير أوضاع علاقات المملكة العربية السعودية مع السودان السياسية والاقتصادية، لا سيما دور السعودية في تقديم الدعم لتلك الأحزاب الشيوعية بعد ما شرح الوفد للملك فيصل بن عبد العزيز أن الحكومة التي تشكلت ليست شيوعية(الجميلي، ٤٣، م ٢٠٢١)، رد الملك فيصل على أثر ذلك مستفسراً حول إذا لم تكن الحكومة شيوعية لماذا تم الاعتراف بألمانيا الشرقية من قبل الحكومة السودانية؟ وكان رد الوفد أن ألمانيا الشرقية دعمت القضية الفلسطينية، في الوقت نفسه أن ذلك القرار من قبل ألمانيا لم يتخذ من أجل الحصول على المساعدات وإنما على أساس المبدأ، في حين أقدمت الولايات المتحدة الأمريكية حلية المملكة العربية السعودية على تقديم المساعدات للكيان الصهيوني والاعتراف الفوري به(الوثانق العربية، ٤٨٧، م ١٩٦٩).

كما أخبر الوفد السوداني الملك فيصل بن عبد العزيز، أنهم قدموا إلى المملكة العربية السعودية لطلب الدعم المعنوي السياسي والاقتصادي والتفاهم، وليس من أجل الحصول على الدعم المالي كما فعل سياسيين سودانيين سابقين، أمثال اسماعيل الزهري والشريف الهندي التي أعطتهم المملكة

العربية السعودية مبالغ مالية عام ١٩٦٧ فتم تحويل جزء منها إلى جيوبهم الخاصة (١٩٦٩.F.C.O.). حاولت الولايات المتحدة الأمريكية الحصول على نسخة من تقرير المباحثات السعودية السودانية عام ١٩٦٩م، الذي كان فحواه تقديم السعودية كل الدعم للسودان، لا سيما بعد اقتراح حصولها على المساعدة عبر حليف المملكة العربية السعودية أثيوبيا، من خلال اقتراح الحكومة الأثيوبية عن طريق المستشارين السعوديين بتمرير الأموال والأسلحة إلى السودان، وبذلك أصبحت المملكة بصورة مباشرة أو غير مباشرة طرفاً في الانقلاب الذي وقع في السودان (١٩٦٩.F.C.O.).

صرح وزير الداخلية السوداني فاروق حمدنا الله، في ٥ آذار عام ١٩٧٠م ضمن إطار التدخل السعودي السياسي والاقتصادي في السودان، إلى إعلان الاتهام بحق (١٢٩) عضواً من أعضاء الأحزاب السياسية عن ممارسة نشاطهم التخريبي في السودان، وكان من ضمهم وزير المالية السابق حسين يوسف الهندي بتنظيم المؤامرات ضد الحكومة السودانية، بعد أدائه فريضة الحج في مكة وحصوله على تأييد من المملكة العربية السعودية بتقديم الدعم للمتأمرين ضد حكومة جعفر نميري (الوثائق العربية، ١٩٦٩م).

وبعد تدخل المملكة العربية السعودية في شؤون السودان الداخلية، ساد العلاقات بين البلدين نوعاً من التوتر، وأثار ذلك حفيظة السودان ومشاركته في تأسيس منظمة المؤتمر الإسلامي عام ١٩٦٩م التي دعت إليها المملكة العربية السعودية، فضلاً عن بروز الخلافات بين الدولتين عند انعقاد مؤتمر وزراء خارجية الدول الإسلامية (الجميلي، ٢٠٢١م، ٤٤)، في مدينة جدة السعودية لمدة من (٢٣-٢٥) مارس عام ١٩٧٠م، الذي على أثره صوت السودان برئاسة بايكر عوض الله وزير الخارجية ونائب رئيس مجلس قيادة الثورة ضد بعض المقترنات التي قدمتها المملكة العربية السعودية والتي كان من أبرزها:

- ١- إقامةأمانة سر المؤتمر الإسلامي بالمملكة العربية السعودية.
- ٢- الدعوة إلى عقد مؤتمرات القمة العربية الإسلامية سنوياً (الدار العربية للوثائق، ١٩٧٠م).

أحداث الجزيرة أبا

بقيت الحكومة في السودان برئاسة نميري تواجه التحدي الكبير من قبل طائفة الأنصار، التي أبدت معارضتها لحكومة جعفر نميري منذ أيامها الأولى، إذ كانت تمتلك قاعدة شعبية كبيرة لها، لا سيما بعد ما طلبت الحكومة السودانية في ٦ مارس عام ١٩٧٠م الدعم من جماعة أنصار الهادي المهدى، الذي وضع شرطاً من أجل التعاون مع حكومة جعفر نميري، تركزت على ابعاد الشيوعيين عن السلطة، وإطلاق سراح المعتقلين إلا أن الحكومة رفضت تلك الشروط فأعلن عام ١٩٧٠م التمرد ضد الحكومة من قبل جماعة الأنصار (شاكر، ١٩٨١م، ١١٨).

أعلن جعفر نميري في مارس عام ١٩٧٠م، عن زيارة منطقة النيل الأبيض بما فيها جزيرة آبا، فأرسل مبعوث إلى الهادي المهدى يعلم بزيارة، التي رفضها موكداً على أن الوقت غير مناسب، ونصح نميري

بعدم المجيء لتلك المنطقة، لا سيما أن نميري كان ملزماً على زيارتها والوقوف على أوضاعها(محجوب، ١٩٧٣ م، ٢٣٩)، وبالفعل بدأ نميري زيارته يوم ٢٤ مارس عام ١٩٧٠ م إلى منطقة النيل الأبيض متجاهلاً التصريحات من قبل زعيم الأنصار، عندما وصل إلى المنطقة خرجت مظاهرات حاشدة تندد بتلك الزيارة، وعند وصول الباخرة التي كانت تقل جعفر نميري إلى منطقة كوسى، حاول بعض الأنصار مسلحين بسلاسل مهاجمة موكب نميري ولكن سرعان ما تم تطويق الحشود الثائرة من أنصار الهادي من قبل قوات الأمن، التي أخذت بهتافات واستفزازات معادية للثورة، مما اضطر

جعفر نميري من قطع تلك الزيارة والعودة إلى العاصمة الخرطوم (العالم العربي، ١٩٧٠، م، ٤٠). قادت تلك الحادثة إلى تأزم الوضع في السودان، بعد إرسال وحدات من القوات المسلحة في ٢٨ مارس عام ١٩٧٠ م، حيث قامت بمحاصرة الجزيرة والقضاء على المتمردين ومطاردة جماعة الأنصار فضلاً عن القاء المنشورات على أهالي الجزيرة أبا من الطائرات في اليوم نفسه، التي كانت تدعو إلى الاستسلام حفاظاً على الأرواح وحقن الدماء في الجزيرة(جود، ٢٠٠٧، م، ٢٠٠٧).

بدأت الطائرات السودانية مع السلاح الجوي السوفياتي وبمشاركة الطائرات المصرية في ٢٩ مارس عام ١٩٧٠ م بقصف مواقع الأنصار داخل الجزيرة، باستخدام قذائف المدفعية من أجل اقتحامها من قبل قوة المشاة والمدرعات، ونتيجة ذلك القصف قتلت أعداد كبيرة من جماعة الأنصار، إضافة إلى سقوط الجرحى بسبب كثافة القصف على الجزيرة من قبل القوات المسلحة السودانية وحلفائها(الشريف، ٢٠٠٣، م، ١٣٣).

رأى الإمام الهادي ما تعرض له رجاله وأنصاره من قتل واستخدام العنف والقوة، فأمر أتباعه بالاستسلام في ٣٠ مارس من العام نفسه، فاستسلم قسم منهم وتم قتل العدد المتبقى في اليوم نفسه (الجميلي، ٤٦، م، ٢٠٢١)، أما الإمام الهادي نتيجة القصف المكثف على الجزيرة اضطر إلى الهرب مع قلة من أنصاره متوجهاً إلى الحدود الإثيوبية طالباً اللجوء من الإمبراطور هيلا سيلاسي، في الحادي والثلاثين من مارس عام ١٩٧٠ م، وقع اشتباك قرب منطقة الكرمل على الحدود السودانية الإثيوبية بين الإمام الهادي المهدى وحرس الحدود السوداني، أسفر عن مقتل الإمام وعدد من أنصاره، وقد أصدرت الحكومة السودانية حينها بياناً رسمياً أعلنت فيه خبر مقتله بالقرب من الحدود الإثيوبية (الجميلي، ٤٧).

كما أعلن نميري في اليوم نفسه عبر إذاعة أم درمان عن إنهاء حركة الإمام المهدى والقضاء عليها، مؤكداً أن مصلحة الوطن تعلو على أي خلافات سياسية أو حزبية، ومشيراً إلى بقاء القوات الحكومية في الجزيرة أبا لاستقبال من سلموا أنفسهم من أنصار الإمام المهدى، تم اعتقال عدد كبير من أفراد أسرته المشاركين في الأحداث، وقد ذكر بعض سكان المنطقة أن عناصر أجنبية كانت تتولى تدريب أنصار الإمام قبل ذلك، وفي أوائل أبريل من العام نفسه، ضبطت القوات كميات كبيرة من الأسلحة والذخائر أمريكية وبريطانية الصنع، كانت مخبأة في مخزن تحت الأرض، ونقلت بواسطة القطار إلى الخرطوم، كما عثر في منزل الإمام على أسلحة إضافية ووثائق تشير إلى وجود صلات مع الجهة المذكورة سابقاً ومع إثيوبيا(العالم العربي، ١٩٧٠، م، ٨٨٧).

عقب مقتل الإمام الهادي المهدي وخروج الصادق المهدي إلى المنفى في ٣ أبريل عام ١٩٧٠م (كوليزي، ٢٠١٥م، ١١٩).

صادرت السلطات السودانية ممتلكات وأراضي أسرته، وتمكن الشريف حسين الهندي من مغادرة الجزيرة والوصول إلى إثيوبيا، حيث التقى الإمبراطور هيلا سيلاسي الذي وافق على استضافة المعارضين السودانيين، قبل أن ينتقل إلى السعودية في السابع من أبريل بعد منحه حق اللجوء (الحلبوسي، ٢٠١٨م، ١٠٦).

تأثير أحداث الجزيرة أبا على العلاقات السودانية السعودية

أدى تمرد أنصار الهادي في الجزيرة أبا إلى توتر العلاقات بين السودان والسعودية، خصوصاً بعد اهتمام الخرطوم للرياض في ٤ أبريل بمعرفة مسبقة بالحركة استناداً إلى وثائق زعمت دعمها للمتمردين (الدار العربية للوثائق، ١٩٧٠م).

كشف الرائد فاروق عثمان حمدى الله، عضو مجلس الثورة ووزير الداخلية، ووزير الخارجية فاروق أبو عيسى، عن العثور على وثائق تتعلق بمؤامرة الجزيرة أبا، تضمنت إشارات إلى تورط أنصار حزب الأمة وجماعة الإخوان المسلمين، بدعم من منظمات إخوانية في المملكة العربية السعودية (العالم العربي، ١٩٧٠م، ٨٨٨).

اتهم حمدى الله الحكومة السعودية في اليوم نفسه، بتقديم العون لتلك العناصر بعد اجتماعها بهم في قصر الزهراء بمدينة جدة مطلع مارس ١٩٧٠م، إضافة إلى قيامها بتجنيد عدد من المدرسين المؤفدين إلى السودان عقب انقلاب ٢٥ مايو ١٩٦٩م للعمل ضد السلطة الجديدة في السودان (العالم العربي، ١٩٧٠م، ٨٨٩).

أصدرت الحكومة السعودية في الرابع من أبريل ١٩٧٠م بياناً رسمياً نفت فيه تلك الادعاءات، التي رفضها الملك فيصل بن عبد العزيز، مؤكداً على أن المملكة العربية السعودية حريصة على عدم التدخل في الشؤون الداخلية سواء كان في السودان أو غيرها من الدول، وعلق وزير الداخلية السوداني للصحافة السودانية في نهاية أبريل عند زيارته للجزيرة أبا أن المؤامرة كانت تعتمد على ثلاث عوامل هي المال والدعم السياسي والأمداد بالسلاح والتدريب، خاصةً أن المال الذي أشتري به السلاح لجماعة أنصار الإمام الهادي، كان يبعث من المملكة العربية السعودية، وتشحن الأسلحة إلى إثيوبيا بالجمال إلى نقطة بالقرب من منطقة الكرمك، أو تشتري منها وتهرب بعد ذلك إلى السودان وبمساعدة الأثيوبيين بتمرير الأموال والأسلحة إلى طائفة الأنصار، بعد اقناع الحكومة الأثيوبيية من قبل السعودية بفعل ذلك (الجميلي، ٤٩م، ٢٠٢١)، لأن العناصر التي قامت بمؤامرة كانت تدخل من المملكة العربية السعودية وأثيوبيا، وأن الشريف حسين الهندي الذي هرب من السودان عن طريق أثيوبيا منها اتجه إلى المملكة العربية السعودية، إضافة إلى ذلك كانت مجموعة من جماعة الإخوان المسلمين تقيم في السعودية منهم الدكتور الترابي وبعض أنصار الإمام الهادي وينذهبون إلى أثيوبيا قبل مجيئهم إلى السودان (العالم العربي، ١٩٧١م، ٥٩٠).

وقد كشفت الحكومة السودانية على لسان وزير داخليتها فاروق حمدنا الله، بعد انتهاء أحداث عملية الجزيرة أبا عن العثور على رسالة بعثها الإمام الهادي المهدى إلى الملك فيصل بن عبد العزيز اطلعه فيها على كل مكان يدور من أحداث في السودان قبل مقتله، وأفادت بأن مجموعة من أنصار الإمام المسلمين قد تجمعت داخل الجزيرة أبا، كما توافرت وثائق تشير إلى أن بعض القيادات في المملكة العربية السعودية كانوا على دراية مسبقة بما يعتقد أنه مؤامرة ضد الحكومة السودانية (الدار العربية للوثائق، ١٩٧٠).

الخاتمة

على ضوء ما تقدم، يمكن القول بأن موقف المملكة العربية السعودية من انقلاب مايو ١٩٦٩ في السودان وأحداث الجزيرة أبا جاء انعكاساً لتشابك العوامل الأيديولوجية والسياسية والاستراتيجية في بيئه إقليمية شديدة الاستقطاب.

فقد مثل النظام الماوي، بتوجهاته اليسارية وتقاربه مع التيار القومي العربي، تحدياً مباشراً للمعسكر المحافظ الذي كانت الرياض أحد أركانه الرئيسة، وهو ما أوجد أرضية للتقرب بينهما وبين القوى التقليدية السودانية وعلى رأسها جماعة الأنصار، وقد كشفت أحداث الجزيرة أبا عن حجم هذا التوتر، حيث اندمجت التحالفات الداخلية مع الحسابات الإقليمية لتشكيل مسار المواجهة، ومن ثم فإن دراسة هذا الموقف لا تsem في فهم طبيعة السياسة الخارجية السعودية تجاه السودان في تلك الفترة فحسب، بل تفتح أيضاً أفقاً أوسع لتحليل تأثير التفاعلات الإقليمية على مسار التحولات السياسية الداخلية في السودان خلال النصف الثاني من القرن العشرين.

النتائج

- ١ / ارتباط الموقف السعودي بالسياق الإقليمي للحرب الباردة أظهرت الدراسة أن الموقف السعودي من انقلاب مايو ١٩٦٩ وأحداث الجزيرة أبا لم يكن معزولاً عن الانقسام الإقليمي بين المعسكرين المحافظ واليساري في العالم العربي، حيث مثل السودان إحدى ساحات هذا التنافس.
- ٢ / الدافع الإيديولوجي والسياسي للموقف السعودي تبيّن أن التحفظ السعودي على النظام الماوي ارتبط بتوجهاته اليسارية وتقاربه مع التيار القومي العربي، ما دفع الرياض إلى تبني موقف داعم سياسياً ومعنىًّا للقوى التقليدية المناوئة لمايو.
- ٣ / أهمية الروابط التاريخية مع القوى التقليدية السودانية وأثبتت التحليل أن العلاقات التاريخية والدينية مع جماعة الأنصار وحزب الأمة لعبت دوراً في تشكيل موقف السعودية، وجعلتها طرفاً معنوياً في الصراع الذي انتهى بأحداث الجزيرة أبا.
- ٤ / تداخل العوامل الداخلية والخارجية في تشكيل الأحداث أوضحت النتائج أن المواجهة بين النظام الماوي وجماعة الأنصار لم تكن شأناً داخلياً صرفاً، بل تأثرت بالحسابات الإقليمية والتحالفات العابرة للحدود.

٥ / استمرار أثر تلك الحقبة على السياسة السودانية خلصت الدراسة إلى أن تلك المرحلة أسست لخطوط انقسام سياسي واجتماعي ظلت حاضرة في المشهد السوداني لعقود، كما شكلت نموذجًا لتأثير التوازنات الإقليمية على المسار الداخلي.

الوصيات

١/ التركيز والاعتماد على المصادر الأولية لتوضيح سياسة المملكة تجاه السودان بتسهيل الحصول عليها للباحثين والمتخصصين في الشأن.

٢/ دراسة تأثير السياق الإقليمي والدولي على سياسة السعودية تجاه السودان.

٣/ تقييم تأثير المواقف السعودية على الاستقرار السياسي والاقتصادي في السودان.

قائمة المصادر والمراجع:

١. ابتسام محمود جواد، ٢٠٠٧م، **الأوضاع السياسية في السودان ١٩٦٩-١٩٨٥**، أطروحة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية البنات، جامعة بغداد.
٢. بركات موسى الحواني، ٢٠٠٧م، **قراءات جديدة في العلاقات السودانية المصرية**، مكتبة مدبولي، القاهرة.
٣. جورج خوري نصر الله، ١٩٧١م، **الوثائق الفلسطينية لعام ١٩٦٩**، وثيقة رقم ٣٠٠، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ط١.
٤. الدار العربية للوثائق، ملفات العالم العربي، س ن / ١١٠٢، وثيقة رقم ٦٧٠، بيروت ١٥ حزيران ١٩٧٧م.
٥. الدار العربية للوثائق، ملفات العالم العربي، س ن - ١ / ١٣٠٣، وثيقة رقم ٢٢٤٨، بيروت ١٩٨٢/١١/٢٤م.
٦. رشا محمد خلف الله، ٢٠١٨م، **دور الدبلوماسية في تطوير العلاقات الإقليمية دراسة حالة العلاقات السودانية السعودية**، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الدراسات العليا، جامعة النيلين، السودان.
٧. روبرت أو. كوليزي، ٢٠١٥م، **تاريخ السودان الحديث**، ترجمة (مصطفى مجدي الجمال)، راجعه (حلبي شعراوي) مكتبة الأسرة، القاهرة.
٨. روعة تاتاي إسماعيل، ٢٠١٢م، **تاريخ السودان**، مجلة كلية الآداب، جامعة الخرطوم، العدد (٤٠)..
٩. سرحان غلام الدين حسين العباسي، ٢٠٠٩م، **التطورات السياسية في السودان المعاصر ١٩٥٣-٢٠٠٩**، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١.
١٠. سرحان غلام حسين، ٢٠١٠م، **الانقلاب العسكري الثاني في السودان فترة حكم المشير جعفر محمد النميري ١٩٦٩-١٩٨٥**، مجلة مركز المستنصرية للدراسات العربية الدولية، العدد (٣٠)، بغداد.

١١. سعد محمود فرحان الجميلي، ٢٠٢١م، سياسة المملكة العربية السعودية تجاه السودان ١٩٦٧-١٩٨٩م، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة الأنبار، كلية التربية للعلوم الإنسانية، قسم التاريخ.
١٢. العالم العربي، وثائق- أحداث- وآراء سياسية، دار الأبحاث والنشر، آذار ١٩٧٠- ١٩٧١م.
١٣. عامر العقاد، د.ت، وجاء مايو دراسة الكفاح الوطني السوداني، دار الجيل للنشر والتوزيع، ط١، بيروت.
١٤. عباس محمد جميل، ٢٠١٩م، موقف منظمة الوحدة الأفريقية من قضايا جمهورية السودان ١٩٦٩-١٩٨٥م، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية التربية، جامعة واسط.
١٥. عصام مشعل الحلوسي، ٢٠١٨م، الحركات الإسلامية في السودان ١٩٦٩-١٩٨٥م، مؤسسة ثائر العصامي للطباعة، بغداد.
١٦. علي عط الله محمد كاظم، ٢٠١٥م، التحولات السياسية في السودان ١٩٦٩-١٩٨٩م، رسالة دكتوراه، غير منشورة، كلية التربية، جامعة تكريت.
١٧. محمد أبو القاسم حاج حمد، ١٩٩٦م، السودان المأزق التاريخي وآفاق المستقبل ١٩٥٦- ١٩٩٦، ط٢، دار المجد للنشر.
١٨. محمد أحمد كرار، ١٩٨٥م، الحركة الوطنية والصراع مع مايو، دار الفكر، ط١، الخرطوم.
١٩. محمد احمد محجوب، الديمقراطية في الميزان، دار النهار، ط١، بيروت، ١٩٧٣م.
٢٠. محمد سعيد محمد الحسن، ١٩٩٢م، عبدالناصر والسودان، ميدلait المحدودة للنشر، لندن.
٢١. الوثائق العربية لعام ١٩٦٩، وثيقة رقم ٢٥٤، مكتبة نعمة يافث التذكارية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٩م.
٢٢. الوثائق العربية لعام ١٩٦٩، وثيقة رقم ٢٦٢، مكتبة نعمة يافث التذكارية، الجامعة الأمريكية، بيروت، ١٩٦٩/٦/١م.
٢٣. يوسف الشريف، ٢٠٠٣م، السودان وأهل السودان وخفايا المجتمع، دار الشروق، القاهرة.
٢٤. يوسف محمد بشاره، ١٩٧٠م، حول قيام التنظيم الشعبي لثورة مايو السودانية، دار الطليعة للطباعة، بيروت، ط١.
1. F.c.o.93/2532,File no. NFB3/343/1. Title Saudi, Sudanese- Ethel opian Relations. 2 Joly, 1969.
 2. F.c.o.93/2532,File no. NFB3/343/1. Title Saudi, Sudanese- Ethel opian Relations. 2 Joly, 1969.
 3. u s a , c I a, sedans Nigeria, more problems and fewer options, November, 1981.g

أسباب وأثار انتشار مرض الملاريا بمدينة كوسٰي ولاية النيل الابيض

د. إسراء أحمد عبد الله الخليفة البشير^(*)

د. عمر فضل المولى علي زياد

د. عفراء علي عبد القادر

المستخلص:

تناولت هذه الدراسة، أسباب وأثار مرض الملاريا بمدينة كوسٰي ولاية النيل الابيض تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على مرض الملاريا ومعرفة الأسباب والعوامل التي أدت إلى انتشاره والأثار الناتجة عنه. وتمثلت مشكلة البحث في الأسباب والعوامل التي ساعدت في انتشار مرض الملاريا في منطقة الدراسة، اتبعت الدراسة عدة مناهج في هذه الدراسة ومنها: المنهج التاريخي، والمنهج الوصفي التحليلي، والمنهج الإحصائي، والمنهج الاستدلالي والمنهج الاستقرائي. توصلت هذه الدراسة على عدة نتائج فقد أكدت أنه بالرغم من الدور الذي تلعبه خصائص البيئة الطبيعية في انتشار وجود المرض بالمنطقة إلا أنها لا تعمل بمفرز عن العوامل البشرية. أكدت الدراسة أن مرض الملاريا ينتشر في جميع فصول السنة بالمنطقة وأكثرها فصل الخريف واكذ ذلك ٨٩,٣٪ من المبحوثين، وأيضاً أوضحت الدراسة ضعف طرق المكافحة بالمنطقة وعدم كفايتها لمحاربة المرض وسلوك الإنسان الغير مسؤول تجاه بيئته. وأيضاً أظهرت الدراسة أن سوء التصريف بالمنطقة له أثر كبير في انتشار المرض حيث أكد ٨٢,٤٪ من السكان أنه ساهم في تراكم مياه الخريف. وتوصلت الدراسة أيضاً إلى أن مشكلة الكسور في شبكة المياه لها الأثر الواضح في انتشار المرض خاصة فصول السنة الأخرى وبنسبة ٧٣,٧٪. وأخيراً أظهرت الدراسة أن هناك آثار اقتصادية واجتماعية ناتجة من انتشار الملاريا في المنطقة خاصة التأثير على القوة العاملة.

المقدمة

بما أن الجغرافيا هي دراسة العلاقة بين الإنسان وب بيئته الجغرافية وأن هذه العلاقة تظهر بصرة جلية في أمراض الإنسان ومشكلاته الصحية، فمن المنطق أن تمثل الجغرافيا الطبيعية فرعاً أساسياً من الفروع الجغرافية. (شرف، ١٩٩٣، ١).

والجغرافيا الطبيعية تختص بدراسة التوزيع الجغرافي للأمراض وإبراز العلاقة بينها وبين عناصر البيئة الطبيعية والبشرية، وتقويم آثارها السلبية على حياة الإنسان وأحواله المعيشية والاقتصادية وعلى قدراته المختلفة والبحث عن أساليب مكافحتها والوقاية منها ومدى توفر الخدمات الطبية والصحية الالزمة لعلاجيها. (الحسن- ٤- ٢٠١٦)

(٠) أستاذ مساعد جامعة الامام المهدى كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الجغرافيا

(*) أستاذ مساعد بجامعة الإمام المهدى كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الجغرافيا

(*) أستاذ مساعد جامعة الإمام المهدى كلية الآداب والعلوم الإنسانية - قسم الجغرافيا

تعتبر الجغرافيا الطبية حلقة الوصل بين الجغرافيا من ناحية والطب من ناحية آخر حيث يخدم كل مهما الآخر دون أن يخرج أي منها على حدود تخصصه (شرف، ١٩٩٣، م، ١٠).

وفي هذه الدراسة محاولة لمعرفة مرض الملاريا عوامل انتشاره ومما لا شك ان الملاريا قد لازمت الإنسان منذ مراحل حياته الأولى ومن المعتقد أنها نشأت في أفريقيا حيث ثُر على بعض حفريات البعوض في تراكيب جيولوجية عمرها ثلاثة مليون سنة وأنها أخذت تنتشر مع انتشار الإنسان الأول وهجراته (شرف، ١٩٩٣، م، ٢٦٩).

وتعتبر الملاريا في الوقت الحاضر من أخطر الأمراض الوبائية وأوسعها انتشاراً في الأقاليم الحارة والدافئة ولا تقتصر خطورتها على ارتفاع معدل وفياتها فحسب بل وعلى ما ينتج عنها من إهدار للطاقة وتعتبر من أكثر المعوقات المرضية التي تعرّض خطط التنمية في معظم الدول النامية في قاريء إفريقيا وأسيا بصفة خاصة. (شرف، ١٩٩٣، م، ٢٧٠).

السودان واحد من الأقطار التي تنتشر فيها الملاريا فقد ساعد موقعه في المنطقة المدارية على استيطان هذا المرض في أجزاء مختلفة منه ويعتمد توزيع المعدلات الوبائي الملاريا في السودان على موسم انتقال العدوى والذي يعتمد بدوره على الظروف البيئية المناسبة مثل درجات الحرارة والأمطار والرطوبة (شرف، ١٩٨٦).

تناولت هذه الدراسة مرض الملاريا في مدينة كوسٍي عوامل الانتشار وطرق المكافحة حيث تكمن المشكلة في أن ولاية النيل الأبيض عموماً تعاني من ارتفاع كثافة البعوض بسبب طبيعتها الجغرافية وجريان النيل الأبيض في شكل مسطحات مائية متقطعة الأمر الذي يحدث بؤرة صالحة لتوالد البعوض بكثافة الإصابة بالملاريا.

تعتبر منطقة كوسٍي - خاصة - من المناطق ذات الأمطار الغزيرة في فصل الخريف مما يؤدي إلى تراكم المياه التي تؤدي إلى توالد البعوض المسبب للملاريا وأيضاً يوجد هناك سوء في التصريف في المنطقة نسبة لوجود التربة الطينية قليلة النفاذية مما يؤدي إلى تراكم المياه وتلال البعوض.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة البحث وأسئلته في الأسئلة التالية:

ما هي الأسباب والعوامل التي ساعدت في انتشار مرض الملاريا في منطقة الدراسة؟

١- هل ساعد تراكم مياه الأمطار في فصل الخريف على تفاقم مشكلة المرض في منطقة الدراسة؟

٢- هل هناك آثار تسرب في توصيات شبكة مياه الشرب مما أدى للتسبب في انتشار المرض في منطقة الدراسة؟

٣- هل هناك دور لعدم الاهتمام بصحة البيئة وعدم كفاية الخدمات الصحية وطرق المكافحة والعلاج للمرض مما أدى إلى انتشار مرض الملاريا في منطقة الدراسة؟

٤- هل هناك أثر للوضع الاقتصادي والاجتماعي للسكان نتيجة لانتشار مرض الملاريا بالمنطقة؟

أهمية البحث:

تأتي أهمية البحث من أهمية الصحة وأثرها في التنمية بالنسبة للسكان في مدينة كوسكي. ويهتم البحث بدراسة عوامل انتشار مرض الملاريا في مدينة كوسكي ومعرفة طرق العلاج والوقاية منه وطرق المكافحة الآثار الاقتصادية والاجتماعية التي تنتج من المرض على السكان، ووضع حلول للتقليل من الإصابة بالمرض ويساعدهم على التخطيط للبرامج الصحية والوقائية بمنطقة كوسكي للحد من انتشار المرض.

أسباب اختيار الموضوع:

جاء اختيار هذا الموضوع نسبة لانتشار هذا المرض في منطقة الدراسة بصورة كبيرة كما أن الاهتمام بالنواحي الإكلينيكية للمرض دون البحث في النواحي الجغرافية المتباينة والتي لها الأثر الواضح في انتشار المرض كان لها الأثر الكبير في دفع الباحثون لدراسة العوامل الجغرافية وتوضيح أثرها الفعال في المرض.

أهداف البحث:

تتمثل أهداف الدراسة في التعرف على أسباب انتشار مرض الملاريا. الآثار الناتجة عنه والدفع ببعض التوصيات للجهات ذات الصلة للحد من انتشار المرض.

فرضيات البحث:

- 1- طبيعة التصريف الغير جيد وكسر توصيلات شبكة المياه وقلة نفاذية التربة بمنطقة الدراسة ساهم في تراكم المياه الذي ساعد في توالي البعوض وبالتالي انتشار المرض.
- 2- ممارسات المواطنين الخاطئة في قفل المجاري بالأوساخ عمل على تراكم المياه وبالتالي توالي البعوض وانتشار المرض.
- 3- عدم اهتمام إدارات الصحة الوقائية بعمليات الرش والتوعية الصحية ادي انتشار المرض.

مناهج الدراسة:

اعتمدت الدراسة على عدة مناهج تمثلت في المنهج التاريخي المنهج الاستدلالي والاستقرائي والوصفي التحليلي الإحصائي.

مصادر جمع البيانات:

اعتمدت هذه الدراسة على نوعين من المصادر:

1. المصادر الأولية: تمثل في الملاحظة والمقابلة والاستبيان.
2. المصادر الثانوية: أهمها المصادر والمراجع والكتب ذات الصلة بموضوع الدراسة إضافة إلى التقارير والوثائق الرسمية التي تم الحصول عليها من بعض الجهات مثل إدارة الإحصاء السكاني وال محلية بالإضافة إلى الدراسات السابقة والانترنت.

الحدود المكانية والزمانية:

أولاً: الحدود المكانية:

1_ الحدود الفلكية:

يتمثل الإطار المكاني للدراسة على مدينة كوسى بحدودها الجغرافية المعروفة في موقع فلكي بين دائري عرض (١٠٣°_١٠٥° شمالاً) وخطي طول (٣٠٢,٣٠_٣٠٤,٥٥ شرقاً). (إدارة المساحة كوسى ٢٠١٧م)

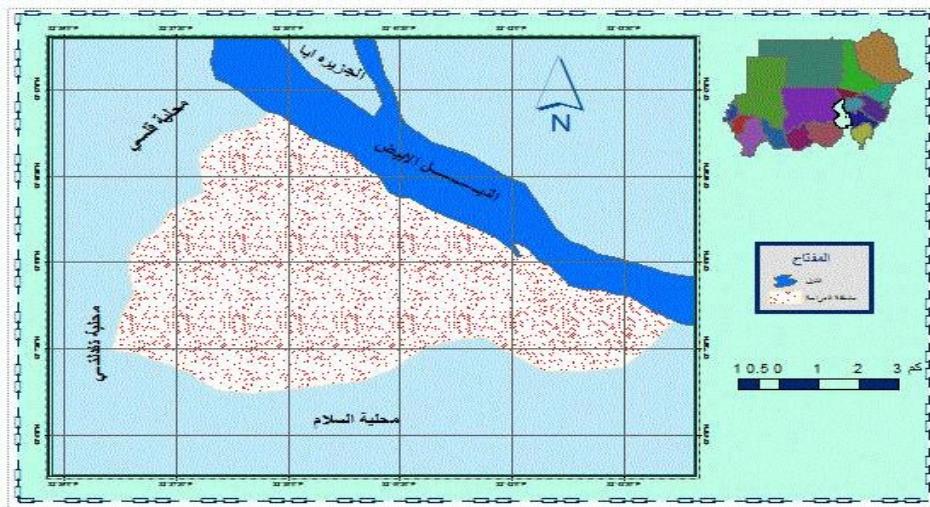
٢. الحدود الجغرافية:

يقع المجال الجغرافي لمنطقة الدراسة على الضفة الغربية للنيل الأبيض، تحددها من الشمال محلية قلي ومن الجنوب محلية السلام ومن الغرب مدينة تندلي ومن الشرق النيل الأبيض الذي يفصلها عن مدينة ربك عاصمة الولاية. كما موضح في الخريطة (١) (إدارة المساحة كوسى ٢٠١٧م)

ثانياً: الحدود الزمانية :

أما الحدود الزمانية للدراسة تمثل في الفترة من ١٩٨٠ م_٢٠١٦ م

خريطة رقم (١) توضح موقع منطقة الدراسة



الدراسات السابقة:

- دراسة (Smith ٢٠٠٠م) حاولت الدراسة الإجابة على أحقية الإنسان في البيئة هل الأغنياء أم الفقراء؟ ومن التيارات التي ناقشت هذه الجدلية تيار الصحة البيئية في الدول المتقدمة التي تناولت بضرورة تقليل الملوثات التي تؤثر على الصحة ومساعدة الدول الفقيرة في التحكم في الأمراض خاصة الملاريا، وتحسين مياه الشرب كما تناول الدراسة باتاحة المعلومات في الإطار العالمي.

- وتناول (Hespanhol ١٩٩٤م) الآثار الصحية للتنمية الزراعية في المناطق المدارية مؤكداً أن التنمية الزراعية أدت إلى انتشار أكثر من ثلاثة مرض أهمها مرض الملاريا والبلهارسيا كما أكدت الدراسة أن مدخلات الإنتاج خاصة المياه والمبيدات أثرت على صحة البيئة ومن ثم صحة الإنسان.

- في دراسة (prothero ١٩٦٥م) حاولتربط مرض الملاريا بعامل الهجرة، وتوصلت الدراسة في أن الهجرة عامل مؤثر في الإصابة بالأمراض لا سيما مرض الملاريا، وأجريت الدراسة تطبيقاً على

غرب وجنوب شرق أفريقيا وفي السودان أشارت الدراسة إلى تأثير المشاريع وهجرة العمالة الزراعية على الإصابة بالأمراض خاصة في منطقة الجزيرة.

- دراسة سهير الماحي خلف الله عبدالله ٢٠١٢م عن العوامل الجغرافية لانتشار مرض الملاريا في محلية الحصا حاصبا، خلصت الدراسة إلى أن العوامل الطبيعية والبشرية تساعد على انتشار مرض الملاريا بالمنطقة وذلك في المؤشرات الآتية:

- المكان ذو صلة وثيقة بانتشار مرض الملاريا.

- مرض الملاريا ينتشر طول فصول السنة خاصة فصل الخريف.

- جملة حالات الإصابة بمرض الملاريا يعانون من الإصابة بأمراض أخرى.

وأوصت الباحثة بالآتي:

- الاهتمام بالجانب الوقائي للتقليل من انتشار مرض الملاريا.

- الصيانة الدورية لمنشآت الري وتوفير آليات لازالت الطهي والخشائش من قنوات المياه لمنع توالد البعوض.

دراسة لمياء ابراهيم احمد (١٩٩٨م): عن الملاريا والآثار الاقتصادية والاجتماعية المترتبة على انتشارها في ولاية الخرطوم أوضحت أن الملاريا تشكل معضلة أساسية بالنسبة للصحة في الولاية حيث يستمر نقل عدوبتها على مدار السنة وتكثر إصابتها ما بين ٤-٣ مرات وأرجعت الدراسة ذلك إلى انتشار البعوض بصورة كبيرة خاصة إبان فترة الخريف حيث يعد أكثر الفصوص انتشاراً للملاريا، وأوضحت كذلك أثر الهجرات الوافدة إلى الولاية وأثرها الواضح في انتشار المرض.

دراسة شذى إسماعيل الأمين ٢٠٠٣م: عن أثر العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية على مرضي الملاريا والإسهال والتيفويد بمنطقة المناقل، اهتمت هذه الدراسة بتناول أثر العوامل الجغرافية على المرض تحديداً الملاريا والإسهال والتيفويد أكدت نتائج الدراسة أنه على الرغم من الدور الذي تلعبه الخصائص الطبيعية في انتشار وجود المرض إلا أنها لا تعمل بمفرز عن العوامل البشرية وتحتفل النتائج أن العامل الاقتصادي من أقوى العوامل المؤثرة على ازدياد المرضى كما تؤكد على دور الإنسان السلبي تجاه مكافحة ودرء المرض وسلوكه الغير مسؤولة تجاه البيئة.

- وأن هناك عجز واضح في الخدمات الصحية المقدمة للإنسان في المنطقة من قبل الجهات المسؤولة: - وأوصت الباحثة على أهمية دعم وزارة الصحة لبرنامج مكافحة متكاملة تشارك فيه كل الفئات والجهات المعنية.

- الوعي الصحي والبيئي بين أفراد المجتمع لأنه الأساس في محاربة الأمراض.

- على الحكومة ومن يمثلها في المحليات وضع مخطط صحي مع مراعاة التباينات البيئية في كل محلية.

- على مستوى الفرد فإن معايير الطبيب فيها حماية للفرد والمجتمع لأن هذا الشخص باهتمامه بنفسه لا يكون مستودع لا يمرض.

مفهوم الانتشار وأنواعه:

اختلفت وتعددت المعاني في تعريف كلمة الانتشار، وذلك باختلاف المجالات المستخدمة فيها هذه الكلمة، منها الانتشار الثقافي، والانتشار الحضري، وانتشار المرض وغيرها. الانتشار الثقافي يعني أن هنالك انتشاراً للأفكار الآلات والمخترعات الطبية والأدوية ووسائل العلاج، طرق الوقاية في شتى أنحاء العالم وقد أدى انتشار الحضارة أيضاً إلى انتقال وتطور الوسائل الصحية المختلفة، أما التنمية وانتشارها فلها الدور في الحقل الصحي سواء كان سلباً واجاباً. (الحسن- ٢٠١٦ م ٢٦-).

استخدم علماء الأنثروبولوجيا مصطلح الانتشار ويعني عندهم انتشار الحضارة من جماعة محلية معينة إلى جماعات أخرى (غيث- ١٩٧٩ م ١٤٣).

ويمكن تعريفه بأنه التوزيع أو الحركة إلى الخارج من منطقة بداية معينة. (Melinda- ١٩٨٨- ٢٣٤) كما عرفه آبلير Abler بأنه انتقال الأشياء من مكان إلى آخر بواسطة نوافل تحملها وطرق تسلكها. (Abler, 1977, 389).

أما أهل الثقافة فلهم تعريفهم الخاص بالانتشار، ويعرّفونه بأنه كافة العمليات المنظمة التي تؤدي إلى تشابه الثقافات في مجتمعات مختلفة عن طريق آخر غير الاتّهار (غيث- ١٩٧٩- ١٣٥) والانتشار بالنسبة للطفيلييات يعرف بأنه الجزء من الثوي (العوائل) الذي يستضيف طفيليًّا واحداً أو أكثر (جاد الله- ١٩٩٠ م ٨٤).

والانتشار عملية تكون تدريجية عادة، إنما ليس حتماً ودائماً بها تنتشر عناصر وأنظمة الثقافة، ويمكن بواسطتها للاقتراء أو التنظيمات الجديدة المطبقة في مكان ما على أن تطبق في مكان مجاور، وفي بعض الحالات ينتقل تطبيقها إلى المناطق التي تجاورها حتى تنتشر في جميع أنحاء العالم (حسونة، ١٩٨٤ م، ٢٤٢).

مما سبق من تعريف مفهوم الانتشار يتبيّن لنا أن الانتشار عملية تدريجية يكون لها مركز معين تبدأ منه الظاهرة في الانتشار إلى مراكز أخرى مع الوضع في الانتشار عامل الزمن وعامل المكان لأهميتها في عملية الانتشار وهذا وقد كان أول ما ظهرت الجغرافيا الانتشرية بعد تطبيق الانتشرية العامة على انتشارية المرض وبرز هذا الفرع ويضم فرعين أساسين هما:

- ١/ انتشار الاكتشافات الطبية في نطاق تقديم الخدمات الطبية الجديدة.
- ٢/ انتشار الأمراض المعدية ويضم عدداً من الدراسات والمفاهيم المتعلقة بدراسة الوبائيات. (الرديسي، ٢٠٠١ م، ٥٣).

أنواع الملاريا:

يوجد حوالي ٣٥٠ نوعاً من الجنس للبعوض، بعض الأنواع واسعة الانتشار وبعضها الآخر محدد التواجد فمثلاً في بريطانيا يوجد فقط خمسة أنواع بينما يوجد في الهند ٦٠ نوعاً، وليست كل الأنواع مهمة في نقل الملاريا فالأنوفيليس الناقل قد لا يزيد عن نوع أو نوعين في منطقة ما، ويكون مسؤولاً عن انتشار المرض (أبو الحب- ١٩٨٢ م).

إن العامل المسبب للملاريا هو طفيل بروتوزوي يعرف باسم البلازموديوم Plasmodium، وتوجد منه أربعة أنواع يسبب كل منها شكلاً خاصاً من المرض وهذه الأنواع هي:

١/ بلازموديوم ملاريا *Plasmodium Malariae* وقد اكتشف سنة ١٨٨١ م. وتحدث نوبته كل ٧٢ ساعة.

٢/ بلازموديوم فيفاكس *Pl. vivax*، وقد اكتشف في سنة ١٨٩٠ م وتحدث نوبته كل ٤٨ ساعة.

٣/ بلازموديوم فالسيباروم *Pl. Falciparum*، وقد اكتشف في سنة ١٨٩٧ م وتحدث نوبته كل ٤٨-٣٦ ساعة.

٤_ بلازموديوم او فال *Pl. ovale*، وقد اكتشف في سنة ١٩٢٢ م وتحدث نوبته كل ٤٨ ساعة.

وباستثناء ملاريا الأوفال التي لم تكتشف منها إلا حالات قليلة متفرقة في العالم فإن كل نوع من أنواع الملاريا الأخرى ينتشر في مناطق خاصة، الملاريا تنتشر بصفة خاصة في الأقاليم الحارة الأفريقية، وفي الهند والشرق الأقصى، أما ملاريا فالسيباروم فتنتشر في مناطق واسعة في الأقاليم الحارة وبعض الأقاليم المعتدلة.

وينتشر نوع الفيفاكس في الأقاليم الحارة والأقاليم المعتدلة على حد سواء وهو أوسع الأنواع انتشاراً. تكثر إصابات الملاريا كذلك في المناطق التي تسود فيها حرف الزراعة حرف صيد الأسماك أو جمع النباتات من البرك والمستنقعات في إقليم من الأقاليم الحارة والمعتدلة. ولا تخلو الواحات الواقعة في قلب الصحراء من هذا المرض على حسب طبيعة سطحها وارتباط سكانها بالزراعة المروية. (شرف، ١٩٩٣ م، ٢٢٣).

دورة حياة طفيل الملاريا (البلازموديوم).

تمر حياة البلازموديوم، وهو طفيل الملاريا في دورتين متميزتين إحداهما في جسم البعوضة (أنثى الأنوفيليس) والثانية في جسم الإنسان.

وتبدأ دورته في جسم البعوضة وهي دورة تزاوجية، عندما تمتص البعوضة بعض دم الشخص المريض حيث تمتص معه البلازموديوم الذي يضم كائنات مجهرية بعضها ذكور وبعضها إناث، وفي معدة البعوض تزاوج هذه الكائنات فت تكون بويضات مخصبة zygotes تتكاثر بالانقسام ثم تتحول إلى بويضات ولا تبقي هذه البويضات في جوف البعوضة بل تنقله إلى غدها اللعابية وتتصبح البعوضة مستعدة لنقل المرض لأي شخص تلدغه.

أما دورة البلازموديوم في داخل جسم الإنسان فتبدأ عندما تلدغ البعوضة شخصاً سليماً حيث تفرز فيه البويضات sporozoites التي في لعابها وب مجرد دخولها للجسم فإنها تندفع إلى أوعيته الدموية ويحملها الدم إلى الكبد بدخولها للكبد تستقر في خلاياه وتتكاثر فيها بسرعة هائلة وتخرج منها بأعداد ضخمة تعرف الميروزويتات وتنتقل إلى الدم حيث تغزو كرات الدم الحمراء وتتكاثر فيها مما يؤدي إلى تضخم هذه الكرات وانفجارها وتخرج منها الميروزويتات مسببة نوبات المرض والحمى، وتتحول بعض منها إلى أطوار جنسية تمتصل بها البعوضة لتعيد دورتها مرة أخرى (شرف، ٢٧، ١٩٩٣ م).

شكل (١) دورة حياة طفيل الملاريا البلازموديوم في جسم الإنسان وجسم البعوضة



المصدر: الإدارة العامة للمalaria كوستي - ٢٠١٧

عوامل انتشار مرض الملاريا:

تمثل الملاريا مرض بيئياً بمعنى الكلمة حيث أن انتشارها يتوقف على توفر البيئة الطبيعية والبشرية الملائمة لها، وأهم شروط انتشارها هي:

- ١/ وجود أشخاص مرضى وحاملين لطفيلها.
 - ٢/ وجود عدد كافٍ من البعوض الناقل لها وهو عبارة عن الإناث وهي بعوض الأنوفيليس.
 - ٣/ وجود المسطحات المائية الراكدة الملائمة لتوالد البعوض وتكاثره ولهذا فإن هذا المرض ينتشر بصفة خاصة في المناطق الرطبة وفي المناطق الزراعية التي تكثر فيها الترع والمصارف، بينما تقل في المدن الكبيرة.
 - ٤/ دفع الجو لهذا المرض لا ينتشر في الأقاليم الباردة، ولهذا فإن انتشاره ينحصر في الأقاليم الحارة والدافئة، أو في فصل الحرارة والرطوبة.
 - ٥/ عدم الارتفاع كثيراً عن سطح البحر حيث أن أصلح المناطق لانتشاره لا يقل ارتفاعها عن ١٥٠٠ متر، وكلما زاد الارتفاع تناقص احتمال الإصابة به والعكس. (شرف، ١٩٩٣م، ٢٢٧).

عوامل انتشار مرض الملاريا في منطقة الدراسة:

الملاриاء في منطقة الدراسة:

يوجد كثير من المناطق بالنيل الأبيض لاتزال تشكل الملاريا خطر علمها وفق التقارير التي ترسلها وزارة الصحة المركزية للولايات، حيث تصنف وضع الملاريا بالنيل الأبيض بالوضع الوبائي ومن معايير الوضع الوبائي زادت الملاريا في السنوات الأخيرة بنسبة ٨٠٪ حيث أن كثافة البعوض تجاوزت في الغرفة الواحدة (٢٢ بعوضة) علمًا بأن الحد المقبول حسب تجارب وعلوم خبراء منظمة الصحة العالمية يجب ألا يتجاوز (٥ بعوضات) أما كثافة اليرقات في الغرفة ذاتها فقد تجاوز ٦٠ يرقة، وكل ذلك ساعد على انتشار الملاريا وتوطئها في المنطقة.

وتعتبر منطقة الدراسة من أكثر المناطق في النيل الأبيض انتشاراً لمرض الملاريا وتواجد البعوض، وذلك نسبة لموقع المدينة الجغرافي بالقرب من النيل الأبيض، وأيضاً طبيعة التصريف غير الجيد والتربة الطينية قليلة التفاذية كل هذه عوامل ساعدت على توطن الملاريا بمنطقة الدراسة.

ونجد أن انتشار مرض الملاريا في منطقة الدراسة حسب التقارير السنوية لإدارة مكافحة الملاريا في العام ٢٠١١م كانت نسبته ٩٢٪، وفي العام ٢٠١٢م بلغت نسبة ٨٥٪، وقد بلغت نسبة الانتشار لها في العام ٢٠١٤م ٧٩,٨٪، وفي العام ٢٠١٥م بلغت نسبة انتشارها ٨٨٪ من نسبة الأمراض المنتشرة في منطقة الدراسة. وأيضاً تعتبر من أكثر الأمراض دخولاً للمستشفى في منطقة الدراسة (إدارة مكافحة الملاريا - كوس٢٠١٧م).

عوامل انتشار مرض الملاريا بمنطقة الدراسة:

خصائص المسكن للمبحوثين:

إن علاقة المسكن بالصحة علاقة وثيقة و مباشرة، ولكننا لا نجزم أن المرض سببه السكن السيء والعكس، ولكن ما يمكن أن يدركه الفرد أن هنالك علاقة واضحة بين المستوى الصحي ومستوى السكن، وقد أثبتت الدراسات ارتباط كثير من الأمراض بالبيئات السكنية المتدنية، فقد كشفت بعضها ارتفاع نسبة الإصابة بالأمراض المعدية في المنازل التي لا تتوفر بها مراحيل صحية، ضعف نسبتها في المنازل التي تتوفر بها مراحيل صحية. وأن نسبة الأمراض السارية مثل الملاريا والإسهال والتيفويد وغيرها في مناطق السكن السيء من (٦-٧٪) أضعاف السكن الجيد (الأمين، ٢٠٠٣م، ١٢٧). وفيما يلي اتضح من نتائج العمل الميداني أن للسكن أثر كبير في انتشار الملاريا في منطقة الدراسة وفق

رؤيه المبحوثين:

مساحة المسكن:

نجد أن مساحة المنزل لها أثر في انتشار المرض فكلما كانت المساحة كبيرة زاد عدد الغرف وقلة الكثافة في الغرفة الواحدة، وكلما كانت المساحة صغيرة زادت الكثافة وساعدت على انتشار المرض.

والجدول التالي يوضح مساحة المنزل للمبحوثين في منطقة الدراسة:

من خلال الدراسة الميدانية اتضح أن معظم المنازل لدى الأسر المبحوثة بلغت مساحتها ٣٠٠ متر^٢ وأخذت نسبة ٥٣,٤٪، مساحة ٤٠٠ متر^٢ بلغت نسبتها ٢٦,٧٪، و ٢٥٠ متر^٢ أخذت نسبة ١٢,٩٪، والمنازل التي مساحتها (٥٠٠ و ٦٠٠ متر^٢) بلغت نسبة ٥٪، و ٢٪ على التوالي وانحصر السكن في هذه المساحات الصغيرة ساعد على انتشار المرض وذلك بارتفاع الكثافة السكانية في هذه المساحة الضيقة كما ذكرنا سابقاً أن الأسر في منطقة الدراسة أخذت طابع العائلة أي وجود أكثر من أسره في هذه المساحة وهذا له أثر في انتشار مرض الملاريا.

عدد الغرف بالمسكن:

عدد الغرف لها علاقة بانتشار العديد من الأمراض وذلك تحدده كثافة الأفراد في الغرفة الواحدة.

ومن خلال البحث الميداني تبين أن هناك علاقة واضحة بين عدد الغرف وانتشار الملاريا في المنطقة وفق رؤية المبحوثين، أن ٥٤,٢٪ من مجموع الأسر المبحوثة لها غرفتان ومعدل أفراد الأسرة للغرفة الواحدة يختلف من أسرة إلى أخرى تبعاً لظروف كثيرة منها الوضع الاقتصادي والديموغرافي والاجتماعي للأسرة. فإذا قمنا بحساب متوسط أفراد الأسرة وهو ٦ أفراد نجد أن لكل غرفة ٣ أفراد وهي عدديّة تكاد تكون معقوله إذا ما اتسمت هذه الغرفة بوجودها في حيز مكاني مناسب وتهوية وإضاءة مناسبة. وأكّد معظم المبحوثين الذين يمتلكون غرفتان وجود كمية كثيفة من البعوض بداخلها وهذا بدوره ساعد على انتشار المرض وأيضاً وجود أكثر من شخص بغرفة واحدة هذا له دور في نقل العدوى من الشخص المريض إلى الشخص السليم. وتلتها الثلاثة غرف فأكّر وأخذت نسبة ٢٤,٨٪ والذين يمتلكون غرفة واحدة بنسبة ٢١٪ وهي أيضاً عالية متوسط أفراد أسرة سبعة فأكّر لذلك ارتبطت معدلات الإصابة وانتقال العدوى بالغرفة الواحدة وتبين أن هناك علاقة عكسية بين عدديّة الغرف والإصابة بالملاريا.

وجود مراوح بالغرف:

التهوية الجيدة بالغرف لها علاقة بالإصابة بالمرض فكلما كانت التهوية جيدة يساعد على التخلص من نوافل الأمراض مثل البعوض. تتمتع المدينة بخدمات الكهرباء لذلك نجد معظم المبحوثين لا تخلو غرفهم من المراوح

من خلال الدراسة الميدانية اتضح أن ٨٨٪ من المبحوثين أكدوا على وجود مراوح بالغرفة وهي تساعد في التهوية خاصة للذين ينامون داخل الغرف وهذا لا ينفي من وجود إصابة بالمرض. ونسبة ١٢٪ للمبحوثين لا توجد لديهم مراوح مما يساعد على قلة التهوية في الغرفة وتکاثر البعوض وانتشار الملاريا.

وجود مكيفات بالغرف:

يرتبط وجود المكيفات وخاصة المائية بتکاثر النوافل مثل البعوض المسبب للملاريا وطول الفترة التي تقضيها المياه داخل المكيف، وفي منطقة الدراسة أكّد المبحوثين على وجود هذه المكيفات: من بيانات العمل الميداني اتضح أن ٥٤,٢٪ من المبحوثين في منطقة الدراسة أكدوا على وجود مكيفات بالغرف، و ٥٠٪ من المبحوثين ذكروا أن نوع هذه المكيفات مائية وهي فرصة لوجود بيئة صالحة لتوالد وتکاثر البعوض الناقل للملاريا حيث ذكروا أن الماء أحياناً تمكث لفترات طويلة دون الانتباه لوجودها من قبل أفراد المسكن خاصة في فترة الانتقال من فصل الصيف إلى الشتاء، و ٤,٢٪ ذكروا أن نوعها اسبلت وھؤلاء هم ذوي الدخل الميسور بالمنطقة. و ٥,٨٪ أكدوا على عدم وجود مكيفات بالمنزل وهذا لا ينفي وجود إصابات بالملاريا.

نوع النوافذ بالغرف وفق رؤية المبحوثين:

تعتبر النوافذ في الغرف هي منفذ لدخول الحشرات والنوافل المسببة للأمراض وخاصة البعوض لذلك لا بدّ من وجود طرق لمنع دخول هذه النوافل، وبينت الدراسة في المنطقة عدة طرق يستخدمها

المبحوثين وتبين من الدراسة الميدانية أن ١٤,٩٪ نوافذهم بدون نملي مما يتيح فرصة إلى دخول البعوض للغرف وعرضهم للساعات البعوض خاصة الذين ينامون بالغرف ويرفع من معدل الإصابة والعدوى بمرض الملاريا من شخص لآخر، ٧٧,٨٪ من المبحوثين يستخدمون النملي في النوافذ لحمايةهم من البعوض، ٧,٣٪ يستخدمون أنواع أخرى مثل الخشب والسبكيندا وهذه أيضاً تساعد على دخول البعوض للغرف وانتشار الملاريا في المنطقة.

نوع الحمام بالمنزل:

تعد دورات المياه الصحية من أهم المؤشرات الصحية لارتباطها الوثيقة بتواجد النواقل وتكاثرها والجدول التالي يبين نوعيتها في منطقة الدراسة:

جدول (١) نوع الحمام بالمنزل للمبحوثين

نوع الحمام	العدد	النسبة
حديث (سايفون)	88	33,6%
تقليدي (عادي)	164	62,6%
لا يوجد	10	3,8%
المجموع	262	100%

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٧م

من الجدول أعلاه نلاحظ أن نمط الحمام لدى المبحوثين في المنطقة أخذ النمط التقليدي (العادي) بنسبة ٦٢,٦٪ وهذا النوع من الحمام تكثر فيه النواقل والحشرات حيث لاحظت الباحثة أن المياه المستخدمة في هذا النوع من الحمامات خاصة المياه التي تستخدم في الاستحمام يتم تصريفها عن طريق البلاعة داخل المنزل أو خارج المنزل وهذا له أثر كبير في توالد البعوض المسبب للملاريا في المنطقة. وأخذ نمط الحمام الحديث (سايفون) نسبة ٣٣,٦٪ بين المبحوثين ومن المعروف أن هذا النوع من الحمامات يستهلك كمية كبيرة من المياه مما يساعد على توالد البعوض وبالتالي انتشار المرض بالمنطقة. والذين لا يملكون حمام بلغت نسبتهم ٣,٨٪ وهي نسبة ضئيلة جداً.

مصادر المياه وسط المبحوثين وعلاقتها بانتشار الملاريا:

مصادر مياه الشرب:

من أهم مقومات الحياة وجود مياه الشرب حيث تختلف مصادرها من منطقة لأخرى وتشير الدراسة الميدانية أن ١١,٢٪ من المبحوثين يحصلون على مياه الشرب من المواسير و٨,٨٪ يحصلون عليها من مصادر أخرى مثل الأكشاك التي يتم توزيع المياه منها عن طريق عربة (الكارو) أو من البحر مباشرةً ولاحظت الباحثة في بعض أحياء الدراسة التي توجد بها هذه الأكشاك أن هناك كمية كبيرة من المياه الراكدة حولها طوال السنة وهذه المياه تؤدي إلى توالد البعوض وبالتالي انتشار الملاريا.

طرق تخزين المياه:

مياه الشرب يجب أن تحفظ في مكان نظيف وأمن حتى لا تتعرض للتلوث وتدع فرصة للنواقل والحشرات المسئولة للأمراض في التكاثر بها خاصة البعوض المسبب للملاريا وفي منطقة الدراسة نجد

أن هنالك العديد من الطرق لتخزين وحفظ الماء. ومن بيانات اتضحت أن طرق تخزين المياه للشرب أو الأغراض المنزلية الأخرى في منطقة الدراسة متعددة ومن بيانات العمل الميداني اتضحت أن ٧٨,٦٪ يقومون بتخزينها في البراميل، و ١٢,٢٪ يستخدمون الأزيار، و ٩,٢٪ يستخدمون أغراض أخرى للتخزين مثل الصهاريج والأحواض في الأرض. ولاحظ الباحثون أن معظم المبحوثين الذين يستخدمون البراميل والأحواض في التخزين لا يتم إغلاقها وهنا تكمن الخطورة في أنها تتيح الفرصة للبعوض بالدخول وبالتالي تصبح وسط نشط لتوالد البعوض وانتشار الملاريا في المنطقة.

طرق التخلص من المياه المستخدمة في الأغراض المنزلية:

المياه التي تستخدم في الأغراض المنزلية يجب التخلص منها في أماكن بعيدة من السكن لأنها تسبب في توالد النواقل والحشرات مسببة أمراض كثيرة. وفي منطقة الدراسة نجد أن هنالك عدة طرق للتخلص من مياه الأغراض المنزلية كما موضح في الجدول التالي:

جدول (٢) طرق التخلص من المياه المستخدمة في الأغراض المنزلية وفق رؤية المبحوثين

كيفية التخلص من مياه الأغراض المنزلية	العدد	النسبة
مجاري	70	26,7%
شوارع	176	67,2%
أخرى	16	6,1%
المجموع	262	100%

المصدر: العمل الميداني - ٢٠١٧ م

من الجدول أعلاه تشير الإحصاءات الميدانية أن ٦٧,٢٪ يتخلصون من المياه المستخدمة في الأغراض المنزلية في الشوارع، و ٢٦,٧٪ يستخدمون المجاري، و ١,٦٪ يستخدمون طرق أخرى للتخلص من المياه المستخدمة مثل بئر السايفون ونجد أن هذه الطرق لها علاقة كبيرة بانتشار الملاريا في المنطقة وذلك لأن هذه المياه تراكم بالقرب من المسكن وتحتاطل بمياه الأمطار خاصة في فصل الخريف مكونه بيئه صالحة لتوالد البعوض. ولاحظ الباحثون في المناطق التي تستخدم فيها المجاري للتخلص من المياه تراكم كمية كبيرة من المياه حتى بعد فصل الخريف وتنمو الحشائش وهذا بدوره يساعد على توالد البعوض ويساعد في انتشار مرض الملاريا.

عوامل البيئة المحيطة وأثرها في الملاريا في المنطقة:

يحدد قرب المنزل أو بعده من المصايف المائية (منخفضات مجاري برك ومستنقعات) مدى تعرض المنطقة للأمراض المنقولة بواسطة المياه خاصة المنخفضات والمجاري لأنها تمثل بؤرة لتوالد البعوض المتسايب في انتشار مرض الملاريا. وأيضاً تراكم النفايات بالقرب من المنزل له أثر كبير في ازدياد وتكاثر البعوض وانتشار الملاريا في المنطقة.

المنخفضات وأثرها في انتشار الملاريا:

تراكم المياه بكميات كبيرة خاصة في المناطق المنخفضة له أثر كبير في توالد البعوض والإصابة بالملاريا لأنها تعتبر بؤرة صالحة لتوالد البعوض خاصة في الفصل المطر وأظهرت الدراسة الميدانية أن

٧٨٩,٧٪ من السكان أكدوا على وجود منخفضات تعمل على تراكم المياه خاصة في فصل الخريف وهذا بدوره له أثر كبير في توالد البعوض وانتشار الملاريا بالمنطقة.

استدامة المنخفضات:

من بيانات العمل الميداني نجد أن ٥٦,٩٪ من المبحوثين أكدوا على أن هذه المنخفضات مستديمة وتظل فتره طويلة حتى بعد انتهاء فصل الخريف.

أثر المنخفضات في استدامة توالد البعوض:

أجمع المبحوثين بمنطقة الدراسة أن المنخفضات تسبب في توالد البعوض وانتشار الملاريا بالمنطقة كما موضح في الجدول التالي:

جدول (٣) يوضح أثر المنخفضات في توالد البعوض وفق إجابة المبحوثين

النسبة	العدد	هل تسبب في توالد البعوض
٨٥,٥٪	٢٢٤	نعم
١٤,٤٪	٣٨	لا
١٠٠٪	٢٦٢	المجموع

المصدر: العمل الميداني- ٢٠١٧ م

من الجدول أعلاه نجد أن ٨٥,٥٪ من المبحوثين أجمعوا على أن هذه المنخفضات تسبب في توالد البعوض مما ساعد ذلك على انتشار مرض الملاريا في المنطقة. لاحظ الباحثون وجود كمية كبيرة من المياه المتراتكة في شوارع المنطقة حتى أعاقت حركتها أثناء العمل الميداني.

الجهات المسؤولة من ردم المنخفضات:

أجمع نتائج المسح الميداني أن هذه المنخفضات لا أحد يقوم بردمها ومن بيانات العمل الميداني اتضح أن ٤٨٪ من المبحوثين أجمعوا على أن هذه المنخفضات لا أحد يقوم بردمها وهذا بدوره له أثر كبير في انتشار الملاريا في المنطقة. ولكن لا بد من إيجاد حلول لهذه المشاكل لذلك بذلت المنطقة جهود مقدرة في حل هذه المشكلة، وتشير الإحصاءات أن ٣٩,٧٪ من أفراد العي يقومون بردم هذه المنخفضات و٥,٣٪ تقوم بها جهات أخرى مثل الروابط الشبابية بالمنطقة. ونجد أن دور الجهات المسؤولة ضئيل جدا حيث بلغ ٧٪.

مجاري تصريف المياه في منطقة الدراسة وأثرها في انتشار الملاريا:

المجاري المائية لها آثار كبيرة في انتشار النواقل والبعوض خاصة إذا كانت غير جيدة التصريف أوضحت نتائج المسح الميداني أن ٦٧,١٪ من المبحوثين أكدوا على وجود مجاري تعمل على تصريف المياه خاصة في فصل الخريف ولكن ٨٢,٢٪ من هؤلاء المبحوثين ذكروا أن هذه المجاري غير كافية لتصريف المياه مما يؤدي إلى توقفها في مكان واحد طول فصل الخريف وتستمر لفترة طويلة بعد ذلك، وأيضاً قفلها عن طريق المواطنين نفسيهم برمي الأوساخ فيها.

الأضرار الناتجة من المجاري:

ذكر المبحوثين أن هنالك أضرار عديدة تنتج من هذه المجاري ومن خلال المسح الميداني نجد أن المجاري تسبب في أضرار عديدة حيث أكد ٦٩,٨٪ من المبحوثين أنها تؤدي إلى توالد البعوض وبالتالي انتشار الملاريا في المنطقة و ١٢,٦٪ ذكرها أنها تسبب في الروائح الكريهة والمزعجة لهم. ونجد أن ١٧,٦٪ ذكرها أن المجاري كافية لتصريف المياه وبالتالي لا تسبب في أضرار. وتشير الصورة رقم (١) إلى تراكم المياه في المجاري وعدم تصرفها في أحد أحيا منطقه الدراسة. للاحظ الباحثون في بعض المناطق التي يوجد بها مجاري لتصريف المياه أن المياه تتوقف بكمية كبيرة وذلك لأن هذه المجاري مفرولة في بعض المناطق وأيضاً طبيعة السطح قليلة الانحدار لها الأثر في ذلك.

صورة رقم (١) توضح تراكم المياه بالمجاري في منطقة الدراسة في فصل الخريف



المصدر: العمل الميداني، ٢٠١٧ م

طرق التخلص من النفايات بالمنطقة وأثرها في انتشار الملاريا:

النفايات لها أثر كبير في انتشار الأمراض خاصة إذا لم يتم نقلها في الأماكن المخصصة لها حيث تقوم بتكون بيئة صالحة لتوالد الحشرات والتواقل مثل البعوض خاصة في فصل الخريف. وفي منطقة الدراسة هناك طرق عديدة للتخلص من النفايات كما موضح في الجدول التالي:

جدول (٤) طرق التخلص من النفايات في المنطقة وفق رؤية المبحوثين

النسبة	العدد	كيفية التخلص من النفايات
38,9%	102	عن طريق الكوشة

31,3%	82	حرقها في الشارع
4,6%	12	دفنها جوار المنزل
25,2%	66	نقلها بواسطة الجهات المسؤولة
100%	262	المجموع

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٧م

نلاحظ من الجدول أعلاه أن ٣١,٣٪ من المبحوثين في المنطقة يقومون بالتخلص من النفايات عن طريق حرقها في الشارع، و٣٨,٩٪ يخلصون منها عن طريق الكوشة وذلك برمجها بالقرب من المصارف والمجاري المائية وهذا له أثر كبير في توالد البعوض خاصة بعد اختلاط هذه الأوساخ بمياه الأمطار في فصل الخريف. و٢٥,٢٪ يخلصون منها عن طريق نقلها بواسطة الجهات المسؤولة (عربة النفايات)، ولكن ذكر المبحوثين في المنطقة أن العربية تجد صعوبة في الوصول إليهم خاصة في فصل الخريف وذلك لوعورة الطرق وتراكم المياه فيها. و٦,٤٪ يقومون بدفنها بجوار المنزل.

ولاحظ الباحثون خلال العمل الميداني تراكم كمية كبيرة من النفايات بالقرب من مجاري التصريف مما أدى إلى إعاقة تصريفها المياه في فصل الخريف كما موضح في الصورة رقم (٢).

ومما سبق نجد أن للنفايات دور كبير في انتشار الملاريا في منطقة الدراسة خاصة في فصل الخريف

صورة رقم (٢) ممارسات المبحوثين الخاطئة في قفل المجاري



المصدر: العمل الميداني ٢٠١٧م

الكسور في توصيلات شبكة المياه وعلاقتها بانتشار الملاريا

نجد أن الكسور في توصيلات الشبكة لها أثر في توالد البعوض والحشرات وأيضاً نمو الحشائش وتجمع الأوساخ لذلك يجب صيانتها، وفي منطقة الدراسة أجمع المبحوثين على أنه توجد كسور في

توصيات شبكة المياه من خلال بيانات العمل الميداني اتضح أن ٧٣,٧ % من المبحوثين أجمعوا على وجود كسور في توصيات شبكة المياه مما ساعد على خلق بيئة صالحة لتوالد البعوض وانتشار المرض بالمنطقة.

أسباب الإصابة بالملاريا حسب رؤية المبحوثين:

مرض الملاريا من الأمراض البيئية وتوجد عدة أسباب في البيئة المحيطة ساعدت على انتشاره. وفي منطقة الدراسة هناك أسباب عديدة أدت إلى انتشار مرض الملاريا كما موضح في الجدول التالي:

جدول (٥) أسباب الإصابة بالملاريا في المنطقة

ما هو سبب الملاريا	العدد	النسبة
انتشار المياه الراكدة	77	29,4%
كثرة توالد البعوض	127	48,5%
تدني مستوى المكافحة	22	8,3%
عدم التوعية الصحية الكافية	5	2%
كل ما ذكر	31	11,8%
المجموع	262	%100

المصدر: العمل الميداني ٢٠١٧م

تشير بيانات الجدول (٥) حسب رؤية المبحوثين أن سبب الملاريا في المنطقة هو كثرة توالد البعوض بنسبة ٤٨,٥٪ و ٢٩,٤٪ أرجع سبب الإصابة انتشار الملاريا هي المياه الراكدة، بينما بلغت نسبة الذين يظنون أن السبب هو تدني مستوى المكافحة ٨,٣٪ وعزا البعض الآخر أن السبب في الإصابة بالملاريا هو عدم التوعية الصحية الكافية بنسبة ٢٪ وأجمع البعض أن السبب هو جميع العوامل سابقة الذكر وهؤلاء نسبتهم ١١,٨٪. ونجد أن جميع هذه الأسباب مجتمعة أدت إلى انتشار مرض الملاريا بالمنطقة.

الفصول ينتشر فيها مرض الملاريا:

أظهرت نتائج العمل الميداني بالمنطقة أن مرض الملاريا ينتشر في جميع فصول السنة بالمنطقة ولكن أكثرها فصل الخريف أن أكثر الفصول انتشار الملاريا بالمنطقة هو فصل الخريف بنسبة ٨٩,٣٪ ويرجع ذلك إلى أن فصل الخريف تكثر فيه المياه الراكدة التي تساعد على توالد البعوض وانتشار الملاريا بالمنطقة. و ٦,١٪ ذكروا أنها تنتشر في فصل الشتاء، ٤٪ ذكروا أنها تنتشر في فصل الصيف.

الأثار الاجتماعية والاقتصادية الناتجة من الإصابة الملاريا:

١- التواصل الاجتماعي:

تؤثر الملاريا في التواصل الاجتماعي بين أفراد المجتمع وتعيق حركة الفرد من التواصل مع الأهل والأقارب ومشاركتهم المناسبات الاجتماعية. وأن ٩٢,٤٪ أكدوا أن الملاريا تؤثر في التواصل الاجتماعي بين الأسر وال العلاقات الاجتماعية وهذا يساعد على تفكك الأسر وعدم تواصلها وذلك للأيام التي يقضيها المريض في المنزل وضعف قدرته في التواصل مع الأهل والأصدقاء.

أثر الملاريا على الأداء الوظيفي:

معظم الأمراض تؤثر في الأداء الوظيفي لأفراد المجتمع وذلك يجعل الفرد غير قادر على العمل حتى بعد الشفاء كما هو الحال في مرض الملاريا. وأجمع المبحوثين بالمنطقة أن الملاريا تؤثر على سير العمل وتعيق الإنتاجية أن ٤٢٪ من المبحوثين أشاروا إلى أنهم بعد الشفاء من مرض الملاريا يكونون معدل ساعات عملهم (نصف ما كانوا معافي) و ٢٩,٨٪ ذكروا أن ساعات عملهم أقل بكثير قبل الإصابة بالمرض ونجد أن ذلك لها أثر كبير في اقتصاد المنطقة وذلك لعدم قدرة الفرد على العمل وبالتالي تقل ساعات العمل وتقل الإنتاجية ويؤثر على التنمية المحلية بصفة خاصة والتنمية القومية بصفة عامة.

توصلت الدراسة للنتائج التالية:

١. تلعب العوامل الجغرافية خاصة الموقع دوراً كبيراً في انتشار مرض الملاريا في منطقة الدراسة وأيضاً ضعف التصريف الطبيعي. وتوصلت الدراسة إلى أن أكثر الأمراض انتشاراً بالمنطقة هو مرض الملاريا وبلغ نسبة ٨٧,٤٪ حسب رؤية المبحوثين ويكون طول فصول السنة وخاصة في فصل الخريف بنسبة ٨٩,٣٪.
٢. تبين من الدراسة أن هناك سوء في التصرف بالمنطقة مما جعل مياه الأمطار تراكم طول فترة الفصل المطر مسببه توالد البعوض، حيث أكد ٨٢,٤٪ من المبحوثين على سوء التصريف في المجاري المائية الموجودة بالمنطقة. و ٨٩,٧٪ أيضاً ذكروا أن مياه الأمطار تجتمع في المنخفضات والبرك الصغيرة.
٣. أظهرت الدراسة أن هناك مشاكل في توصيات خطوط شبكة المياه بالمنطقة مما نتج عنه كسور ساعدت على تراكم المياه بالمنطقة وأجمع ٧٣,٧٪ من المبحوثين على وجود هذه الظاهرة خاصة في فصل الشتاء.
٤. أوضحت الدراسة أن هناك أثراً اقتصادية واجتماعية ناجمة عن الإصابة بالملاريا في المنطقة ومنها التأثير على الأيدي العاملة وبالتالي قلة الدخل بالمنطقة حيث أكد ٧١,٨٪ من السكان على عدم المقدرة على العمل بعد الإصابة بالملاريا، و ٩٢٪ أكدوا على ضعف العلاقات الاجتماعية عند الإصابة بالملاريا.
٥. بينت الدراسة أن الوضع الاقتصادي له دور في انتشار المرض فكلما تحسن الوضع الاقتصادي قلة نسبة الإصابة.
٦. أظهرت الدراسة أن هناك ممارسات خاطئة يقوم بها المبحوثين بالمنطقة مثل رمي النفايات في المجاري وبالتالي قفلها وإعاقة عملها في التصريف وبلغت نسبتهم ٣٨,٩٪.

الوصيات:

أوصت الدراسة بالآتي:

- ١- الاهتمام بمكافحة البعوض الناقل للملاريا بابتكار طرق مكافحة جديدة وفعالة ومتطرفة و تكون المكافحة في دورات منتظمة وأوقات مناسبة خاصة التي يظهر فيها البعوض.
- ٢- العمل على فتح المجاري والمصارف المائية خاصة في فصل الخريف وربطها بمبرى رئيس واحد يؤدي لتصريف المياه حتى تصل النيل مباشرةً.
- ٣- العمل على ردم وتجفيف المنخفضات وأماكن تجمع المياه ورشها بصورة دورية خاصة في فصل الخريف.
- ٤- أن تقوم هيئة المياه بالعمل على صيانة جميع خطوط الشبكة التي تعاني من كسور المياه حتى لا تتسرب في توالد البعوض.
- ٥- نشر الوعي البيئي والتحقيق الصحي حول مرض الملاريا وسط كافة قطاعات المواطنين بالتركيز على المؤسسات التعليمية والإعلامية.
- ٦- الاهتمام بالخدمات الوقائية والعلاجية وتوفير الدواء بسعر مناسب وفي متناول الجميع.
- ٧- الاهتمام بالرعاية الصحية الكاملة للفئات الأكثر تعرضاً للإصابة بملاريا وخاصة الفئة العاملة حتى لا تؤثر في الدخل والتنمية الاقتصادية بالمنطقة.

المراجع والمصادر:

١. أبو الحب، جليل (١٩٨٢م) الحشرات الناقلة للأمراض، عالم المعرفة، سلسلة كتب ثقافية شهرية يصدرها المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت.
٢. أحمد، مليء إبراهيم (١٩٩٨م) انتشار حمى الملاريا بولاية الخرطوم، دراسة حالة في الجغرافيا الطبية، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة الخرطوم.
٣. الأمين، شندي إسماعيل (٢٠٠٣م) أثر العوامل الطبيعية والاجتماعية والاقتصادية على مرضي الملاريا والبلهارسيا والتايفويد، دراسة جيبيو طبية، محافظة المناقل، رسالة ماجستير غير منشورة، كلية الآداب، جامعة الخرطوم، الخرطوم.
٤. التوم، مهدي أمين (١٩٨٦م) مبادئ الجغرافيا المناخية والترباتية، دار جامعة الخرطوم للنشر، الخرطوم.
٥. جاد الله، فوزي علي (١٩٩٠م) الصحة العامة والرعاية الصحية، الطبعة الثالثة، دار المعارف، مصر.
٦. جاد الله، فوزي علي عبد الوهود المفتى (١٩٨٣م) الصحة العامة والخدمات الصحية، الجزء الأول لطلبة المهن الصحية، العراقية.
٧. الجوهرى، يسري (١٩٧٦م) الفكر الجغرافي والكشف الجغرافية، الإسكندرية، منشأة المعارف.
٨. الحارثى، فهد العرابى (١٩٩٩م) الصحة في قرن آسيا للدراسات والبحوث والإعلام، المملكة العربية السعودية.

٩. حسن، عبد الرحمن محمد (٢٠١٦م) الجغرافيا الطبية، الدار العالمية للنشر والتوزيع، ط.١.
١٠. حسنونه، محمد أحمد (١٩٨٤م) التغير الاجتماعي، نماذجه، مصادره، نتائجه، الجزء الثاني، دار المعرفة، الإسكندرية.
١١. الرديسي، سمير محمد علي (٢٠٠١م) الجغرافيا الطبية، المملكة العربية السعودية، الرياض، دار عالم الكتب للنشر، الطبعة الأولى.
١٢. شرف، عبد العزيز طريح (١٩٧٢م) البيئة الجغرافية وعلاقتها بأمراض السودان ومشكلاته الصحية، مجلة الدراسات السودانية، مجلد رقم (٣) العدد الثاني، المركز القومي للبحوث، الخرطوم.
١٣. شرف، عبد العزيز طريح (١٩٨٦م) البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية، دار الجامعات المصرية، الإسكندرية، ط.١.
١٤. شرف، عبد العزيز طريح (١٩٩٣م) البيئة وصحة الإنسان في الجغرافيا الطبية، الإسكندرية، مؤسسة شباب الجامعة (الطبعة الثانية).
١٥. غيث، محمد عاطف (١٩٧٩م) التغير الاجتماعي والتخطيط، دار المعرفة المصرية، الإسكندرية
16. Abler. J,(1977) ,Spatial Organization , London, prentice Hall International.

التقارير:

- وزارة الصحة الإتحادية التقرير السنوي للعام (٢٠١٥م)
 تقرير وزارة الصحة الإتحادية (٢٠٠٥م_٢٠٠٩م)
 مركز الجهاز الإحصائي مدينة كوسٌي التقرير السنوي للعام (٢٠٠٨م) و(٢٠١٦م)
 مكتب الإحصاء مستشفى كوسٌي التقرير السنوي للأعوام (٢٠١٢م_٢٠١٦م)
 تقرير إدارة مكافحة الملاريا كوسٌي (٢٠١٧م)

أثر نظم المعلومات الإدارية في تطبيق الجودة الشاملة لتحقيق ميزات تنافسية دراسة حالة: القطاع المصرفي السوداني

د. ميسرة خليل إدريس محمد

المستخلص

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على أهمية نظم المعلومات الإدارية وتشجيع المنظمات للاهتمام بها وكيفية الاستفادة منها في تطبيق الجودة الشاملة لتحقيق ميزات تنافسية، تكمن مشكلة الدراسة الرئيسية في هل تؤثر نظم المعلومات الإدارية في تحقيق الجودة الشاملة في القطاع المصرفي السوداني؟ استخدم الباحث المنهج الاستنابطي لاختيار الفرضيات ثم المنهج التاريخي للوقوف على ماضي القطاع المصرفي والمنهج الوصفي لوصف حاضر القطاع والظواهر والحقائق ذات العلاقة بالموضوع ثم المنهج الاستقرائي لتحليل البيانات بغرض الوصول إلى نتائج، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها وجود أنظمة للمعلومات الإدارية بعدد من مؤسسات القطاع المصرفي موضوع الدراسة ولكن بسميات مختلفة، كما إن بعض المنظمات تنظر إلى نظم المعلومات بأدائها التكنولوجيا الموجدة والمطلوبة والتي تساعده في تسخير دولاب العمل فقط، كما توصلت الدراسة إلى أهمية التمازج الواضح والربط بين نظم المعلومات الإدارية وتأثيرها على تطبيق الجودة الشاملة.

الكلمات المفتاحية: المعلومات الإدارية، بيئة المنظمة، الميزات التنافسية

المقدمة

يشهد العالم في الفترة الأخيرة ثورة تقنية وعلمية كبيرة في مجال الاتصالات والمعلومات وتسعي خلالها المنظمات في الحصول على المعرفة الباهلة بالوسائل المختلفة، إلا أن الحصول على هذه الغاية يحتاج إلى توفير كمية كبيرة من البيانات والمعلومات التي يحتاجها المديرين من خلال تكامل المكونات الأساسية لنظام المعلومات، فهي ضرورية لإدارة المنظمة لما تقدمه من فرص كبيرة لتحقيق ميزات تنافسية تقدم بها عن المنظمات الأخرى فضلاً عن مواجهة التحديات والمخاطر التي يمكن أن تواجهها المنظمة ومدى تأثيرها على استراتيجيتها.

ترتبط الجودة الشاملة بالدور المتعاظم الذي توفره نظم المعلومات الإدارية التي تدعم إدارة المنظمة لخوض غمار المنافسة وتقديم السلع أو الخدمات التي تتناسب مع توقعات المستهلكين ورغباتهم وأدواتهم فتلك القدرة تكون محدودة ما لم يصاحبها نظام معلوماتي فعال.

أهمية الدراسة

تبعد أهمية هذه الدراسة في أن المعلومات ذات أهمية كبرى لمديري الأعمال كأداة تثير معالم الطريق للمنظمات لتحديد مسارها المستقبلي، والجودة الشاملة هي السلاح للتميز حيث تمكّن المنظمة من تحقيق الميزة التنافسية التي تقودها للوصول إلى أهدافها، يمكن الاستفادة من هذه الدراسة في أن تكون دليلاً للمؤسسات في التعرف على دور نظم المعلومات الإدارية في الوصول إلى التميز وخوض غمار المنافسة، والتكيف مع التغيرات السريعة والمتلاحقة وصولاً لأهدافهم المطلوبة بكفاءة عالية.

أهداف الدراسة

- هناك أهداف عديدة يرجى تحقيقها من هذه الدراسة يمكن أن نختار منها:
- التعرف على نظم المعلومات الإدارية وأقسامها وأهدافها.
 - التعرف على الجودة ومعاييرها ومفهوم الجودة الشاملة.
 - كيفية الاستفادة من نظم المعلومات الإدارية في تطبيق الجودة الشاملة.
 - تقديم توصيات مفيدة يمكن الاستعانة بها لتطبيق الجودة الشاملة وتحقيق ميزات تنافسية.

مشكلة الدراسة

تكمن مشكلة الدراسة الرئيسية في السؤال المحوري الآتي: كيف تؤثر نظم المعلومات الإدارية في تطبيق الجودة الشاملة لتحقيق ميزات تنافسية بالقطاع المصرفي؟ وابنثقت من السؤال الرئيس التساؤلات الفرعية الآتية:

- هل توجد علاقة بين نظم المعلومات الإدارية وتطبيق الجودة الشاملة؟
- ما هي المؤشرات التي تدفع المنظمات لتطبيق موجهات الجودة الشاملة؟
- هل يمكن تحقيق الجودة الشاملة بدون نظم للمعلومات الإدارية؟
- هل تجد نظم المعلومات الإدارية حظها من الاهتمام في هذا القطاع؟

فروض الدراسة

تقوم هذه الدراسة على الفرضيات الآتية:

- هناك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نظم المعلومات الإدارية وتطبيق الجودة الشاملة.
- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مؤشرات البيئة وتبني قطاع الأعمال لموجهات الجودة الشاملة.
- هناك دلائل إحصائية تبين صعوبة تحقيق ميزات تنافسية بعدم وجود نظم للمعلومات للإدارية.

منهج الدراسة

استخدم الباحث المنهج الاستنبطاني لاختيار الفرضيات ثم المنهج التاريخي للوقوف على ماضي قطاع الأعمال والمنهج الوصفي لوصف الحاضر والظواهر والحقائق ذات العلاقة بموضوع الدراسة ثم المنهج الاستقرائي لتحليل البيانات بغرض الوصول إلى نتائج.

مصادر المعلومات

اعتمدت الدراسة للحصول على المعلومات الآتى:

- المصادر الأولية وأدواتها: المقابلات، والمالاحظة، التقارير والاستبانة.
- المصادر الثانوية وأدواتها: المراجع، الدوريات، المنشورات، والمستندات والشبكة الدولية للمعلومات الإلكترونية.

المصطلحات ذات الصلة بالدراسة

- الجودة الشاملة: انحصرت تعریفات إدارة الجودة الشاملة حول رضاء المستهلك وتلبية رغباته (الحافظ، والمغربي، ٢٠٠٧، ٢٦).

- ب. نظم المعلومات: هي النظم التي ترتبط بكل النوعين، المعلومات الأولية والثانوية.
- ج. بحوث التسويق: تطبيق الطريقة العلمية أو المنهج العلمي للبحث في معالجة المشاكل التسويقية (عبيدات، ١٩٩٧م، ٢٣).
- د. الميزة التنافسية. ميزة على المنافسين تكتسب عن طريق تقديم قيمة أكبر للعميل إما من خلال أسعار أقل، أو عن طريق تقديم فوائد أكثر والتي تبرر الأسعار الأعلى(الحافظ، والمغربي، ٢٠٠٧، ٣١٢).

الدراسات السابقة:

هناك عدد من الباحثين تناولوا موضوعات تتعلق بدور نظم المعلومات الإدارية وأثر تطبيق الجودة الشاملة في المؤسسات، هدفت دراسة (يوسف، ٢٠٠٨م) إلى توضيح دور الجودة الشاملة في تحقيق المنظمة لأهدافها والاهتداء بالأساليب التي يمكن إتباعها لتحقيق التغيير والتحسين المستمر وإرساء ثقافة الجودة الشاملة والترويج لها، توصلت الدراسة إلى عدة نتائج منها: إن إدارة الجودة الشاملة هي منهج شامل في الإدارة يغطي كل أوجه المنظمة مما يجعلها مواكبة لتوقعات العملاء أو يفوقها، يعتمد نجاح تطبيق إدارة الجودة الشاملة بصورة كبيرة على تفاعل العاملين داخل المنظمة، وأوصت الدراسة بالآتي: يتبعن على قيادة المنظمات العليا تبني استراتيجيات وأساليب الجودة الشاملة والعمل على تنفيذها، على الإدارة العليا الحرص على وضع ميزانيات مناسبة لإدارة الجودة الشاملة.

تناول (جبر الله، ٢٠١٠م) أثر الجودة الشاملة في شركات التأمين وهدفت إلى توضيح ميزات الجودة الشاملة عند تطبيقها في رفع وزيادة الإنتاجية وإرضاء الزبائن في المؤسسات العاملة في المجال الخدمي، ومعرفة أثر تطبيق نظام الآيزو في تحسين الرضا الوظيفي للعاملين وتوضيح مفاهيم الجودة ومقومات تطبيقها في المنشأة، أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة هي: إن هناك ارتباطاً وثيقاً بين ما تقدمه إدارة الجودة الشاملة للزبائن وأهداف الشركة، إن تحقيق الجودة الشاملة أدى إلى رفع الكفاءة الإنتاجية وتحسين الموقف التنافسي للشركة، أوصت الدراسة بضرورة تدريب وتأهيل العاملين حتى يواكبوا تطور أنظمة الجودة الشاملة وأداء العمليات الإدارية بالشركة ، تطبيق معايير الجودة العلمية والمحافظة عليها.

أما دراسة (توم، ٢٠١٠م) تناولت دور نظم المعلومات في الأداء متعددة تطبيق إدارة الجودة الشاملة بتفعيل أقسامها المختلفة لتحقيق الهدف وهدفت إلى التركيز على مفهوم إدارة الجودة الشاملة وأثرها في تحقيق السيطرة النوعية في الإنتاج، من النتائج التي توصلت إليها الدراسة: الاهتمام بالمستهلك من أهم واجبات الدولة بفرض القوانين لحمايته، المستهلك هو مصدر الحكم على جودة المنتج أو السلعة، ووصت الدراسة بضرورة الاهتمام بالتدريب، ضرورة تغيير لحام القصدير في المعلمات واستبدالها بالكمبيوتر.

تناولت دراسة (بوشوشة، ٢٠١٨م) دور نظم المعلومات الإدارية في تحقيق الجودة الشاملة داخل المؤسسات الاقتصادية وهدفت الدراسة إلى تحديد الدور الذي تلعبه نظم المعلومات الإدارية والجودة الشاملة داخل المؤسسة الاقتصادية، توصلت الدراسة إلى عدد من النتائج أهمها: تبني

المؤسسات الاقتصادية لولاية قسنطينة نظم المعلومات الإدارية والجودة الشاملة، إن هنالك دلائل إحصائية بين نظم المعلومات والجودة الشاملة.

تحليل الدراسات السابقة

تناولت الدراسات السابقة دور الجودة الشاملة في تحقيق المنظمة لأهدافها، أثر الجودة الشاملة في شركات التأمين، دور نظم المعلومات في الأداء، أما دراسة هبة بوشوشة، ركزت على أثر نظم المعلومات الإدارية والجودة الشاملة (معاً) في المؤسسات الاقتصادية، حيث لم توضح الدراسة ما هي

النتائج المتحصلة من تبني المؤسسات الاقتصادية لنظم المعلومات الإدارية والجودة الشاملة.

ركزت دراستي هذه على تطبيق الجودة الشاملة من خلال نظم المعلومات الإدارية لتسليط الضوء على المؤسسات الاقتصادية من تحقيق ميزات تنافسية، وهذا ما تميزت به هذه الدراسة.

نظم المعلومات الإدارية

المعلومات هي نتائج عمليات المعالجة التي تجري على البيانات، لتصبح في صورة صالحة للاستفادة منها في اتخاذ القرار، لذلك فالمحك الرئيس للتفرقة بين المعلومات والبيانات ومدى إمكانية الاعتماد عليها لاتخاذ القرار، وقد تأتي المعلومات من مصادر داخلية أو خارجية للتنظيم.

مفهوم نظم المعلومات الإدارية

على الرغم من تعدد التعريفات والمفاهيم التي أسمى بها الكتاب والباحثين في المجال والتي تناولت نظم المعلومات إلا إنها تتفق جمياً في إن هذه النظم تساعد الإدارة في تحقيق أهدافها.

تُعرف نظم المعلومات الإدارية بأنها الطريقة العلمية في جمع وتسجيل وتحليل البيانات وتقديمها في صورة معلومات ملتحدي القرارات. (المحمد، ٢٠٠٩).

الأنواع الرئيسية لنظم المعلومات الإدارية

هنالك أنواع محددة لنظم المعلومات التي تتناسب مع المستويات التنظيمية التي تستخدمها المنظمات وهي: (Kotler, 1980 , p 30)

١. نظم معلومات دعم الإدارة العليا. هذه ترتبط بنظم معلومات المستوى الاستراتيجي، والتخطيط والتنبؤ خلال سنوات قادمة، وضع خطط التشغيل المستقبلية، وتحفيظ الربحية والاهتمام بالقوى العاملة.

٢. نظم المعلومات الإدارية. وتمثل النوع الأول للمعلومات المرتبطة بنظم معلومات المستوى الإداري وتشمل، إدارة المبيعات، رقابة المخزون، الموازنة السنوية، تحليل الاستثمار في رأس المال العامل.

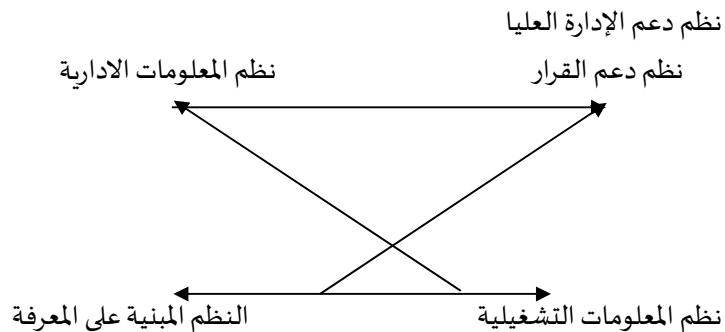
٣. نظم معلومات دعم القرار. تعتبر النوع الثاني المستخدم على مستوى نظم معلومات المستوى الإداري، تشمل: تحليل المناطق البيعية، جدولة الإنتاج، تحليل التكاليف، تحليل السعر والربحية وتحفيظ التكاليف.

٤. النظم المبنية على المعرفة. في المجالات الفنية والهندسية لورش ومحطات العمل، تشمل: تصميم ورش العمل وبيان مواقعها والمجالات الإدارية المرتبطة بها.

٥. نظم أتمتها المكاتب الإدارية. تشمل على كثير من المجالات منها: حفظ السجلات والقارير والأرشيف الإلكتروني.

٦. نظم معالجة القيود. وتشتمل على عدة مجالات تشمل: رقابة الآلات، إصدار الأوامر، تنفيذ التعليمات، الخطة الزمنية، رقابة نقل المواد الخام، إدارة النقدية، تحصيل الديون، المكافآت.

شكل (١) العلاقات المتشابكة بين أنواع نظم المعلومات. (سلطان، ٢٠٠١، م، ١٣٠)



أثر نظم المعلومات الإدارية في الإدارة

يقدم نظم المعلومات الإدارية تقارير مهمة تساهم في تسهيل ودعم العملية الإدارية وتنقسم التقارير الإدارية إلى أربعة أنواع التقارير المجدولة، التقارير غير المجدولة، التقارير الاستثنائية، التقارير التفصيلية، وتتضمن وظيفة نظام المعلومات الجيد التالي:

١. تزويذ الإدارة بالمعلومات.
٢. تحديد المسؤوليات.
٣. تقييم الأداء.
٤. التنسيق بين النظم الفرعية.
٥. تفخيم الاجراءات.

أسباب فشل نظام المعلومات الإدارية

إن أهم أسباب فشل نظام المعلومات في تحقيق الأهداف التي بني من أجلها تتلخص في النقاط التالية: (سلطان، ٢٠٠١، م، ١٣٢)

١. عدم التخطيط لتصميم نظام المعلومات وتحليل القيود والحدود المفروضة عليه والمؤثرة على تشغيله ونتائجها.
٢. العمل بناءً على التعامل برد الفعل بدلاً من المبادرة والمشاركة الفاعلة في تصميم النظام وتشغيله.
٣. الفشل في تهيئة الظروف التي من خلالها يمكن أن يعمل النظام بكفاءة.
٤. التقدير الخاطئ لاحتياجات المنظمة المستقبلية للمعلومات.
٥. التسرع في إدخال تقنيات الحاسوب دون الدراسة والتحليل اللازمين.
٦. نقص تغذية النظام بالبيانات الضرورية والحقيقة عن متغيرات البيئة الخارجية المختلفة.

٧. عدم تكوين المزيع المتكامل من الأفراد والأجهزة والمعدات والإجراءات التي يعمل في ضوءها النظام.

الجودة الشاملة

تشير كلمة الجودة دائمًا إلى الامتياز والتميز في السلعة أو الخدمة وهي تعني الإتقان، وفي بعض الشركات الهندسية تستخدم الجودة للإشارة إلى مطابقة المنتج للمواصفات المحددة مسبقاً أو ملائمة الاستخدام وفي بعض المستشفيات تستخدم الجودة للإشارة إلى الحرافية والمهنية من قبل الأطباء والطواقم الطبية الأخرى.

ضبط الجودة

يعرف ضبط الجودة في السياق الصناعي بأنه عملية تفويض السلطة والمسؤولية لنشاط إداري ما والاحتفاظ بوسائل تأكيد نتائج مرضية، ضبط الجودة يشتمل على الأنشطة والأساليب العملياتية التي تستخدم لإنتمام متطلبات الجودة.

ضمان الجودة

هو نظام يبحث عن أسلوب معالجة أسباب الانحرافات عن مستوى الأداء المطلوب، وذلك بتوجيهه الجهود التنظيمية للوقاية من المشاكل بتركيز الانتباه على منابعها أو مصادرها لضمان تحاشي الأخطاء قدر الامكان، وبصورة تؤدي إلى تحسين جودة المنتج أو الخدمة ويزيد الانتاجية.

مفهوم وتنظيم سلاسل الجودة

الفكرة هي أنك تنظم عمل الأفراد بحيث أن كل شخص يحاول إرضاء الشخص التالي له في الترتيب كزبون أو كعميل، فإن هذا العميل هو الذي يحدد الجودة بالنسبة لك، وعلى هذا فإن أي شخص يمكن أن يكون مورداً وزبونةً وموظفاً في نفس الوقت حيث أن الموظف أو المورد هو أي شخص أو آلة أو أداة توفر خدمة أو منتج لشخص أو آلة أخرى، أما الزبون هو الشخص أو الآلة أو المرحلة التالية التي تنتظر أو تستقبل الخدمة أو المنتج أو العمل لتقوم بدورها، عليه يمكن القول إن كل منظمة تحتوي على مجموعة من سلاسل الجودة التي تتكون من الزبائن والموردين، وهكذا تتوالى العملية إلى أن تصل الخدمة أو السلعة للزبون النهائي (الخارجي) وهذه الحلقات المتصلة يطلق عليها سلاسل الجودة.(العلقي، وعبدالرحيم، ٢٠٠٦م، ٢٧)

إدارة العمليات

بدلاً عن قيام مدير الإنتاج ومدير ضبط الجودة بتصحيح عمل غير مجد وتضييع للموارد وإهدار للوقت بفحص إنتاج اليوم السابق ومناقشة الأداء وإمكانية توزيع المنتج للزبائن أم لا والقياس في نهاية العملية، يجب أداء العمل بالطريقة الصحيحة وضبط الإجراءات قبل وأثناء العمليات الصحيحة وضبط الإجراءات قبل وأثناء العمليات، وذلك بأخذ الإجراءات التالية:

١. مراحل عملية التصميم والتطوير.
٢. تحديد الأنشطة الملائمة للعملية لتحقيق المطابقة للمنتج أو الخدمة.
٣. تحديد وتطبيق ترتيبات المعايير والقياس، وأساليب ضبط العمليات.

٤. العمليات المرتبطة بالزيان كالقيمة المتوقعة والإضافات الضرورية لملائمة الغرض والمتطلبات القانونية والتشريعية ومدى توفر واستلام المنتج أو الخدمة.

٥. تحديد أسس المراجعة الداخلية لنظام إدارة الجودة والعمليات المرتبطة به ومدى مطابقتها لمتطلبات الأنظمة العالمية والإجراءات التصحيحية بناءً على المراجعة السابقة والتوصيات للتحسين.

(المغربي، وبحيري، ٢٠٠٨، م، ٣٥)

تعريف الجودة الشاملة

١. عُرفت الجودة الشاملة بأنها عبارة عن منهج إداري لتحسين درجة المنافسة والفعالية والمرونة للمنظمة ككل، وتعتمد على جميع الأفراد في جميع المستويات الإدارية.(زين العابدين، ٢٠٠٢، م، ٥٢)

٢. كما عرفها (Crospby, 2006, 78) بأنها أكثر من مجرد العمليات الإدارية حيث إنها تعتبر ثقافة وطريقة حياة تهدف من خلالها وعن طريقها المنظمات إلى إحداث تغييرات أساسية في أساليب جميع الأفراد وجميع المديرين وجميع الموظفين والتصريف السليم في المنظمة.

مفهوم إدارة الجودة الشاملة

إن مفهوم ادارة الجودة الشاملة والذي بدأ منذ الحرب العالمية الثانية لا يتعلق بالتقنولوجيا وإنما بالتفكير حيث يتبعن على الفرد التحول من التفكير في الكمية والبدء في التفكير في النوعية، تقوم إدارة الجودة الشاملة على أساس أن كل عضو في المؤسسة وعلى أي مستوى يكون مسؤولاً بصورة فردية عن جودة ما يخصه من عمليات تساهمن في تقديم السلعة أو الخدمة وأن يكون ملتزماً بعملية التحسين المستمر(المقلي، ٢٠١٦، م، ٥٢)

تغير الأبعاد الثقافية بالمنظمة

يتوجب على المديرين تغيير النمط التقليدي في الإدارة من تعين لعدد كبير من المفتشين ووضع الضوابط الصارمة للالتزام بالمعايير وفرق الصيانة وعادة تحسين العمل إلى نشر ثقافة الجودة بالتغيير في سلوك الأفراد من خلال المستويات الإدارية وخلق مجموعة واسعة من المسؤوليات المتعلقة بسلسلة الجودة والتفاعلات بين الأقسام وتغيير السياسات والإجراءات والأنظمة وحتى الهياكل التنظيمية للتحول نحو إدارة الجودة الشاملة، يتبعن على التنفيذ الأعلى في المنظمة تهيئة وخلق ثقافة المنظمة بحيث تتسم بالصفات التالية:

أ. تشجيع العاملين على المشاركة في مناقشة مشاكل العمل التي تقع في دائرة اختصاصاتهم.

ب. إدراك العاملين بأنه لا يوجد أداء أمثل يتعين بلوغه، بل إن التحسين المستمر لتحقيق التميز هو الأساس.

ج. أن يمنع العاملين الأخطاء عند الانتقال إلى المرحلة التالية لإرضاء الزبون الداخلي.

د. تشجيع العمل الجماعي من خلال فرق العمل وحلقات الجودة وأن لا يشعر أعضاء هذه الفرق بأنهم في وضع تنافسي مع بعضهم البعض ولكنهم جميعهم يسعون لدعم المركز التنافسي للمنظمة ككل.

هـ. معالجة الأخطاء فور وقوعها وعدم الانشغال بالبحث عن المسؤولين عن الأخطاء لتوقيع الجزاء والعقاب.

فعالية الأداء

إن فعالية المنظمة والعاملين بها تعتمد على مدى تأدية الأفراد والإدارات لأدوارهم والتوجه نحو الأهداف المشتركة. والرقابة تلعب دوراً كبيراً في هذا الإطار حيث أنها تساهم بتوفير المعلومات والتغذية العكسية لضمان أن جميع المهام تسير حسب ما هو مخطط لها، وعلى هذا النحو فإن الرقابة تحتوي على مجموعة من الأنشطة التي تؤدي إلى زيادة احتمالية تحقيق النتائج المخططة.

الرقابة

يمكن تصنيف الرقابة إلى ثلاثة مجموعات (قبل/ أثناء/ بعد الحدث) بناءً على توقيتها في العملية، استخدام الرقابة البعيدة (بعد الحدث) يجعل المديرون يتذمرون بعض المواقف كردود أفعال وليس مبادرات عند مواجهة الأزمات، فيجب أن تستبدل بأخرى أكثر تطلاعاً للمستقبل حيث يركز نظام الرقابة على الوقاية وإعطاء الأفراد الإحساس بأنهم مسؤولين عن أعمالهم.

بناءً على ما سبق، إن فرض النظام بصورة فوقية يمكن أن يؤدي إلى إحداث وظهور نتائج سلبية كالتركيز على الحوافز بناءً على مقاييس خارجية مفروضة فإن أعضاء الفريق يركزون مجهوداتهم على المقاييس نفسها، ووضعها في أدنى مستوى ممكن بالإضافة إلى معالجة المعلومات التي تخدم هذا المستوى أو تحويل المسؤولية إلى شخص آخر أو توجيه الجهد إلى هدف على حساب أهداف أخرى والتنسق على المعلومات السيئة بالرغم من إنها موجودة في النظام وإتباع الأساليب الأكثر تحفظاً أكثر من الرغبة في الإنجاز.

تحليل بيئية المنظمة:

المدارس المعاصرة أعطت أهمية كبيرة لبيئة المنظمة، فيتناول التحليل البيئي جميع المتغيرات البيئية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والتكنولوجية وما يرتبط بها من الفرص والمخاطر التي تؤثر على المنظمة، إلى جانب المتغيرات الإدارية أو التشغيلية الخاصة بالمنظمة وذات الصلة المباشرة بأنشطةها المختلفة والمتعلقة بأطراف التعامل المختلفة؛ مثل الموردين والمستهلكين والعمال والحكومة والمنافسين ويتناول أيضاً التحليل البيئي مكونات البيئة الداخلية من نظم ولوائح وموارد مادية وكوادر فنية وعلاقات إنسانية وحوافز... الخ، والتي عن طريق دراستها يمكن تحديد جوانب القوة والضعف لدى المنظمة (سليمان، ٢٠٠٠، م، ٦٤)

تحليل الموقف التنافسي للمنظمة

المنافسة هي قيام شركات الأعمال والأفراد الذين يقومون بمنافسة المنظمة في نشاطاتها المختلفة والتي تنتج سلع وخدمات متماثلة أو تخدم نفس الشريحة من العملاء. (الحاكم، ٢٠٠٧، م، ١١٥) يفيد هذا التحليل التعرف على طبيعة السوق الذي تعمل فيه المنظمة ويتركز على تحليل المنافسين ومقدرتهم في السوق وسياساتهم واستراتيجياتهم ومن خلاله تستطيع المنظمة أن تصمم

الاستراتيجيات التي تمكّنها من مجاّبها منافسيها وتعظيم الاستفادة من الفرص التسويقية التي تنجو عن تفاعلات السوق.

يحقق تحليل المنافسة النجاح الاستراتيجي للمنظمة بنشاطها الخاصة بالإنتاج، الجودة، التكاليف، تقديم الخدمة، الوقت، كفاءة الإنتاج وكذلك بالكيفية التي يتم فيها اختيار المنتج وتصميمه والرقابة على أنشطة المنظمة الازمة للإنتاج، أو لتقديم الخدمات التي تعكس درجة الجودة والتكلفة والخدمة و الكفاءة الإنتاجية (السيد، ٢٠٠٦، م ٢٦٩).

القطاع المصرفي السوداني

يرصد المتابع لتطورات قطاع المصارف بالسودان، إن هذا القطاع منذ بداية القرن العشرين قد مر بالعديد من التحولات الجوهرية، والتي يمكن تقسيمها إلى عدة مراحل تاريخية، مرحلة المصارف الأجنبية (١٩٠٣-١٩٥٨م) مرحلة تأسيس المصارف الوطنية السودانية (١٩٦٩-١٩٥٨م) مرحلة التأمين والدمج المصري (١٩٧٤-١٩٧٠م) (بنك السودان، ٢٠١٧).

الدراسة الميدانية (مجتمع وعينة الدراسة)

١. يقصد بمجتمع الدراسة المجموعة الكلية من العناصر التي سعى الباحث أن يعمّ عليها النتائج ذات العلاقة بالمشكلة المدروسة، يتكون مجتمع الدراسة من المستويات الإدارية المختلفة لفئات من القطاع المصرفي (بنك فيصل الإسلامي، بنك الخرطوم، بنك البركة الإسلامي) أما عينة الدراسة فقد تم توزيع عدد (٢٠٠) استبيان على المستهدفين بطريقة عشوائية، وقد تمت الاستجابة منهم جمّيعاً بنسبة ١٠٠٪، وبهذه النسبة يأمل الباحث أن تؤدي إلى قبول النتائج.

٢. تم الاعتماد على مصدرين أساسين للحصول على البيانات ذات العلاقة من أجل اختبار الفرضيات والوصول إلى نتائج، أولها المصادر الأولية والتي تضمنت الملاحظة والمقابلة والتقارير والاستبيان، أما ثانها هي المصادر الثانوية، والتي شملت الكتب والمراجع، والصحف والمجلات والدوريات والمنشورات، بالإضافة إلى الشبكة الدولية للمعلومات الإنترنت.

٣. احتوت الاستبيان على قسمين رئيسيين، القسم الأول يتضمن البيانات الشخصية للأفراد المبحوثين حيث اشتمل على العمر، النوع، المؤهل الأكاديمي، الوظيفة أو المهنة وسنوات الخدمة، أما القسم الثاني فقد تضمن عبارات مختارة لاختبار الفرضيات، بحيث تدرج الإجابات على ثلاثة مراحل أوفق، محايد، ولا أوفق.

٤. لغاية اختبار صدق الأداة (الاستبيان) المستخدمة في التحليل للوصول إلى نتائج مرضية لتحقيق أغراض البحث تم عرضها على أستاذة مختصين في هذا المجال كمحكمين، وقد كانت آرائهم وملحوظاتهم دور بارز ومؤثراً جيداً يمكن أن يؤخذ به صدق النتائج.

٥. لتحقيق أهداف الدراسة والتحقق من فرضياتها وللحصول على نتائج جيدة، تم استخدام عدداً من الأساليب الإحصائية، كالتوزيع التكراري، والنسب المئوية للإجابات، بالإضافة إلى الأشكال البيانية، كما تمت الاستعانة ببيوت الخبرة لتحليل بيانات الاستبيان باستخدام (SPSS) برنامج التحليل الإحصائي.

تحليل الدراسة الميدانية

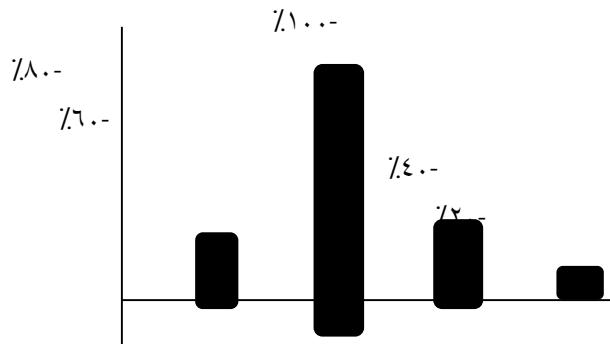
١. البيانات الشخصية. (الاستبانة، سبتمبر ٢٠١٨م)

أ. تحليل العمر.

جدول رقم (١) تحليل العمر

النسبة المئوية	التكارات	الفئات
-	-	أقل من ٢٥ سنة
٪٢٠,٥	٤١	من ٢٦ - ٣٠ سنة
٪٤٢,٥	٨٥	من ٣١ - ٣٥ سنة
٪٢٨,٥	٥٧	من ٣٦ - ٣٩ سنة
٪٨,٥	١٧	٤٠ سنة فأكثر
٪١٠٠	٢٠٠	المجموع

شكل رقم (٢) تحليل العمر



السنوات ٤٠ فأكثر ٣٦-٣٩ ٣١-٣٥ ٢٦-٣٠ ٢٥ فأقل

يلاحظ من الجدول والشكل أعلاه، إن النسبة الكبيرة من العاملين بالقطاع المصرفي المبحوث والتي تقدر بنسبة ٪٤٢,٥، هي من الأعمار التي تقع ما بين ٣١ - ٣٥ سنة، وهم من العاملين الشباب الذين يتمتعون بالنشاط الثقافة والتركيز العالي، تعتبر هذه من الفئات الأكثر أهمية والذين غالباً يعملون في الوظائف التنفيذية ويقع عليهم العبء الأكبر في العمل.

ب. المستوى التعليمي (المؤهل).

جدول رقم (٢) تحليل المستوى التعليمي

النسبة	التكرار	المستوى
-	-	أمي
٪١١,٥	٢٣	أساس / ثانوي
٪٧٤	١٤٨	جامعي
٪١٣,٥	٢٧	ماجستير
٪٠٠١	٢	دكتوراة
٪١٠٠	٢٠٠	المجموع

شكل رقم (٣) تحليل المستوى التعليمي



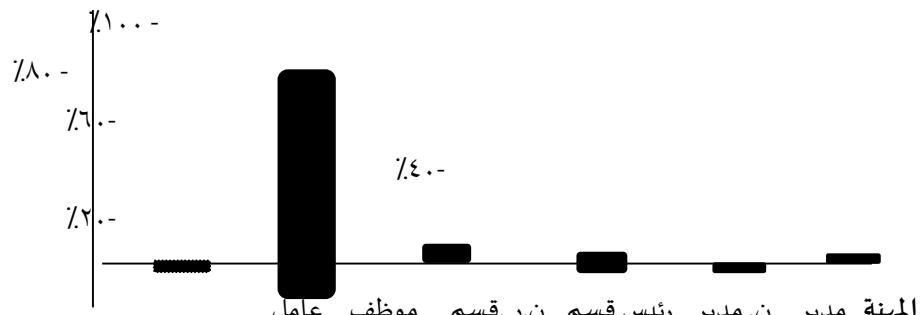
من الجدول والشكل أعلاه، نجد ان النسبة الكبيرة من العينة (٧٤٪) تعليمهم جامعي وفوق الجامعي وهذا يقود إلى مستوى التعليم العالي والثقافة والدراسة التي يتمتع بها الأفراد ومستوى التفكير وفعالية الأداء.

ج. الوظيفة (المهنة) قام الباحث في المساحة التالية بتفرع الاستبيانة من البيانات الخاصة بالمهن والوظائف للعاملين بالقطاع المصرفي لتحليلها والتأكيد من المهمة الأكبر ونسبة للعاملين عليها للوصول إلى عدة حقائق يستعان بها لاختبار صدق الفرضيات.

جدول رقم (٣) تحليل المهنة

المهنة	المجموع	النكرارات	النسبة المئوية
مدير	١		٥٪
نائب مدير	١		٥٪
رئيس قسم	١٤		٧٪
نائب رئيس قسم	١٣		٦,٥٪
موظف	١٦٠		٨٠٪
عامل	١١		٥,٥٪
المجموع		٢٠٠	١٠٠٪

شكل رقم (٤) تحليل المهنة



يتضح من الجدول والشكل أعلاه، إن نسبة ٨٠٪ من الأفراد بالعينة المبحوثة يمثلون طبقة الموظفين والذين يعتمد عليهم كثيراً في تقديم الخدمة أكثر من غيرهم، وهذا يقود إلى اعتماد القطاع بصورة

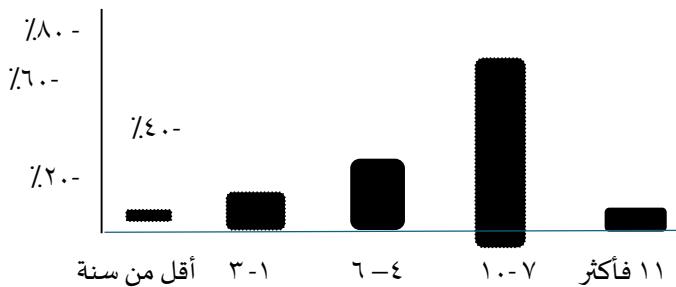
كبيرة في خدماته على هذه الطبقة أكثر من غيرها، لذلك تم التركيز على هذه الفئة في الاستبانة المقدمة، حتى يتم الاعتماد عليها في تحليل الإجابات والموثوقية..

د. تحليل سنوات خبرة عمل العاملين. قام الباحث في المساحة التالية بتفرع الاستبانة من البيانات الخاصة بخبرات للعاملين بالقطاع المصرفي لتحليلها والتأكيد من الخبرة الأكبر ونسبة للعاملين عليها للوصول إلى عدة حقائق يستعلن بها لاختبار صدق الفرضيات.

جدول رقم (٤) تحليل الخبرة

السنوات	النكرارات	النسبة المئوية
أقل من سنة	٥	% ٢,٥
من ١ - ٣ سنة	٢٠	% ١٠
من ٤ - ٦ سنة	٤٠	% ٢٠
من ٧ - ١٠ سنة	١٢٠	% ٦٠
١١ سنة فأكثر	١٥	% ٧,٥
المجموع	٢٠٠	% ١٠٠

شكل رقم (٥) تحليل الخبرة



يلاحظ من الجدول والشكل، أعلى إن النسبة الكبيرة من العاملين باللعينة المبحوثة لديهم خبرة جيدة بعملهم، حيث يمثل نسبة ٦٠٪ منهم تقريباً لخبرة تتجاوز سبعة سنوات وحتى ١٠ سنوات، وهذا يعبر دلالة على أن القطاع يحتوي على الخبرة والمهارة الممتازة من العاملين فيه وأدائهم.

٢. اختبار فرضيات الدراسة. (الاستبانة، سبتمبر ٢٠١٨ م)

لاختبار فرضيات الدراسة قام الباحث بتفرع بيانات الاستبانة على الجداول التكرارية التالية، لمعرفة مدى الموافقة والتأكيد عليها أو رفضها ونسبة التكرار لإجابات العبارات التي وضعت، ومن ثم تفرع بيانات الجداول التكرارية ومعالجتها بيانياً لتأكيد وتوضيح النسب المئوية للتكرارات، وبالتالي معرفة صدق أو نفي الفرضية.

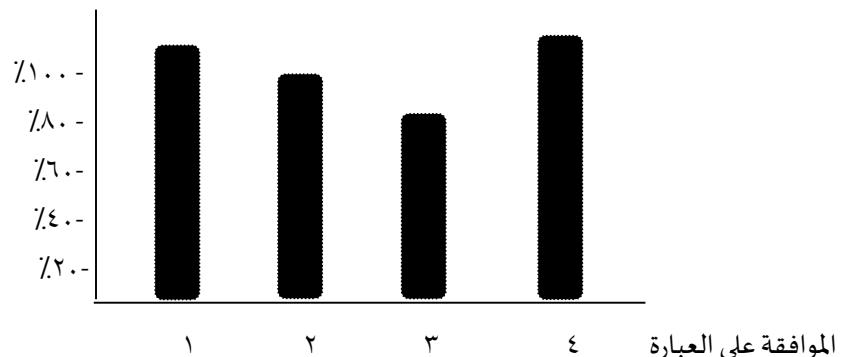
أ. الفرضية الأولى. هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نظم المعلومات الإدارية وتطبيق الجودة الشاملة.

جدول رقم (٥) العبارات والأجوبة المختارة للفرضية الأولى

النسبة		النكرار				العبارة
لأو افق	محايد	موافق	لأو افق	محايد	أو افق	

% ٧,٥	% ٢,٥	% ٩٠	١٥	٥	١٨٠	- توفر التقنيات الحديثة مهم للعمل.
% ٧,٥	% ١٢,٥	% ٨٠	١٥	٢٥	١٦٠	- الآيزو معيار المؤسسة لفرض.
% ٩,٥	% ٢٣,٥	% ٦٧	١٩	٤٧	١٣٤	تطبيق موجهات الجودة الشاملة.
% ١,٥	% ٥	% ٩٣,٥	٣	١٠	١٨٧	- من المهم وجود متخصصين لتحليل البيانات المختلفة لزيادة فاعلية الأداء.

شكل رقم (٦) اختبار الفرضية الأولى



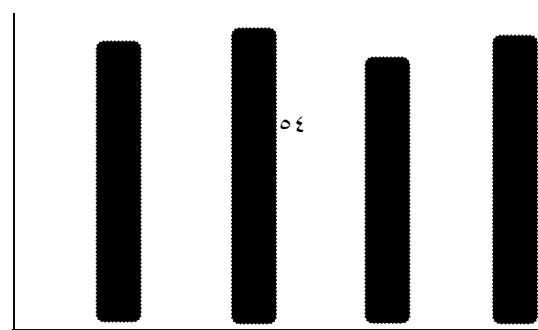
يتضح من الجدول والشكل أعلاه، أن نسبة الموافقة على العبارات التي اختيرت لاختبار الفرضية الأولى، نالت العبارات نسب موافقة: % ٩٣,٥، % ٨٠، % ٦٧ على التوالي، وتمثلت أعلى نسبة عدم الموافقة % ١,٥ لذلك تعتبر الفرضية الأولى نالت موافقة جيدة تؤهلها للأخذ بها واعتبارها، وتؤكد بأن هنالك علاقة ذات دلالة إحصائية بين نظم المعلومات الإدارية وتطبيق الجودة الشاملة.

ب. الفرضية الثانية: توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين مؤشرات البيئة وتبني القطاع المصرفي لموجهات الجودة الشاملة.

النسبة				التكرار			العبارة
لاإافق	محايد	أافق	أوافق	لاإافق	محايد	أافق	
% ٥,٥	% ٦	% ٨٨,٥	% ٨٨,٥	١١	١٢	١٧٧	- يسعى البنك للتميز من خلال التوجه نحو تطبيق موجهات الجودة الشاملة.
-	% ٥	% ٩٥	-	-	١٠	١٩٠	- تبني الإدارة العليا لمفهوم الجودة الشاملة ينعكس على أداء الأفراد.
% ٦,٥	% ١٠	% ٨٣,٥	% ٨٣,٥	١٣	٢٠	١٦٧	- تتخذ إدارة البنك المنهجية العلمية من أبحاث ودراسات مستمرة لتحسين الأداء
% ٥	% ٤	% ٩١	% ٩١	١٠	٨	١٨٢	- تحاول الإدارة إن تنتج ما يرغبه الزبائن.

جدول رقم (٦) العبارات والأجوبة المختارة للفرضية الثانية

شكل رقم (٧) اختبار الفرضية الثانية



% ١٠٠ -
 % ٨٠ -
 % ٦٠ -
 % ٤٠ -
 % ٢٠ -

الموافقة على العبارة ٤ ٢ ٣ ١

يظهر من خلال الجدول والشكل أعلاه، بأن هذه الفرضية أثبتت أعلى موافقة بنسبة ٩٥٪ في إحدى عباراتها، وأعلى نسبة عدم موافقة كانت بنسبة ٦,٥٪، لذا يتضح أن هذه الفرضية أثبتت تمام صحتها.

ج. الفرضية الثالثة: هنالك دلائل إحصائية تبين صعوبة تحقيق ميزات تنافسية بعدم وجود نظم للمعلومات للإدارية.

جدول رقم (٧) العبارات والأجوبة المختارة للفرضية الثالثة

النسبة			النكرار			العبارة		
لا أافق	محايد	أافق	لا أ	محايد	أافق	لا أ	محايد	أافق
% ٥	% ٨	% ٨٧	١٠	١٧٤		- تتحقق فاعلية الأداء بوجود نظم المعلومات ال		
% ٨	% ١٤	% ٧٨	١٦	١٥٦		- تتحقق فاعلية المنافسة بفاعلية نظم المعلومات		
% ٣,٥	% ١٦,٥	% ٨٠	٧	١٦٠		- لنظم المعلومات دور كبير في تحسين المؤسسات		
% ٤,٥	% ١١	% ٨٤,٥	٩	٢٢	١٦٩	الاعتماد عليها.		

شكل رقم (٨) اختبار الفرضية الثالثة



الموافقة على العبارة ٤ ٢ ٣ ١

بناء على ما تقدم من جدول وشكل لاختبار الفرضية الثالثة، بلغت أعلى نسبة لقبولها ٨٧٪ وهي نسبة جيدة، ونسبة ٨٪ كأعلى نسبة اعتراض عليها، ولذلك يمكن اعتبارها بأنها تدل على صحة الفرضية والأخذ بنتائجها.

٣. من خلال ما سبق نجد أن الفروض التي وضعت أثبتت نسبة عالية من صحتها وموضوعيتها، وإن العبارات التي استخدمت لإثبات صحة الفرض لاقت تأكيداً كبيراً من معظم الباحثين وبنسب عالية.

٤. قامت الدراسة بما لا يدع مجال للشك بالإجابة على السؤال الرئيس الذي طرح وهو هل تؤثر نظم المعلومات الإدارية في تطبيق الجودة الشاملة في القطاع المصرفي السوداني لتحقيق ميزات تنافسية؟

النتائج والتوصيات

أولاً: النتائج: توصلت الدراسة للنتائج التالية:

١. يوجد أنظمة للمعلومات الإدارية بالقطاع المصرفي موضوع الدراسة ولكن بسميات مختلفة.
٢. معظم نظم المعلومات الإدارية الموجودة تعمل منفردة وليس مجتمعة في مسعي اداري واحد.
٣. لا يوجد موظفين بالقطاع المصرفي في إدارة متخصصة تعنى بنظم المعلومات الإدارية ومتخصصين في جمع البيانات المختلفة ودراستها وترتيبها وتحليلها وتصنيفها في صورة معلومات.
٤. ينظر إلى نظم المعلومات المتواجدة بالقطاع المصرفي بأنها التكنولوجيا المطلوبة الموجودة والتي تساعد في تسهيل دوام العمل المصرفي فقط.
٥. تقنية المعلومات المتوفرة لدى القطاع المصرفي لم يستفاد منها كما ينبغي.
٦. عدم التفهيم العميق لنظم المعلومات الإدارية والدور الكبير الذي يمكن أن تقوم به في مساعدة الإدارة العليا لاتخاذ القرارات في هذا القطاع.
٧. تبني الإدارة العليا في كثير من البنوك في القطاع المصرفي مفهوم الجودة الشاملة باهتمامات متفاوتة.
٨. هنالك قصور باين في الفهم العميق والواضح لمفهوم الجودة الشاملة لدى مجموعة من الموظفين خاصة الدرجات التنفيذية.
٩. عدم التمازج الواضح والرقيق بين نظم المعلومات الإدارية وتأثيرها على تطبيق الجودة الشاملة في عدد من بنوك القطاع لاسيما المتطرق إليها في هذه الدراسة.
١٠. يهتم القطاع المصرفي لاسيما البنوك المبحوثة بالبيئة ومتطلباتها المختلفة.
١١. يقوم القطاع بالسعى دوماً لتنفيذ ما عليه للتماشي مع تأثيرات البيئة والسعى دوماً لتوفير ما هو مطلوب.
١٢. هنالك علاقة ذات دلالة احصائية بين نظم المعلومات الإدارية وتطبيق الجودة الشاملة بالقطاع المصرفي.
١٣. توجد علاقة ذات دلالة احصائية بين مؤثرات البيئة وتبني القطاع لوجهات الجودة الشاملة.
١٤. هنالك دلائل احصائية بين صعوبة تحقيق ميزات تنافسية بعدم وجود نظام للمعلومات بالقطاع المصرفي.

ثانياً: التوصيات.

١. أن تتفهم الإدارات العليا دور وأهمية إدارة نظم المعلومات الإدارية داخل القطاع المصرفي.
٢. على الإدارات العليا في القطاع المصرفي تعين موظفين لإدارة نظم المعلومات الإدارية متخصصين ومؤهلين في مجالات جمع ودراسة وتحليل البيانات وصياغتها في صورة معلومات وتقديمها لتخاذلي القرارات.
٣. يجب على الإدارات العليا بالقطاع المصرفي تولي مفهوم وإدارة الجودة الشاملة الاهتمام الأكبر والتلقين المستمر لمفهوم الجودة الشاملة خاصة الموظفين التنفيذيين.
٤. على الإدارات العليا في البنوك ضرورة الربط بين نظم المعلومات الإدارية ومفهوم الجودة الشاملة.
٥. يجب على الإدارة العليا نج فعالية الأداء والابتكار والتجديد في مفهوم الجودة الشاملة حتى يطبق بالصورة المثلث.
٦. على الإدارات العليا بالقطاع المصرفي السعي الدؤوب لمعرفة تأثيرات البيئة الخارجية والداخلية على الاعمال المختلفة وذلك عبر نظم المعلومات الإدارية.
٧. أن تشجع الإدارة العليا ثقافة الالتزام والتنافس في المعرفة والتجديد والتطوير والإبداع والريادة.
٨. مناشدة الجامعات والمعاهد البحثية التي تشرف على مثل هذه الدراسات أن يتم نشرها بوسائل الإعلام والمجلات المتخصصة حتى تعم الفائدة المرجوة.

المصادر والمراجع

١. الحافظ، محمد الحسن، والمغربي، الفاتح محمود، ٢٠٠٧م، بحوث التسويق، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
٢. الحاكم، علي عبد الله، ٢٠٠٧م، الإدارة الاستراتيجية، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
٣. زين العابدين، فريد عبد الفتاح، ٢٠٠٢م، تطبيق إدارة الجودة بين النجاح والفشل، دار الفجر، القاهرة.
٤. سلطان، سونيا إبراهيم، ٢٠٠١م، نظام المعلومات الإدارية، الدار الجامعية، الإسكندرية.
٥. سليمان، عبد الفتاح محمود، ٢٠٠٠م، إدارة لجودة الشاملة، ايتراك للنشر، القاهرة.
٦. السيد، عثمان إبراهيم، ٢٠٠٦م، الاقتصاد الجزئي، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
٧. عبيادات، محمد، ١٩٩٧م، بحوث التسويق، منشورات جامعة القدس، عمان.
٨. العقلي، عمر، وعبد الرحيم، عبد الله، ٢٠٠٦م، إدارة الجودة الشاملة، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
٩. محمد، مالك، ٢٠٠٩م، بحوث التسويق ودورها في رسم السياسات التسويقية، رسالة دكتوراة، جامعة دمشق، دمشق.

١٠. مصطفى جبر الله، ٢٠١٠م، أثر تطبيق نظام الجودة على أداء شركات التأمين، رسالة ماجستير، جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
١١. المغربي، محمد الفاتح، وبحيري، نهى، ٢٠٠٨م، نظم المعلومات الإدارية، منشورات جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
١٢. المقلبي، عمر عثمان، ٢٠١٦م ، مبادئ الإدارة، مطبعة السودان للعملة، الخرطوم.
١٣. مناهل أحمد يوسف، ٢٠٠٨م، دور إدارة الجودة الشاملة على أداء المؤسسات، رسالة ماجستير، جامعة السودان المفتوحة، الخرطوم.
١٤. منشورات بنك السودان المركزي www.cbos.gov.sd استرجع ٢٠١٧م.
١٥. موسى محمد توم، ٢٠١٠م، دور نظم المعلومات في أداء المؤسسات، رسالة دكتوراه، جامعة الزعيم الأزهري، الخرطوم.
١٦. هبة بوشوشة، ٢٠١٨م، دور نظم المعلومات الإدارية في تحقيق المنافسة، رسالة ماجستير، جامعة ام البوقي، تونس.
17. Crospy, Philip B, 2006, *Quality Without Tears*, University of Chicago, Chicago
18. Kotler ,1980, Principles of marketing , new jersey.

المنهجية العلمية للقاضي البيضاوي من خلال كتابه (المنهج في أصول الفقه) وأثرها في استيعاب المستجدات المعاصرة

د. منال عبد الله علي أحمد^(٠)

المستخلص

تنطلق الدراسة من أهمية التراث المميز الذي خلّفه البيضاوي والمتمثل في مصنفاته ومن أهمها كتابه المنهج ومحاولته استثماره الاستثمار الأصلاح لضبط قضايا العصر وإشكالاته الفقهية؛ لما امتاز به سعة فهم وإدراك انعكست على سعة المعاين الفقهية. هدف البحث: الاعتناء بهذه القيمة العلمية من أعمدة علم أصول الفقه الجامع بين المقول والمعقول، وفق قواعد منهجية لا تضطرب في التفكير ولا تشطح في التأويل، بصورة تُسهل الاستفادة وتبسيّر الفهم في هذا العصر الذي تبدو فيه بعض أهميات الكتب صعبة اللغة قليلاً، معقدة الأسلوب أحياناً، موجزة العبارة من أصحابها، فهم إسهامات من انكبوا على شرحها. وبيان صور البناء الأصولي لنماذج من المسائل المستجدة. تكمن مشكلة البحث في قراءة موضوعية للكتاب والإجابة عن السؤال الرئيس: كيف يمكن فقه القضايا المعاصرة وفهمها بالاستفادة من المباحث التي أشار إليها البيضاوي؟ المنهج: يتبع البحث عدة مناهج؛ منهاج استنباطي: يتبع فصول الكتاب ويفرع علمها جزئيات مسائل معاصرة، ومنهج نقدi: ينتقد ويُقُوّم استيعاب المستجدات وبناءها. ومنهج تحليلي يتم من خلاله تحليل ما تم التوصل إليه من مخرجات أهمها النتائج التالية: المهووس بالمجتمع المسلم يتطلب تنزيل منهج علمي يراعي واقع الحال ومتطلبات الأفعال، وعليه يحتاج لفهم ما صلح به أولئك من فقه للأدلة الشرعية ودلائلها، واستيعاب المرونة فيما يتعلق بالفروع والوسائل والثبات فيما يتعلق بالكليات والقطعيات

مقدمة:

يسعى هذا البحث للتعرّيف بقيمة علمية تعد إضافة في مجال علم أصول الفقه، بل يعد من أركانه فكتاب المنهج في أصول الفقه أحد أهم أربعة كتب تمثل عمدة العلم ومصادره، وتنبع أصالة البحث من كونه يحاول وصل التفكير المعاصر في القضايا الفقهية المستجدة بالقواعد والأسس التي أشار إليها القاضي البيضاوي من خلال عرضه لكتابه.

أهداف البحث: عكس التراث العلمي الغني الذي يظهر من خلال كتب علماء الأصول، والتأكد على استمرار تأثير المنهج العلمية التي تمت بها معالجة القضايا الفقهية في السابق إلى وقتنا الحاضر من خلال بيان كيفية التكييف الفقهي والبناء الأصولي، واستصحاب التأسيس المقاuchiي حتى تكتمل علمية معالجة القضايا المستجدة من خلال الإشارات المستفادة من كتاب المنهج في أصول الفقه. وبيان صور البناء الأصولي لنماذج من المسائل المستجدة.

(٠) جامعة أم درمان الإسلامية، السودان، نائبة عميد كلية التقنية والدراسات التنموية الحالي

أسباب اختيار موضوع البحث: العناية بكتب علماء أصول الفقه السابقين من خلال عرضها وربط الباحثين والمعاصرين بها وتبسيط فهمها بما يتواافق مع قضايا الواقع المستجدة. كذلك من الأسباب التي دعتني للكتابة: التعريف بالقاضي البيضاوي الذي يمثل رمزاً للعلم الشرعي المتكامل حيث جمع بين التأليف الفقهي، والتفسير القرآني والكلام في العقيدة ومسائلها.

مشكلة البحث: الفكرة التي تقوم عليها دراسة هذا البحث هي محاولة الإجابة على الأسئلة التي تبادر إلى الأذهان مثل: كيف يمكن الاستفادة من التراث الفقهي الغني الذي ضبط من خلاله الفقهاء السابقون وقائدهم وواقع حاليهم؟ وكيف يكون التكيف الفقهي للمستجدات على ضوء ما وضع علماء الأصول من الأسس والقواعد التي تضبط المسائل؟ وما هي الأمثلة على ذلك.

منهج البحث: يتبع البحث عدة مناهج منها؛ منهاج استنبطي: يتبعه فصول وأبواب كتاب المناهج ويفرع عليهما جزئيات مسائل معاصرة، ومنهاج نقدي: ينتقد ويُقُوّم استيعاب المستجدات وبناءها. ومنهاج تحليلي يقوم على تحليل ما تم التوصل إليه حتى نحصل على نتائج منطقية سليمة. ومن أهم تلك النتائج: أن النهوض بالأمة يحتاج لفهم ما صَلَحَ به أولئك من فقه للأدلة الشرعية ودلائلها، واستيعاب المدونة فيما يتعلّق بالفروع والوسائل والثبات فيما تتعلّق بالكليات والقطعيّات.

الدراسات السابقة: هناك الكثير من الكتب والدراسات في فقه القضايا المعاصرة والمستجدات، كما أن هناك عدد من المؤلفات تناولت كتب القاضي البيضاوي، لكن لم أثر على دراسة ربطت بين المؤلفات القديمة في علم أصول الفقه وبين المسائل المعاصرة والقضايا المستجدة كما تناول هذا البحث بصورة مباشرة ودقيقة.

تعريف بالقاضي البيضاوي وكتابه المنهاج.

يختص المبحث بالتعريف بالقاضي البيضاوي، ومؤلفاته وتصانيفه بالتركيز على ما خدم به الجانب الأصلي، وذلك في مطلبين

البيضاوي: اسمه ونسبه، شيوخه وتلاميذه ووفاته

عمر البيضاوي متكلم، ومحدث، ومفسر ونحوى، أحد علماء أهل السنة والجماعة، وهو فقيه وأصولي على المذهب الشافعى، وأحد أعلام القرن السابع الهجرى. كان إماماً عالمة عارفاً بالفقه والتفسير والأصوليين والعربى والمنطق، نظاراً صالحًا متبعاً(السيوطى، ١٩٧٩، ٥٠/٢).

أولاً: اسمه ومولده: هو: ناصر الدين أبو الخير، وأبو سعيد عبد الله بن أبي القاسم عمر بن محمد بن أبي الحسن علي البيضاوي-نسبة الى البيضا قرية في Shiraz- ولا تعلم سمة ولادته تحديداً، والغالب أن مولده أوائل القرن السابع الهجري. نشأ بالبيضا ثم انتقل مع عائلته إلى Shiraz، وهناك قام حاكمه بتعيين والده في منصب قاضي القضاة، كما كان جده من قبل، ولـي أمر القضاة بشيراز، وقبائل الأحكام الشرعية بالاحترام والاحتراز.(ابن العماد، ١٩٩١، ٧/٦٨٦)

شخصية بارزة في الفقه الحنفي ولد في فارس ثم عاش في بغداد، اشتهر بعلمه وسمع منه عدد من العلماء الكبار مثل أبي جعفر بن المسلمة وأبي الغنائم بن المأمون، كان معروفاً بتواضعه وحرصه على الحقيقة. صاحب كتاب (المهاج في أصول الفقه) من كبار الأئمة في المعقول.(الذهبي، ٢٩٦/٣٠).

- ثانياً: شيوخه: تتلمذ على عدد من الشيوخ؛ حيث أشرف والده بنفسه على تدريسه جميع أنواع العلوم والمعارف، لذا هنذر ذكر شيوخه نقتصر على أبرزهم وهم كثُر، منهم:
- ١- والده الإمام أبو القاسم عمر بن محمد بن علي البيضاوي (ت ٦٧٥هـ) أخذ عنه الفقه على مذهب الشافعي، وكان من الأئمة وتولى القضاء بشيراز، دُرس وحدّث وجمع بين العلم والتقوى، وقد تأثر به البيضاوي كثيراً وكان يشير إلى أقواله في ثنايا كتبه.
 - ٢- الشيخ في كتابه المنهاج في أصول الفقه الذي اختصر فيه كتاب (الحاصل) لتاج الدين محمد بن محمد الكحتاني الصوفي، صحبه البيضاوي وأخذ عنه الطريق واقتدى به في الزهد والعبادة.
 - ٣- الشيخ شرف الدين عمر البوشكاني الزيكي (ت ٦٨٠هـ) كان من أكابر العلماء العاملين عالمة في جملة من الفنون، كان الإمام البيضاوي عين تلاميذه، ولما توفي رثاه البيضاوي بقصيدة طولية مكتوبة على مرقده.
 - ٤- من شيوخه كذلك نصير الدين محمد بن عبد الله الطوسي (ت ٦٧٢هـ) وشهاب الدين عمر بن محمد بن عبد الله السهروري.

ثالثاً: تلاميذه: تتلمذ عليه عدد من الشيوخ؛ منهم:

- ١- فخر الدين أحمد: أبو المكارم أحمد بن الحسن بن يوسف الجاريري، الشافعي (ت ٧٤٦هـ) كان إماماً فاضلاً، ديناً، خيراً وقوراً مواطباً على العلم، اجتمع مع القاضي ناصر الدين البيضاوي وأخذ عنه. (ابن القاضي، ج ١/ ص ٤٨).
 - ٢- كمال الدين عمر بن اياس بن يونس المراغي: الصوفي، ولد بأذربیجان سنة ٦٤٣ وقد مُدْمشق سنة ٧٢٩هـ، جاور بالقدس ثلاثين سنة وأقام قبلها بمصر خمسة عشر سنة، قال النابلي سمع صحيح البخاري على العز الحراني، والترمذى على محمد بن ترجم، وسمع على القاضي ناصر الدين البيضاوي المنهاج والغاية القصوى والطوالع. (الذهبي، ٢٢٢/٤٣).
- رابعاً: وفاته: توفي رحمه الله في مدينة تبريز سنة ٦٩١هـ، وقيل سنة ٦٨٥هـ (ابن الأثير، ٣٥٨/٨).

مؤلفاته:

يُعد البيضاوي رمزاً للعلم الشرعي المتكامل، امتاز بتصانيفه البديعة المشهورة والتي تنوّعت فنونها، منها:

أولاً: التفسير المسمى بـ "أنوار التزيل وأسرار التأويل" المسمى تفسير البيضاوي، اشتهر وبه وتلقاه العلماء بالقبول وذاع ذكره، وهو كتاب عظيم الشأن غني عن البيان لخص فيه من الكشاف ما يتعلّق بالإعراب والمعانٍ والبيان، ومن التفسير الكبير ما يتعلّق بالحكمة والكلام، ومن تفسير الراغب ما يتعلّق بالاشتقاق وغوامض الحقائق ولطائف الإشارات.

ثانياً: طوالع الأنوار من مطالع الأنظار؛ مصنف في المنطق أو علم الكلام، يعتبر نموذجاً لما ألف في هذا العلم، عرض مؤلفه من خلاله تفصيلاً لما أشكل من علم الكلام معززاً إياه بمناقشة مستفيضة على

المنهج الأشعري، وقد تميز بالطابع الشمولي مع إيجاز ودقة، في تحديد المصطلحات الكلامية. شرحه الإيجي: ابراهيم بن أحمد في كتاب أسماء المطالع شرح الطوالع، وشرحه الفارابي: عبدالصمد بن محمد في كتاب أسماء (شرح طوالع الأنطارات) وكذلك شرحه الزنجاني والتستري وغيرهم.

ثالثاً: الغاية القصوى في دراية الفتوى؛ كتاب قيم في الفقه والفتاوى على المذهب الشافعى، حققه دعى محي الدين القراءى داغى، ونشرته دار البشائر الإسلامية فى مجلدين سنة ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٨ م. وقد شرحه الشريف الفرغانى (ت ٧٤٢ هـ)، والشيخ غياث الدين محمد بن محمد بن عبد الله الواسطى (٧٩٦ هـ) المعروف بابن العاقوى.

رابعاً: تحفة الأبرار شرح مصابيح السنة، حققته لجنة مختصة بإشراف نور الدين طالب، ونشرته وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالكويت، عام النشر ١٤٣٣ هـ - ٢٠١٢ م، تحدث فيه عن تناسب الكتاب والسنة وعدم التعارض بينهما، ثم شرع في بيان الأحكام الفقهية التفصيلية.

خامساً: لب الباب في علم الإعراب؛ مختصر الكافية لابن الحاجب. وهو منطو على فوائد جلية. شرحه محمد بن بير علي البيركى (٩٨١ هـ) وهو المعروف بامتحان الأذكياء.

هذه نماذج أورتها للتمثيل وليس الحصر؛ ذلك للتعرف على سعة الفهم والإدراك للقاضى البيضاوى، وشمول الإمام بعلوم شتى، هذا غير المخطوطات لك رسالة في موضوعات العلوم وتعاريفها، ونظام التواريخ، وهو عن تاريخ الدولة الفارسية وقد كتبه باللغة الفارسية، وغير هذا كثير.

البناء الأصولى لكتاب المنهاج

يختص المبحث بالتعريف بكتاب المنهاج في أصول الفقه، كما يعطى إشارات لكيفية الاستفادة منه عند البناء الأصولى للقضايا والتأسيس للاستنبط للأحكام الشرعية بطريقة منهجية علمية.

التعريف بكتاب المنهاج

اسم الكتاب: منهاج الوصول إلى علم الأصول، وبعد من الكتب المختصرة في علم أصول الفقه.

أولاً: استمداده: رجع عند تأليفه إلى عدة كتب؛ كتاب الحاصل من المحسول لمحمد بن الحسن الأرموى، ومن كتاب المحسول في علم الأصول لفخر الدين الرازى؛ والمحسول استمداده من كتابين (المستصفى لحجۃ الاسلام محمد بن محمد الغزالى، والمعتمد لأبى الحسين البصري).

ثانياً: منهجيته: للقاضى البيضاوى منهجية موحدة خلال تأليفه لكتابه ويمكن تلخيصها بنقاط كما يأتى:

- ذكر بعض الفروع الفقهية التي تم تحريرها على القواعد الأصولية.
 - إيراد وذكر أقوال الفقهاء في المسائل مع أدلةهم ومناقشتها في المسائل الخلافية ثم الترجيح بين الآراء.
 - بين إن كان الخلاف بين الفقهاء في بعض المسائل يتربّط عليه آثار أم لا.
 - اعتمد على الأحاديث الصحيحة دون الضعيفة.
 - إن كانت المسألة تعتمد على أصل اللغة العربية ينقل أقوال أهل اللغة وعلمائهم.
- ثالثاً: مميزات كتاب المنهاج:

- تميز الكتاب بصغر حجمه.
- وسهولة ألفاظه ويسراها.
- كما تميز بترابط موضوعاته. وقد قسمها إلى أقسام.

رابعاً: موضوعات كتاب المهاج: يتناول في مقدمة كتابه: الحكم الشرعي وما يتعلّق به من أركان حيث جعلها مقدمات أبواب وفصول الكتاب، وبدأ بذكر تعريف أصول الفقه، ثم انتقل إلى تعريف الفقه وأدله. بدأ بباب الحكم: فيين فيه تعريف الحكم وأقسامه وتقسيماته وأحكامه.

- ثم شرح ما لا بد للحكم منه حيث شرح فيه معنى الحكم والمحكوم عليه والمحكوم به.
- تناول الأدلة بادئاً بعمدة الأدلة - القرآن الكريم- قسمه إلى عدة مواضيع: الوضع والاستفراق والترادف وغيرها، هذا بالنسبة لما يتعلّق باللغة، ثم ذهب إلى الحديث عن الأوامر والنواهي ثم العموم والخصوص ثم المجمل والمبين ثم الناسخ والمنسوخ.
- السنة النبوية: شرح فيه المصدر الثاني للتشريع فتعرض بالتفصيل لما صدر عن النبي -صلى الله عليه وسلم- من الأفعال والأخبار.
- الإجماع: ذكر فيه كيفيته مفصلاً كونه حجة وأنواعه وشروطه.
- القياس: رابع الأدلة المتفق عليها، قام ببيانه وشرح أركانه.
- دلائل اختلف فيها: ذكر بداية الدلائل المقبولة ثم الدلائل المردودة.
- التعادل والترجح: طرق مسائل مهمة جداً وملهمة للباحثين على مر الأزمان سيمما في قضايا الواقع باختلاف الزمان والمكان ثم بين تعادل الإمامتين وكيفية الترجح.
- الاجتهاد والإفتاء: وضح معنى كل مهما ذكر الأركان والشروط. وهو بهذا يخدم قضية التصدي للفتاوى وضوابطها.

خامساً: الشروح على المهاج: انتشر هذا الكتاب كثيراً بين الناس واهتم به العلماء حتى كثرت الشروح له ولها قيمة علمية عالية، من أهمها:

- ١- شرح الشيخ شمس الدين الأصفهاني في كتاب سماه السراج الوهاج.
- ٢- شرح لشمس الدين الأصفهاني في كتاب سماه نهاية السول.
- ٣- شرح تاج الدين السبكي (عبد الوهاب بن علي بن عبد الكافي السلمي، الشافعى، ت سنة ٧٧١هـ) في كتاب سماه الإيهاج. (التغرى، ١٠٨/١١).
- ٤- شرح سراج الدين ابن الملقن سماه كافي المحتاج.
- ٥- شرحه (نهاية السؤل شرح المهاج / لـ الأنسنـي: هو عبد الرحيم بن الحسن بن علي بن عمر بن علي الشافعى، جمال الدين أبو محمد. القرشى الأموي شيخ الشافعية بالديار المصرية مؤرخ، مفسر عالم بالعربية. ولد في صعيد مصر بأسنا سنة ٤٧٠هـ. وقدم القاهرة، وتوفي بمصر سنة ٧٧٢هـ. له شرح طبقات الفقهاء (التغرى، ١١٤/١١).

إشارات البناء الأصولي لكتاب المهاج

تبعد حقيقة البناء الأصولي واضحة جلية من خلال عبارات المؤلف من بداية تعريفه لعلم أصول الفقه: قال: "أصول الفقه: معرفة دلائل الفقه إجمالاً، وكيفية الاستفادة منها، وحال المستفيد". الفقه: العلم بالأحكام الشرعية العملية المكتسب من أدلةها التفصيلية) وهذا التعريف باعتبار المسئي للنبي (الباهسين، ١٩٩٨) و(ابن قدامة، ٥٨١) مع العلم بأنه اضافي في معناه وما أبنتني عليه - الفقه-. ودليله المتفق عليه بين الأئمة: الكتاب والسنة والإجماع والقياس، ولا بد من تصور الأحكام الشرعية ليتمكن من إثباتها ونفيها، لذلك رتبه على مقدمة وسبعة كتب(نحصر الكلام على إشاراتها).

- الإشارة الأولى: المقدمة في الأحكام ومتصلقاتها وفيها باباً" البيضاوي بدأ الكلام عن تعريف الحكم الشرعي، وما سبقه: بتعريف علم أصول الفقه كمقدمة لكتابه المشتمل على سبعة كتب بتفاصيل أبوابها وفصولها، فتناول تعريف الفقه وذكر أدله المتفق عليها(القرآن، السنة، الإجماع والقياس) ومن ثم تعريف الحكم الشرعي(خطاب الله تعالى المتعلق بأفعال المكلفين اقتضاءً أو تخيراً أو وضعاً) ومنه قسم الحكم الشرعي لتكتيفي ووضعي؛ التكتيفي خمسة أقسام على قول الجمهور(واجب مندوب محروم مكره ومحاج) وسبعة على قول الأحناف بزيادة (الفرض- وهو أعلى من الواجب؛ لأنه ما ثبت بدليل قطعي، والمكره قسموه إلى -مكره تحريمياً وهو المحرم الثابت بدليل ظني، ومكره تنتهي) أفرد للواجب فصلاً كاملاً تناول فيه أحكامه وتقسيماته حسب عدة اعتبارات تتعلق به، وبالمحاطب به وبوقته، ثم أقسام الحكم الشرعي الوضعي(الرخصة والعزمية، السبب، والشرط والمانع- أهمل ذكرهما- والصحة والبطلان)، كما تعرض للتقبیح والتحسین، وهي من أصول المعتزلة، وما ترتبت عليها من مسائل كمسألة شكر المنعم وغيرها، وفصل في المصطلحات الخاصة بالحكم الشرعي كالأداء والقضاء وغيرها.
- استيعاب المستجدات المعاصرة: من المسلم به عند كل عالم أو باحث متبر في الأمة الاحتكام إلى واحدة من هذه الأقسام التي عليها مدار فعل المكلف، أما كون أنه هناك اختلاف في الأقوال أحياناً حتى في المسائل القديمة في إضفاء الوصف الشرعي للحكم عليها فإن المقاصد الشرعية حاضرة بقوة عند كل قول، يسيّجها الإطار الفقهي، ويحّمّلها الضابط العلمي، والاختلاف داخلها يعبر عن معاني السعة وتلاقي الأفكار، وهو ما أنتج الفقه المقارن، وهذا التميّز أخرج للأمة العديد من المدارس الفقهية التي قامت بمتطلبات الاجتہاد وفق هذه القواعد التي أبناها الشافعی عليه رحمة الله بالتنصيص عليها وكشفها ومن ثم تابعه الراسخون في علم الأصول ومنهم بلا منازع القاضي البيضاوي- عليه رحمة الله.
- الإشارة الثانية: تناول البيضاوي متعلقات الحكم الشرعي (الركن الأول: الحكم؛ وهذه مسألة فلسفية تتعلق بعلم الكلام، الركن الثاني: المحكوم عليه؛ وهو المكلف حيث تعرض لصلاحيته لتحمل التكاليف وأهليته لأداءها وشروطه، الركن الثالث: المحكوم به؛ وهو ما تعلق به الحكم الشرعي وتتطرق لشروطه ومواصفاته. فالحاكم هو الله. لكن المعتزلة والماتريدية تناولوا المسألة بمنظور أهل المنطق حيث جعلوا لها مقدمة مبنية على أصولهم، وفرع على ذلك مسائل فلسفية

كوجوب شكر المنعم وكالتكليف قبل البعثة، وهذه تناولها الأمدي في كتابه الأحكام عند الكلام عن الإباحة والمحاب، وفي ركن المحكوم به لم يفصل البيضاوي كما فعل غيره من المصنفين عند تناولهم له من حيث أقسامه والتمثيل لها، لكنه تعرض لمسألة تكليف الكفار وأئمهم مخاطبون وبالتالي مكفون بالفروع، وتحرير محل النزاع في المسألة: هل يُشترط في التكليف بالفعل أن يكون شرطه حاصلاً حالة التكليف؟ وهو مبني على مسألة: ما لا يتم الواجب إلا به هل يوصف بالوجوب؟ قيل: أنهم لا يخاطبون منها بغير النواهي؛ وهو قول الإمام أحمد بن حنبل في إحدى الروايتين وأكثر أصحاب الرأي وقيل: مخاطبون بالفروع، وهو مذهب ابن قدامة ونسبه إلى الشافعي وهو أيضاً مذهب الأمدي ونسبه إلى: الجمهور من أصحابه ومن المعتزلة. وقول ثالث: أنهم غير مخاطبون بالفروع: نسبة الأمدي في الأحكام إلى أكثر أصحاب الرأي. (الأمدي، ج ١/٣٤٢) ذكر صاحب الروضة: وفائدة الوجوب: أنه لو مات: عوقب على تركه. وإذا أسلم: سقط عنه؛ لأن الإسلام يجُب ما قبله (ابن قدامة، ١/٢٣٢)

- استيعاب المستجدات: من خلال هذا نستطيع التأسيس في القضايا الفقهية المستجدة التي لا توجد نصوص صريحة منقولة على مقدمات صحيحة معقولة لإيجاد الحكم الشرعي لها، التزاماً بالقاعدة الأصولية (لا اجتهاد مع النص) وتماشياً مع مبدأ الحاكمة لله. مع تحرير الكلام في حدود العقل عند النظر والتفكير، والموازنة عند اطلاقه لتخرج مناط الحكم للقضية المستجدة وتنقيحه زمن ثم تحقيقه.
- الإشارة الثالثة: وظيفة الأصولي معرفة الأدلة بصورة إجمالية، ثم معرفة كيفية الاستفادة منها والتوصل بالاستنباط الصحيح؛ فاللغة العربية نزل بها الكتاب لذا أفرد البيضاوي لها الباب الأول؛ من حيث وضع اللغة وما يتعلّق بها، ومن حيث تقسيم الألفاظ باعتبار دلالاتها؛ إذ التقسيمات كلها متفرعة عن معرفة الدلالة، والاشتقاق وأقسامه وأحكامه، وفرق بين الترداد وبين التأكيد، حيث تناوله في أربع مسائل جعل التأكيد من ضمنها، لذا علق بعضهم بأنه لو سعى الفصل بالترداد والتوكيد لاستقام، ثم تناول الاشتراك في فصل ضم خمس مسائل قرر في المسألة الأخيرة أن المشترك إن تجرد عن قرينة يعتبر مجمل. كما بسط الكلام عن الحقيقة والمجاز في مقدمة وثمانى مسائل وفصل في طعن المعتزلة للمقدمات وما استدل به، ونقض الأدلة، وفرع على ذلك ثلاثة فروع: الأول: في أن النقل خلاف الأصل؛ إذ الأصل بقاء الأول ولأنه يتوقف على الأول ونسخه ووضع ثانٍ فيكون مرجحاً. الفرع الثاني: الأسماء الشرعية موجودة؛ المتواتلة كالحج والمشرفة كالصلة الصادقة على ذات الأركان، وصلة المصلوب والجنازة. الفرع الثالث: صيغ العقود - كبعت- إنشاء؛ إذ الأخبارات في أصل اللغة وقد تستعمل في الشرع. وبعد أن ذكر كيفية الاستدلال باللفظ انتقل إلى كيفية الاستدلال عندما يعرض بالألفاظ ما يحد ث خللاً بالفهم، وفصل في احتمالات ذلك وعالجه بحيث إذا انتفى الاشتراك والنقل كان اللفظ موضوعاً لمعنى واحد، وإذا انتفى احتمال المجاز والإضمار كان المراد باللفظ ما وضع له، وإذا انتفى احتمال التخصيص كان المراد باللفظ جميع ما وضع له فلا يبقى عند ذلك خللاً في الفهم.

وقد خصص البيضاوي فصلاً لتفسير الحروف التي تشتد الحاجة في الفقه لمعرفتها لوقوعها في أدله، وذكر فيه ست مسائل استأنس بأقوال أهل اللغة فيها وأرجع البث وحسم النزاع عند الاستدلال على الحكم لتفسيراتهم، وختم الباب بكيفية الاستدلال بالألفاظ وهو المراد من جميع ما سبق من فصول والتقديم له حيث أنه يتوقف على كونه بطريق المنطوق أو المفهوم فيبيته في سبع مسائل استهلها بسؤاله: عدم جواز أن يخاطبنا الله تعالى بالمهمل، ولا بما يخالف الظاهر؛ لأنه لو كان جائزًا لتعذر الاستدلال بالألفاظ على الحكم، فبدها لكونهما كالمقدمة.

استيعاب المستجدات: من هنا تظهر أهمية تكامل العلوم خاصة علوم الألة وعلوم الدلالة، وهذا مطلوب في كل الأزمنة ولكنه يتتأكد في هذا الزمن حيث وهنت اللغة نوعاً ولملكة الفقهية بشكل أو باخر ولم يعد الفقيه أو العالم كما كان في السابق موسوعياً، يلزم هذا الاستعانة بخبراء في العلوم التي تساعد في ضبط الحكم الشرعي بعد تصور القضية التي يحكمها بمساعدة أهل الاختصاص من الاقتصاديين والأطباء وغيرهم. ثم إن مبحث الدلالات من المباحث التي تزداد الحاجة لمعرفتها وتتأكد في وقتنا المعاصر لأنها من المباحث المزنة تعطي الفقه حيويته وخصوصيته لمواكبة الواقع وما يستجد فيه.

- الإشارة الرابعة: دلالة الأمر والنفي من مباحث الدلالات التي وجدت حظاً وافراً من علماء الأصول بحثاً وتدقيقاً لتعلقها بأهم مباحثه، وقد ذكر البيضاوي الأمر في فصلين والنفي في فصل؛ ذلك أن مسائل الأمر أكثر، والنفي في فصل، فذكر الاختلاف في حقيقة الأمر، ومعانٍ صيغة أفعال حيث حصرها في ستة عشر معنى، بينما زاد الشوكاني أنها ستة وعشرون. وتناول فيما هي حقيقة فيه، أكثر البيضاوي من ذكر استدلالات المعتزلة، ثم تناول ورود الأمر بعد الحظر، وإفادته الأمر المطلق لطلب الماهية من غير المرة ولا التكرار، ورتب على ذلك اقتضاء الأمر الفور أو التراخي؛ وقرر إفادته طلب الفعل فقط. أما النفي فقد استغنى عن التفصيل فيه بما قاله في الأمر لإرتباطه، فذكره في أربع مسائل: هل يقتضي الفور، وهل يدل على الفساد، والثالثة عن مقتضى النفي، وقد فرعها ابن السبكي في جمع الجواب على قوله: مسألة لا تكليف إلا بفعل، والرابعة الأخيرة في النفي المخير.

- استيعاب المستجدات: لعل هذه الإشارات تمثل أوسع دوائر استيعاب المستجدات من خلال المرونة التي تميز كيفية الاستفادة من الأدلة الشرعية من خلال آلة الدلالة واستثمار نتائج التقسيمات التي أوردها البيضاوي والمعانٍ التي أشار إليها خاصة دلالة الأمر وبيان ما يتافق والمقاصد الشرعية وما تمثله من جلب للمصالح على مر الأزمان، والتحذير عن النبي وما يكفله من دفع للمفاسد.

- الإشارة الخامسة: لما كان للمجمل في اللغة معنيان؛ المهم والمختلط بغيره، فقد رتب علماء الأصول تصوراتهم لمفهومه وتعريفه وحده على حسب ما اعتبروه من أيهما، فقد اعتبر الأحناف أن المجمل من الإجمال الذي هو الاختلاط والإذدام فقالوا: (المجمل ما ازدحمت فيه المعانٍ واشتبه المراد منه اشتباهاً لا يدرك بنفس العبارة، بل بالرجوع إلى الاستفسار ثم الطلب

والتأمل)(السرخسي، ١٦٨/١) أما غير الأحناف فيجعلون المجمل من المهم؛ عرفه الأدمي: (ما له دلالة على أحد أمرين لا مزية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه). وابن الحاجب قال: المجمل: ما لم تتضح دلالته- أي ما له دلالة غير واضحة)(ابن الحاجب، ١٥٨/٢) البيضاوي شرع في تقسيم الكلام فيه إلى ثلاثة فصول تضم مسائل أقسامه وأسبابه، وتعرض لما اعتبره الحنفية مجملًا كآية مسح الرأس وأية قطع اليد، ثم في الفصل الثاني تناول المبين وذكر فيه مسألتان في أنواع البيان وعدم جواز تأخيره عن وقت الحاجة- أي وقت العمل منعاً للتکلیف بما لا يطاق، لأن الإيتان بالشيء مع عدم العلم به محال، لكنه جواز التأخير عن وقت الخطاب، ونبه إلى جواز تأخير التبليغ إلى وقت الحاجة، وهو وقت تنجز التکلیف سواءً كان موسعاً أو مضيقاً.

- استيعاب المستجدات: ويمثل هذا دائرة الخيار الشرعي وتوازن طرفي طلب الفعل وطلب الكف، بحيث تتسع مساحة الابلاء بالامثال وما يترب عليه من الإجزاء وسقوط التعبد بعد الأداء المشروط بالكيفيات والبيئات التي يبنتهما السنة وبعض الآيات المفسرة ذلك بعد استجمام الشروط واستيفاء الأركان وانتفاء الموانع وبالتالي تترتب الآثار الشرعية. كذلك يتجلى هنا قاعدة تغير الفتوى بتغير الزمان والمكان والأحوال، حيث يعطي المجمل مساحة للطلب والتأمل ثم النظر والتفكير لاستنباط الحكم الشرعي للمستجدات.
- الإشارة السادسة: النسخ من قبيل بيان الأحكام وليس من قبيل إلغائها، وأنه ضرورة لا يصار إليه إلا عند عدم التوفيق والجمع حال التعارض بين الأدلة. والقاعدة في هذا إعمال الدليلين أولى من إهانة أحدهما، لكنه جائزٌ واقع بشرطه وضوابطه التي تم ذكرها، وبعضها مأخوذ من اصطلاحهم عليه. البيضاوي تناول النسخ في الباب الخامس والأخير من الكتاب الأول(الكتاب) في فصلين؛ الأول في النسخ: وفيه سنت مسائل اختار في الأولى أنه بيان للأحكام وليس رفعاً لها. وأنه واقع، ثم أن اليهود قالوا بغير ذلك، ثم ذكر منع أبي مسلم الأصفهاني للنسخ في مخالفه لجمهور العلماء، كذلك أكد على جواز النسخ قبل العمل ودلل عليه، وجواز النسخ بلا بدل أو ببدل أثقل، وأنواع النسخ في الكتاب كنسخ الحكم دون التلاوة ونسخ الخبر. الفصل الثاني تناول فيه المنسوخ في خمس مسائل فصل في جواز نسخ الكتاب بالسنة ونسخ السنة بالكتاب، وبين ما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز وفقاً للقاعدة الأصولية، التي رتب العلماء علمها؛ ما يجوز فيه النسخ وما لا يجوز، وما يجوز به النسخ وما لا يجوز، وذكر ما يستلزم النسخ: من أن نسخ الأصل يستلزم نسخ الفحوى، وأن زيادة صلاة ليست بنسخ، وذيل الباب بما أسماه خاتمة، تكلم فيها عما يعرف به النسخ.

- استيعاب المستجدات: الضبط الأصولي يتجلى هنا من خلال بيان ما يتعلق بالنسخ من قواعد تشكيل تضييق لدائرة استخدامه بمحددات شرعية تحكم نطاق إعمال الأدلة الشرعية. وعليه فإن مبحث النسخ لا يستوجب استيعاب مستجد ولا بناء فقهي لنازلة.

- الإشارة السابعة: السنة النبوية الشريفة مصدر التشريع الثاني، ودورها فيه لا يخفى؛ فهي المعاونة لكتاب المؤكدة لأحكامه، والمؤكدة لما ورد فيه، كما أنها قد تستقل أحياناً بإنشاء ما سكت

عنه بایجاب مال م يوجب، أو بتحريم ما لم يحرم، في غير ما تعارض ولا تضاد، وبغضهم ذكر أنها إنما تلحق فرع بأصل ورد في أي الكتاب، أو تلحق فرع كان متعددًا بين أصلين فتحسمه وتلحقه بأحدهما. والبيضاوي جعل الكلام عنها في بابين: الأول في أفعاله صلى الله عليه وسلم، بدون فصول وإنما خمس مسائل اكتفى بها عن الكلام في أقواله عليه الصلاة والسلام، بما سبق وقدم من مباحث الكتاب العزيز لاشتراكهما في المباحث كالدلائل، كيفية الاستنبطاط، ما يدخل بالفهم، دفع التعارض- وغيرها. كما اكتفى أيضًا بالكلام عن أفعاله وأدخل فيه تقريراته، وإشاراته وهمه صلى الله عليه وسلم. في المسألة الأولى تناول عصمة الأنبياء، وهي مقدمة لما بعدها؛ لأن الاستدلال بأفعالهم متوقف على عصمتهم، ثم فعله المجرد دلالته على الإباحة، وفي المسألة الثالثة عبر عن الندب بقصد القربى إن كان الفعل مجردًا، ثم أكد على أن الفعلان لا يتعارضان، وختم الباب بالمسألة الخامسة في تعبده قبلبعثة وهي مما أكثر فيه من علم الكلام وأطالوا. وزع مسائل الخبر في فصول ثلاثة: فصل فيما علم صدقه وهي سبعة أقسام، وفصل ثانٍ فيما علم كذبه وهو قسمان؛ ما علم ضرورة أو استدلالاً، والثاني ما لوحظ لتوفر الدواعي على نقله، والفصل الثالث فيما يعلم صدقه وهو خبر الواحد العدل؛ والنظر فيه من طرفين: الأول في وجوب العمل بما دل عليه السمع، والثاني في شروط العمل بخبر الواحد. والجمهور في تقسيم الخبر إلى متواتر وأحاد، والاحتانف يجعلونه متواترًا وأحاد، ومشهور، فالمتواتر قطعي الثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم باتفاق العلماء ويفيد العلم واليقين مطلقاً، ويُكفر جاحده، ذكر ابن حزم¹: أن الخبر المتواتر والقرآن الكريم في مرتبة واحدة من حيث القبول، وهو بمنزلة العيان وأعلى مراتب النقل، يجب العمل به وهو صحيح قطعاً ويفيد العلم بطريق التيقن. (ابن حزم، ٢/١٠٠) اهتم البيضاوي كغيره من علماء الأصول بخبر الواحد، حيث ذكر شروط العمل به، وهو ظني الثبوت لأن سنته لا يفيد القطع، وأما من جهة الدلالة كل أقسام السنة الثلاثة المتواتر والمشهور والأحاد؛ قد تكون قطعية الدلالة إذا كان نصها لا يحتمل تأويل، وقد تكون ظنية الدلالة إذا كان نصها يحتمل التأويل، وخبر الواحد لما أفاد الظن فقد اختلفوا في مجال الأخذ به لأنه لا يفيد اليقين ولا الطمأنينة لكن يجب العمل به لا الاعتقاد للشك في ثبوته وهذا مذهب أكثر العلماء وجملة الفقهاء، كما وضح أن الصحابة رروا خبر الواحد وعملوا به وقد ثبت أن المصلين في مسجد قباء انتقلوا إلى القبلة الجديدة بخبر الواحد، ووقائع كثيرة تبين ذلك، إلا أنهم يتفاوتون في طريق اثبات السنة بخبر الواحد وفيما يرونها محققاً للاطمئنان والثقة والثبت، وأحياناً كانوا ينكرونها ويردون العمل به لسبب: إما لضعف ثقته بالراوي، ولعلم بما ينسخه، أو ظن منهم أنه عارض لما هو أقوى منه كنص في الكتاب نص متواتر في السنة.

١- ابن حزم: هو علي بن سعيد الظاهري الأندلسي، أبو محمد عالم الأندلس في عصره، ولد سنة ٣٨٤ هـ، وتوفي سنة ٤٥٦ هـ، من آثاره: المحلى في الفقه، وكتاب إبطال القيام. انظر: هدية العارفين، ٦٩٠ / ١.

- استيعاب المستجدات: من المتقرر في أصول الفقه أن السنة النبوية معاونة للقرآن الكريم ومؤكدة للما جاء فيه ومبينة لما أجمل فيه أحياناً يكون بياناً شافياً، وأحياناً يكون بياناً في حاجة لمجتهد يتدارس وينظر ويستنبط الحكم الموقف لضبط الواقع ومتطلبات العصر بلا إفراط ولا تفريط. ومع تزايد الهجوم والافتراء على السنة النبوية الشريفة وهي مسألة قديمة ولكنها تتجدد بتجدد الزمان ولربما تأخذ صوراً في كل عصر ينبغي الانتباه لها والتزود بالعلم الشرعي لدحضها.

ثمار التأسيس على منهجية البيضاوي لمعالجة مستجدات العصر

تتعرض في هذا البحث لنماذج توضح الاستفادة من التأسيس على منهجية البيضاوي العلمية المحكمة لاستنباط أحكام تضبط الواقع وتأكد مبدأ صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان.

التأسيس على الإجماع:

الإجماع هو الدليل الثالث الذي يلي مصدر التشريع الكتاب والسنة في القوة، وهو بذلك أول الأدلة الاجتمادية.

أولاً: تناوله البيضاوي في ثلاثة أبواب: الأول في بيان كونه حجة ولم يوزعه على فصول بل على مسائل بذاتها بالتأكيد عليه وتعريفه من حيث الاصطلاح ووجوب العمل به، ثم في المسألة الثانية ذكر المخالفين، وسمّاهم-النظام والشيعة والخوارج^(١) وفي الثالثة إلى الخامسة فيما عده بعضهم من الإجماع وهو ليس منه، ثم ختم الباب ببيان ما يثبت الإجماع به وما لا يثبت. لم يتعرض البيضاوي كما فعل غيره لضوابط الإجماع: حيث يتبيّن من تعريفات الإجماع ضرورة توفر الضوابط الآتية: صدور الاتفاق، المجتهدون، أن يكون المجتهدون من أمة محمد-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- وأن يكون اتفاق المجتهدين بعد وفاة النبي-صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- واتفاق المجتهدين في عصر من العصور، وأن يكون الاتفاق على حكم شرعي اجتمادي (الرحيلي، ١٩٨٦، ٤٩١).

الأول: صدور الاتفاق والمقصود بالاتفاق هنا: الاشتراك إما بالأقوال أو الأفعال، أو السكوت، أو التقرير بالنسبة للأمر المتنازع فيه.

الثاني: المجتهدون: والمجتهد هو الذي حصلت له ملكرة يقتدر بها على استنباط الأحكام من مأخذها. ولا عبرة بإجماع العوام. ذكر صاحب الروضه والأمدي أنه لا يشترط في المجتهدين أن يبلغوا عدد التواتر. (ابن قدامة، ٤٥٠/٢) (الأمدي، ٥٥٨/٢).

١ - الشيعة: هم الذين شایعوا علي رضي الله عنه على الخصوص وقالوا بإمامته وخلافته نصاً ووصية، إما جلياً وإما خفياً، واعتقدوا أن الامامة لا تخرج من أولاده وان خرجت فبظلم يكون من غيره أو بتقية من عنده ويجمعهم القول بوجوب التعين والتنصيص وثبتت عصمة الأنبياء والأئمة وجوباً عن الكبار والصغار. (أنظر الملل والنحل، ١١٨)

= والخوارج: هم طائفة خرجت في زمن الصحابة على سيدنا علي ومعاوية، وتسمى بهم كل من خرج على الامام الحق الذي اتفقت الجماعة عليه سواء كان الخروج في زمان الصحابة على الأئمة الراشدين، أو كان بعدهم على التابعين بإحسان والأئمة في كل زمان (الملل والنحل، ص ٩٢)

الثالث: يُشترط أن يكون أهل الإجماع من المسلمين، وهم كل من أجاب دعوة محمد "صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ" وآمن بها. وقد ذكر صاحب الروضة: أنه لا يعتد في الإجماع بقول كافر. وهو ما أكده الأدمي حيث ذكر: أنه لا اعتبار بموافقة من هو خارج عن الملة ولا بمخالفته.

الرابع: أن يكون اتفاق المجتهدین بعد وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا عبرة بالإجماع في عصره عند الجمهور؛ لأنَّه إذا وافق الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المجمعين، فالحجة هو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وإذا خالفهم، فلا عبرة بما أجمعوا عليه؛ لأنَّه صاحب التشريع، وعليه لا ينعقد الإجماع في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

الخامس: اتفاق المجتهدین في عصر من العصور: ليس المراد بـدَاهَةً جميع مجتهدی الأمة في جميع العصور إلى يوم القيمة، وإنَّما أدى إلى عدم تحقق الإجماع أصلًا. والمراد بالعصر هو عصر من كان من أهل الاجتہاد في الوقت الذي حدثت فيه المسألة الجديدة التي تتطلب حکمًا شرعيًا فيها.

السادس: أن يكون الاتفاق على حکم شرعي اجتہادي؛ لأنَّه لا يعد إجماعًا الذي لا محال للاجتہاد فيه، والذي لا يدرك بالعقل والرأي كالمقدرات الشرعية؛ لأنَّ سنته هو الدليل السمعي، وكذلك على حکم شرعي ثبت بدلیل قطعی الثبوت والدلالة لا يكون محلاً للإجماع.

ثم ذكر مسائل ستة وذيلها بفرع: القول فيما تعم به البلوى ومساواته له بالإجماع السکوتي، وقد تناول في المسألة الأولى؛ إذا اختلفوا على قولين فهل من بعدهم احدث قول ثالث؟ ولعله اختار المنع مطلقاً، وفي المسألة الثانية تناول عدم جواز الفصل بين مسأليْن لم يفصل فيها السابقون في اجماعهم عليهم وأوضح ما رأه بالتصريح بعدم الجواز، وصرح بالجواز في المسألة الثالثة وموضوعها الاتفاق بعد الخلاف، ثم تناول في الرابعة حدوث مجتهدین بعد اختلاف السابقون على قولين، وفي الخامسة تكلم عن انقراسِ إحدى طائفتي المجمعين وصرح بأنَّ قول الباقيين حجة، أما السادسة فخصصها للإجماع السکوتي.

جعل البيضاوي الباب الثالث والأخير من الكتاب الثالث خاصاً بشروط الإجماع وأدخل فيه طريقة دفع التعارض وبيانه، وهو كذلك لم يقسمه إلى فصول وإنما إلى مسائل: الأولى في بيان شرط المجمعين؛ إذ لابد أن يكونوا من المختصين بالفقه وأصوله وأن يكونوا مسلمين، والثانية: في مستنده إذ لابد من أن يستند الإجماع على الكتاب أو السنة، والثالثة أخرج ما لا يُعد من شروط الإجماع حيث ذكر انقراس العصر وموت المجمعين ليس شرطاً، ثم أوضح في الرابعة طرق نقل الإجماع وذكر منها النقل عن طريق الأحاديث على قول بعضهم ولم يرجع.

ثانيًا: الثمرة المعاصرة: دور الإجماع في التشريع وهو أنه يرفع الدليل الطني لمربطة القطع، كما يؤكّد على الدليل القطعي ويقويه حيث لا مانع من توارد الأدلة كما تقرر من خلال ما تم ذكره.

لكن لا بد للتبنيه إلى مسألة مهمة في التشريعات المعاصرة، ينبغيأخذها في الاعتبار وهي:

(أ) احترام الإجماع المتيقن: إن اتفاق علماء الأمة جميعاً على حکم شرعي- وخاصة في القرون الأولى- يدل دلالة واضحة على أنهم استندوا فيما أجمعوا عليه إلى اعتبار شرعي: من نصٍ أو مصلحة أو

أمرٍ محسوس، فينبغي أن يحترم إجماعهم، لتبقى مواطن الاجماع المتيقن في الشريعة هي الضوابط التي تحفظ التوازن، وتجسد التوابت، وتمتن الببلة والاضطراب الفكري، وتجسم الوحدة العقلية والشعورية والعملية للأمة، فإذا استيقن المجهد من ثبوت الاجماع في مسألة، فليوفر على نفسه عناء الاجماد، فقد فرغت منها الأمة التي أبى الله أن تجتمع على ضلاله. غير أنه أحياناً يذكر أن هذا الأمر مجتمع عليه والمتأمل له والناظر فيه بموضوعية قد يجد أن ذلك دعوى بلا برهان، بل قد تكون من اتباع الظن الذي هببنا عنه؛ حيث أن من المؤكد:

- ألا تقبل دعوى بغير دليل مهما كان قائلها، والدليل هو البرهان النظري في العقليات؛ قال تعالى: (فُلْ هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين). [البقرة: ١١١]، أو المشاهدة أو التجربة في الحسنيات؛ قال تعالى: (وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عَبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّا شَهِدُوا خَلْقَهُمْ) [الزخرف: ١٩]، وصححة الرواية وتوثيقها في النقليات، قال تعالى: (أَتَتُونِي بِكِتَابٍ مِّنْ قَبْلِ هَذَا أَوْ أَثَارَةً مِّنْ عِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صادقين). [الأحقاف: ٤].
- رفض الظن والعواطف في كل موضع يطلب فيه اليقين الجازم، والعلم الواضح، قال: (وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِنْ يَتَبعُونَ إِلَّا الظَّنَّ، وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيئاً). [النجم: ٢٨].
- الثورة على الجمود والتقليد والتبعية الفكرية للآخرين؛ قال تعالى: (بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَفْيَنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْلُو كَانُ أَبْأُوهُمْ لَا يَعْقُلُونَ شَيئاً وَلَا يَهْتَدُونَ). [البقرة: ١٧٠].

(ب) الاجتهد الجماعي: هو اتفاق جماعة من المجهدين على حكم شرعى في مسألة بعد التشاور والبحث. (إسماعيل، ١٧) وهو يختلف عن الإجماع؛ لأن الإجماع هو اتفاق المجهدين من أمة محمد- صلى الله عليه وسلم- في عصر من العصور بعد وفاته على حكم شرعى. (الغزالى، ١٧٣/١) فالإجماع يتطلب اتفاق جميع مجتهدى العصر، فلو خالف واحد لم ينعقد، أما الاجتهد الجماعي فقد يكون عن اتفاق الجميع أو الأكثري أو جماعة من العلماء والباحثين.

ثالثاً: الفرق بين الإجماع والاجتهد الجماعي: الإجماع حجة قطعية، أما الاجتهد الجماعي حجة ظنية يكون عن طريق التشاور والتباحث وتبادل الآراء وتمحيص الأفكار، ومحاولة الاتفاق، وهذا لا يشترط في الإجماع، فلو اتفقا على حكم بدون سبق تشاور صح الإجماع. فالاجتهد الجماعي ضرورة للإفباء في القضايا الفقهية المعاصرة؛ لأسباب عديدة منها: رأى الجماعة أولى وأقرب إلى الصواب من رأى الفرد، يقول القرضاوى- رحمه الله-: "ينبغي في القضايا الجديدة أن ننتقل من الاجتهد الفردي إلى الاجتهد الجماعي، الذي يتشاور فيه أهل العلم في القضايا المطروحة، وخصوصاً فيما يكون له طابع العموم ويهتم جمهور الناس؛ فرأى الجماعة أقرب إلى الصواب من رأى الفرد مهما علا كعبه في العلم، فقد يلمح شخص جانباً في الموضوع لا يتبه له آخر، وقد يحفظ شخص ما يغيب عن غيره، وقد تبرز المناقشة نقاطاً كانت خافية، أو تجلى أموراً كانت غامضة، أو تذكر بأشياء كانت منسية، وهذه من بركات الشورى، ومن ثمار العمل الجماعي دائمًا عمل الفريق أو المؤسسة بدل عمل الأفراد". كما أن ظهور التخصص الدقيق في فروع العلم، فهناك من يتخصص في الفقه، ومن يتخصص في أصول

الفقه، أو في الحديث، أو التفسير، أو البلاغة وهكذا. ولم يعد الأمر كما كان في السابق حيث كان العلماء موسوعيين. ويعتبر نوعاً من أنواع الإجماع بمعناه العام؛ فإذا كان من الصعب تحقق الإجماع بالمعنى الذي عناه الأصوليون، فإن الاجتهد الجماعي يتبع نوعاً منه وهو أقرب إليه بلا شك من الاجتهد الفردي. كما أن الاجتهد الجماعي يعمل على استمرارية الاجتهد في الأمة، وبالتالي هو عالمة على صلاحية الشريعة لكل زمان ومكان، إذ به توأك كل جديد.

آليات الاجتهد الجماعي في العصر الحاضر: تقرر أن الاجتهد الجماعي مظهر معاصر وحديث من مظاهر الاجتهد وضرورة للإفتاء في القضايا المعاصرة، فإنه قد تجل في المجامع الفقهية، وهيئات الإفتاء المختلفة. وأهم مؤسسته: مجمع البحوث الإسلامية بالأزهر الشريف: وهو أقدمها على الإطلاق حيث أنشأ سنة ١٩٦١م، برأسه شيخ الأزهر، ويعين له أمين عام، ويضم لجان متخصصة، عدد الأعضاء فيه ٥٠ عضو. مجمع الفقه الإسلامي الدولي التابع لمنظمة المؤتمر (التعاون حالياً) الإسلامي بجدة، قرار إنشائه سنة ١٤٠١هـ، مجمع الفقه الإسلامي بالهند: أنشأ سنة ١٩٨٨م، ويشارك في ندواته عدد من العلماء وإن كان أغلبهم من الهند. مجمع الفقه الإسلامي بالسودان: أنشأ سنة ١٤١٩هـ، ويضم أربعين عضواً من كبار علماء السودان، بالإضافة إلى هيئة استشارية من ممثلي المجامع الفقهية الأخرى من خارج السودان. وغيرها من المجامع الفقهية والهيئات واللجان.

التأسيس لترجمي أقوال الصحابة والتابعين والمعقولات

ترجمي الأقىسة تجده في بعض كتب الأصول تحت عنوان ترجيح المعانى وغالباً ما يبدأ فيه بترجمي العلة، وسماها الأمدي: (التعارض الواقع بين معقولين): حيث ذكر: والمعقولان: إما قياسان أو قياس واحد. فإذا تعارض بين قياسين فالترجمي بينهما قد يكون: بما يعود إلى أصل القياس، وقد يكون بما يعود إلى مدلوله، وقد يكون بما يعود إلى أمر خارج. وأما ما يعود إلى الأصل: فمنه ما يعود إلى حكمه، ومنه ما يعود إلى علته وهو المقصود هنا. فقد جعل المرجحات العائدة إلى علة حكم الأصل خمسة وثلاثون مرجحاً (الأمدي، ٢٦٩/٥).

أولاً: البيضاوي فقد ختم الكتاب بباب تراثي الأقىسة، وهي بوجوه خمسة:

١- حسب العلة: وهو بأمر: فالقياس المعلل بالعلنة متقدم على المعلل بالحكم: لأن الأحكام في الأكثر نيت بالعلنة دون الحكم، والظن يتبع الغالب. ويرجح التعليل بالحكم على التعليل بالوصف العدمي" كل وصف وجودي مقدم على العدمي" لأن العلم بالعدم لا يدعو إلى شرع الحكم إلا إذا حصل العلم باشتمال ذلك العدم على نوع المصلحة، فيكون الداعي إلى شرع الحكم في الحقيقة هو المصلحة لا العدم، ويكون التعليل بالصلحة أولى. ويرجح التعليل بالعدم على التعليل بالحكم الشرعي.

٢- حسب دليل الحكم: الذي يدل على العلية لوصف حكم الأصل، ترجيح القياسين المتعارضين هنا فيه تكرار من البيضاوي لما ذكره في مسالك العلة وبيان مراتبها قوة وضعفاً واتفاقاً واختلافاً؛ حيث رجح الشافعية الإخالة على الدوران، والسبر عليهم، لما فيه من التعرض لنفي المعارض دونهما، أما

الأحناف فلا يقولون بهذا الإنكارهم الثلاثة إلا ما يرجع من السبب إلى النص أو الاجماع. وهو عند الشافعية ترجيح أصله على الآخر هو ترجيح لقياس بالعرض، ولأصله الذي هو النص بالذات.

٣- بحسب كيفية دليل الحكم: فيرجح النص ثم الاجماع لأنه فرعه.

٤- بحسب كيفية الحكم (سبق بيانه في الوجه السادس ترجيح الأخبار)

٥- الترجيح بأمور أخرى وهي ثلاثة: الأول والثالث من قسم العلة، وثانيها من قسم الحكم. ثالثاً: مسائل القياس: الكتاب الرابع في القياس وقد تناوله البيضاوى في بابين؛ جعل الكلام في الأول في بيان أنه حجة، ولم يقسمه إلى فصول؛ وإنما في أربع مسائل بعد أن بدأ الكلام فيه بتعريفه من حيث الاصطلاح وقد اختلفت التعريفات فيه عند الأصوليين تبعاً لاختلافهم في أنه هل هو دليل شرعى كالكتاب والسنن نظر المجتهد أو لم ينظر، أو هو عمل من أعمال المجتهد فلا يتحقق إلا بوجوده، فمن ذهب إلى الأول كالأمدى وابن الحاجب عرفه بأنه: مساواة فرع الأصل في علة حكمه، أو ما يقرب من ذلك، ومن ذهب إلى الثاني كالباقلانى والرازى والبيضاوى عرفه بما يفيد أنه عمل من أعمال المجتهد؛ مثل: تشبيه فرع بأصل لوجود العلة فيه، أو حمل معلوم على معلوم آخر لاشتراكهما في العلة، أو بذل الجهد في استخراج الحكم. وقد تناولت المسألة الأولى الأدلة من الكتاب والسنن وقول الخلفاء الراشدين والمعقول، وكلها بشواهد قوية أدلة على حجيته. وفي المسألة الثانية ذكر قول المثبتين أن النص على العلة فهو أمر بالقياس، وفي الثالثة ذكر أنواع القياس، وفي الرابعة والأخيرة تناول محل القياس.

من الأصوليين من يرى أن الدليل على حجيته هو الدليل العقلى، والبيضاوى ذكر القياس قبل هذا مدللاً على أنه دليل شرعى فذكر من الآيات ما يؤيد ما ذهب إليه موافقاً أصحابه من الشافعية والجمهور، وتكلم فيه على حسب أركان القياس، لكنه جعلها فصلين:
الأول: في الركن الأول وهو العلة.

الثاني: دمج ركن الفرع وأشار فيه إشارات طفيفة للركن الرابع الذي هو حكم الأصل ، وبالتالي أسهب في الكلام عن العلة وتناولها من طرفيين:

الطرف الأول: في طرق العلة وهي عنده تسعة طرق زاد غيره علها.

الطرف الثاني: تناول فيه ما يبطل العلة وهي عنده ستة.

ثم ذكر التعليل بال محل وتحليل الحكم العدمى، والعلة القاصرة والعلة المتعدية، ثم ذكر ختام الفصل في التفصيل في العلة وهنا قسمها إلى مسائل خمس. أما الفصل الثاني في الأصل والفرع: حيث ذكر شرط الأصل والأقوال فيه، كما ذكر شرط الفرع وهو ثلاثة: وجود العلة فيه بلا تفاوت، والعلم به، والدليل على حكمه إجمالاً. الأمدى عرف الفرع: بأنه نفس الحكم المتنازع فيه أو محله: والفرع المسمى بصورة محل التزاع، وهي الواقعية المتنازع في حكمها نفياً وإثباتاً شرطه: أن تكون العلة الموجودة فيه مشاركة لعلة الأصل، إما في عينها كتعليق تحريم شرب النبيذ بالشدة المطرية المشتركة بينه وبين الخمر، أو في جنسها كتعليق وجوب القصاص في الأطراف بجامع الجنائية المشتركة بين القطع والقتل

وشرطاً آخر هي: أن يكون خالياً عن معارض راجع يقتضي نقىض ما اقتضته علة القياس على رأي القائلين بجواز تخصيص العلة.

- أن يكون الحكم في الفرع مماثلاً لحكم الأصل في عينه كوجوب القصاص في النفس المشترك بين المثقل والمحدد، أو جنسه كإثبات الولاية على الصغيرة في نكاحها قياساً على إثبات الولاية في مالها، فإن المشترك بينها إنما هو جنس الولاية لا عينها، ولو لم يكن كذلك لكان القياس باطلأ. أن لا يكون حكم الفرع منصوصاً عليه. أن لا يكون حكم الفرع متقدماً على حكم الأصل، وذلك كما لو قام الشافعي الوضوء على التيمم في الافتقار إلى النية؛ لأنه يلزم منه أن يكون الحكم في الفرع ثابتاً قبل كون العلة الجامعة في قياسه علة، ضرورة لكونها مستنبطة من حكم متأخر عنه (الآمدي، ١٧٢٥) ثم ختم البيضاوي الباب؛ بتتبه: فحوا استعمال القياس على وجه التلازم. دون أن يتعرض لأقسام القياس التي ذكرها علماء الأصول وتفريعها على اعتبارات متعددة كالقياس العقلي وقياس الشبه وقياس العكس وغيرها. مع اختلافهم في مدى اعتبارها.

أما الدليل الثاني: هو قول الصحابي فقد اتفق العلماء كما قاله الآمدي، وابن الحاجب على أن قول الصحابي ليس بحجة على غيره من الصحابة ومثله في جمع الجواب. الثالث الترجيح لأمر خارج وهي أربعة مرجحات.(ابن قدامة، ١٠٣/٣)

ثانياً: ثمرة التأسيس على أقوال الصحابة والتابعين والقياس والترجح بين الأقويسة والمعقولات نزل الدكتور القرضاوي هذه المنهجية عند بحث قضية معاصرة في الغرب أن النساء أكثر إقبالاً على الدخول في الإسلام من الرجال، فإذا كانت المرأة غير متزوجة فلا إشكال، لكن الإشكال يكمن فيما إذا كانت المرأة متزوجة ودخلت في الإسلام قبل زوجها، فماذا تفعل المرأة وهي حريصة على الإسلام، وفي الوقت نفسه حريصة على زوجها وأولادها وبيتها؟ ذكر القرضاوي: "كنت لستين طويلاً أفكى بما أفكى به العلماء- وهو أن المرأة إذا أسلمت يجب أن تفارق زوجها في الحال، أو بعد انتهاء عدتها، لأن الإسلام فرق بينهما، ولا بقاء لمسلمة في عصمة كافر، كما لا يجوز لها أن تتزوج غير المسلم ابتداءً، فكذلك لا يجوز لها الاستمرار معه بقاء".(القرضاوي، ٤٢٣، ٢٠٠٣) فقد بحث المسألة وذكر تسعه أقوال تطرق إليها ابن قيم الجوزية في كتابه (أحكام أهل الذمة) بإيجاز هي: انفساخ النكاح بمجرد إسلامها: هنا قول جماعة من التابعين، وجماعة من أهل الظاهر.(سماهم: منهم: جابر بن عبد الله، وعبد الله بن عباس، الحسن البصري وغيرهم) الانفساخ إذا أبي الزوج الإسلام: قاله أبو حنيفة- تقع الفرقة ولا تراغ العدة في ذلك. انفساخ النكاح عند انقضاء عدة المدخول بها: قاله مالك إن كان قبل الدخول وقعت الفرقة، وإن كان بعده؛ فإن أسلم في عدتها فهما على نكاحهما، وإن انقضت عدتها فقد بانت منه، فإن أسلم هو ولم تسلم عرض علمها الإسلام؛ فإن أسلمت بقيا على نكاحهما، وإن أبى افساخ النكاح ساعة إبائها سواءً قبل الدخول أو بعده. عكس القول السابق: قاله ابن شبرمة: إن أسلمت قبله وقعت الفرقة في الحين، وإن أسلم قبلها فأسلمت في العدة فهي امرأته، وإن وقعت الفرقة بانقضاء عدتها. اعتبار العدة لكل من الرجل والمرأة: قاله الأوزاعي والزهري والليث والإمام أحمد، والشافعي: إذا سبق أحدهما بالإسلام، فإن كان قبل الدخول انفسخ النكاح، وإن كان بعده فأسلم

الآخر في العدة فيما على نكاحهما، وإن انقضت قبل إسلامه انفسخ. تنتظر المرأة وترخيص، ولو مكثت سنتين إن اختارت ذلك: قال حماد عن أيوب وفتادة، كلاهما عن محمد بن سيرين. واختاره ابن القيم موافقاً ابن تيمية. هو أحق بها ما لم تخرج من مصرها: قال حماد عن قتادة عن سعيد بن المسيب، عن علي بن أبي طالب: قال في الزوجين الكافرين يسلم أحدهما؛ هو أملك ببعضها ما دامت في دار هجرتها، وبطريق آخر؛ سفيان بن عيينة عن مطرف، عن الشعبي عنه. مما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما السلطان: قال ابن أبي شيبة عن معتمر عن معمر، عن الزهري: فهما على نكاحهما مالم يفرق بينهما سلطان. تقر عنده ويُمنع من وطئها: قاله داود بن علي، وقاله شعبة عن النخعي، وبه أفتى حماد بن أبي سليمان. وعلق ابن القيم أن العصمة قائمة فلها النفقة والسكنى. وذكر من السنة أمثلة يمكن الرجوع إليها. (ابن القيم، ١٨١/٣) ما ذكره ابن القيم يعد فتحاً في المسألة التي كان يحسمها من مسائل الإجماع، ثم تبين أن هذا الإجماع صحيح وثبت بالنظر إلى تزويج المسلمة بغير المسلم ابتداءً، فهذا حرامٌ مقطوعٌ به، ولم يقل به فقيه قط، وهو ما جعل القرضاوي يرجع للمصادر الأصلية التي نقل ابن القيم منها الأقوال، وقد ركز على القول السادس، الذي نصره- ونصره ابن تيمية؛ قال القرضاوي: كنت أود أن يعرض لرأي الإمام علي- رضي الله عنه- الذي ذكره عنه؛ وهو أملك ببعضها مادامت في دار هجرتها، وفي رواية أخرى: هو أحق بها ما لم تخرج من مصرها، لأن النبي- صلى الله عليه وسلم- قد بعثه إلى اليمن في حياته، وتولى الخلافة بعد عثمان، ولا بد أن يكون قد باشر ذلك بنفسه، فحكمه في هذه القضية يكون فيه معنى الفتوى ومعنى القضاء معاً، فهو وجيه، ترجحه حاجة المسلمات الجديdas الباقيات مع أزواجهن في ديارهن غير الإسلامية، إلى بقائهن مع أزواجهن، لا سيما إن كن يرجين إسلامهم، خصوصاً إذا كان لهن منهم أولاد.

وخلص إلى ثلاثة أقوال في المسألة:

١- قول علي: وهو أن زوجها أحق بها ما لم تخرج من مصرها، وهنا نجد المرأة باقية في وطنها ومصرها لم تهاجر منه، وقول علي ثابت عنه، لم يختلف عليه فيه، وافقه عليه اثنان من أئمة التابعين: الشعبي وابراهيم.

٢- ما روي عن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه-: من إقراره بعض النساء إذا أسلمن عند أزواجهن غير المسلمين، أو تخيرهن، كما رواه أكثر من مصدر، ولم يخالف ذلك إلا رواية واحدة، لها ملابسات خاصة. فإذا أن نرجح الروايات الأكثر، أو نقول: إن للإمام أو القاضي فسحة في الإبقاء، أو التخيير للمرأة، أو التفريق بينها وبين زوجها وفق ما يراه من المصلحة في ذلك. وقد يختلف هذا من حالة إلى أخرى.

٣- قول الزهري: مما على نكاحهما ما لم يفرق بينهما سلطان، أي مالم يصدر حكم قضائي بالتفريق بينهما.

الخاتمة

البيضاوي خلال كتاب المهاج في أصول الفقه، عرض لمسائل فيها من الاختلافات الأصولية والاستدلالات وناقش بعضها، وأكثر غيره من علماء الأصول الخوض في تفاصيلها، واعتبروا بعضها لفظياً وأحياناً قليلاً يكون خلافاً معنوياً. فإن كان معنوياً لابد من ذكر فائدته الأصولية، وثمرته الفقهية، لذا حقّ على في هذه الورقة استجلاء القيمة العلمية لهذا الكتاب وكيفية استثماره لمعالجة قضايا الواقع ومسائله.

أولاً: النتائج

- 1- أن النهوض بالمجتمع المسلم يحتاج التطبيق العملي لمقاصد وجود الخلق، وتزيل ذلك بمنهجه علمي يراعي واقع الحال ومتارات الأفعال، وعليه يحتاج لفهم ما صلح به أولها من فقه للأدلة الشرعية ودلائلها، واستيعاب المرونة فيما يتعلق بالفروع والوسائل والثبات فيما يتعلق بالكليات والقطعيات.
- 2- شخصية القاضي البيضاوي وما حباه الله عز وجل من صفات وما اكتسب من علوم واجتهد في تحصيلها، تبدو واضحة في آثاره ومصنفاته سيما كتاب المهاج في أصول الفقه، ذلك المصنف المهم. والذي طبق ما فيه هو أولاً في نفسه عندما خطّ كتبه الفقهية؛ على سبيل المثال: كتابه "الغاية القصوى في دراية الفتوى".
- 3- إسلام المرأة دون زوجها في بلاد الغرب متعلقة بمقصد الشريعة من حفظ النسل، تمثل فتح الباب للإجتهاد على ضوء الكليات والأصول والقواعد الفقهية؛ مع مراعاة المراجعات، وقواعد التيسير ورفع الحرج، باعتبار ثلاثة أقوال في هذه القضية المهمة، وتزيلها على واقع اليوم بما يحفظ المصالح ويفوت المفاسد.
- 4- تجديد النظر الأصولي لا يعني طرح التراث الفقهي بالجملة، وإنما يعني فهم كيف ضبط العلماء السابقون مسائل واقعهم حتى يتثنى للمعاصرين فعل ذلك وفق متطلبات العصر بلا إفراط ولا تفريط؛ بل بتنصيب الأدلة الشرعية والنظر الأصولي.

ثانياً: التوصيات: الاهتمام بالمصنفات التي تذخر بها المكتبة الإسلامية، ونشرها بوسائل الميديا المتاحة، والukoof علىها لاستخراج كنوزها. وتوجيه أنظار الباحثين سيما الشباب منهم لقيمة القديم الذي لا يبلّي بل هو جديد متجدد فقط إذا أحسن فهمه وعرضه، مما يساعد على صقله ويفحقق فائدته في الواقع الحاضر من غير إفراط ولا تفريط.

المصادر والمراجع

• القرآن الكريم

- الإسنوي: شيخ الإسلام جمال الدين عبد الرحيم بن الحسن الإسنوي(٢٠٠٩م) نهاية السؤل: شرح منهاج الوصول إلى علم الأصول: للقاضي ناصر الدين بن عبد الله البيضاوي، وعليه حاشية سلم الوصول لشرح نهاية السؤل: شيخ الإسلام محمد بخيت المطيعي، دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

- الهمدي: سيف الدين (٢٠١٦م) الإحکام في أصول الأحكام، حققه: د. عبد الله بن علي الشهري، دار الفضیلۃ، الرياض، الطبعة الأولى.
- ابن تغري: يوسف بن تغري بردي بن عبد الله، أبو المحاسن جمال الدين (د.ت) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة الناشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي دار الكتب مصر.
- ابن حزم: أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري (د.ت) الإحکام في أصول الأحكام؛ تحقيق: الشيخ أحمد محمد شاکر، قدم له: الأستاذ الدكتور إحسان عباس، دار الآفاق الجديدة بيروت.
- ابن السبکي: تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام بن يحيى. وتابع الدين أبو نصر عبد الوهاب الإیهاج في شرح المنهج (١٩٩٥م) منهاج الوصول الى علم الأصول: للقاضي البيضاوي المتوفى سنة ٧٨٥هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن العماد: ابن العماد الحنبلي (١٩٩١م). شذرات الذهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير للطباعة والنشر، الطبعة الأولى.
- ابن القاضي، أبو العباس أحمد بن محمد المکاسي (د.ت) ذیل وفیات الأعیان المسی "درة الحجال في أسماء الرجال" تحقيق محمد الأحمدی أبو النور.
- أبو الفداء: الحافظ عماد الدين إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي (٢٠٠٠م) البداية والنهاية، تحقيق: محمد صبحي حسن حلاق، ومحمد أحمد الأطرش- دار الرشد ومؤسسة الإیمان - الطبعة الأولى.
- ابن القيم: أحكام أهل الذمة، تحقيق د. صبحي الصالح، طبعة جامعة دمشق.
- ابن قدامة: موفق الدين: عبد الله بن أحمد بن محمد المقدسي (٢٠١٦م) روضة الناظر وجنة المناظر، تحقيق: د. عبد الكريم بن علي بن محمد النملة، مكتبة الرشد، السعودية - الرياض، الطبعة السادسة عشرة.
- ابن منظور: محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين (١٤١٤هـ) لسان العرب، دار صادر، بيروت، الطبعة الثالثة.
- الباحسين: يعقوب بن عبد الوهاب (١٩٨٨م) أصول الفقه، الحد والموضوع والغاية، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض الطبعة الأولى.
- الباقي، أبو الوليد، سليمان بن خلف بن سعد بن أيوب بن حارث التجيبي القرطبي الأندلسي (٢٠٠٣م) الإشارة في أصول الفقه، تحقيق، محمد حسن محمد اسماعيل، دار الكتب العلمية بيروت، لبنان، الطبعة الأولى.

- الباقياني: محمد بن الطيب بن محمد جعفر، القاضي أبوبكر الباقياني المالكي(١٩٩٨م) التقريب والإرشاد(الصغير) تحقيق: د. عبد الحميد بن علي أبو زيد، مؤسسة الرسالة، الطبعة الثانية.
- البخاري: أبوعبدالله محمد بن إسماعيل(٢٠٠٠م)، صحيح البخاري، دار ابن كثير، بيروت، ط١.
- البرمكي: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن ابراهيم بن أبي خلakan(١٩٩٤م) وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: إحسان عباس، دار صابر، بيروت.
- البغدادي: إسماعيل باشا البغدادي(١٩٥١م) هدية العارفين، وكالة المعرفة، إستانبول.
- البهقي: أبوبكر أحمد بن الحسين(١٩٩١م) معرفة السنن والآثار، وثق أصوله وخرج حديثه وصنف فهارسه وعلق عليه: د. عبد المعطي أمين قلعي، دار الوعي- سوريا - حلب. الطبعة الأولى.
- التفتازاني: سعد الدين مسعود بن عمر التفتازاني(د.ت) شرح التلويح على التوضيح، مكتبة صبيح، مصر.
- الدارقطني: شيخ الإسلام علي بن عمر الدارقطني(١٩٨٦م) سنن الدارقطني وبنديله التعليق على الدارقطني، تأليف: أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي، عالم الكتب، بيروت، ط٤.
- الرازي: فخر الدين محمد بن عمر بن الحسين الرازي(١٩٨٨م) المحسوب في علم الأصول، ط١.
- الزركشي: أبوعبدالله بدرالدين محمد بن بهادر الزركشي(١٩٩٤م)، البحر المحيط في أصول الفقه، دار الكتب، الطبعة الأولى.
- الزحيلي، وهبة(١٩٩٦م) أصول الفقه الإسلامي، دار الفكر- سوريا - دمشق، الطبعة الأولى.
- السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي. (١٩٩٩م) رفع الحاجب عن مختصر ابن الحاجب، تحقيق: علي محمد معاوض، عادل أحمد عبد الموجود، عالم الكتب، لبنان، بيروت، الطبعة الأولى.
- السرخسي: محمد بن أحمد بن أبي سهل، سمش الأئمة السرخسي(د.ت)، أصول السرخسي، دار المعرفة، بيروت.
- السجستاني، أبي داؤد سليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني(١٩٩٨م) كتاب السنن، حققه وقابلته بأصله: الحافظ أبي حجر. مؤسسة الريان، بيروت، لبنان، دار القبلة جدة، المكتبة المكية مكة، الطبعة الأولى.

- السيوطي، جلال الدين السيوطي(١٩٧٩م) بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحوة، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار الفكر، الطبيعة الثانية.
- الشيباني: أحمد بن حنبل، مسنـد الـامـامـ أحـمـدـ، مؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، تـحـقـيقـ: شـعـيبـ الـأـنـاؤـوـطـ وـعـادـلـ مـرـشـدـ.
- الشوكاني: محمد بن علي بن محمد بن عبدالله الشوكاني اليمني(١٩٩٩م)، إرشاد الفحول إلى تحقيق الحق من علم الأصول: تحقيق: الشيخ أحمد عزو، دمشق-كفر بطنا- قدم له: الشيخ خليل الميس، والدكتور ولـي الدين صالح فرفور، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى.
- عبد الكـريمـ: عمـروـ عبدـ الكـريمـ سـعـادـوـيـ(٢٠٠٩م) قـضـاـيـاـ الـمـرـأـةـ فيـ فـقـهـ الـقـرـضـاوـيـ، قـطـرـ النـدـىـ لـلـنـشـرـ وـالـتـوزـيـعـ. طـ٢ـ.
- الغـزـالـيـ: أـبـيـ حـامـدـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ الغـزـالـيـ(١٣٢٢ـهـ) الـمـسـتـصـفـيـ مـنـ عـلـمـ الـأـصـوـلـ وـمـعـهـ كـتـابـ فـوـاتـحـ الرـحـمـوـتـ لـلـعـلـامـةـ عـبـدـ الـعـلـيـ مـحـمـدـ بـنـ نـظـامـ الـدـيـنـ الـأـنـصـارـيـ، بـشـرـ مـسـلـمـ الـثـبـوتـ فـيـ أـصـوـلـ الـفـقـهـ أـيـضـاـ لـلـإـلـامـ الـمـحـقـقـ: الشـيـخـ مـحـبـ الـلـهـ إـبـنـ عـبـدـ الشـكـورـ، الـمـطـبـعـةـ الـأـمـيـرـيـةـ، مـصـرـ، طـ١ـ.
- فالـحـ: أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ عـامـرـ فـالـحـ(٢٠٠١م) مـعـجمـ أـلـفـاظـ الـعـقـيـدـةـ، مـكـتـبـةـ الـعـيـبـكـانـ، الـرـيـاضـ، الـطـبـعـةـ الـثـانـيـةـ.
- الفـيـوـمـيـ: أـحـمـدـ بـنـ مـحـمـدـ بـنـ عـلـىـ الـفـيـوـمـيـ، الـحـمـوـيـ أـبـوـ الـعـبـاسـ(دـتـ)، الـمـصـبـاحـ الـمـتـبـرـ فـيـ غـرـبـ الـشـرـ الـكـبـيرـ، النـاـشـرـ: الـمـكـتـبـةـ الـعـلـمـيـةـ-بـيـرـوـتـ.
- الـقـرـضـاوـيـ: دـيـوـسـفـ، إـسـلـامـ الـمـرـأـةـ دـوـنـ زـوـجـهـاـ، (يـانـيـرـ ٢٠٠٣م) الـمـجـلـةـ الـعـلـمـيـةـ لـلـمـجـلـسـ الـأـوـبـيـ لـلـإـفـتـاءـ وـالـبـحـوـثـ، الـمـجـلـدـ الـرـابـعـ، الـعـدـدـ الـأـوـلـ.
- الـقـرـضـاوـيـ: يـوسـفـ(٢٠٠١م) فـتـاوـيـ مـعـاصـرـةـ دـارـ الـقـلـمـ الـقـاهـرـةـ.
- الـقـشـيـرـيـ: أـبـوـ الـحـسـينـ مـسـلـمـ بـنـ الـحـجـاجـ، (١٩٨١م) صـحـيـحـ مـسـلـمـ بـشـرـ التـوـوـيـ، دـارـ الـفـكـرـ لـلـطـبـاعـةـ وـالـنـشـرـ.
- الـقـزوـيـنـيـ: اـبـنـ فـارـسـ أـحـمـدـ بـنـ زـكـرـيـاـ الـقـزوـيـنـيـ، الرـازـيـ أـبـوـ الـحـسـينـ(١٩٧٩م) مـعـجمـ مـقـاـيـيسـ الـلـغـةـ، تـحـقـيقـ: عـبـدـ السـلـامـ مـحـمـدـ هـارـونـ، دـارـ الـفـكـرـ.
- الـقـزوـيـنـيـ: أـبـوـ عـبـدـ اللـهـ مـحـمـدـ بـنـ يـزـيدـ اـبـنـ مـاجـةـ، (١٩٩٧م) صـحـيـحـ سـنـنـ اـبـنـ مـاجـةـ، مـكـتـبـةـ الـمـعـارـفـ، الـرـيـاضـ.
- الـقـرـشـيـ: مـحـيـ الـدـيـنـ عـبـدـ الـقـادـرـ الـقـرـشـيـ(١٩٩٣م)، الـجـواـهـرـ الـمـضـيـئـةـ فـيـ طـبـقـاتـ الـحـنـفـيـةـ تـحـقـيقـ عـبـدـ الـفـتـاحـ الـحـلـوـ؛ مـؤـسـسـةـ الرـسـالـةـ، طـ١ـ.

- المرداوى: علاء الدين أبو الحسن علي بن سليمان الصالحي الحنبلي(١٤٢١هـ)، التحبير شرح التحرير في أصول الفقه تحقيق: د. عبد الرحمن الجبرين، د. عوض القرني، د. أحمد السراج، مكتبة الرشد، السعودية، الرياض، ط١.
- مجلس دائرة المعارف العثمانية. (١٩٧٢م) الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة. صيد آباد، الهند، ط٢.

إسهام العقيدة الإسلامية في صياغة القيم الدينية المشتركة بين الأمم

د. إسحاق آدم أحمد^(١)

د. الزين مصطفى عبد المقيت محمد

المستخلص:

يتناول هذا البحث الموسوم بـ(إسهام العقيدة الإسلامية في تشكيل منظومة القيم الدينية المشتركة بين الأمم) الدور الجوهري الذي تؤديه العقيدة الإسلامية في إرساء القيم الكونية الجامعة بين البشر. إذ تنطلق العقيدة الإسلامية من مبدأ التوحيد الذي يمنح الإنسان كرامته ويوسّس لوحدة النوع الإنساني. كما ترسخ مفاهيم العدل والحرمة والتکلیف الأخلاقي والاستخلاف، بما يفتح آفاقاً واسعة للتقارب بين الأمم والشعوب. وقد ركزت الدراسة على إبراز القيم الدينية المشتركة التي تدعمها العقيدة الإسلامية مثل: حرية الاعتقاد، التعايش السلمي، العدالة والمساواة، الرحمة والتعاون، مؤكدة على مركزيتها في الحوار الديني والحضاري مع الأمم الأخرى. كما بحثت الدراسة أثر هذه القيم في السياق المعاصر، خاصة في دعم حقوق الإنسان وتعزيز السلم العالمي، ومقاومة التزعزعات المادية والإلحادية التي تهدد البعد الروحي للإنسان. وتخلص الدراسة إلى أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد منظومة إيمانية خاصة بال المسلمين، بل تمثل إطاراً كونياً يسهم في بناء القيم الإنسانية المشتركة، ويعزز فرص التعاون والتفاهم بين الأمم في مواجهة التحديات العالمية الراهنة.

الكلمات المفتاحية: القيم الدينية المشتركة، التوحيد، التعايش السلمي

مشكلة الدراسة:

تكمن مشكلة الدراسة في السؤال الجوهري التالي:

كيف أسهمت العقيدة الإسلامية في صياغة القيم المشتركة بين الأديان والأمم؟

خطة الدراسة:

المقدمة:

تُعد العقيدة الإسلامية الركيزة الأساسية في بناء المنظومة القيمية والأخلاقية للأمة، فهي الإطار المرجعي الذي يحدّد نظرة الإنسان إلى نفسه وإلى الكون والحياة. وقد أسهمت هذه العقيدة بما تقوم عليه من توحيد الله تعالى، وعدل، ورحمة، واستخلاف، في صياغة قيم دينية مشتركة تتجاوز حدود الأمة الإسلامية لتصل إلى الإنسانية جماء.

لقد جاءت العقيدة الإسلامية برسالة عالمية لا تقتصر على أمة بعينها، بل تدعو إلى التعاون على البر والتقوى، وإلى تحقيق العدل بين الناس جميعاً، وإلى احترام حرية الإنسان في الاعتقاد والاختيار، وإلى السلم والتعارف بين الشعوب والأمم.

(١) أستاذ مشارك، تخصص العقيدة والمذاهب الفكرية المعاصرة، جامعة الضعين.

* أستاذ مساعد، أستاذ العقيدة ومقارنة الأديان، جامعة بحري.

إن دراسة إسهام العقيدة الإسلامية في صياغة القيم الدينية المشتركة بين الأمم، تُعد من الموضوعات الحيوية التي تبرز عالمية الإسلام وإنسانيته، وتكشف عن دوره في ترسیخ الحوار بين الأديان، وتأكيد القيم الكونية التي تسهم في بناء عالم أكثر عدلاً ورحمة وتسامحاً.

أهمية البحث:

- ١- إبراز الدور الإنساني للعقيدة الإسلامية في تعزيز القيم المشتركة بين الشعوب.
- ٢- بيان شمولية العقيدة القيمة العقدية في الإسلام وقدرتها على مواكبة التحديات المعاصرة.
- ٣- الإسهام في الحوار الديني والحضاري من خلال التركيز على المشتركات لا الفوارق.

أهداف البحث:

- ١- توضيح الأسس العقدية المؤسسة للقيم الإنسانية المشتركة.
- ٢- بيان حضور هذه القيم في النصوص الإسلامية
- ٣- تحليل إسهام العقيدة الإسلامية في الحوار والتعايش بين الأمم
- ٤- إبراز أثر العقيدة الإسلامية في القيم العالمية المعاصرة

منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة:

- أ. المنهج التحليلي المقارن (النصوص الإسلامية ومقارنتها بالقيم المشتركة في الأديان).
 - ب. المنهج الاستقرائي: وذلك بتتبع النصوص القرآنية والحديثية ذات الصلة.
- الأسس العقدية ذات البعد الإنساني المشتركة**

تمثل العقيدة الإسلامية المنطلق الأساسي لبناء القيم الإنسانية المشتركة، فهي تؤسس لرؤية شمولية للإنسان والكون والحياة، فتجعل الإنسان مكرماً مسؤولاً، وتسعى إلى تحقيق التوازن بين المصلحة الفردية والمصلحة العامة. ومن أبرز الأسس العقدية التي تحمل هذا البعد الإنساني ما يلي:

مبدأ التوحيد ووحدة الأصل الإنساني

يُعد التوحيد الركيزة الأساسية للعقيدة الإسلامية، وهو المبدأ الذي يجمع البشرية على الإيمان به واحد خالق ومدبر لهذا الكون، قال تعالى: (قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلْمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنُكُمْ أَلَا تَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا تُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُهُنَا بَعْضًا أَرْتَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلُّوْا فَقُولُوا اشْهُدُوْا بِإِنَّا مُسْلِمُوْنَ) [آل عمران: ٦٤].

ويلاحظ في هذه الآية الكريمة دقة مصطلحات الحوار، فاستخدام مصطلح أهل الكتاب للتعبير عن اليهود والنصارى يشير إلى القرابة الروحية والإيمانية التي تجمعهم مع المسلمين، باعتبارهم سلف المسلمين في الإيمان [خليفة، ٢٠١٨، ٧٧١].

إن هذا النداء الإلهي يمثل دعوة كونية للوحدة العقدية التي توحد الإنسان مع أخيه الإنسان في الإيمان بالحالي، وتنبذ مظاهر الشرك والانقسام الديني. فالتوحيد في الإسلام ليس مجرد إقرار نظري بوجود الله، بل هو منهج حياة يوجه سلوك الإنسان نحو العدل والإحسان والرحمة.

ويقر القرآن الكريم وحدة الأصل الإنساني، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَاوِرُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْرَأُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ) [الحجرات: ١٣]. فمن هذا الأصل المشترك تنبثق القيم التي تدعو إلى المساواة والاحترام المتبادل والتعارف بين الأمم، وهو ما يجده المؤمنون في المجتمعات الإنسانية.

فالاختلاف والتنوع سنة كونية، ويترتب على ذلك التأثير والتتأثر والتدخل والتقارب والاشتراك، وتبقى المشكلة الحقيقية في عالم اليوم في فهم هذا التنوع وإدارته على الوجه الصحيح.

ونجد كذلك الآيات تؤكد بشكل صريح وحدة الأصل الإنساني، يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبِّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَسْأَلَّهُنَّ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا) [النساء: ١].

فكل هذه الآيات القرآنية وغيرها تؤكد أن المشتركات الإنسانية كثيرة، فمن الآيات ما يقرر تكريم الإنسان وتفضيله على كثير من خلق الله، ومنها ما يبين أنه حُلِق في أحسن تقويم، وكل ذلك يقع في دائرة خصائص الرسالة الإسلامية العالمية التي تناهض البشرية جموعاً.

وقد جاءت السنة تؤكد على وحدة الأصل الإنساني، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "يا أهلا الناس
ألا إن ربكم واحد، وإن أباكم واحد، ألا لا فضل لعربي على عجمي ولا لعجمي على عربي، ولا أحمر على
أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى" [مسند أحمد: ٢٣٤٨٩].

الاستخلاف والتكييف الأخلاقي

ينظر الإسلام إلى الإنسان كمخلوق مكرم استخلفه الله في الأرض ليعمرها وفق مبادئ العدل والصلاح، قال تعالى: (وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا تَأْجُّلْ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيُسْفِكُ الدِّيَمَاءَ وَنَخْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ) [البقرة: 30]. ومفهوم الأخلاق يرتبط ارتباطاً وثيقاً بالمسؤولية الأخلاقية، فالمؤمن مسؤول أمام الله عن تصرفاته تجاه نفسه وتجاه المجتمع والبيئة، وهذا من شأنه أن يرسخ قيمة الأمانة والعدل في سلوك الأفراد والجماعات.

وبذلك تُعد العقيدة الإسلامية مصدراً لتكليف الإنسان بتحقيق القيم العليا، إذ لا تنفصل العبادة عن الأخلاق، ولا الإيمان عن السلوك، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "إِنَّمَا بُعْثِثُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ" [سنن البهوي: ٢٠٥٧١]. فالإيمان في الإسلام ليس مجرد شعور داخلي، بل التزام أخلاقي وسلوكي يهدف إلى إصلاح الفرد والمجتمع.

إن الاستخلاف هو تكليف إلهي للإنسان بعمارة الأرض وإدارتها وفق منهج الله، وهو مسؤولية تشمل الجوانب الروحية، المعرفية، الإنسانية، والعمانية، بحيث يعيش الإنسان بانسجام مع حالقه ومع الكون، ويؤدي مهامه في الحياة الدنيا لتحقيق السعادة في الدنيا والآخرة، وهو ما يتطلب الالتزام بالأخلاق والقيم الإلهية.

ويعرض القرآن الكريم مسؤولية الإنسان وتحمّله للأمانة والتوكيل، يقول الله تعالى: (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلُنَا وَأَشْفَقُنَّ مِنْهَا وَحَمَلَنَا إِنَّهُ كَانَ ظُلُومًا جَهُولًا) [الأحزاب: ٧٢].

العدل والرحمة كقيمتان مركزيتين

إن العدل والرحمة قيمتان أصيلتان في بنية العقيدة الإسلامية، وهما من أعظم تجليات الإيمان الحق. فقد أمر الله تعالى بالعدل في كل الأحوال، فالعدل في الإسلام ليس مجرد قيمة قانونية، بل هو مبدأ عقدي يرتبط بالإيمان بعدل الله وحكمته، يقول الله تعالى: (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَيْسَ بِإِيمَانٍ إِنَّمَا يَعْلَمُ الْفُرِيقُ وَإِنَّمَا يَعْلَمُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) [النحل: ٩٠].

وقد روى أهل التفسير عن ابن مسعود أنه قال: (إن أجمع آية في القرآن في سورة النحل) [ابن كثير، ١٩٩٩، ٥٩٦]. وقال سعيد عن قتادة: قوله: {إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَإِلَيْسَ بِإِيمَانٍ إِنَّمَا يَعْلَمُ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ} الآية، (ليس من حُلُق حسن كان أهل الجاهلية يعملون به ويستحسنونه إلا أمر الله به، وليس من حُلُق سيئ كانوا يتعابرون عليه بينهم إلا نهى الله عنه وقدم فيه. وإنما نهى عن سفاسف الأخلاق ومذاهها) [ابن كثير، ١٩٩٩، ٥٩٦]. ويند العدل مظهراً من مظاهر التوحيد، إذ لا يتحقق الإيمان الكامل إلا بإقامة العدل في الأرض، سواء على مستوى الأفراد أو المجتمعات أو العلاقات بين الأمم، وقد أكد القرآن على ضرورة العدل حتى مع الأعداء يقول الله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُنُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ شُهَدَاءَ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمُنَّكُمْ شَيْئًا قَوْمٌ عَلَى أَلَا تَعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَأَنَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ حَبِّرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) [المائدة: ٨]. فالعدل قيمة مركبة في المنظومة العقدية الإسلامية، تتجاوز الحدود العرقية والدينية، وتؤكد أن الناس جميعاً سواء في الإنسانية والحقوق فالعدالة في الإسلام ليست نظاماً قضائياً فحسب، بل مبدأ عقدياً يعكس الإيمان بعدل الله تعالى، ويترجم هذا الإيمان إلى سلوك اجتماعي وسياسي يقوم على المساواة واحترام الحقوق.

أما الرحمة فهي الصفة التي وصف بها الرسول صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى: (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ) [الأنباء: ١٠٧]. وهي التطبيق العملي للعدل في حياة الناس، إذ لا يتحقق العدل الكامل إلا حين يقترن بالرحمة التي تصور كرامة الإنسان وتحفظ معاناته. وتحض السنة المطهرة على الرحمة الشاملة من غير تقييد في الحديث عنه صلى الله عليه وسلم: "الراحمون يرحمون" الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء [الترمذى].

وهاتان القيمتان تمثلان جوهر البعد الإنساني في العقيدة الإسلامية، فهما تضمنان كرامة الإنسان وتحفظان حقوقه وتوسسان للتعايش السلمي بين الأمم.

الحرية والمسؤولية

تقر العقيدة الإسلامية حرية الإنسان في الاعتقاد والاختيار، لكنها تربطها بالمسؤولية الأخلاقية. قال تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشُدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلَيْمٌ) [البقرة: ٢٥٦].

فالحرية في الإسلام ليست انفلاتاً من القيم، بل هي حرية مسؤولة تستند إلى الوعي والضمير. وهي التي تمكن الإنسان من ممارسة دوره في الحياة باختيار واع يحقق الغاية التي خلق من أجلها، وهي عبادة الله وعمارة الأرض بالخير والعدل.

القيم المشتركة المستندة إلى العقيدة الإسلامية

تبثق القيم الإنسانية المشتركة في الإسلام من الأسس العقدية التي تنظم علاقة الإنسان بربه وبآخرين، فالعقيدة ليست مجرد إيمان نظري، بل هي منهج حياة يتجسد في السلوك الإنساني والاجتماعي، ويرسي مبادئ العدل والرحمة والتسامح بين الناس كافة، ومن أبرز هذه القيم ما يأتي:

حرية الاعتقاد ورفض الإكراه

تُعد حرية الاعتقاد من أسمى القيم التي أقرها الإسلام، وجعلها أساساً للتعايش الديني بين الأمم، فالإيمان الصادق لا يتحقق إلا عن قناعة و اختيار حر، ولذلك رفض الإسلام الإكراه في الدين رفضاً قاطعاً، قال الله تعالى: (لَا إِكْرَاهَ فِي الِّيَنِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيْرِ فَمَنْ يَكْفُرُ بِالظَّاغُوتِ وَيُؤْمِنُ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا افْرِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعُ عَلِيهِمْ) [البقرة: ١٥٦].

وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم هذا المبدأ عملياً حين عقد (صحيفة المدينة) التي ضمت المسلمين والمُهُود والمركين، وأقرت حرية المعتقد والتعايش بينهم، وقد نصت هذه الوثيقة على التعايش والتسامح مع المُهُود، فضلاً عن احترام الآخر واعتباره، فنص الوثيقة: (وَإِنَّ الْيَهُودَ بْنَيَ عَوْفَ أَمَةً مَعَ الْمُؤْمِنِينَ لِلْمُهُودِ دِيْهِمْ وَلِلْمُسْلِمِينَ دِيْهِمْ وَأَنفُسِهِمْ إِلَّا مِنْ ظُلْمٍ وَأَثْمٍ فَإِنَّهُ لَا يَوْتَعَ - هَلْكَ - إِلَّا نَفْسَهُ وَأَهْلُ بَيْتِهِ) [العمري (١٩٩٤)، ٢٨٢]. فحرية الاعتقاد في الإسلام ليست مجرد تسامح مؤقت، بل هي قاعدة إنسانية ثابتة تقوم على احترام كرامة الإنسان وحريته في الاختيار.

السلم والتعارف والتعايش

من القيم التي أكدت عليها العقيدة الإسلامية قيمة السلم والتعارف بين الشعوب، وهي دعوة ربانية إلى بناء جسور التفاهم لا جدران الصراع، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارِفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءُكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَيْرٌ) [الحجرات: ١٣]. وقد حض الإسلام على قيمة السلم ونظر إليها كأصل في العلاقات الإنسانية، يقول الله تعالى: (وَإِنْ جَاهُوكُمْ لِلسَّلْمِ فَاجْتَحْهُمْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) [الأنفال: ٦٦]. فالإسلام يجعل الحرب استثناءً يُلْجأُ إليه دفاعاً لا عدواناً. ومن ثم فإن مبدأ التعارف يشكل جوهر البعد الإنساني في الإسلام، إذ يدعو إلى التواصل الحضاري لا التصادم الديني أو الثقافي.

التعاون على البر والتقوى

إن التعاون الإنساني مبدأً أصيل في الإسلام، يقوم على تحقيق الخير العام ودفع الشر المشترك، قال تعالى: (وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالْتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [المائدة: ٢].

وهذا التعاون لا يقتصر على المسلمين فيما بينهم، بل يشمل البشرية جموعاً في كل ما يخدم القيم الخيرة، كإنقاذ الملهوفين، ونصرة المظلومين، وحماية البيئة، وإقامة العدل.

وقد جسد النبي صلى الله عليه وسلم بالإضافة إلى ذلك قيمة التعاون بين المؤمنين بعضهم لبعض، فقال: "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً" [صحيح البخاري: ٢٤٤٦، صحيح مسلم: ٦٧٥٠]، وفي حديث آخر يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "مثل المؤمنين في توادهم وترحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكت منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسرير والجمي". [مسلم].

ومن ثم فإن مبدأ التعاون في الإسلام يتجاوز حدود الدين والجنس والعرق، ليعبر عن روح الإنسانية الجامعية التي تسعى إلى الخير والعدل والسلام.

وخلال ما تقدم يتضح أن القيم المستمدة من العقيدة الإسلامية ليست حكراً على جماعة أو أمة معينة، بل هي دعوة إلى القيم الكونية التي تضمن كرامة الإنسان وحريته وعدالته وسلامه. فحرية الاعتقاد والعدالة والسلم والتعاون تمثل أركان البنية الأخلاقية التي يمكن أن تلتقي عندها الأمم والشعوب على قاعدة الإنسانية المشتركة، وبذلك تسهم العقيدة الإسلامية في بناء عالم يسوده التفاهم والتعاييش والتعاون على الخير، مستندة إلى تعاليم الوحي الإلهي ومقاصد الرسالة الخاتمة.

العقيدة الإسلامية والحوار مع الأديان الأخرى

يمثل الحوار بين الأديان أحد المظاهر البارزة لبعض الإنساني في العقيدة الإسلامية، إذ تتعلق هذه العقيدة من مبدأ الاعتراف بوجود الآخر واحترام حقه في الاعتقاد، ومن الدعوة إلى الكلمة السواء التي تجمع ولا تفرق، وتبني جسور التفاهم لا جدران الصراع. فالإسلام - بما يحمل من روح التوحيد والعدل والرحمة - يقدم أساساً راسخاً للحوار البناء بين أتباع الديانات السماوية.

موقف الإسلام من أهل الكتاب

جاءت نصوص الوحي بتقدير واضح ل مكانة أهل الكتاب من المهد والنصارى، ودعت إلى التعامل معهم بالعدل والإحسان، قال تعالى: (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَّمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِنَّمَا مَا أَنْزَلْنَا لَهُ مُسْلِمُونَ) [العنكبوت: ٤٦]. فالإسلام لا يقصي الآخر الديني، بل يدعوه إلى الحوار بالحكمة واللين، ويقر له بكرامة إنسانية أساسها وحدة الأصل الإلهي. كما أكد أن الخلاف في المعتقد لا ينبغي أن يكون سبباً للعداوة أو الإكراه، قال تعالى: (لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِي دِينِ) [الكافرون: ٦].

وقد تعامل النبي صلى الله عليه وسلم مع أهل الكتاب بالوفاء والاحترام، فعقد معهم العهود والمواثيق، كما في صحيفة المدينة التي ضمنت لهم حرية الدين والمشاركة في بناء المجتمع، وهو نموذج مبكر للتعايش الديني القائم على الاحترام المتبادل والعدالة.

دعوة أهل الكتابين

يُعد مبدأ "كلمة سواء" حجر الأساس في الحوار الإسلامي - المسيحي والمهدوي، وهو دعوة إلى الالتفاء على المشترك العقدي الإنساني قبل الدخول في موضع الخلاف، قال تعالى: (فُلِّي أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا

إِلَى كَلْمَةٍ سَوَاءَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَا نَعْبُدُ إِلَّا اللَّهُ وَلَا نُشْرِكُ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَعَجَّذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ) [آل عمران: ٦٤].

تعبر هذه الدعوة عن روح التسامح العقائدي التي يحملها الإسلام، فهي لا تسعى إلى محو الاختلاف، بل إلى ترشيده وتوجيهه نحو الحوار الهداف، المبني على قاعدة التوحيد والاعتراف بوحدة المصدر الإلهي للرسالات.

وهي أيضاً دعوة عالمية لإقامة جسور الفهم المشترك بين أتباع الديانات، وتأكيد على أن القيم الكبرى كالعدل والرحمة والحق تشكل أرضية مشتركة يمكن أن تلاقى عليها البشرية.

المشتركات العقدية والأخلاقية مع الديانات الأخرى

تبرز العقيدة الإسلامية مجموعة من القيم المشتركة التي تلتقي فيها الأديان السماوية، مثل الإيمان بالله الواحد، وتكريم الإنسان، والدعوة إلى الخير والعدل والإحسان، قال تعالى: (شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَضَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَنَقِّرُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْنِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ) [الشورى: ١٣].

فهذه الآية تؤكد وحدة الجوهر العقدي بين الرسالات، واختلافها فقط في التشريع والتفاصيل، كما تلاقى الأديان جميعاً في الدعوة إلى الرحمة ومساعدة الضعفاء، ونبذ الظلم والفساد، مما يجعل الحوار بين أتباعها ضرورة إنسانية لبناء عالم أكثر عدلاً وسلاماً.

وقد أكد النبي صل الله عليه وسلم هذا المبدأ في قوله: (أنا أولى بعيسى بن مريم في الدنيا والآخرة والأئباء أخوة لعلات أمهاهاتهم شتى وديهم واحد) [صحيح البخاري: ٣٤٤٣]. أي أن جميع الأنبياء جاءوا بدين واحد في جوهره، هو التوحيد، وإن اختلفت تفاصيل الشرائع. ومن هنا فالعقيدة الإسلامية تدعو إلى التواصل العقدي والأخلاقي مع غير المسلمين على قاعدة هذا الأصل الإيماني المشترك.

دور العقيدة في تعزيز الحوار الحضاري

إن العقيدة الإسلامية – بما تحمل من شمول وتوازن- تؤسس لثقافة الحوار الحضاري بضوابطه الإسلامية المعروفة، فثقافة الحوار تقوم على التعارف والتعاون بين الأمم تصديقاً لقول الله تعالى: (وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقَاءِكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ) [الحجرات: ١٣]. فالحوار في الإسلام ليس مجرد تواصل فكري، بل هو واجب حضاري يهدف إلى تبادل الخبرات الإنسانية، وإزالة أسباب التنازع وسوء الفهم، وتحقيق العدل والرحمة في العلاقات الدولية.

وقد جسّد النبي صل الله عليه وسلم هذا المفهوم عملياً في حواراته مع نصارى نجران حين قدموا المدينة ودخلوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في مسجده بعد صلاة العصر، فحانت صلاتهم فقاموا يصلون في مسجده صلى الله عليه وسلم فأراد الناس منعهم، فقال صلى الله عليه وسلم: "دعوهם" فصلوا إلى المشرق" [الواحدي ١٩٩٢: ٩٦]. وكذلك فعل مع وفود المهد والمشركين، فكانت حواراته قائمة على احترام الآخر، والاستماع لحجته، والدعوة بالحكمة والوعظة الحسنة، قال الله تعالى: (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمُؤْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلُهُمْ بِالْقِوَى هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ

رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) [النحل: ١٢٥]. وبهذا يغدو الحوار في المنظور الإسلامي وسيلة لتحقيق مقاصد الدين في السلم والتعاون الإنساني، لا أداة للهيمنة أو الصراع العقدين ولذلك نجد أن السلف قد طبقوا منهج الحوار والجدال بالحسنى فضربوا لنا أروع الأمثلة في آداب الحوار مع المخالف، يقول الإمام الشافعى: (ما ناظرت أحداً قط وأحببت أن يخطئ، بل أن يوفق ويسدد ويعان، وما ناظرت أحداً إلا على النصيحة، وما ناظرت أحداً فأحببت أن يخطئ) [ابن أبي حاتم (٢٠٠٣)، ٩٢-٩١].

ويتبين بذلك أن العقيدة الإسلامية تنفتح على الآخر بروح من العدل والرحمة والعلقانية، وتسعى إلى إقامة حوار راقٍ يقوم على الاحترام المتبادل، والاعتراف بالمشترك الإنساني والعقدي بين الأديان. فهي لا تدعوا إلى الذوبان في الآخر، ولا إلى الصدام معه، بل إلى توازن قيمي راقٍ يحقق التواصل الحضاري، ويسهم في بناء عالم يسوده السلام والتفاهم والتعاون على البر والتقوى. والحوار يتطلب وجود تباينات واختلافات في الفكر والاجتهاد والرؤى، وفي ذلك انعكاس طبقي للتنوع الذي تعيشه البشرية، كما أن الحوار لا يشترط في كل مراحله وأطواره وجود تطابق تام في وجهات النظر، بل على العكس من ذلك تماماً، فحينما تعدد المراجعات المعرفية، وتباين التصورات الثقافية، تتأكد الحاجة للحوار [محفوظ (٢٠٠٦)، ٩٠].

ومن ثم فإن الحوار في الإسلام ليس خياراً ثانوياً، بل هو مبدأ عقدي وحضاري نابع من رسالة الإسلام الخاتمة التي جاءت رحمة للعالمين ودعوة للتعارف والتكميل بين الأمم.

وفي أي مجتمع متعدد الأديان والمذاهب، تصبح الحاجة إلى الحوار الصحيح ركناً من أركان وحدته واستقراره، فالحوار لا يكون إلا مع الآخر، والآخر لا يكون إلا مختلفاً وإلا تنتهي الحاجة إلى محاورته، لذلك فإن الركيزة الأولى للحوار هي الاعتراف بحتمية وجود الاختلاف بمعنى التنوع في الحياة الإنسانية المطلقة، الأمر الذي يتربّ عليه مبدأ الاعتراف بوجود الآخر وأحقيته بالوجود [العلواني (٢٠٠٥)، ٥٥].

إسهام العقيدة الإسلامية في القيم العالمية المعاصرة

تُعد العقيدة الإسلامية -بما تحمله من مبادئ التوحيد والعدل والرحمة والاستخلاف- مصدراً مهماً لإلهام القيم الإنسانية المعاصرة، خصوصاً في مجالات حقوق الإنسان، والعدالة الاجتماعية، والتكافل، والسلام العالمي. فهي عقيدة ذات رسالة عالمية لا تقتصر على أمة دون أخرى، وإنما تهدف إلى تحقيق الخير والكرامة للبشرية جموعاً، بما ينسجم مع المقاصد الكبرى للشريعة السماوية.

تأثير القيم العقدية الإسلامية في منظومة حقوق الإنسان

لقد سبقت العقيدة الإسلامية الموثيق الحديثة في تأكيد كرامة الإنسان وحقوقه الأساسية، انطلاقاً من الإيمان بأن الإنسان مخلوق مكرم من الله تعالى، قال عز وجل: (وَلَقَدْ كَرَمْنَا بَيْ أَدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيَّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا) [الإسراء: ٧٠].

تستند هذه الكرامة إلى مبدأ التوحيد الذي يساوي بين الناس في الأصل والمصير، ويجعل العربية والعدالة والحق في الحياة حقوقاً فطرية لا يجوز المساس بها. فالإسلام حين دعا إلى حفظ النفس والمال والعقل والدين والنسل، أسس بذلك لما يُعرف اليوم بمقاصد الحقوق الأساسية للإنسان. كما أكد النبي صلى الله عليه وسلم في خطبته الجامعية يوم عرفة: "إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا". [متفق عليه]. فالعقيدة الإسلامية لا تفصل بين الإيمان بالله واحترام حقوق الإنسان، بل تجعل الاحترام جزءاً من العبادة والالتزام العقدي.

العدالة الاجتماعية والتكافل في مواجهة الفقر

ترتكز العقيدة الإسلامية على مفهوم العدالة الاجتماعية بوصفها تجسيداً عملياً للإيمان بالله العادل، فالعدل في الإسلام ليس مبدأً نظرياً، بل نظام حياة يضمن التوازن بين الحقوق والواجبات، قال تعالى: (مَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَىٰ فَلَلَّهِ وَلِرَسُولِهِ الْأَقْرَبُ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمُسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةٌ يَيْنَى الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُدُوهُ وَمَا هَأْكُمْ عَنْهُ فَانْهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) [الحشر: ٧].

ومن هذا المنطلق، شُرعت الزكاة والصدقة والوقف والإتفاق في سبيل الله لتوزيع الثروة ومنع تراكمها في يد فئة محدودة، وتحقيق التكافل الإنساني بين فئات المجتمع، قال النبي صلى الله عليه وسلم: "مثُلَ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادُّهِمْ وَتَرَاحُمِهِمْ مَثُلُ الْجَسَدِ الْوَاحِدِ إِذَا اشْتَكَىَ مِنْهُ عَضْوٌ تَدَاعَىَ لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهْرِ وَالْحَمِّ" [صحيح مسلم: ٢٥٨٦].

فالتكافل في الإسلام لا يقتصر على الأفراد داخل الأمة، بل يمتد إلى الإنسانية جموعاً، إذ يُعد الإحسان إلى غير المسلم من مظاهر العدل والرحمة التي أمر الله بها، يقول الله تعالى: (لَا يَهْأُكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِّنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَرْبُوُهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) [المتحنة: ٨].

وبذلك تسهم العقيدة الإسلامية في بناء نظام اجتماعي عالمي يقوم على المشاركة والترابط لا على التنافس والصراع الطبقي.

التوازن بين المادية والروحية

تواجه القيم العالمية المعاصرة أزمة عميقة تتمثل في هيمنة النزعة المادية وانحسار القيم الروحية، مما أدى إلى اضطراب في منظومة القيم الإنسانية. وقد أقام الإسلام توازناً فريداً بين الروح والمادة، فجعل الإيمان بالله محركاً للإنجاز المادي، والعمل الدنيوي وسيلة لتحقيق الغاية الأخروية، قال تعالى: (وَابْتَغِ فِيمَا آتَكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ وَلَا تَنْسِ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) [القصص: ٧٧].

وهذا التوازن يمنع الإنسان رؤية متوازنة للحياة، تجمع بين الطموح المادي والسمو الروحي، وتحرره من الاستعباد للنفعية والاستهلاك.

كما يسهم هذا المنهج في تحقيق التنمية المستدامة القائمة على الأخلاق والمسؤولية، بعيداً عن الاستغلال والتدمير البيئي الذي يشهده العالم المعاصر.

إسهام العقيدة الإسلامية في ترسیخ قيم السلم والأمن العالمي

تؤكد العقيدة الإسلامية أن الإسلام هو الأصل في علاقة الإنسان بأخيه الإنسان، وأن العدوان لا يبرر إلا دفاعاً عن الحق والكرامة، قال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْهُلُوا فِي السَّلْمِ كَافَةً وَلَا تَنْتَهُوا حُطُّوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ) [البقرة: ٢٠٨].

كما جعل الإسلام من حفظ النفس والمال والعرض مقاصد كبرى تحظر الاعتداء والظلم، ففي السنة عن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "المسلم من سلم المسلمين من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على دماءهم وأموالهم" [سنن الترمذى: ٢٦٢٧].

ومن هذا المنطلق يمكن القول أن العقيدة الإسلامية تسهم في إرساء ثقافة السلام العالمي، من خلال إحياء القيم القرآنية الداعية إلى التسامح، ونبذ العنف، وترسيخ الحوار بين الأمم والشعوب. فالإسلام في الإسلام ليس غياب الحرب فحسب، بل هو حالة من العدل والكرامة والتكافل، تقوم على احترام الإنسان وتقدير إنسانيته، أيًّا كان دينه أو لونه أو لغته.

ونخلص من ذلك إلى أن العقيدة الإسلامية تمتلك قدرة كبيرة على الإسهام في تشكيل القيم العالمية المعاصرة، عبر ما تقدمه من مبادئ سامية تحفظ كرامة الإنسان، وتوزن بين حاجاته الروحية والمادية، وتدعوا إلى العدالة والسلام والتكافل. فهي ليست مجرد منومة إيمانية موجهة للمسلمين فحسب، بل إطار قيمي عالمي يصلح أن يكون أساساً للتعاون الإنساني وبناء نظام عالمي أكثر عدلاً ورحمة وتوازناً، ينسجم مع فطرة الإنسان ومقاصد الخالق سبحانه وتعالى.

الخاتمة:

يتضح من خلال هذا البحث أن العقيدة الإسلامية ليست مجرد منظومة إيمانية تعبدية تخص المسلمين وحدهم، وإنما هي إطار حضاري وإنساني شامل يهدف إلى بناء مجتمع عالمي يقوم على قيم العدل والرحمة والحرية والتكافل. فالإسلام بمنهجه العقدي يقدم رؤية متكاملة للإنسان والكون والحياة، تؤكد وحدة الأصل الإنساني وتدعوا إلى التعارف والتعاون على الخير. كما يتجلى في تعاليمه مبدأ التوازن بين المادة والروح، والإيمان والعمل، والحقوق والواجبات، مما يجعلها قادرة على معالجة أزمات القيم في الواقع الإنساني المعاصر.

لقد بينت الدراسة أن القيم الدينية المشتركة بين الأمم، مثل حرية الاعتقاد، والسلم، والعدل، والرحمة، والتعاون، تجد جذورها الأصلية في العقيدة الإسلامية التي تؤسس لعلاقة إنسانية راقية بين البشر جمِيعاً. ومن ثم فإن العقيدة الإسلامية تمثل ركيزة أساسية للحوار الديني والحضاري، ومصدر إلهام للفكر الإنساني في مواجهة التزاعات المادية والأنسانية التي تهدد التوازن الروحي والأخلاقي في العالم اليوم.

النتائج:

- العقيدة الإسلامية ذات طابع إنساني عالمي، إذ تقوم على مبدأ التوحيد الذي يقر بوحد الخالق ووحدة الأصل الإنساني، مما يجعلها أرضية صالحة لبناء القيم المشتركة بين الشعوب.
- قيم العدل والرحمة والتكافل والسلم تشكل محور المنظومة الأخلاقية الإسلامية، وهي قيم كونية يمكن أن تلتقي عندها معظم الأديان والمذاهب الإنسانية.
- الحرية في الإسلام حرية مسؤولة، تجمع بين حق الإنسان في الاعتقاد والاختيار وبين التزامه الأخلاقي تجاه خالقه ومجتمعه.
- الإسلام يدعو إلى الحوار الحضاري لا الصدام الديني، ويؤسس مبدأ "كلمة سواء" الذي يهدف إلى التعاون المشترك الإيماني والإنساني.
- القيم العقدية الإسلامية تسهم في تحقيق العدالة الاجتماعية من خلال تطبيقها الاقتصادية كالزكاة والوقف والإنفاق، بما يضمن التوازن في توزيع الثروة ويدعو من الفقر.
- توازن الإسلام بين المادية والروحانية يجعل منه نموذجاً فريداً لإصلاح الخلل القيمي الذي تعانيه المجتمعات الحديثة.
- السلم في الإسلام قيمة عقدية أصلية، إذ الأصل في العلاقات بين الأمم هو السلام التعاون، وال الحرب لا تُشرع إلا دفاعاً عن الحق والكرامة.
- الإسلام يقدم نموذجاً حضارياً للتعايش، يمكن أن يسهم في بناء نظام عالمي أكثر عدلاً ورحمة وتوازناً، قائم على احترام الإنسان مهما اختلف دينه أو جنسه أو لغته.

المراجع:

- ابن أبي حاتم، عبد الرحمن بن محمد (٢٠٠٣)، *آداب الشافعي ومناقبه*، دار الكتب العلمية، بيروت.
- ابن كثير، إسماعيل بن عمر (١٩٩٩)، *تفسير القرآن العظيم*، دار طيبة للنشر والتوزيع، ط٢.
- البخاري، محمد بن إسماعيل (١٩٨٧)، *صحيح البخاري*، دار الشعب، القاهرة، ط١.
- البيهقي، أحمد بن الحسين (١٩٩٤)، *السنن الكبرى*، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، مكتبة دار البارز، مكة المكرمة.
- الترمذني، محمد بن عيسى (١٩٣٨)، *سنن الترمذني*، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- خليفة، أسماء (٢٠١٨)، *حوار الأديان في الإسلام وتطبيقاته المعاصرة*، كلية الشريعة، جامعة اليرموك.
- العلواني، رقية (٢٠٠٥)، *فقه الحوار مع المخالف في ضوء السنة النبوية*، مؤسسة جائزة نايف بن عبد العزيز آل سعود للسنة البوية والدراسات الإسلامية المعاصرة، المدينة المنورة، ط١.
- محمد، محفوظ (٢٠٠٦)، *حوار الأديان: من اللاهوتي إلى الثقافي*، مجلة الكلمة، منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث، لبنان، ج ١٣، العدد (٥١).
- مسلم، مسلم بن الحجاج (١٣٧٤هـ)، *صحيح مسلم*، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- الواحدي، علي بن أحمد (١٩٩٢)، *أسباب التزول*، دار الإصلاح، الدمام، ط٢.

دور ميناء كوسى الجاف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بولاية النيل الأبيض (٢٠٢١-٢٠٢٠م)

المهدي موسى الطاهر موسى^(٠)

محمد النور محمد كيلاني

عمر عبد الرحمن محمد منصور

زينب بشير علي عبد الله

المستخلص

هدف البحث لمعرفة دور ميناء كوسى الجاف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بولاية النيل الأبيض خلال الفترة (٢٠١٦-٢٠٢٠م). تمت صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: ما دور ميناء كوسى الجاف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بولاية النيل الأبيض؟ اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج التاريخي. أهم نتائج الدراسة ساهم ميناء كوسى الجاف في حل مشكلة تكدس البضائع. لميناء كوسى الجاف تأثير إيجابي كبير في خدمة مشاريع التنمية المختلفة بولاية. ولموقع الميناء الدور الإيجابي الكبير في خدمة المنظمات الإنسانية وذلك بتسهيل إمداد الإغاثة خاصة لدولة جنوب السودان.

كلمات مفتاحية: الموانئ البحرية، التنمية، ميناء كوسى الجاف.

مقدمة

الموانئ الجافة هي منشآت متصلة بالموانئ البحرية مباشرة وتعكس التطورات العالمية في شتى مجالات الحياة الاقتصادية بدءاً من ظهور الحاويات في ستينيات القرن الماضي، واستحداث سفن جديدة متطرفة، وابتكار أنظمة اتصالات حديثة ساهمت في انسيا博 البضائع على الموانئ الجافة. ظهرت الموانئ الجافة في السودان في العام ٢٠٠٥م، وشهد هذا العام تكدس الموانئ الجافة بالبضائع بصورة غير مسبوقة. إن مشكلة تكدس الموانئ البحرية تدل على زيادة معدل التنمية الاقتصادية والاجتماعية في البلاد وزيادة حركة التجارة الخارجية عبر النقل متعدد الوسائل، واللوجستيات، هنا بالإضافة لما تحدثه الموانئ الجافة من فوائد اقتصادية واجتماعية بولاية النيل الأبيض. الموانئ الجافة تعمل على دعم ومساعدة مشروعات التنمية الاقتصادية وذلك بتوفير مدخلات الانتاج، وتشجيع الاستثمار، وتنشيط الحركة التجارية بين الولايات، كما تقوم بدور تنموي اجتماعي يتمثل في تقليل نسبة البطالة من خلال توفير فرص عمل. كما ان إنشاء الموانئ الجافة بعيدة من المدن نسبياً يعطي المنطقة قيمة كبيرة من خلال امدادها بالخدمات الاقتصادية الاجتماعية. تتمثل أهمية

(٠) جامعة بخت الرضا، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم الاقتصاد القياسي والاحصاء الاجتماعي.

* طالب دكتوراه، جامعة بخت الرضا، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم الاقتصاد قسم التنمية الريفية.

* جامعة بخت الرضا، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم التنمية الريفية.

* جامعة بخت الرضا، كلية الاقتصاد والعلوم الإدارية، قسم الاقتصاد.

الدراسة في معرفة الدور التنموي الذي يقوم به ميناء كوسى الجاف بولاية النيل الأبيض، إضافة لمعرفة مفهوم وتعريف مفاهيم الموانئ الجافة، النقل اللوجستي، محطات متعددة الوسائل، وترويد المكتبة السودانية بمثل هذا النوع من الدراسات لمساعدة الباحثين وطلاب العلم في هذا المجال. إن الوظيفية الأساسية للموانئ الجافة هي القيام بدور البناء البحري في الداخل، وهي إحدى مطلوبات التجارة الدولية، والهدف النهائي منها تقليل تكلفة السلع لأبسط ما يمكن في ظل المنافسة الحادة، ومنع تكدس الحاويات في الموانئ البحرية. وفي السودان بدأ التفكير في موضوع إنشاء الموانئ الجافة كحل مشكلة تكدس الموانئ البحرية العام ٢٠٠٤م، وكان إنشاء أول ميناء جاف هو ميناء كوسى الجاف في العام ٢٠٠٦م. يمكن صياغة مشكلة الدراسة في السؤال الرئيس التالي: ما دور ميناء كوسى الجاف في التنمية الاقتصادية والاجتماعية بولاية النيل الأبيض.

منهجية الدراسة: يتكون مجتمع البحث من موظفي (الجمارك السودانية (٥٠)، هيئة الموانئ البحرية (٢٠)، هيئة المواصلات والمطارات (٥)، الحجر الزراعي (٢)، الحجر البيطري (٢)، الأمن الوطني (١)، قطاع الشاحنات (١)، قطاع النقل (٢) المستفيد (٥)، الموردين والمصدرين (٣)، البنوك (١)، شركات التأمين (١)، المنظمات الإنسانية (٣)، العمال (٣٠)، أصحاب العقارات (١)، الرسميين (١) فحجم مجتمع الدراسة (١٢٨) مفردة. عينة الدراسة (٥٠) مفردة (البشاري، ٢٠٠٥م، ٢٧).

الدراسات السابقة

توصلت (هيئة الجمارك السودانية، ٢٠١٧، ٢) في دراستها بعنوان الأسباب التي أدت لتدني الإيرادات الجمركية في الموانئ الجافة لتدني الإيرادات الجمركية بكل الموانئ الجافة عدا عطبرة والقضارف، كشف (خير بك، ٢٠١٣، ١) في دراسته بعنوان تأثير المرفأ الجاف كعنصر جديد ضمن شبكة النقل اللوجستي على الشبكة ككل إلى أن المناطق الصناعية الجنوبية هي أكثر المناطق المستفيدة، ومنطقة الحسياء الصناعية مؤهلة بنسبة ٧٠٪ لإقامة الميناء الجاف، أكد (حسن، ٢٠١٢، ٣): في دراستها تحت عنوان أهمية الموانئ الجافة في تخفيف الضغط على ميناء بورتسودان على أن ميناء سوبا الجاف ساهم في تخفيف الضغط على ميناء بورتسودان من خلال عدد الحاويات التي تم تخلصها في ميناء سوبا الجاف للعام (٢٠١٠) وهي (٢٢٧٤) حاوية مقارنة بعدد الحاويات الواردة إلى ميناء بورتسودان (١٥٧١٣٩) حاوية بنسبة ٤٦٪ من إجمالي الحاويات الواردة، بين (محمد، ٢٠١٢، ٣) في دراسته بعنوان كيفية تطوير ميناء بورتسودان وتحويله من ميناء رايفي لميناء محوري إلى أن تطوير ميناء بورتسودان سوف تزيد انتاجية الميناء، والتحول إلى ميناء محوري، وتحسين اسلوب التشغيل ورفع كفاءة الاداء سوف يزداد السفن التي تتردد على الميناء خاصة وان ميناء بورتسودان ميزة تتمثل في وجود منطقة ظهير متنوعة جغرافيا واقتصاديا، توصل (Merk, 2010) في دراسته بعنوان أهمية الموانئ البحرية على اعتبار أنها المحرك للنمو الاقتصادي إلى أن هناك مجموعة متنوعة من أدوات السياسة للتخفيف من الآثار السلبية للموانئ، بدءاً من التنظيم إلى الحواجز السوقية وترقيات المعلومات والتكنولوجيا.

التعليق على الدراسات السابقة: من خلال استعراض الدراسات السابقة يتضح ما يلي: اتفاق الدراسة الحالية مع الدراسات السابقة في أن للموانئ الجافة دور هام في الاقتصاد والتجارة الخارجية كما أكدت الدراسات السابقة على أهمية الموانئ الجافة في النمو الاقتصادي وتختلف الدراسة عن الدراسات السابقة في الحدود المكانية والزمانية.

مفهوم الموانئ الجافة

هو بلد أو مكان يقصد حماية السفن أثناء تراكها، ويكون في العادة مجهزة بأحدث المنشآت ومعدات تداول البضائع (شحن وتفرغ)، وتخزينها، ومزود بوسائل النقل والاتصالات، وقد تتوفر فيه إمكانيات بناء وإصلاح السفن، وتوفير متطلبات السفن للسطح، ولوازم الماكينات، وتمويل السفن من الأغذية والوقود، ومطبق لأحدث أنظمة المعلومات بغرض تسهيل العمليات بكفاءة وفعالية في أقصر وقت ممكن (النحراوي، ٢٠٠٩، ٢٥) وأول ما تجد كلمة ميناء مجرد تعني في الغالب الموانئ البحرية، وهي بمثابة منافذ مصر بها من قبل الدولة بالدخول والخروج منها، لذا يستخدم الإضافة للتمييز بين الموانئ البحرية والموانئ الأخرى مثل الموانئ الجافة، والموانئ الجوية (المطارات) (هيكل، ٢٠٠٨، ٤).

مصطلح الموانئ الجافة: يشير لعقد النقل في شبكات المناطق النائية من الموانئ، والموانئ الداخلية، ومرتكز الخدمات اللوجستية الداخلية، وقرى الشحن الداخلي، ومحطات النقل متعددة الوسائل الداخلية.

مستودع الحاويات الداخلية: هو مرفق للاستخدام المشترك تحت رقابة السلطة العامة، ومجهز بالمنشآت الثابتة، و يقدم خدمات التخزين مؤقت للاستيراد / أو التصدير الخاصة بالحاويات معبأة أو فارغة.

مركز الشحن المتعدد الوسائل: خاص بالشركات المستقلة الاقتصادية العاملة في مجال نقل البضائع وتكاملة الخدمات في منطقة معينة، حيث يمكن من تغيير وسائل النقل المختلفة.

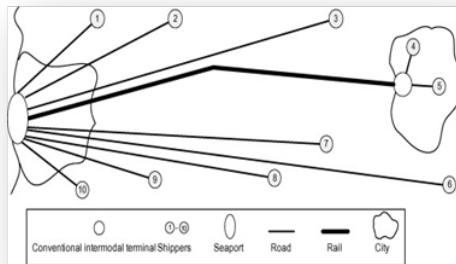
محطة الشحن الداخلي: هي أي مرفق، باستثناء ميناء بحري أو مطار، يعمل على أساس الاستعمال المشترك، حيث يتم استلام أو نقل البضائع في التجارة الدولية.

ميناء جاف: هو ميناء يقع في المناطق النائية ويخدم منطقة صناعية / تجارية، متصل بميناء واحد أو عدة موانئ بواسطة السكك الحديدية و/أو النقل البري، و يقدم خدمات متخصصة بين الميناء الجاف والوجهات البحرية العابرة.

تصنيف الموانئ الجافة: تم تصنیف الموانئ الجافة على أساس الموقع الجغرافي لثلاثة أنواع من الموانئ هي:

الميناء الجاف بعيد المدى: أكثر شهرة وأقدم من حيث التاريخ والسبب الرئيسي لتنفيذها هو ببساطة أن طول المسافة وحجم التدفق البضائع (اقتصاديات الحجم الكبير) يجعل السكك الحديدية أو البوارخ هما الوسيلة الأنسب للاستخدام.

شكل (١) ميناء بحري مع ميناء جاف بعيد

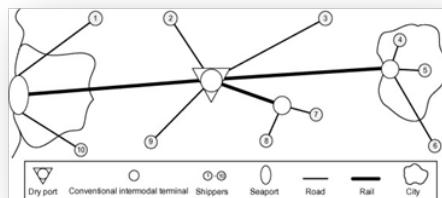


Source: Woxenius, J. Roso, V. Lumsden, K. The Dry Port Concept – Connecting Seaports with their Hinterland by Rail, p 5.

إن تنظيم ميناء جاف بعيد يزيد من القدرة التنافسية للسكك الحديدية على حساب النقل البري مما يؤدي إلى تقليل الزدحام في بوابات الميناء والمناطق المحيطة بها، حيث أن قاطرة واحدة يمكن أن تحل محل ٤٠ شاحنة في أوروبا وأكثر من ١٠٠ شاحنة في أمريكا، وهذا يؤدي إلى انخفاض الآثار البيئية والحوادث المرورية والازدحام على طول الطريق. ومن وجة نظر الشاحندين فهو يوفر-الميناء الجاف البعيد - مجموعة أكبر من الخدمات اللوجستية في منطقة الميناء الجاف. وتستفيد المدينة الساحلية من انخفاض حركة المرور على الطرق وبالتالي تحسين نوعية الحياة للمواطنين، كما أن حركة المرور الأقل قد ترك مساحة قيمة حول مركز المدينة لأغراض أخرى غير حركة المرور، ومن الأمثلة على الميناء الجاف البعيد ميناء إيساكا الجاف في تنزانيا، والذي كان محطة حاويات داخلية، ثم صارت ميناء جافاً في عام (1999)، وتحويل إيساكا إلى ميناء جاف يعني أن جميع الوثائق الجمركية يمكن أن يتم في إيساكا بدلاً من ميناء دار السلام، مما يمكن للمستوردين القيام بإنجاز جميع الوثائق الالزمة وتسلیم البضائع الخاصة بهم في إيساكا. وميناء إيساكا الجاف يوفر خدمة مريحة للبلدان المجاورة غير الساحلية مثل رواندا وجمهورية الكونغو الديمقراطية وبوروندي .

الموانئ الجافة متوسطة المدى: يعمل الميناء الجاف المتوسط كنقطة توسيع لخدمات السكك الحديدية المختلفة، مما يعني أن هناك حاجة ماسة إلى المعدات الإدارية والتكنولوجية الخاصة بالنقل البحري، مثل المساحات الضوئية للأشعة السينية الالزمة لعمليات التفتيش الأمنية والجماركية، في محطة واحدة، ويقوم بدور محطة متعدد الوسائل التقليدية (سكة حديد، شاحنات، صنادل، مطارات) ووجود التنافس بين انماط الحركة يؤدي لارتفاع نقل مناسبة. إن ميزة الميناء الجاف متوسط المدى تمثل في التدفقات العالية للبضائع من وإلى الميناء البحري مما يتيح امكانية استخدام قطارات متخصصة ومن ثم يكون الميناء الجاف منطقة تخزين مؤقت يخفف من ضيق منطقة ترافق الحاويات في الميناء البحري.

شكل (٢) ميناء بحري مع ميناء جاف متوسط المدى



Source: **Woxenius, J. Roso, V. Lumsden, K.** The Dry Port Concept –

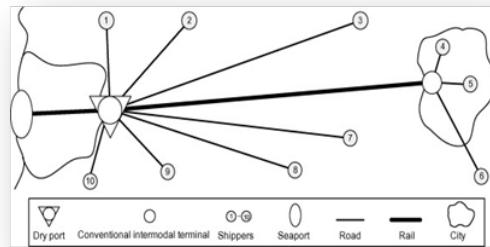
Connecting Seaports with their Hinterland by Rail, p7.

هنا يتم تقديم خدمة للشاحنات ٢ و ٣ و ٩ مباشرة من قبل الميناء الجاف وتقديم خدمة للشاحنات ٧ و ٨ من قبل أقرب محطة متعددة الوسائط التقليدية . وميناء فرجينيا الداخلي هو منفذ جاف متوسط المدى، حيث وسائل النقل المستخدمة تقسم بين شاحنات (طرق مسفلتة) والسكك الحديدية لنقل الحاويات من وإلى ميناء فرجينيا، وخاصة محطاتها في هامبتون. ويقع ميناء فرجينيا الداخلي في فرونت روיאל على بعد ٣٣٠ كم من هامبتون وتتوفر مجموعة كاملة من الخدمات الجمركية للشاحنات وتم اختيار موقع الميناء من أجل زيادة خدمة المناطق النائية لميناء فيرجينيا البحري في وادي أوهايو.

الموانئ الجافة القرية

مراكز النقل دائماً ما تولد حركة مزعة بين وضمن المدن الرئيسية وهذا مصدر ازعاج لسكان المدن، ومع تزايد النقل البحري في شكل الحاويات، فإن المشاكل الرئيسية التي تواجهها الموانئ البحرية اليوم هي عدم وجود الساحات الكبيرة لتداول البضائع، والوصول غير الملائم إلى الداخل. يمكن للموانئ البحرية أن تزيد من طاقتها النهائية من خلال إنشاء ميناء جاف قريب على حافة المدينة الساحلية؛ وبزيادة قدرة المحطة الاستيعابية تأتي القدرة على زيادة الإنتاجية للميناء البحري؛ وبدخول سفن الحاويات العملاقة لدائرة النقل البحري، صار لزاماً على الموانئ البحرية إيجاد ميناء جاف موصول بالسكك الحديدية إلى الميناء البحري ويدمج النقل البري مع السكة حديد خارج منطقة الميناء؛ وهذا بطبيعة الحال يؤدي إلى تخفيف شوارع المدينة وببوابات الميناء كما في الشكل أدناه.

شكل (٣) ميناء بحري مع ميناء جاف قريب المدي.



Source: Woxenius, J. Roso, V. Lumsden, K. the Dry Port Concept – Connecting Seaports with their Hinterland by Rail, p8.

في هذه الحالة، الشاحنين (١٠-٣) الذين يستخدمون الميناء الجافة القريب من الميناء البحري ولا يولد - النقل البري - الازدحام عند بوابته من الشاحنين على مسافات طويلة أو متوسطة المدى. وبالمقارنة مع الأنواع الأخرى من الموانئ الجافة فهو يوفر إمكانات أكبر لتخزين الحاويات إلى حين تحميلها على قطارات السكك الحديدية في تسلسل ومتزامنة مع التحميل السفينة في الميناء. ومن الواضح أن هذا يتطلب خدمة سكك حديدية موثوقة جداً (انضباط في زمن الوصول متزامناً مع وصول السفن إلى الميناء) حتى لا تحدث زيادة في اوقات الانتظار لسفن الحاويات، ومن اثار الميناء الجاف القريب على اصحاب النقل بالشاحنات ان يفقدوا حصة سوقية هامشية (هي طول المسافة بين الميناء البحري والميناء الجاف القريب) ولكهم سيستفيدون من عمليات أسرع. وفي المدن التي لا تسمح بمرور مركبات الطرق الطويلة أو الملوثة، فإن وجود ميناء جاف قریب هو بديل لتغيير مركبات الطرق إلى مركبات أقل تلوثاً. ان ممر (الاميدا) الذي يبلغ طوله ٣٢ كم والذي يربط منفذ لوس أنجلوس ولوس بيتش إلى المحطات متعددة الوسائل بالقرب من وسط مدينة لوس أنجلوس، يمكن الإشارة إليها كمثال على ميناء جاف قریب، حيث كانت الحاويات في السابق يتم نقلها بين المحطات والموانئ بواسطة خطوط السكك الحديدية الصغيرة المتدهورة، مما استدعي الامر إلى تحديها. وكمثال اخر لميناء جاف قریب محطة شحن الحاويات في وسط مدينة غوتيبورغ السويدية والتي ترتبط مع ميناء غوتيبورغ بالسويد في الوقت الحالي بمكوك السكك الحديدية المحلية والذي يقع على بعد حوالي ١٠ كم من الميناء البحري من أجل الخروج من زحمة الأنشطة التي تتطلب فضاءات أرحب من الميناء. في السودان مثال لميناء جاف قریب هو ميناء سلوم الجاف في بورتسودان وهو عبار عن محطة تخزين الحاويات الفارغة.

وظيفة الموانئ الجافة في نظام النقل متعدد الوسائل.

لكي تقوم الموانئ الجافة بإتمام نظام النقل متعدد الوسائل، تقام هذه الموانئ في نقطة تلاقي عقد المواصلات، حتى يتم فيها تغيير وسيلة النقل وهناك عدد من الموانئ الجافة تكون لديها وظيفة واحدة هي منطقة تبديل وسائل النقل من السكة حديد إلى النهر أو الطرق وبالعكس، ويمكن ان تكون الموانئ الجافة مراكز تحميل الشحنات إلى الأسواق المحلية والإقليمية، خاصة اذا كان هناك انتعاش

اقتصادي محلي أو إقليمي. للموانئ الجافة أهمية في نظام النقل العابر (transit) وفي هذه الحالة تشكل الموانئ الجافة مراكز تداول للبضائع بين وسائل النقل المختلفة (سكة حديد / بحري / طريق) أو في نفس الوسيلة لأن يكون التداول من السكة الحديد إلى سكة حديد أخرى. الميناء الجاف في هذه الحالة يكون مركز توزيع إما أصل أو مقصد للشحن الذي يتم تداوله. وكثيراً ما توجد هذه الموانئ في الحدود بين البلدان بهدف الجمع بين العمليات الإدارية المرتبطة بالحركة العابرة للحدود، والأنشطة الخاصة بتوزيع وامداد السلع.

وظيفة الموانئ الجافة في تحقيق المفاهيم اللوجستية

الميناء الجاف كمحطة لتجميع المواد الخام: وهي تقام لتقليل تكلفة نقل عناصر الإنتاج، بالإضافة إلى الحصول على أفضل الأسعار (خصم الكمية) عند شراء كميات كبيرة وتخزينها في الميناء الجاف وإرسالها إلى موقع الإنتاج طبقاً للجدول الموضوع مسبقاً وبدقة.

الميناء الجاف كمحطة تجميع السلع تامة الصناع: تقام هذه الموانئ في منطقة ذات صناعات متقاربة وبالتالي تخفيض تكاليف النقل لأقل ما يمكن بتقليل مسافات النقل للأسواق، مع إمكانية تحقيق رغبات المستهلكين في الحصول على احتياجاتهم في الوقت المحدد، والغاء عملية التخزين بالمخازن، وتقليل المصروفات الإدارية المصاحبة لكل طلبية.

الميناء الجاف كمحطة توزيع السلع للأسواق: تقام هذه الموانئ بالقرب من الأسواق - مناطق الاستهلاك - حيث يقوم الميناء الجاف بتجميع انتاج المصانع ثم اعداد طلبات كل سوق على حدة من جميع المنتجات وارسالها في دفعة واحدة، وبالتالي يستطيع الميناء الجاف تحقيق اهداف اللوجستية من خلال تخفيض تكاليف النقل، مع وجود دائم للسلع بالأسواق، وامكانية الاستغناء عن المخازن الموجودة بالمخازن.

وظائف أخرى للموانئ الجافة

الميناء الجاف كمنطقة داخلية للميناء البحري: ومفهوم المنطقة الداخلية للميناء البحري هي منطقة قارية، يخدمها الميناء البحري بتكلفة أقل مما يمكن أن يفعله ميناء بحري آخر، ووظيفتها ضمان تدفق الحركة الناشئة من الميناء البحري ويمكن أن يكون هناك أكثر من منطقة داخلية للميناء البحري الواحد.

تسهيل التجارة؛ وذلك بتعزيز قطاع الصادرات والواردات في المنطقة، خاصة للمشاريع الصغيرة التي لا تستطيع توفير وفورات الحجم من تلقاء نفسها، وفي هذه الحالة تقوم الموانئ الجافة بتحسين ظروف هذه المشاريع في الوصول إلى الخارج والتعامل معه، وهذا يعني أسواق وفرص جديدة لهذه المشاريع.

مواقف توزيع: مواقف التوزيع هي أماكن انتظار أو متزهات لوجستية متطرفة بتجهيزات وتسهيلات شاملة لعمليات التوزيع في موقف واحد بالقرب من محطة البضائع، وبها تسهيلات النقل متعدد الوسائل، مع توظيف أحدث تكنولوجيا الاتصالات والمعلومات. وتعد مواقف التوزيع من مطلوبات الشاحنين وشركات النقل دعماً لأسلوب التسلیم في نفس الوقت، وتتوفر هذه المواقف مساحات

تخزين وتسهيلات لأعمال الشحن مثل مناولة البضائع والتستيف والتربيط، وخدمات القيمة المضافة مثل التغليف وإعادة التغليف ووضع العلامات التجارية والتجميع والتصنيف وإصدار الفواتير ووثائق ومستندات التصدير والاستيراد (هيكل، ٢٠٠٨، ١٩-٢٠). الجدير بالذكر أن وظائف الموانئ الجافة كثيرة بحيث لا يمكن حصرها، والسبب في ذلك مرونة الموانئ الجافة كظاهرها وقابليتها للتشكل حسب مقتضي الظروف.

إدارة الموانئ الجافة

شكل ادارة الموانئ الجافة يختلف علي حسب الملكية وتنفيذ العمليات (المشغل اليومي للميناء). والملكية تعني ملكية الموقع والمراقب بما فيها المعدات، وهي تختلف من دولة لأخرى حسب القوانين التي تحكم ذلك ولكن بشكل عام يمكن ان تكون الموانئ الجافة مملوكة للقطاع العام، أو القطاع الخاص، أو ملكية مزدوجة بين القطاعين العام والخاص. الملكية العامة هي الشكل الأكثر شيوعاً نظراً لأهميتها الاقتصادية والاستراتيجية للبلدان، وبموجب الملكية العامة تقوم السلطة العامة بإنشاء الميناء الجاف، وتوفير معدات المناولة ولديها الموظفين، وتقوم بإدارة الميناء. اما العمليات التشغيلية فيمكن ان تسند للقطاع الخاص بموجب عقود تأجير. اما الملكية الخاصة للموانئ الجافة في الشكل الاقل شيوعاً في هذا المجال، بحيث يقوم القطاع الخاص بإنشاء البنية الاساسية للميناء، اما العمليات اليومية يمكن ان تقوم بها جهات اخرى. وفيما يلي الخيارات الموجودة لأسلوب إدارة الموانئ الجافة:

التنمية الاقتصادية

هي العملية التي بمقتضها الانتقال من حالة التخلف إلى حالة التقدم. هذا الانتقال يقتضي العديد من التغيرات الجذرية في الهيكل الاقتصادي، وعلى العموم التنمية الاقتصادية هي تلك العملية التي من خلالها تتحقق زيادة في متوسط نصيب الفرد من الدخل الحقيقي على مدار الزمن، والتي تحدث من خلال تغيرات في كل من هيكل الانتاج، ونوعية السلع والخدمات المنتجة، بالإضافة إلى إحداث تغيير في هيكل توزيع الدخل لصالح الفقراء. وعلى ذلك فان العناصر التي تنطوي عليها عملية التنمية هي: أن جميع ما انطوت عليه عملية النمو مثل زيادة في متوسط نصيب الفرد من الدخل، الزيادة تكون حقيقة وليس نقدية والزيادة تكون على المدى الطويل. ومن ناحية أخرى هنالك عوامل أخرى تنفرد بها التنمية مثل التغير في الهيكل والبنية الاقتصادي، اعادة توزيع الدخل لصالح الطبقة الفقيرة وضرورة الاهتمام بنوعية السلع والخدمات المنتجة، واعطاء الأولوية للأساسيات الإنسانية.

مفهوم التنمية الاجتماعية: يختلف المفكرون الاجتماعيون في تحديد مفهوم التنمية الاجتماعية كل على حسب تخصصه، فيعرفها البعض بأنها عملية تواافق اجتماعي، وأخرون يقولون بأنها تمية طاقات الفرد بأقصى حد مسجّل، أو أنها إشباع الحاجات الاجتماعية للإنسان، أو عملية تغيير اجتماعي موجه، الا ان جوهر التنمية الاجتماعية هو الانسان باعتباره الوسيلة والهدف. إذن تعرف التنمية الاجتماعية بأنها: عملية تغيير حضاري تتناول افاق واسعة من المشروعات التي تهدف إلى خدمة الإنسان، وتوفير الحاجات المتصلة بنشاطه وعملة، ورفع مستوى الإنسان الثقافي والصحي والفكري والروحي (الطيب، ٢٠٠١، ١٨). وهي كعملية تعمل على استخدام الطاقات البشرية

بمختلف أنواعها لرفع مستوى معيشة الفرد، وخدمة اهداف التنمية على المستوى الاقتصادي والاجتماعي والثقافي والفكري. والتنمية الاجتماعية عملية معقدة ولا يمكن فهمها دون التطرق إلى بعض المفاهيم المتعلقة بالمجتمع نفسه، وذكر دكتور عبد الكريم بكار في كتابه التنمية المتكاملة هذه المفاهيم:

المجتمع: هو تعبير إنساني عن مجمل العقائد، والمفاهيم، والأعراف، وال العلاقات، والمصالح، التي تسود رقعة مكانية معينة، وتخضع لها مجموعة بشرية محددة. الفكر: ولل الفكر دور مهم في بناء المجتمعات وفي تغييرها، إلا أن طبيعة المجتمع يميل إلى الجمود بسبب أن الحالة الاجتماعية السائدة في المجتمع وما هي إلا تعبير عن قوة التوازنات الفكرية، والاقتصادية، والثقافية، والسياسية السائدة في المجتمع، وبالتالي هو لا يتغير إلا إذا حدث تغيير ملموس في هذه التوازنات الفرد: أهمية الفرد تكمن في عضويته في الجماعة لأنها توفر له الرصيد الإنساني اللازم لكونه إنسان. والمهام الأساسية للتنمية الاجتماعية هي دعم العلاقات الاجتماعية (مثل علاقات الأخوة، القرابة، الزمالة ... الخ). وقد عرفت بأنها عملية تسهدف تقوية العلاقات والروابط الاجتماعية القائمة في المجتمع، ورفع مستوى الخدمات التي تؤمن للفرد نومه وغذاءه، ورفع مستوياته الصحية والثقافية والاجتماعية، وزيادة قدرته على تفهم مشاكله، وحثه على التعاون مع افراد مجتمعة لحياة أفضل. نجد أيضاً من يحصر التنمية الاجتماعية في تنمية الإنسان لعلاقاته المتبادلة مع الآخرين. ومما ذكر سابقاً ان موضوع التنمية الاجتماعية قد تناوله العلماء الاجتماعيين بمختلف تخصصاتهم، فنجد مثلاً المصلحين الاجتماعيين يعنون بالتنمية الاجتماعية توفير التعليم، والصحة، والمسكن الملائم، والعمل المناسب لقدرات الإنسان، والدخل الذي يوفر احتياجاته، والانتفاع بالخدمات الاجتماعية، مع الاحتفاظ لكل مواطن الأدلة برايه في كل ما ذكر وفيما ينبغي ان يكون عليه مستوى ادائه. اما علم النفس الاجتماعي فقد ذكر تعريف للتنمية الاجتماعية بانيا: الجهود الازمة لإحداث سلسلة من التغيرات الوظيفية والهيكلية الازمة لتنمية المجتمع، وذلك بزيادة قدرة الإنسان لاستغلال الطاقة المتاحة لأقصى حد ممكن، لتحقيق أكبر قدر من الحرية والرفاهية للأفراد. ولعل من المفيد ذكر الوظائف الأساسية للمجتمع: تامين الشروط الأساسية للحياة المادية للأفراد، توفير شروط الحياة المعنوية والروحية والحرية، تنظيم الطاقة الحيوية للفرد حتى لا يكون عنصر تدمير للمجتمع، ادارة التكامل وحل التوترات بين المكونات المختلفة للحياة الاجتماعية. وذلك بترجمة المكاسب الاقتصادية التي حصل عليها شريحة من الناس إلى مكاسب اجتماعية، وتلطيف الثمن الاجتماعي الذي يدفعه المجتمع نتيجة لاتساع المدن وترابع الحياة الريفية. وهذا دور الحكومات في المقام الاول. بقى ان نشير إلى اساليب ووسائل التنمية الاجتماعية: مسح القيادات المحلية للمشكلات الاجتماعية، تغيير نظرة الناس للعمل اليدوي والخدمة الذاتية، الاتجاه إلى اللامركزية في انظمة الحكم والادارة، توفير اطر محلية لتنمية الحياة الاجتماعية، واسعاعة روح التعاون الشعبي.

التنمية الريفية: يتكون مفهوم التنمية الريفية من كلمتين هما التنمية والريف، وحتى يتضح لنا المفهوم نقوم بتعريف مصطلح الريف (علي وعامر، ٢٠١٦، ٣٦). الريف: لغة الخصب والاسعة في

المأكى، والريف ما قارب الماء من ارض العرب، وقيل الريف حيث يكون الحضر والمياه، وقيل أرض زرع وuchs، ورافت الماشية رعت الريف. اما الريف في الاصطلاح صفة تطلق على كل ما يتصل بالريف، وهو ضد الحضر، فإذا اطلقت على الشخص فمعناه انه يسكن الريف، أي من يقومون بأعمال تتصل بالزراعة، ويمكن ان تطلق مجازا على كل من سكن الريف وان لم يشتغل بالفلاحة. أيضا تستخدم كلمة ريف ويعني بها البيئة التي يعيش فيها الفلاحون ويمارسون فيها نشاطهم، هذا راي الجغرافيين. وقد قام ابن خلدون (منصور، ٢٠٠٦، ٧٢-٧٤) بتقسيم المجتمعات الى بدو وحضر، لكنه عمم البدو لتشمل الريف حينما قسم البدو الى البدو العاملين بالزراعة والقيام بالفلاح وهذا القسم القيام به اولى من الظعن وهمؤلاء هم سكان المدر والقرى والجبال، فهو لم يذكر الريف بالاسم لكنه ذكر صفاتهم واهمنها الاستقرار والزراعة. ايضا ذكر اهم صفات المجتمع الريفي وهي: قلة السكان بالقياس بسكان المدن، قوة العلاقات الاجتماعية بين سكان الريف، التمسك بالعادات والتقاليد والاعراف.

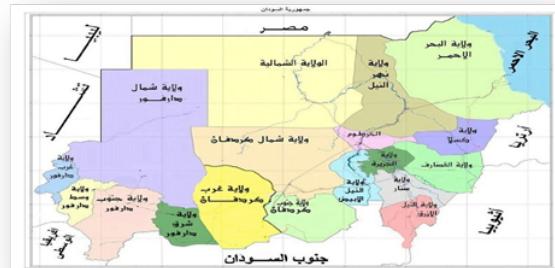
دور الموانئ الجافة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في السودان

تشكل الموانئ اهمية اقتصادية كبرى من خلال تأثيرها على التجارة الخارجية، بالإضافة إلى أنها تساعد على تنمية المناطق التي تطل عليها، وتفاعل مع الخدمات الداخلية للدولة، تسهل تدفق البضائع- والموانئ السودانية ليست بمنعزل عن هذا - فهي تقوم بدور استراتيжи في نقل تجارة السودان الخارجية، وهي الجهة الرسمية المسئولة عن تطوير الخدمات المينائية، لتواءك التطورات العالمية والحفاظ على الوضع التنافسي للموانئ السودانية، وللتغييرات في التجارة العالمية واللوجستيات ونظم سلاسل التوريد ذات تأثير على نظام الميناء على مستوى الدول وفي السودان.

جمهورية السودان

يقع السودان في الجزء الشمالي الشرقي من قارة أفريقيا ويمتد بين خطى عرض (٤٥,٨-٢٣,٨) شمالا وخطى طول (٤٩,٣٤-٢١,٣٨) شرقا، ويجاور سبع دول (إرتريا - إثيوبيا - دولة جنوب السودان - إفريقيا الوسطى - تشاد - ليبيريا - مصر). ويجاور المملكة العربية السعودية عبر البحر الاحمر الذي يمثل المنفذ البحري الوحيد للسودان وتقع عليه الموانئ البحرية السودانية والتي تمثل معبرا لعدد من الدول الافريقية المجاورة.

شكل (٩) خريطة جمهورية السودان.



المصدر: ٢٠١٦/٧ http://mofa.gov.sd/new/images/sudan_map

المساحة: تبلغ مساحة السودان (١٨٨٢٠٠٠) كيلومتر مربع محتلا المركز (١٦) عالميا والثاني إفريقيا.

السكان: يقدر عدد سكان السودان (٣٣,٤١٩,٦٢٥) مليون نسمة محتلا المركز (٣٥) عالميا و (٩) إفريقيا و (٣) عربيا.

نبذة عن الموانئ البحرية السودانية

نعد هيئة الموانئ البحرية السودانية أكبر هيئات الوزارة (وزارة النقل والطرق والجسور) مسؤولة عن إدارة الموانئ البحرية في البلاد وهي بورتسودان، وسوakin (ميناء عثمان دقنة)، وأوسيف، بالإضافة إلى مينائي كوسكي وحلفا النهري ومؤخراً ميناء كوسكي الجاف (جمهورية السودان، ٢٠٠٩، ١، ٨-١).

أ/ ميناء بورتسودان: يعتبر الميناء الرئيسي والمنفذ البحري للسودان ويكون من أربعة موانئ هي:

١/ الميناء الشمالي: يتضمن (١٢) مربط بطول (١٨٦٦) متر.

٢/ الميناء الأخضر: يتضمن (٤) مربط بطول (١٢٢٦) متر.

٣/ الميناء الجنوبي: يتضمن (٦) مربط بطول (١٥٦٤,٨) متر: وهو ميناء الحاويات الرئيس في السودان ومنه تتحرك الحاويات إلى كل الموانئ الجافة في السودان.

جدول (١) امكانيات الميناء الجنوبي في السودان.

رقم المربط	العمق بالمتر	الطول بالمتر	الاستخدام
١٣	١٦	٤٠٠	حاويات
١٤	١٦	٤٠٠	حاويات
١٥	١٠,٧	١٩٨,٦	صب بضائع وغلال
١٦	١٠,٧	١٤٦,٢	حاويات
١٧	١٢,٥	٢١٠	حاويات
١٨	١٢,٥	٢١٠	حاويات

المصدر: جمهورية السودان، وزارة النقل والطرق والجسور، هيئة الموانئ البحرية(٢٠١٥م)،

النشرة الاحصائية السنوية، ص ٢٠.

شكل (١٠) سفينة حاويات في الميناء الجنوبي ببورتسودان.



المصدر: كاميرا الباحث ٦ / مارس ٢٠١٧ م.

كل هذه المرابط مجهزة بالتجهيزات اللازمة من كرينت جسرية، وعملاقة، وكرينت ساحة مطاطية تبلغ في مجلتها (٨) كرينت جسرية و(٢٣) كرينت مطاطي.

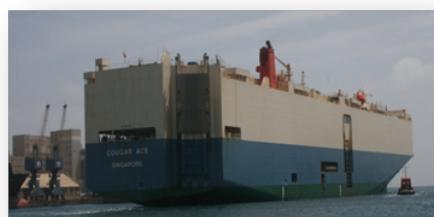
٤/ ميناء الخير: وهو ميناء متخصص في مناولة المواد البترولية ويحتوي على مربط واحد بطول (٣١٠) متراً وعمق (٦٤,٦) متراً مع كامل التجهيزات اللازمة لخدمة سفن البترول.

ب/ ميناء الأمير عثمان دقنة: يقع بمدينة سواكن جنوب ميناء بورتسودان بحوالي (٦٠) كلم وبه صالة مغادرة وصالة قدوم للركاب مجهزة بكافة الخدمات الخاصة بالركاب.

٣-٣-٢ أسباب إنشاء الموانئ الجافة في السودان

أ/ تكدس الموانئ البحرية: ان الموانئ البحرية السودانية المطلة على البحر الاحمر هي المنافذ البحرية الوحيدة ومبر لتجارة السودان الخارجية من قديم الزمان، لكن وفي الآونة الأخيرة وبسبب عدة عوامل متعلقة بالتجارة العالمية مثل السفن الحديثة، ونقل البضائع عن طريق الحاويات، ادت الى تدفق البضائع على الموانئ بصورة أكبر من إمكانية التعامل معها واصبح البحث عن الحلول لها من الضروريات من اجل المحافظة على تنافسية الموانئ البحرية السودانية.

شكل (١١) سفينة العربات والاليات المتحركة في الميناء الشمالي بورتسودان.



كاميرا الباحثين ٦ / مارس ٢٠١٧ م.

شهدت الموانئ البحرية السودانية في الربع الأخير من عام ٢٠٠٤ م زيادات مفاجئة فاقت التوقعات في عدد الحاويات (جمهورية السودان، ٢٠٠٥ م، ص ١٣).

جدول (٢) الزيادة في عدد الحاويات في الميناء الجنوبي في النصف الاول من عامي ٢٠٠٤ و ٢٠٠٥ م.

الشهر	العام ٢٠٠٤ م	العام ٢٠٠٥ م	نسبة الزيادة
-------	--------------	--------------	--------------

٪٥٢,٦	٢٢٤١٥	١٤٦٨٧	يناير
٪٣٧,٤	١٩٥٣٥	١٤٢١٤	فبراير
٪١٧	١٩٨٠١	١٦٩٤٢	مارس
٪٤	١٦٥٧.	١٥٧٩.	ابريل
٪٨	٢١١٣٨	١٧٨٥٧	مايو

المصدر: جمهورية السودان، وزارة المالية والاقتصاد الوطني، تقرير لجنة تفريغ ميناء بورتسودان (٢٠٠٥م).

هذه الظاهرة سميت بمشكلة تكدس الحاويات. وعند رصد عدد السفن التي تعاملت مع الموانئ السودانية من العام ٢٠٠٣م - ٢٠٠٧م.

جدول (٣) عدد السفن التي زارت ميناء بورتسودان خلال الاعوام من ٢٠٠٣م - ٢٠٠٧م.

الأعوام	المجموع السفن الزائرة
٢٠٠٣م	١٢١٦
٢٠٠٤م	١٣٧٩
٢٠٠٥م	١٥١٢
٢٠٠٦م	١٢٣٤
٢٠٠٧م	١٠١٤

المصدر: جمهورية السودان، وزارة النقل والطرق والجسور، هيئة الموانئ البحرية (٢٠٠٧م)، النشرة الاحصائية السنوية، ص. ٢.

بعد العام ٢٠٠٥م أكثر الاعوام من حيث عدد السفن الزائرة لميناء بورتسودان حيث بلغت جملة السفن الزائرة (١٥١٢) سفينة.

(٤) عدد الموانئ الجافة في السودان وتاريخ الاعوام.

الرقم	اسم الميناء الجاف	الولاية	التاريخ
١	ميناء كوسى الجاف	النيل الابيض	٢٠٠٦م
٢	ميناء قصاصف الجاف	ولاية القضارف	٢٠٠٩م
٣	ميناء مدنى الجاف	ولاية الجزيرة	٢٠١٠م
٤	ميناء عطبرة الجاف	نهر النيل	٢٠١٢م
٥	ميناء دنقالا الجاف	الولاية الشمالية	٢٠١٣م
٦	ميناء ابيض الجاف	شمال كردفان	٢٠١٦م

المصدر: جمهورية السودان، وزارة النقل والطرق والجسور (٢٠٠٧م) هيئة الموانئ البحرية، النشرة الاحصائية السنوية.

تعريف الموانئ الجافة في السودان

تم تحديد ثلاثة مواضع رئيسة والتي تنقسم إلى تسع فئات فرعية لتعريف بالموانئ الجافة السودانية، ويمكن القول إن هناك ثلاثة أنواع رئيسة للموانئ الجافة في السودان وهي ميناء بحري في الداخل، ومناطق خاصة داخلية، ومحطات حاويات (ابراهيم، ٢٠١٣، ١٤) تعتبر الموانئ الجافة في السودان هي منافذ داخلية إقليمية تربط الموانئ البحرية والمناطق الداخلية بشبكة من الطرق البرية والسكك حديد. وهي أيضاً أنشئت للمساعدة في أنشطة الموانئ البحرية ولمساعدة المصنعين وأصحاب الأعمال على توجيه حاوياتهم من وإلى الموانئ البحرية في أقصر وقت وبأقل تكلفة من أجل تعزيز قدرة

الميناء على المنافسة. تعتبر الموانئ الجافة في السودان مماثلة للموانئ البحرية من حيث الوظيفة ولكنها تقع في المناطق الحضرية. والموانئ الجافة تكون فعالة في تشغيلها إذا كانت تقع بالقرب من مناطق التصنيع أو المجمعات الصناعية لدعم حركة الحاويات من وإلى الميناء دون أي عوائق مثل ازدحام المرور أو التأخير في تخليص الحاويات. بالإضافة إلى ذلك، فإن استخدام الموانئ الجافة من قبل الشركات المصنعة أو الجهات المعنية الأخرى يقلل من الضغط على مرافق الموانئ البحرية ويخفف من القيود التي تواجه الموانئ البحرية الرئيسية في السودانية.

تصنيف الموانئ الجافة السودانية

بالاستناد إلى المسافة التي تفصل الموانئ الجافة عن الموانئ البحرية في السودان يمكن تصنيف الموانئ الجافة السودانية إلى موانئ جافة بعيدة وقريبة المدى. وتقسم الموانئ الجافة إلى بعيدة، ومتوسطة، وقريبة من الموانئ البحرية (Olandersson, 2006, P6) فمثلاً (لوسكا) الجاف في تزانيا يعتبر ميناء جاف بعيد، وذلك بالنظر إلى المسافة التي تفصل بينه والميناء البحري في دار السلام (٨٠٠ كلم) وبالتالي أفضل وسيلة نقل هي السكة حديد من منظور التكلفة والميزات الأخرى. أما ميناء فرجينيا الداخلي في أمريكا (Olandersson, 2006, 8) كمثال لميناء جاف متوسط المدى فالمسافة بينه وميناء فرجينيا الساحلي حوالي ٣٣٠ كلم. وهناك مثال لميناء الجاف القريب في استراليا والمسافة ١٨ كلم من ميناء سندي الحري. فمثلاً كل من ميناء (عطبرة، دنقالا، قضارف، مدنى، كوسى، الإيپض) تقع من الموانئ الجافة البعيدة، وبالتالي الوسيلة المناسبة للنقل من الناحية الاقتصادية والبيئية هي السكة حديد. أما ميناء سلوم الجاف فهو مثال لميناء جاف قريب المدى.

جدول (٥) طول المسافة بين ميناء بورتسودان والموانئ الجافة في السودان.

اسم الميناء الجاف	البعد من ميناء بورتسودان	من الخرطوم العاصمة
عطبرة	٤٩١	٣٣٠
دنقالا	٧٠٧	٤٥٣
الضارف	٧٦٦	٤١٧
مدنى	٩٣٢	١٨٩
الإيپض	١٢١٢	٤١٤
سلوم	١٠	٨٣٠

المصدر: ورقة بحثية بعنوان أسباب تدني الإيرادات بالموانئ الجافة يناير ٢٠١٧، ص.٨.

يتضح من جدول (٥) أن الموانئ الجافة في السودان تقع في نطاق الموانئ الجافة بعيدة المدى. وبالتالي من الأفضل أن تكون موصولة بالميناء الرئيس عن طريق السكة حديد، وهو أمر يؤكده الكثير من الدراسات، ولكن رغم وجود الموانئ الجافة نجد أن مشكلة التكدس بسبب النقل تظهر في بعض الأحيان.

دور الموانئ الجافة في التنمية الاقتصادية والاجتماعية

الموانئ الجافة في السودان تعمل على وصول السلع والخدمات بشكل أفضل وبالتالي تدعم التنمية الاقتصادية والاجتماعية محلياً (الولايات) وقومياً (السودان) واقليمياً (دول الاقليم).

التأثيرات الاقتصادية للموانئ الجافة

انخفاض تكاليف النقل تتعكس في انخفاض الأسعار للسلع المتداولة وهي ضروري للإنتاج والرفاهية. انخفاض أسعار السلع المتداولة تقدم حواجز للتجارة ونمو الناتج المحلي الإجمالي. من المفترض أن يولد الاستثمار في مرافق الموانئ الجافة أنشطة اقتصادية أخرى في المنطقة المجاورة (مناطق اقتصادية خاصة). تحسين وصول السلع السودانية إلى الموانئ البحرية (السمسم - الموز - المانجو). خدمات لوجستية أرخص (المخازن، ساحات للحاويات). وصول أكثر كفاءة للخدمات التخلص الجمركي. الوصول إلى خدمات لوجستية إضافية (التغليف، وضع العلامات، التخزين).

فوائد الموانئ البحرية من الموانئ الجافة

منع تكدس الموانئ البحرية يعمل على دعم القدرة التنافسية للموانئ البحرية السودانية وهذا يعني المحافظة و استمرار الخطوط الملاحية وزيادتها لما تميز بها الموانئ السودانية من موقع استراتيجي على البحر الاحمر ويمكن اعتبار القدرة التنافسية إيجابية للتنمية الاقتصادية والاجتماعية لأنها تؤدي إلى تحسين الإنتاجية والكفاءة وزيادة الحصة السوقية للموانئ وتعتبر بيئة المنافسة اليوم والاستراتيجيات التنافسية من القضايا الاستراتيجية في إدارة الموانئ وعادة ما يتم تقييم القدرة التنافسية لموانئ البحرية على أساس عوامل مثل عدد خطوط الشحن المتاحة مع الميناء و وقت الانتظار، وشغل المراسي، وسرعة التحميل/ التفريغ، ووقت الدوران، ومعدات المناولة، ومساحة ساحات الكشف، وأنظمة تكنولوجيا المعلومات والاتصالات التي تدعم العمليات، والخدمات الإضافية للبضائع، ومرافق استقبال نفاثيات السفن وخطوط النقل الداخلي. منع تكدس الموانئ البحرية يتبع للموانئ البحرية السودانية امكانية التطوير والمواكبة والتعامل مع السفن الكبيرة (وفورات الحجم) وهذا يعني تقليل التكلفة مما ينعكس ايجاباً على اسعار البضائع. منع تكدس الموانئ البحرية من مطليوبات اندماج الاقتصاد الوطني في الاقتصاد العالمي لأن الاتجاه العالمي ينحو نحو جعل الموانئ البحرية هي بوابات (Gateway) عبر فقط اما العمليات الاخرى تجري في الداخل وفي المستقبل سيتم نقل الشحنات التجارية والتخلص الجمركي مباشرة بين الميناء الداخلي في بلد واحد وميناء داخلي آخر في البلد آخر (Ali, 2015, 5). منع تكدس الموانئ البحرية يعني المحافظة على البضائع وعدم تعرضها للعوامل السالبة (السرقة التلف الضياع وما إلى ذلك).

الفوائد الاجتماعية والبيئية للموانئ الجافة

بالنسبة للسكان في المناطق النائية وجود الميناء الجاف في الولاية المعنية يساهم في إيجاد فرص عمل جديد للمواطنين الموجودين بالمنطقة (العمال، أصحاب المقاولات وأماكن الاطعمة والشراب، الاتصالات، المواصلات، البنوك، شركات التأمين، الترحيل، وغيرها). وجود الميناء الجاف بالمنطقة يعمل على تنمية المنطقة بالعمارة، لأن غالبية الموانئ الجافة الموجودة في السودان تقع خارج عواصم الولايات بمسافات تفوق العشر كيلومترات وأكثر (مناطق خلوية)، وهذا يتطلب اتصال الخدمات

الاجتماعية (من مياه، وكهرباء، واتصالات، وطرق مسفلته) إلى الميناء الجاف، لكن لا تقف هذه الخدمات عند الميناء الجاف فقط، وإنما تمتد للمواطنين، ومن ثم تجذب العمran (الخطة الاسكانية) قد امتد على طول المسافة بين الميناء الجاف واطراف عاصمة الولاية، وليس هذا فحسب إنما تجذب العمran امتد لمسافة حول منطقة الميناء، كما أن القرى الموجودة بمنطقة الميناء الجاف هي الأخرى تستفيد من الميناء الجاف وتمتد إليها خطوط مواصلات منتظمة. هذا الامر مشاهد في كل من موانئ الجافة الموجودة في مدني، ودنقالا، والابيض. غالبا ما يصاحب افتتاح الموانئ الجافة في الولايات ان يتم استيعاب دفعات جديدة في الجمارك سواء كانت ضباط او الجنود، ويتم استيعاب هؤلاء من ابناء المنطقة خاصة الجنود وهذا يعكس مدى مساهمة الميناء في خلق فرص عمل جديدة في المنطقة. الموظفون العاملون بالميناء واغلبهم من (موظفي الجمارك) قوة شرائية كبيرة للمنطقة، بالإضافة إلى ارتفاع اسعار ايجارات العقارات بالمنطقة. والمثال على هذا ميناء كوسىي الجاف تم استيعاب عمال النقل الهنري منذ العام ٢٠١٠ وكنالك ميناء دنقالا الجاف استيعاب المسرحين من الطيران المدني (مطار دنقالا). ولinden الميناء فرص أفضل لاستخدام الأرضي. وللمجتمع ككل الطريق أقل ازدحام (من المفترض استخدام النقل بالسكة حديد) وانخفاض عدد حوادث الطرق من خلال عدد أقل من الشاحنات وانخفاض الزدحام على شبكة الطرق. انخفاض غازات الدفيئة من خلال التحول النموذجي من الطرق الى السكة حديد وهذا الامر يحتاج الى دراسات في السودان. اما الدور الاكبر للميناء الجاف في التنمية فيتمثل في الدور الغير مباشر من خلال دور المؤسسات (أكبر المؤسسات العاملة في الميناء الجاف هي الجمارك)، لذا ننظر الى هذا الدور من خلال دور الجمارك في التنمية الاقتصادية والاجتماعية.

دور الجمارك في التنمية

إن أي عملية تبادل خارجي للبضائع، سواء كانت استيراداً أو تصديرًا، لا بدّ وأن تمر بدائرة جمركية ومنفذ جمركي، سواء في البلد المصدر أو البلد المستورد. لذا تعتبر العملية الجمركية المرحلة الأخيرة من عمليات التجارة الخارجية. وللعملية الجمركية تأثيرات اقتصادية مختلفة وهي ما اصطلاح عليها باقتصاديات الجمارك (عبد الرزاق، ٢٠٠٩، ١٩) والتي فيما تضم الآثار الاقتصادية للتعريفة الجمركية، الآثار الاقتصادية لإلغاء أو تخفيض القيود الجمركية، النظم الجمركية الخاصة واثارها. والجمارك Customs تشير الى الجهة الحكومية التي تمتلك السلطة لتنفيذ القوانين الخاصة بتوفير الحماية للصادرات والواردات، وتنظيم عملية دخول وخروج البضاعة بين الدول، ولتحقيق هذا تقوم الجمارك بمجموعة من العمليات والإجراءات التي تضم عدد من العناصر أهمها الرقابة الحدودية لمواجهة كافة أشكال الإدخال غير المشروع أو التهريب من وإلى الدولة (ابو القاسم، ٢٠١٣، ٨). وتطلق الجمارك ايضاً على الضريبة التي تفرض على المنتجات المستوردة، وأصل مصطلح الجمارك يعود للغة التركية، وهو مشتق من كلمة (كمرك) وتعني انفاذ مجموعة القوانين واللوائح والإجراءات بغية تحقيق عدد من الاهداف من بينها الهدف المالي، وعرفت باللغة العربية بكلمة (مكس). ومن تعريفات

الجمارك أيضا هي مكان يوجد في المطارات والحدود الدولية والموانئ البحرية، ويشرف عليه مجموعة من الأفراد المسؤولين عن متابعة المسافرين والبضائع المتبادلة بين الدول.

تاريخ الجمارك السودانية

قبل عام ١٩٠٥م كان تحصيل الرسوم الجمركية يتم على نظام التوكيلات بصدر المنشورات من الحاكم العام إلى مدير المديريات الذين يقومون بتحصيل الرسوم والضرائب الجمركية ويوردون الحصيلة للسكرتير المالي. في العام ١٩٠٥م صدر أول قانون للجمارك بموجبه تم إنشاء إدارة الجمارك، واستقلت من مصلحة المالية وأصبحت تحصل إيراداتها وتحدد منصافاتها وتراجع حساباتها دون تدخل من مصلحة المالية وفي نفس العام تم تعيين أول مدير للجمارك الكابتن هايس سادلر (His Sadlar) وكان برتبة العميد ومارس أعماله في بداية يناير ١٩٠٦م. أهم ما قام به كابتن هايس سادلر هو وضع خطة لإنشاء وتطوير العمل الجمركي وقد كان العمل يسير في كل المحطات الجمركية (سوakin، وادي حلفا، بورتسودان) وفقا للنظام الجمركي المصري. ومن ثم قام بتحديد المواقع وأنشاء سبعة عشر مركزا جمركيا هي (سوakin، وادي حلفا، بورتسودان، الخرطوم، كسلا، القضارف، قنبلا، قلابات، الروصيرص، الكرمك، أبو هاشم، شنينة، قرورة، سنا، الدند، وأبو نعامة). ويلاحظ أنه أهلل الشمال والغرب، ذلك أن الشمال به محطة وادي حلفا وكان التحصيل فيها يتم لصالح الحكومة المصرية، أما الغرب فلم يتم الالتفات له إلا بعد افتتاح مطار الجنينة عام ١٩٤٠م. بالإضافة لذلك فإن من أهم أعمال الكابتن سادلر تنظيم العلاقة بين إدارة الجمارك الوليدة مصلحة المالية ومصلحة التجارة. تعاقب على إدارة الجمارك ثمانية من الانجليز آخرهم المستر ووكلي (الجعلي، ٢٠١٤، ٤) والذي عمل كثيرا فترة لا تزيد عن ستة أشهر تمت بعدها سودنة الوظائف بالجمارك. تعاقب على إدارة مصلحة الجمارك بعد الاستقلال ثلاثة عشر مديرا آخرهم اللواء شرطة دكتور بشير الطاهر بشير الجعلي.

التطور القانوني للجمارك

قانون عام ١٩٠٥م: أول قانون للجمارك أصدره المستر ونجت باشا حاكم عام السودان عبارة عن موجهات مبسطة جدا لا تتعذر نصف الصفحة استنادا إلى اتفاقية الحكم الثنائي لعام ١٨٩٩م، واهم ما جاء في هذا القانون هو إعفاء البضائع المستوردة من مصر من الرسوم الجمركية وتخفيض الرسوم الجمركية على سلع الانشاء والتعمير والمواد الغذائية.

قانون عام ١٩١٣م: صدر هذا القانون مع ظهور أول ميزانية لحكومة السودان كما تزامنت مع وقف الدعم المصري لتغطية العجز في الميزانية العامة بالإضافة لذلك وقف توريد الإيرادات للحكومة المصرية. تم إدخال بعض الانظمة الجمركية الخاصة مثل (الدرويak، والترانسيت، والنقل من سفينة إلى أخرى).

قانون عام ١٩٢٦م: هذا القانون لا يختلف كثيرا عن قانون ١٩١٣م وإنماأشتمل تعديلات مثل رفع الفئات الجمركية على السلع الكمالية وهي (السجائر والخمور والتباك).

قانون عام ١٩٣٩ م: صدور هذا القانون لدعاي امنية خالصة مع ارهاصات قيام الحرب العالمية الثانية لدرء آثارها السالبة عند نشوئها. وقد اشتمل على تقييد بعض السلع عند الاستيراد والتصدير وارتفاع قيمة التعريفة الجمركية عموماً ويلاحظ ان هذا القانون قد الحقت به اللوائح التي تنظم عمل المصالح الأخرى ذات الصلة بالعمل الجمركي كما الحق به كتاب تعليمات ضبط الجمارك وهو المرشد المهم الذي ينظم العمل الجمركي.

قانون عام ١٩٨٤ م: هو اول قانون يصدر في السيادة الوطنية، افرد القانون فصلاً كاملاً عن الجرائم والمخالفات، وأشار الى المعهد الجمركي الذي يختص بتدريب وتأهيل وإعداد امتحان الترقى. وفي ضوء ازدياد حركة التجارة العالمية اعطي القانون لامين عام الجمارك وهو تسمية القانون لمدير الجمارك اعطي سلطة ابرام الاتفاقيات خاصة مع هيئات ذات شخصية اعتبارية بشأن البضائع المصدرة لغير الاغراض التجارية، وكلك منح سلطة وضع اللوائح.

قانون عام ١٤٠٤ هـ: استمر العمل بقانون ١٩٣٩ حتى عام ١٩٨٤ م عندما أمر الرئيس الأسبق جعفر نميري العمل بموجب الشريعة الإسلامية وأصدر قانون الجمارك لعام ١٤٠٤ هـ ومن أهم اسباب صدور القانون الآتي: تحويل مصلحة الجمارك من مصلحة مدنية إلى قوات نظامية عسكرية. والعمل بقوانين الشريعة الإسلامية بدليلاً للقوانين المدنية الوضعية. وتطور الحياة التجارية وتنوع واختلاف اساليب الشحن والتهريب والتحايل على الجمارك كما أصبح السفر خارج الحدود متاحاً لقطاعات كبيرة من السودانيين... وغيرها من الأسباب.

ومن مميزات هذا القانون أنه: صدر باللغة العربية. وتحويل الجمارك لقوة نظامية تتبع لرئاسة الجمهورية. ونص القانون لأول مرة على نظام تجارة الحدود. كما عالج القانون الأسواق الحرة ضمن المستودعات والزم الأمين العام بالتصديق بفتح فروع في المدن والأسواق والمحطات الجمركية.

قانون ١٩٨٦: بصدور قانون ١٩٨٦ م الغي قانون ١٤٠٤ هـ، واهم ما يميز هذا القانون هو ما يتعلق بالأحكام الإسلامية مثل منع استيراد الخمور وادوات الميسر واستمر العمل بهذا القانون حتى عام ٢٠١٠ م حيث أضيف له بعض التعديلات بلغت في جملتها (٥٤). بجانب هذا القانون هناك عدد من اللوائح (٢٠ لائحة) التي تنظم العمل الجمركي.

وضعية الجمارك بين وزاري المالية والداخلية

المشرع في قانون الشرطة لسنة ١٩٩١ م أكد على خصوصية وفنية المهام والواجبات التي تقوم بها الجمارك. فحسب المادة (١٢) الفقرة (٤) من قانون الشرطة لسنة ١٩٩١ م ورد الآتي فيما يتعلق بسلطات المدير العام لقوى الشرطة (يتولى المدير العام والمدير رسم الخطط وضع البرامج الكفيلة بتنفيذ واجبات قوات الشرطة، وادارتها، وتوزيعها... ويكون مسؤولاً عن جميع المهام والاموال الخاصة بهذه القوات). لكن المشرع استثنى الجمارك من هذه المادة، وذلك في المادة (١٣) الفقرة (٥) على الرغم من سلطات المدير العام المنصوص عليها في البند (٤) يكون المدير العام للجمارك مسؤولاً عن تنفيذ قانون الجمارك والقوانين الضرورية الأخرى... وتنفيذ ما ينطوي به من السياسات والخطط والبرامج التي تعدها وزارة المالية والخطط الاقتصادي).

اهداف الجمارك

- ١/ تحصيل الضرائب غير المباشرة على السلع المستوردة والمصدرة والمنتج محليا.
- ٢/ حماية الصناعة المحلية من خطر المنافسة الأجنبية.
- ٣/ تنفيذ القوانين الأخرى الرامية لحماية الأمن والصحة العامة واخلاق وقيم المجتمع.
- ٤/ توفير المعلومات الاحصائية عن تجارة السودان الخارجية والصناعات المحلية.
- ٥/ وبتحويل الجمارك إلى قوة نظامية شرطية وفقاً لقرار مجلس الوزراء (١١٣٧) بتاريخ ١٢/١٩٩١م أصبحت للجمارك أهداف أمنية أخرى مثل مكافحة التهريب بشتى أنواعها، والمساهمة مع قوات الأمن الأخرى في توفير الأمن للمواطن والوطن. هذا بالإضافة إلى أهداف أخرى مثل المشاركة في وضع السياسات المالية الدولية، تمثيل السودان في الاتفاقيات الثنائية والإقليمية والدولية.

الوظائف الجمركية وتأثيراتها الاقتصادية والاجتماعية

الضرائب الجمركية: ضرائب تفرض على السلع عند اجتيازها لحدود الدولة (عبد الرزاق، مرجع سبق ذكره، ٢٠)، ولها تأثيرات اقتصادية واجتماعية أهمها: الضرائب الجمركية تعد الأداة الأكبر لرفد خزينة الدولة بالإيرادات اللازمة لتمويل عملية التنمية الاقتصادية والاجتماعية، نسبة لعجز القطاع العام عن تحقيق فوائض من المشاريع الاقتصادية العامة كالمشاريع الزراعية والنقل والطاقة، بالإضافة إلى ضعف إيرادات الضرائب المباشرة. ومن المعلوم ان الدول النامية والسودان واحد منها تعتمد على الضرائب الجمركية بشكل اساسي من جملة الابادات العامة للدولة. فوفقاً لاحد التقديرات ان جملة الابادات النقدية المتحصلة من الضرائب الجمركية على الصادرات والواردات في ٤٧ دولة نامية، قد وصلت إلى ما يقارب من ثلث إجمالي الإيرادات الضريبية في تلك الدول. وفي السودان دائمًا الضرائب الجمركية تكون هي الأعلى من بين جملة الابادات الضريبية، فخلال الفترة من ١٩٩٦ وحتى ٢٠٠٥ كانت مساهمة الابادات الجمركية هي الأكبر من بين الابادات الضريبية الأخرى. والدولة تحصل على هذه الابادات لتفقها على النفقات العامة والتي تختلف في أولوياتها من دولة إلى أخرى، وفي السودان نجد الاولويات الأمنية هي في الصدارة، وغني عن القول أن القطاع العام هو المخدم الرئيس والأساس في الدولة مقارنة بالقطاع الخاص وإذا نظرنا إلى أن القطاع العام هو أكبر مخدم في الدول يتضح لنا مدى أهمية الابادات الجمركية في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في السودان. وفي هذا الصدد أفادت وزيرة المالية السابقة بولاية شمال كردفان سميحة أحمد رجب: "بأن المبالغ التي تصل من المركز مبالغ كبيرة لكن جلها أن لم تكن كلها تصرف في الفصل الأول المتعلق بالمرتبات والأجور".

الضريبة الجمركية إحدى أدوات السياسة الاقتصادية: السياسة الاقتصادية هي مجموعة التوجهات والإجراءات الاقتصادية التي تتخذها حكومة من الحكومات من أجل دفع الاقتصاد الوطني نحو التقدم والنمو. وتعد الضريبة الجمركية جزءاً أساسياً من السياسة الاقتصادية إلى جانب السياسات الأخرى كسياسات الضرائب والأسعار والإقراض والتصنيع وغيرها. وتسعى الحكومات عادة من خلال الضريبة الجمركية إلى التأثير في حركة تبادل السلع فتشجع الصادرات وتقلص

الواردات لتحقيق توازن في الميزان التجاري مع العالم الخارجي. ويجب أن تكون السياسة الجمركية منسجمة مع الوضع الإنتاجي والاستهلاكي في البلد المعنى إذ تفرض رسوم جمركية عالية على البضائع المستوردة المنافسة للمنتجات الوطنية في حين تخفض هذه الرسوم على المواد الأولية لتشجيع الإنتاج الصناعي الوطني وتدعم قدرته التنافسية.

تسهيل حركة التجارة وتحقيق الرقابة الفاعلة: يتم التوازن بين متطلبات المجتمع التجاري وحركة التجارة العالمية والدور التقليدي للجمارك في فرض الرقابة وتحصيل الإيرادات ويعطي هذا الدور العناصر التالية: تنفيذ القوانين واللوائح الجمركية والجهات الأخرى لتنظيم حركة السلع والأشخاص، الرقابة السابقة والمقبلة للتخلص، المراجعة الداخلية الفاعلة، تطبيق مفاهيم ونظم تقويم وإدارة المخاطر، إزالة الحاجز غير الجمركية، تسريع وتبسيط إجراءات التجارة المشروعة وفق المعايير الدولية (اتفاقية كيوتو 1999)، إضفاء الشفافية والتزاهة على القوتين واللوائح والإجراءات الإدارية بالقدر الذي يقلل من زمن التخلص والتكلفة المالية. أما الرقابة الجمركية الفاعلة فهي من أهم الأدوار للجمارك بالأشخاص خلال القرن الواحد والعشرين الذي تضاعف فيه الدور الإيرادي للجمارك. واليات الجمارك للقيام بهذا الدور إدارة التفتيش العام، والمراجعة الداخلية أمن الشرطة الإدارية القانونية مكافحة التهريب.

إنفاذ الاتفاقيات الاقتصادية للدولة: من خلال محاور السياسات التجارية تنفيذ الاتفاقيات الدولية، والإقليمية، والثنائية، وتجارة الحدود، والترانزيت، ومعايير الجودة الفنية للسلع، والضوابط الصحية، وتطبيق الإعفاءات المنوحة للمشروعات الاستثمارية، وحماية الإنتاج الوطني من خلال التعريفة الجمركية للقطاعات الزراعية، والصناعية، والاستراتيجية. السياسة المالية، والنقدية، تطبيق لائحة النقد الأجنبي والتقييد بالمستندات المصرفية التي تنظم حركة الاستيراد والتصدير، تسهيل حركة التجارة الدولية، وتحقيق الرقابة الجمركية الفاعلة، وحماية المجتمع - مثل حقوق الملكية الفكرية ومكافحة الجريمة المنظمة العابرة للحدود، وغسيل الأموال.

وظيفة احصاءات التجارة الخارجية: معلوم اهمية الاحصاء في مجال التنمية، حيث للمعلومات الاحصائية مساهمة فعالة في عملية التخطيط ورسم السياسات الاقتصادية، بالإضافة إلى معرفة ميزان المدفوعات للدولة، كما أنها تقوم بدور هام في تقويم الخطط والبرامج بعد تنفيذها. والجمارك عالميا هي الجهة الرئيسية في توفير الاحصاءات المتعلقة بالتجارة الخارجية، حيث تتطلب القوانين المحلية أن يقوم المستوردين، والمصدرين للبضائع بالإبلاغ عن معاملاتهم إلى الجمارك من أجل تقدير الرسوم والضرائب، ولأغراض تتعلق بالصحة العامة، والبيئية، ولأغراض احصائية، وكثير من البلدان يعتبر عدم تقديم الاقرار المطلوب، او تقديم بيانات غير دقيقة في الاقرار عن عمد، او اهمال، يعتبر هذا الامر جنائية يعاقب عليها القانون، هذا ما يجعل سجلات الجمارك مصدر للبيانات الموثوق به. ومن مزايا استعمال سجلات الجمارك تغطيتها الواسعة للتجارة الخارجية، وغير مكلفة مقارنة بمصادر البيانات الأخرى مثل إجراء مسح إحصائي لبعض المؤسسات (الامم المتحدة، ٢٠٠٤، ٧). في الجمارك السودانية وبفضل التطور التقني والتكنولوجي الذي شهدته، حيث تم ادخال

الحاسب الالي في العمليات الجمركية، واستخدم أحدث تقنية للكمبيوتر هي نظام الاسكودا العالمية الذي اتاح الحصول على المعلومات الاحصائية سليمة ولاي فتره زمنية وباقل جهد ووقت. ومن المعلومات التي يوفرها النظام على سبيل المثال لا الحصر بيانات عن السلع المستوردة من حيث كمياتها وقيمتها والرسوم الجمركية والدول التي استوردت منها، وحجم عمل الموردين والمصدرين للبضائع، والسلع المصدرة حسب عقود الصادر وعائدات الصادر.

النظم الجمركية الخاصة ودورها التنموي: الاصل العام في النظم الجمركية هو خصوص البضائع الواردة للرسوم المقررة في التعريفة الجمركية، بالإضافة إلى الضرائب الرسوم الأخرى المقررة. الا ان قانون الجمارك اضاف الى هذا الوضع العام اوضاع خاصة يتم فيها الافراج عن البضائع الواردة دون تحصيل الرسوم المقررة وتسعى بالنظم الجمركية الخاصة.

نظام المستودعات: والمستودع عبار عن مخزن خاص يخزن فيه بضائع غير مدفوعة الرسوم تحت الاشراف الجمركي. وهذا يمكن المستورد من استيراد كميات كبيرة من البضائع، كما ان تعليق دفع الرسوم يمكن المستورد من دفع الكتل النقدية في السوق ليتم دورتها الاقتصادية فتستفيد منها قطاعات اخرى من الاقتصاد.

نظام المناطق الحرة: المنطقة الحرة جزء من اقليم الدولة، يتم تحديد نطاقها المكاني، وتقام فيها مشروعات اقتصادية، وتأخذ حكم الارض الاجنبية فيما يتعلق بال الصادر والوارد من البضاعة.

نظام الافراج المؤقت: هو نظام تم العمل به في السودان كحوافز للمغتربين ان يقضوا اجازتهم في السودان، بمعنى استقطاب مدخلات المغتربين الى داخل البلاد.

نظام الدروباك: هو نظام يتعلق برد الرسوم التي تم تحصيلها على المواد الاجنبية التي استوردت اما لإصلاحها او تصنيعها عند تصديرها إلى الخارج وهو نظام جمركي عالمي.

نظام الاستيراد المؤقت: هو نظام يتعلق برد جزء من الرسوم عند اعادة تصدير اي بضاعة من نوع غير متوفر في السودان مثل الالات والمهامات التي استوردت للمشاريع الاقتصادية الكبيرة (كهرباء ام دبامر في النيل الابيض).

نظام العبور (transit): هو نظام جمركي خاص يتم وفق احكام نقل البضائع الاجنبية من محطة جمركية على الحدود إلى محطة جمركية اخرى على الحدود داخل اقليم الدولة تحت الرقابة الجمركية.

ولاية النيل الابيض

تقع ولاية النيل الأبيض بين خط طول ٣٣° - ٣١° شرقا وخط عرض ١٥° - ١٥° شمالا، وتبلغ مساحتها حوالي اربعين الف كيلو متر مربع أو ما يعادل ٩,٤٥٢,٦١٠ فدان، أو ما يعادل (٣٩,٧٠٠,٩٦٢ هكتار). وهي تجاور ولاية كردفان من ناحية الغرب والشمال الغربي، وولاية جنوب كرفان من ناحية الجنوب الغربي، وولاية الخرطوم من الشمال، وولاية الجزيرة من الشمال الشرقي، وولاية سنار من ناحية الشرق والجنوب الشرقي. وولاية النيل الأبيض كانت إحدى الولايات الوسطى، أنشئت في العام ١٩٩٤ م بموجب القرار الجمهوري رقم (١٠) (جمهورية السودان، ٢٠١٥،

١). بعد انفصال جنوب السودان وتكون دولتين عام ٢٠١١م أصبحت ولاية النيل الأبيض ولاية حدودية تجاور دولة جنوب السودان من الناحية الجنوبية والجنوبية الغربية بحدود حوالي ١٦٠ كيلومتر (يوسف محمد زين، ٢٠١٢م، ٢٠١٧م).

المياه: تتكون من مياه النيل الأبيض، حيث يجري النيل الأبيض من جنوب السودان إلى الشمال مع ولاية الخرطوم بمسافة ٦٠٥ كلم، مياه الأمطار الغزيرة، مياه الأودية والخيران، والمياه الفائض من المشاريع الزراعية.

موارد نباتية: تتمثل الموارد النباتية بالولاية في الغابات الطبيعية، والغابات المزروعة، والعلف الطبيعي، وعلف المشاريع الزراعية.

موارد حيوانية: تتمثل في الإبل، والأبقار، الضأن، الماعز، الأسماك، الدواجن، طيور برية.

موارد أخرى: مثل الجير، الجبس، الجلود، مخلفات المصانع الصغيرة، المولاص، مخلفات قصب السكر، خام الأسمنت.

ال التقسيم الإداري وتوزيع السكان بالولاية

ال التقسيم الإداري: تضم ولاية النيل الأبيض تسعة محليات وهي محلية ربك (عاصمة الولاية)، محلية كوسقى، محلية الدويم، محلية القطينة، محلية أم رمته، محلية قلي، محلية تندلتي، محلية السلام، محلية الجبلين.

ادناه تفاصيل كل محلية ومميزاتها (مهدى، ٢٠١٦، ٨١):

محلية ربك: مميزاتها: تحتل المرتبة الأولى في صناعة الأسمنت بالولاية، وبها مؤسسات استراتيجية مثل محطة كهرباء أم دباكر، وصومنعة الغلال، والمستودع الاستراتيجي للمواد البترولية.

محلية كوسقى ومن مميزاتها: يوجد بها رئاسة النقل الهرى وبها ميناء كوسقى الجاف وهي ملتقى الطرق بين الشمال والجنوب: وهي من أكبر محليات الولاية.

محلية الدويم: يوجد بها المركز القومي للمناهج ببخت الرضا. وتتوافر بها الثروة الحيوانية الازمة.

محلية القطينة: تتميز بموقع حيوى نسبة لقربها من العاصمة وبها مشروع سكر النيل الأبيض.

محلية أم رمته: بها منطقة باجة السياحية. وتتوافر بها الثروة الحيوانية الازمة لازدهار صناعة منتجات الألبان.

محلية قلي: بها مساحات كبيرة من الاراضي صالحة لزراعة قصب السكر (٢٠٠) ألف فدان.

محلية تندلتي: تمتاز بترية رملية طينية خصبة تصالح لزراعة الحبوب الزيتية. ويمر بها خط السكة حديد.

محلية السلام: تمثل ملتقى طرق حيث تربط عدد (٤) ولايات. تتمتع بثروة حيوانية ضخمة حوالي (١٤٢٥٩٦٦) رأس من الماشية بانواعها. بها ابار بترول (بتروال الروات).

محلية الجبلين: يوجد بها بترول في المربعات (٤٧) وبها أكبر مصنع لإنتاج السكر بإفريقيا (مصنع سكر كنانة). وبها أكبر وحدة معالجة للبترول بإفريقيا (مصفى بترودار بالجلين).

الأنشطة الاقتصادية بالولاية

القطاع الزراعي: النشاط الاقتصادي المهيمن في الولاية هو الزراعة، فمعظم اراضي الولاية عبارة عن سهول طينية مبنستة صالحة للزراعة، وتنوع الزراعة فيها من زراعة مطربة تقليدية (٧٠٠ الف فدان) إلى مطربة آلية (١٨٠٠ فدان) وري فيضي في الجروف (٢٦٥٠٠ فدان) واراضي زراعية بالري الانسيابي وهي اكبر مساحة (٦٥٧٤٥٨ فدان) واراضي مروية بالطلبيات (١٥٢٦٢٢ فدان). ومن المحاصيل الزراعية التي تنتج بالولاية الذرة، البيضاء، وقصب السكر، والسمسم، والدخن، والفول السوداني، والكركدي، والبطيخ، واللوبيا، والاعلاف، والخضير.

الصيد السمكي: أحد النشاطات الاقتصادية الهامة بالولاية نسبة للميزة التي تتمتع بها الولاية حيث يجري النيل من أقصى الجنوب إلى أقصى شمال الولاية بطول حوالي (٦٠٥) كيلو متر، تكثر الخلجان والجزر وتقل سرعة التيار، مما يشكل بيئه ملائمه لتكاثر الاسماك. يشكل الانتاج السمكي (١٨٪) من النتاج الولاية وحوالى (٧٠٠) طن في العام.

القطاع الصناعي: يشمل صناعات الخفيفة والثقيلة موزعة على عدد من مناطق الولاية تمثلها مصانع السكر، الاسمنت، الزيوت، ومصانع الصابون، والصناعات الغذائية وتمثلها مصانع الحلويات، الطحينة، المكرونة، الشعيرية، المشروبات الغازية، الثلج، ومطاحن الغلال، للأثاث، والبلاط، والجير، والأحذية ودباغة الجلد، ومصانع النسيج، والمطابع.

المقومات الاقتصادية والاجتماعية للولاية – ومساهمة الميناء الجاف فيها

الوظيفة الأساسية للميناء الجاف هي القيام بوظيفة الميناء البحري في الداخل فيما يلي تخلص البضائع سواء كانت صادرات أو واردات، وما يستبع عملية التخلص من تحصيل ايرادات مالية للدولة، حماية المجتمع من السلع الضارة، وغير مطابق للمواصفات والمقاييس، بالإضافة للدور الاحصائي في مجال التجارة الخارجية. وهناك وظائف اخرى مساعدة للميناء الجاف في المنطقة، مثل دور الميناء الجاف في نظام النقل متعدد الوسائل، وأيضاً دوره في الامداد والتوزيع للسلع اللوجستي. لكي يكتسب اي ميناء جاف اهميته لابدا من وجود طلب على خدماته، لأن العرض وحده لا يكفي. والطلب على خدمات الموانئ – الجافة يتوقف على جوانب كثيرة لابدا ان تتوافر في المنطقة الموجود فيها الميناء الجاف، واهمها وجود اعداد كبيرة من الناس متواجدين حول الميناء الجاف (يشكلون العمال، والموظرون، والتجار، وغيرهم) ووجود مناطق متنوعة الانشطة الاقتصادية في نطاق مناطق الميناء الجاف يسهل الوصول اليها، وهذا يعني وجود تجارة بحاجة الى استخدام الميناء الجاف (هيكل مرجع سبق ذكره، ٥).

المشروعات الاستراتيجية بالولاية:

هناك عدة مشروعات استراتيجية بالولاية والتي تعتمد في مدخلات انتاجها، او في توزيع منتجاتها على التجارة الخارجية منها مشروعات انتاج السكر (سكر كنانة نموذجا) (فضل الله، ٤، ٢٠٠٤) حيث بدأ الإنتاج عام ١٩٧٨ م ويقع مشروع سكر كنانة في الاتجاه الجنوبي الشرقي لمحلية ربك بحوالي ١٥ كيلو متراً.

إسهامات كنانة على الصعيد الاقتصادي القومي: توفير فرص عمل مباشر، كما اوجدت فرص عمل أخرى كالأسواق والتجارة لعدد كبير من السودانيين؛ وكذلك لها المساهمة في توفير سلعة إستراتيجية هامة وضرورية. والمساهمة في تطوير تقنية تصنيع السكر والاهتمام بتأهيل الكادر الإداري للمصانع الأخرى.

إسهاماتها على الصعيد العالمي: أدخلت السودان في عضوية اللجنة الإدارية لمنظمة السكر العالمية، وببوابته موقعاً مميزاً ضمن مصادر السكر في العالم، والمشاركة في المجال الزراعي لاستنباط نويعيات باسم كنانة تم اجازتها عالمياً، وإدخال السودان فيما يسمى بالاقتصاد الأخضر وذلك بانتاج الإيثانول. ومثل هذا الامر ينطبق على مصنع سكر عسلاية، ومصنع سكر النيل الابيض. كل الواردات الازمة لعمل المشروع بالضرورة تأتي عن طريق الموانئ السودانية سواء كانت البحرية منها أو الجافة وكذلك الصادرات، الأمر الذي يعكس مدى اهمية الميناء للمشروع. ومن المشروعات المهمة بالولاية والتي تعتمد في بعض مدخلات انتاجها (مواد التغليف، قطع غيار) خارج مصنع اسمنت ربك.

٣- من المشروعات الاستراتيجية الأخرى مثل محطة كهرباء ام دباكر، والمستودع الاستراتيجي للمواد البترولية بربك، وصومعة الغلال. ومصافي البترول بمحلية الجبلين. كل هذا يشكل عوامل طلب على خدمات الميناء الجاف.

البني التحتية بالولاية

ترتبط الولاية بمعظم مدن البلاد بطرق معبدة، وخطوط السكة حديد، وأيضاً مع دولة جنوب السودان بالنقل النهري، وبالتالي يمكن أن تكون الولاية المؤهلة لقيام ميناء جاف وفقاً للمعايير العالمية. أما فيما يتعلق بالاتصالات فنجد أن كل أرجاء الولاية مغطى بشبكة الاتصالات والهاتف السيار.

ميناء كوسكي الجاف

ميناء كوسكي الجاف هو أحد أفرع هيئة الموانئ البحرية، ويهدف إلى دعم حركة التجارة، وتسهيل انسياط حركة الصادرات والواردات الخاصة بمناطق جنوب وغرب ووسط السودان. وجاء اختيار مدينة كوسكي بولاية النيل الابيض لموقعها الاستراتيجي المتميز، والذي عبره تتحقق دورة سلسلة النقل متعدد الوسائل (نقل نهري - سكة حديد - نقل بري)، وتطبيق نظام التسليم في الحال، وانشاء المراكز اللوجستية لهيئة وقيام انشطة القيمة المضافة.

اضافة للاستفادة من تجميع المواد الخام لقيام الصناعات في المناطق الخلفية ومن ثم تقديم صادرات نوعية ذات جودة عالية تنافس في الاسواق العالمية.

المزايا والتسهيلات التي يوفرها ميناء كوسكي الجاف

١/ قبول كافة انواع البضائع والسلع لاكتسابه ميزة الوسط الحاكم المتصالح مع كافة وسائل النقل والتي تشمل نقل نهري - سكة حديد - نقل بري لكافة مناطق السودان. يستوعب الميناء مناطق خلفية مهيئة ومعدة لاستقبال كل مقومات الميناء من نقل - ترحيل - تفريغ - تستيف - تخزين وتناوله وساحات ومناطق في جملتها (٢ مليون متر مربع) بها مخزن بمساحة ٤٠٠٠ متر مربعًا ومخزنان

بمساحة ١٠٠٠ مترًا مربعًا، أضف إلى ذلك المعدات والاليات التي تساهم في تفريغ وشحن ونقل البضائع وتسليمها مع امكانية فتح فرص لإنشاء مستودعات ومخازن ومناطق تخزين خاصة بالميناء، يوجد بالميناء مكاتب للعملاء والجهات الرئيسة، طرناطة لوزن البضائع – موقف للشاحنات والسيارات الخصوصية – خدمات اتصالات – بوفيهات – كافتيريا؛ يعمل الميناء بنظام النافذة الواحدة وذلك بتجميع جميع شرائح العمل المينائي (جمارك، ومواصفات ومقاييس، وحجر زراعي، وحجر صحي، ومخلصين، ووكالاء شحن، ونافذة بنكية) في مبني واحد تتم كل اجراءات التخلص من داخله.

- ٢- تخفيض لكافة الاجور والرسوم بنسبة ٢٥٪ ماعدا خدمات الرصيف.
- ٣- واردات وصادرات الجنوب تمنح تخفيض ٥٠٪ من الارضيات.
- ٤- الحاويات الفارغة تمنح ثلاثة ايام مجاناً بعد اكمال تفريغها.
- ٥- تمنح رسائل ميناء كوسكي الجاف وبضائعها مدة فترة سماح ١٥ يوماً بميناء كوسكي الجاف.
- ٦- توفير امكانية التفريغ الوقتي للحاوية او البضائع او السيارات في حالة الحاوية يتم تفريغ الحاوية على ظهر الشاحنة.

مقومات الحركة والانشطة المتعددة:

مما لا شك فيه ان الوسط دوماً يمثل نقطة التقاء، وذلك الوصف ينطبق على وضع مدينة كوسكي، بحيث انها تمثل رابط حقيقي ما بين شرق السودان والغرب والجنوب بوضع محوري اشتمل على معظم اذرع النقل والتي تمثل ادوات الحركة التبادلية مثل الطرق البرية، السكة حديد، النقل النهري، اضف الى ذلك تركيز مقومات الحركة وانشطتها المتعددة ومجالاتها المتكاملة مثل:

- الزراعية: (السماد، الخيش، المبيدات، تصدير، سكر، اعلاف، حبوب، منتجات غابية).
- الحيوانية: (الامصال، الادوية البيطرية، تصدير المواشي، الجلد، الصناعات التحويلية).
- الصناعية: (السكر، الاسمنت، المولاص، المطاحن الخ).
- مقومات الانتاج: (اسبيرات، المصانع، الزيوت، الشحوم).

ما يستوعبه الميناء من مناشط : مثل موقع للشركات الصناعية والملاحية والمخلصين والبنوك، الاتصالات، مخازن مبردة / مخازن عادية، مكاتب ادارية، ومحطة كهرباء.

الفوائد العائدة على الاطراف: مثل موقع الشركات تتيح التخزين الممتد والارضيات بلا قيود، السحب على نظام With Draws عند الحاجة والطلب، التخزين الامن بالميناء بدلاً من والموقع.

الناحية الاقتصادية: تمثل في توفير مصروفات التخزين بالميناء الرئيسي والاستفادة من فترة السماح، توفير المواد والمعينات بكميات كبيرة وبقرب من موقع الانتاج تحسب لاي طارئ يلم بالنقل، وتفادي تذبذب سعر الصرف.

المستندات المطلوبة (من بورتسودان): مثل المنفستو يقدم قبل ٧٢ ساعة من رسو الباخرة محدداً به حاويات كوسكي مفصولة، يتم النقل في مدى ٤٨ ساعة من الانزال، تحمل حاويات كوسكي ديياجة

خاصة من ميناء الشحن، المطلوب لкосي محلياً يتم ذلك التدبيج بواسطة الوكيل، عند التخلص النهائي لتسليم البضائع بموجب افراج جمركي اضافة لبوليصة الشحن بالإضافة لفاتورة الميناء.

الميكل التنظيمي لميناء كوسي الجاف

ميناء كوسي الجاف هو أحد أفرع هيئة الموانئ البحرية، وبالتالي الملكية والإدارة من مسؤولية هيئة الموانئ البحرية، والميكل التنظيمي من هذه الناحية عبارة عن صورة من التنظيم الهرمي الوظيفي، حيث يوجد علي راس الهرم مدير الميناء يمثل مستوى الادارة العليا في الميناء، وليه مجموعة من الاقسام مثل الحسابات، التسويق، التفتيش. والعمل في ميناء كوسي الجاف بنظام النافذة الواحدة وهذا يعني ان هناك وحدات اخرى موجودة بميناء الجمارك التي تمثل مستوى فرع في الميكل التنظيمي، حيث هناك فرع جمارك الميناء الجاف، بالإضافة للوحدات الاخرى مثل جهاز الأمن الوطني، والحجر الصحي، الحجر البيطري وغيرها.

أداء ميناء كوسي الجاف: مجموع الربط المقرر على ميناء كوسي خلال فترة البحث (٤١٥٦٠)، بمتوسط (٥٩٣٦٥٧).

جدول (٨) اداء الميناء الجاف كوسي من حيث تحصيل الابيرادات الجمركية في الفترة ٢٠١٦ - ٢٠١١ م

العام	الربط المقرر (جنيه سوداني)	التحصيل	نسبة التحصيل
٢٠١٠	٢٦.....	٣٤١٥٣٦٢,٦٦	%١٣١,٣٦
٢٠١١	٣٠٧.....	١٠٩٦٤١٥٨	%٣٥٧,١٤
٢٠١٢	٢٤٣٥.....	٥٦٨٦٢٤٦٥/٤٢	%٢٢٣,٥٢
٢٠١٣	٣٦٧٥.....	٦٣٤٧٤٤١٦,٢٧	%١٧٢,٧٢
٢٠١٤	١٥.....	٧٨٧٨,٦٥٢	%٧٥,٢٩
٢٠١٥	١٠٥.....	٨٠٨١٠٤٣/٦٦	%٧٦,٩٦
٢٠١٦	٩٦١٣.....	٢٧٥١٢٩٣٥,٤٩	%٢٨,٦٢

المصدر البيانات: تقارير ايرادات إدارة جمارك النيل الأبيض - فرع الميناء الجاف.

يتضح من جدول (٨) أن التحصيل الفعلي للإيرادات خلال سنوات البحث (٣٢١٨٢٠٠٣١)، بمتوسط سنوي (٤٥٩٧٤٢٩)، اما مجموع نسبة الاداء لسنوات البحث (٢٠٠٤٩)٪ بمتوسط نسبة الاداء السنوي (١٥٠)٪. كما نلاحظ من الجدول الاعوام ٢٠١٠ م و ٢٠١١ م و ٢٠١٢ و ٢٠١٣ م كان هناك ارتفاع في نسبة الاداء بصورة كبيرة، (١٣١,٣٦٪) للعام ٢٠١٠ و (٣٥٧,١٤٪) للعام ٢٠١١ و (٥٢٪) للعام ٢٠١٢ و (١٧١,٧٢٪) للعام ٢٠١٣ م بالنسبة الى تقدير الربط السنوي المقرر تحصيله وهي الاعوام التي كانت العلاقات التجارية نشطة مع دولة الجنوب وهو دليل واضح لأهمية العلاقات التجارية الخارجية للميناء.

جدول (٩) اداء الميناء الجاف كوسي عدد الشهادات الجمركية في الفترة ٢٠١٢ - ٢٠١٦ م

العام	شهادات صادر	شهادات الوارد	الجملة
٢٠١٢	١٠	١٠٦	١٠١٦
٢٠١٣	١٨	١٥٤٦	١٥٦٤
٢٠١٤	١٤	١٧٥	١٠٨٩

٦٩٢	٦٧٩	١٣	٢٠١٥
٢١١	١٩٣	١٨	٢٠١٦

المصدر: شعبة الاحصاء إدارة جمارك النيل الأبيض - فرع الميناء الجاف.

يتضح من جدول (٩) ان الواردات أكثر من الصادر، أي هنالك عجز في الميزان، ولابدا من وجود دراسات توضح كيفية الهبوط بال الصادرات. كما ان العام ٢٠١٣م هو الأعلى من حيث شهادات الصادر وهو ذات العام الذي بدأت فيه الحرب الاهلية في دول جنوب السودان مما يعني ان هذه الشهادات عبارة عن صادرات المنظمات الانسانية.

جدول (١٠) التوزيع التكراري لأفراد المجتمع المدروس وفقاً لمتغير النوع.

نوع	النكرار	النسبة %
ذكر	٤٤	٩١,٧
أنثى	٤	٨,٣
المجموع	٤٨	١٠٠

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (١٠) أن ٩١,٧ % من أفراد العينة ذكور، بينما ٨,٣ % إناث بسبب طبيعة العمل بالموانئ البحرية والجافة.

جدول (١١) التوزيع التكراري لأفراد المجتمع المدرووث، وفقاً لمتغير العمر.

العمر	النكرار	النسبة %
٢٥-١٨	٣	٦,٣
٤٠-٢٦	١٩	٣٩,٦
٤٠ من اكبر	٢٥	٥٢,١
لم يفصح عن العمر	١	٢,١
المجموع	٤٨	١٠٠

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (١١) أن ٦,٣ % من أفراد عينة الدراسة أعمارهم تقع أعمارهم في الفئة العمرية (٢٥ - ١٨)، ٣٩,٦ % أعمارهم في الفئة (٤٠ - ٢٦)، وكانت ٥٢,١ % أعمارهم أكبر من ٤٠ سنة، بينما ٢,١ % ممتنعون عن الافصاح بأعمارهم من هنا فأن من تزيد أعمارهم عن ٤٠ سنة يمثلون ٩١,٧ % من المدرووثين مما يدل على رشدتهم وخبرتهم في العمل بالموانئ البحرية مما يعطي مؤشراً واضحاً لمعرفتهم بدور الموانئ الجافة في تخفيف العبء على الموانئ البحرية.

جدول (١٢) التوزيع التكراري لأفراد المجتمع المدرووث وفقاً لمتغير المستوى التعليمي.

المستوى التعليمي	النكرار	النسبة %
أمي	١	٢,١
أساس	٥	١٠,٤
ثانوي	٧	١٤,٦
جامعي	٣٠	٦٢,٥
فوق الجامعي	٥	١٠,٤

٤٨	١٠٠	المجموع
----	-----	---------

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (١٢)، أن ١٢,٥٪ من أفراد عينة الدراسة تلقوا تعليماً أساسياً أو أمين، ٦٪ تلقوا تعليماً ثانوياً، بينما ٧٢,٩٪ تلقوا تعليماً جامعياً فما فوق. فإن هذه النسبة العالية للمتعلمين وسط هذه العينة تعكس مدى صدق وعلمية إجابات المبحوثين عما تقوم به الموانئ الجافة من تأثير على الموانئ البحرية والاقتصاد بصورة خاصة.

جدول (١٣) التوزيع التكراري لأفراد المجتمع المبحوث وفقاً لمتغير الوظيفة.

الوظيفة	النكرار	النسبة %
موظفي جمارك	١١	22.9
موظفي مواني	٣	6.3
موظفي مواصفات ومقاييس	٢	4.2
موظفي الحجر الزراعي	١	2.1
موظفي الحجر الصحي	٢	4.2
موظفي الامن	١	2.1
مستفيد شركات النقل	٢	4.2
مستفيد وكيل ملاحي	٢	4.2
مستفيد بنوك	١	2.1
مستفيد شركات تأمين	١	2.1
مستفيد المخلصون ومساعدو التخلص	٥	10.4
مستفيد الموردون والمصدرون	٤	8.3
مستفيد أصحاب عقارات	١	2.1
مستفيد عمل الشحن والتغليف	١	2.1
مستفيد المنظمات الإنسانية	٣	6.3
أخرى	٨	16.7
المجموع	٤٨	١٠٠

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (١٣) أن ٤١,٧٪ من أفراد عينة الدراسة كانوا من موظفي الموانئ الحكومية، وأن نسبة ٤١,٧٪ من المبحوثين تمثل الجهات التي تستفيد من الموانئ مع اختلاف مسمياتها، وأما البقية فهي أخرى غير محددة بنسبة ١٦,٧٪ من جملة المبحوثين وهذا التوزيع يدل على شمول العينة وتمثيلها لجميع الجهات المستفيدة والعاملة بالموانئ.

جدول (١٤) التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين عن أسئلة الفرضية الأولى.

العبارة	المقياس	لا بشدة	لا أوافق	أوافق	أو اافق بشدة	أو اافق
الموانئ الجافة أفضل الحلول لمشكلة تكدس الموانئ	النكرار	.	٢	١	١٨	٢٧

٥٦,٣	٣٧,٥	٢,١	٤,٢	.	النسبة	البحرية بالبضائع
٢٨	١٦	٣	١	.	النكرار	حل مشكلة التكدس يزيد القدرة الانتاجية للموانئ
٥٨,٣	٣٣,٣	٦,٣	٢,١	.	النسبة	البحرية
٢٨	١٧	٣	.	.	النكرار	النقل البحري متاثر جداً بالتكدس
٥٨,٣	٣٥,٤	٦,٣	.	.	النسبة	
٢٧	١٧	٣	١	.	النكرار	يتم تلافي الظواهر السالبة مثل الضياع والسرقة
٥٦,٣	٣٥,٤	٦,٣	٢,١	.	النسبة	للبضائع بحل التكدس

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (١٤) أن أعلى نسبة من أفراد العينة يوافقون على الموانئ الجافة أفضل الحلول لمشكلة تكدس الموانئ البحرية بالبضائع، بلغت (٩٣,٨) %، بينما نسبة غير الموافقين على ذلك (٤,٢) %، أما أفراد العينة الذين لم يبدوا إجابات محددة نسبتهم (٢,١) %، أعلى نسبة من أفراد العينة يوافقون على حل مشكلة التكدس يزيد القدرة الانتاجية للموانئ البحرية ، بلغت (٩١,٦) %، بينما نسبة غير الموافقين على ذلك (٢,١) %، أما أفراد العينة الذين لم يبدوا إجابات محددة نسبتهم (٦,٣) %، أعلى نسبة من أفراد العينة يوافقون على النقل البحري متاثر جداً بالتكدس، بلغت (٩٣,٧) % ، أما أفراد العينة الذين لم يبدوا إجابات محددة بلغت نسبتهم (٦,٣) %، وأعلى نسبة من أفراد العينة يوافقون على يتم تلافي الظواهر السالبة مثل التلف والضياع والسرقة للبضائع بحل مشكلة التكدس ، بلغت (١,٧) %، بينما نسبة غير الموافقين على ذلك (٢,١) % ، أما أفراد العينة الذين لم يبدوا إجابات محددة بلغت نسبتهم (٦,٣) %.

جدول (١٥) التوزيع التكراري لإجابات المبحوثين عن أسئلة الفرضية الثانية.

العبارة	المقياس	لا أو افق بشدة	محايد	أو افق بشدة	أو افق بشدة	أو افق بشدة
عدم وجود علاقة تجارية مع بعض دول الجوار يؤثر على عمل الموانئ الجافة	النكرار	
لكي تحقق الموانئ الجافة أغراضها يجب أن يتبع أمرها من قبل مستوى الدولة على كافة المستويات	النكرار	٤	١	.	.	
توفر البنية التحتية عوامل لازمة لكفاءة الموانئ الجافة	النكرار	٢٥	١	.	.	
الموانئ الجافة تعمل على تسهيل وصول عوامل الانتاج الى مناطق الانتاج	النكرار	٤	٢	١	.	
المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.	النكرار	١٨	٤	٢	١	
يتضح من جدول (١٥) إن نسبة أفراد العينة الموافقون (١٠٠) %، بلغت نسبة أفراد العينة الذين يوافقون لكي تحقق الموانئ الجافة أغراضها يجب أن يتبع أمرها من قبل مستوى الدولة على كافة المستويات (٨٩,٦) %، ونسبة غير الموافقين (٢,١) %، أما أفراد العينة الذين لم يبدوا إجابات محددة بلغت نسبتهم (٨,٣) %، أعلى نسبة من أفراد العينة الموافقين (٩٧,٩) %، أما أفراد العينة الذين لم	النكرار	٢٣	٢٥	٠	٠	

يبدوا إجابات محددة نسبتهم (٢,١)، وأعلى نسبة من أفراد العينة يوافقون على الموانئ الجافة ت العمل على تسهيل وصول عوامل الانتاج الى مناطق الانتاج (٨٥,٤)، ونسبة غير الموافقين (٦,٣)، أما أفراد العينة الذين لم يبدوا إجابات محددة نسبتهم (٨,٣).

جدول (١٧) الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الأولى:

العبارة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الترتيب	النتيجة
الموانئ الجافة أفضل الحلول لمشكلة تكدس الموانئ البحرية بالبصائع	0.74	4.46	٤	أوافق بشدة
حل مشكلة التكدس يزيد القدرة الإنتاجية للموانئ البحرية	0.71	4.48	٢	أوافق بشدة
النقل البحري متاثر جداً بالتكدس	0.62	4.52	١	أوافق بشدة
يتم تلافي الظواهر السلبية مثل التلف والسرقة للبصائع بحل مشكلة التكدس	0.71	4.46	٣	أوافق بشدة
المتوسط	0.57	4.48	٣	أوافق بشدة

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (١٧) إن جميع العبارات التي تعبّر عن الفرضية الأولى يزيد متوسطها عن الوسط الفرضي (٣)، وهذا يدل على موافقة أفراد العينة على كل العبارات التي تقيس الفرضية الأولى، أهم عبارة من عبارات الفرضية الأولى هي (النقل البحري متاثر جداً بالتكدس)، بلغ متوسط الإجابة عليها (٤,٥٢)، بانحراف معياري (٦,٠)، أما أقل عبارة من حيث الأهمية هي (الموانئ الجافة أفضل الحلول لمشكلة تكدس الموانئ البحرية بالبصائع)، حيث بلغ متوسط الإجابة عليها (٤,٤٦)، بانحراف معياري (٤,٤٨)، وهذا يدل على موافقة أفراد العينة على جميع العبارات التي تقيس الفرضية الأولى، بانحراف معياري (٠,٥٧)، مما يدل على تمركز القيم حول وسطها الحسابي.

جدول (١٨) الإحصاء الوصفي لعبارات الفرضية الثانية:

العبارة	الانحراف المعياري	الوسط الحسابي	الترتيب	النتيجة
عدم وجود علاقة تجارية مع بعض دول الجوار يؤثر على عمل الموانئ الجافة	0.50	4.48	٢	أوافق بشدة
لتحقيق الموانئ الجافة أغراضها يجب متابعة أمرها من قبل المسؤولين بكافة المستويات	0.70	4.25	٤	أوافق بشدة
توفر البنية التحتية عوامل لازمة لكتفأة الموانئ الجافة	0.54	4.60	١	أوافق بشدة
الموانئ الجافة تعمل على تسهيل وصول عوامل الانتاج الى مناطق الانتاج	0.93	4.25	٣	أوافق بشدة
المتوسط	0.41	4.40		

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (١٨) إن جميع العبارات التي تعبّر عن عبارات الفرضية الثانية يزيد متوسطها عن الوسط الفرضي (٣)، وهذا يدل على موافقة أفراد العينة على كل العبارات التي تقيس المحور الثاني، أهم عبارة من عبارات الفرضية الثانية (توفر البنى التحتية عوامل لازمة لكافأة الموانئ الجافة)، بلغ المتوسط (٤,٦٠)، وأقل عبارة من حيث الأهمية هي (لكي تتحقق الموانئ الجافة أغراضها يجب أن يتبع أمرها من قبل مسئولي الدولة على كافة المستويات)، حيث بلغ متوسط الإجابة عليها (٤,٢٥)، بانحراف (٠,٧٠)، كما بلغ متوسط العبارات (٤,٤٠)، وهذا يدل على موافقة أفراد العينة على جميع العبارات التي تقيس الفرضية الثانية ، بانحراف (٤,٤٠) مما يدل على تمركز القيم حول الوسط.

جدول (٢٠) اختبار مربع كاي لعبارات الفرضية الأولى

القرار	القيمة الاحتمالية	درجات الحرية	قيمة مربع كاي	العبارة
دالة	3	40.17	الموانئ الجافة أفضل الحلول لمشكلة تكدس الموانئ البحرية بالبضائع
دالة	3	39.50	حل مشكلة التكدس يزيد القدرة الانتاجية للموانئ البحرية
دالة	2	19.63	النقل البحري متاثر جداً بالتكدس
دالة	3	37.67	يتم تلافي الظواهر السالبة مثل التلف والضياع والسرقة للبضائع بحل مشكلة التكدس

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (٢٠) بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلاله الفروق بين أفراد العينة للعبارة الأولى (الموانئ الجافة أفضل الحلول لمشكلة تكدس الموانئ البحرية بالبضائع) (40.17) عند درجات حرية (٣) ومستوى .. . وهي أقل من (٥%). وهذا يشير لوجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة لصالح الموافقين، بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلاله الفروق بين أفراد العينة للعبارة الثانية (حل مشكلة التكدس يزيد القدرة الانتاجية للموانئ البحرية) (39.50) عند درجات حرية (٣) ومستوى (٠٠٠)، أقل من (٥%). وعليه فإن ذلك يشير لوجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة ولصالح الموافقين على أنه اذا حلت مشكلة التكدس بالموانئ البحرية يزيد ذلك من انتاجيتها، بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلاله الفروق للعبارة الثالثة (النقل البحري متاثر جداً بالتكدس) (19.63) عند درجات حرية (٢) ومستوى (٠٠٠)، وهذا يشير إلى وجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة ولصالح الموافقين على أن التكدس أثر على كفأة الموانئ البحرية، بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدلاله الفروق بين أفراد عينة الدراسة للعبارة الرابعة التي تسائل عن تلافي الظواهر السالبة مثل التلف والضياع والسرقة للبضائع يتم بحل مشكلة التكدس (37.67) عند درجات حرية (٣) ومستوى .. . وهي أقل من (٥%)، وهذا يشير لوجود فروق ذات دلالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة ولصالح الموافقين على أن التكدس اظهر بعض الظواهر السالبة والتي من أمثلتها التلف والضياع أو السرقات.

جدول (٢١) اختبار مربع كاي لعبارات الفرضية الثانية:

القرار	القيمة	درجات	قيمة مربع	العبارة
--------	--------	-------	-----------	---------

	الاحتمالية	الحرية	كاي	
غير دالة	٠,٧٧٣	١	0.08	١- عدم وجود علاقة تجارية مع بعض دول الجوار يؤثر على عمل الموانئ الجافة
دالة	٠,٠٠٠	٣	32.50	٢- لكي تحقق الموانئ الجافة أغراضها يجب أن يتبع أمرها من قبل مستوى الدولة على كافة المستويات
دالة	٠,٠٠٠	٢	26.38	٣- توفر البيئة التحتية عوامل لازمة لكافحة الموانئ الجافة
دالة	٠,٠٠٠	٤	43.04	٤- الموانئ الجافة تعمل على تسهيل وصول عوامل الانتاج إلى مناطق الانتاج

المصدر: إعداد الباحثين من واقع بيانات الدراسة الميدانية ٢٠١٧م.

يتضح من جدول (٢١) أن قيمة مربع كاي المحسوبة لدالة الفروق للعبارة الأولى (0.08) عند درجات حرية (١) ومستوى دالة (٠,٧٧٣)، أكبر من (٥%)، وعليه فان ذلك يشير لعدم وجود فروق ذات دالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة لصالح الموافقين، بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدالة الفروق للعبارة الثانية التي جاء فيها لكي تتحقق الموانئ الجافة أغراضها يجب أن يتبع أمرها من قبل مستوى الدولة على كافة المستويات (32.50) عند درجات حرية (٣) ومستوى (٠,٠٠٠)، أقل من (٥%)، وعليه فإن ذلك يشير لوجود فروق ذات دالة إحصائية بين إجابات أفراد العينة ولصالح الموافقين، بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدالة الفروق للعبارة الثالثة (26.38) عند درجات حرية (٢) ومستوى دالة (٠,٠٠٠)، وهي أقل من (٥%)، وهذا يشير لوجود فروق إحصائية بين إجابات أفراد العينة لصالح الموافقين، بلغت قيمة مربع كاي المحسوبة لدالة الفروق للعبارة الرابعة (43.04) عند درجات حرية (٤) ومستوى (٠,٠٠٠)، وهي أقل من (٥%)، وهذا يشير لوجود فروق إحصائية بين إجابات أفراد العينة ولصالح الموافقين على ان الموانئ الجافة تعمل على تسهيل وصول عوامل الانتاج لمناطق الانتاج.

اختبار الفرضيات

١/ ان ميناء كوسى الجاف له تأثير ايجابي على حل مشكلة تكدس الميناء الرئيس في بورتسودان

٢/ ان ميناء كوسى الجاف له تأثير ايجابي على تحسن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الولاية.

النتائج:

١/ ساهم ميناء كوسى الجاف في حل مشكلة تكدس واثارها السلبية على الموانئ البحرية السودانية.

٢/ لميناء كوسى الجاف تأثير ايجابي كبير في خدمة مشاريع التنمية المختلفة بالولاية.

٣/ ميناء كوسى الجاف صار البديل للعمال العاطلين بسبب توقف نشاط النقل النهري بانفصال دولة جنوب السودان.

٤/ لموقع الميناء الدور الايجابي الكبير في خدمة المنظمات الانسانية وتسهيل امداد الاغاثة خاصة لدولة جنوب السودان.

التوصيات

١/ الاهتمام بالموانئ الجافة وصولاً عوامل الانتاج لمناطق الانتاج الداخلية مع الاهتمام بالعلاقات التجارية مع دول.

٢/ تغليب المصلحة الاقتصادية في اختيار موقع الميناء الجاف، وذلك بتحديد موقع الميناء الجاف ومدى قرينه من السكة حديد، والجري النهري، والطرق المعبدة، وهي ما اجتمعت هذه الميزات في موقع واحد كان هو الأفضل.

٣/ الاستفادة من المعلومات الاحصائية التي توفرها الموانئ الجافة في عمليات التخطيط الاستراتيجي.

المصادر والمراجع

- ١/ الامم المتحدة، ادارة الشئون الاقتصادية والاجتماعية، احصاءات التجارة الدولية في البضائع(٤٠٠٢م)، نيويورك.
- ٢/ ايمان النحراوي (٢٠٠٩م) الموانئ البحرية العربية، دار الفكر الجامعي، الاسكندرية.
- ٣/ بشير الطاهر بشير الجعلي (٢٠١٤م)، التطور التاريخي والتحولات الكبرى في جمارك السودان (١٩٥٦-٢٠١٤)، ردمك للطباعة والنشر، السودان.
- ٤/ جمهورية السودان، وزارة المالية والاقتصاد الوطني لجنة تفريغ ميناء بورتسودان لاحتواء ظاهرة التكدس(٢٠٠٥م).
- ٥/ صابر علي ابراهيم (٢٠١٣م) مذكرة عن الحاويات، ادارة جمارك ولاية النيل الابيض- فرع الميناء الجاف كوسiti.
- ٦/ محمود حامد عبد الرازق (٢٠٠٩م) اقتصاديات الجمارك بين النظرية والتطبيق، مكتبة الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة.
- ٧/ بن شيخ علي و بوعكار عامر (٢٠١٦م) المخطط الوطني للتنمية الفلاحية و تأثيره علي التنمية الريفية دراسة حالة المناطق الريفية لبلدية الادريسيه(٢٠٠٠-١٥٢٠) بحث ماجستير (غير منشور)، قسم العلوم السياسية وال العلاقات الدولية، كلية الحقوق والعلوم السياسية، جامعة زيان عاشور بالجلفة، الجزائر.
- ٨/ جمهورية السودان (٢٠١٥م) دور المباحث المركزية في مكافحة الجريمة، وزارة الداخلية، رئاسة قوات الشرطة، شرطة ولاية النيل الابيض.
- ٩/ جمهورية السودان، وزارة الداخلية، هيئة الجمارك (٢٠١٧م) ادارة الدراسات والبحوث، ورقة بحثية عن أسباب تدني اليرادات بالموانئ الجافة.
- ١٠/ جمهورية السودان، وزارة النقل والطرق والجسور، هيئة الموانئ البحرية(٢٠٠٩م) النشرة الاحصائية السنوية.
- ١١/ حسن عبد الرازق منصور(٢٠٠٦م) الحضارة الحديثة وال العلاقات الانسانية في مجتمع الريف، ط ٢، دار فضاءات للنشر، عمان، الاردن.
- ١٢/ شريف ماهر هيكل (٢٠٠٨م) ادارة وسياسات الموانئ البحرية، مكتبة الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة البحر الاحمر.
- ١٣/ شريف ماهر هيكل (٢٠٠٨م) ادارة وسياسات الموانئ البحرية، مكتبة الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة .

- عبد الرحيم ابو القاسم (٢٠١٣م)، تقييم وتطوير استراتيجية مكافحة التهريب في ظل انضمام السودان لمنظمة التجارة العالمية، ردمك للطباعة والنشر، الخرطوم، السودان.
- ١٤/ علاء الدين احمد بايكر مهدي (٢٠١٦م) دور التمويل الأصغر في التخفيف من حدة الفقر بولاية النيل الابيض، دراسة حالة مصرف الادخار والتنمية الاجتماعية فرع كوسٍي (٢٠١٤-٢٠٠٩) بحث ماجستير (غير منشور)، جامعة الامام المهدى.
- ١٥/ عمر الحسن علي البشاري (٢٠٠٥م) الاتصال التنظيمي المكتوب والتنمية الادارية البشرية، حالة الجمارك السودانية، دار القومية العربية للنشر.
- عمran عباس يوسف، وعلي محمد زين (٢٠١٢م) الاستثمار في السودان، والرؤية المستقبلية للاستثمار في ولاية النيل الابيض، دار عزة للنشر والتوزيع، الخرطوم، السودان.
- ١٦/ فواز المرضي حسن (٢٠١٢م) الدور اللوجستي للموانئ الجافة وأثره على الموانئ السودانية، بالتطبيق على ميناء بورتسودان، بحث ماجستير (غير منشور)، قسم اقتصاديات النقل البحري، كلية ا. مختار احمد دوشان محمد (٢٠١٢م)، دور الموانئ البحرية في دعم تجارة السودان الخارجية دراسة تطبيقية على ميناء بورتسودان (٢٠٠٥-١٩٩٥م) بحث دكتوراه (غير منشور)، قسم اقتصاديات النقل البحري، كلية الاقتصاد والعلوم الادارية، جامعة البحر الأحمر.
- ١٧/ مولود زايد الطيب (٢٠٠١م) التنشئة السياسية ودورها في التنمية الاجتماعية، المؤسسة العربية الدولية للنشر، عمان،الأردن.
- ١٨/ يارا ابراهيم خير بك (٢٠١٣م) تأثيرات المرفأ الجاف المقترن في مدينة حسياء الصناعية على قطاع النقل اللوجستي، بحث ماجستير، قسم المواصلات والنقل، كلية الهندسة، جامعة تشرين، سوريا.
- ١٩/ يوسف الخير فضل الله (٢٠٠٤م) الآثار الاقتصادية والاجتماعية لتركز صناعة السكر بمنطقة كنانة، بحث البكالوريوس (غير منشور)، قسم الجغرافيا، كلية تربية، جامعة الزعيم الازهري.
20. Merk, O. (2010), Synthesis Report on The Competitiveness of Global Port-Cities, (OECD) Port-Cities Programme.
21. Roso, V.& Woxenius, J.& Olandersson, G.(2006) Organisation of Swedish Dry Port Terminals , Division of Logistics and Transportation , Chalmers University of Technology, Göteborg.
22. Study (2015) Planning Development and Operation of Dry Ports of International Importance , Transport Division, ESCAP, Bangkok on 25 and 26 November.

منهج الفراء في توجيهه غريب الحديث (جمع ودراسة من خلال غريب الحديث لأبي عبيد)

د. عبد الرؤوف وليد العرفة^(٠)

المستخلص:

يهدف البحث إلى جمع آراء الفراء اللغوية المتناثرة في كتاب "غريب الحديث" لأبي عبيد القاسم بن سلام، ودراستها للتعرف على منهجه في تفسير ألفاظ الحديث النبوي الغريبة، وكشف معالم المدرسة الكوفية في معالجة غريب الحديث من خلال أحد أبرز أعلامها. وتمثل أهمية البحث في كشف جانب من جهود الإمام الفراء اللغوية في خدمة الحديث النبوي، والتي لم تجمع في مصنف مستقل، كما يسلط الضوء على المنهجية العلمية للمدرسة الكوفية في التفسير اللغوي، ويساهم في إثراء الدراسات المعجمية والتأصيلية لفهم النص النبوي. تكمن المشكلة في تشتت آراء الفراء في تفسير غريب الحديث داخل كتاب أبي عبيد، وعدم وجود دراسة منهجية شاملة لها، مما يستدعي جمعها وتحليلها للوقوف على منهجه وخصائص تفسيره. اعتمد الباحث على المنهج الاستقرائي لجمع كل ما نقله أبو عبيد عن الفراء في كتابه، ثم المنهج التحليلي لدراسة هذه الآراء وتحليل منهج الفراء في معالجة المفردات الغربية، مع ترتيب الكلمات ترتيباً أبجدياً لتسهيل الرجوع إليها. وتتجلى النتائج في تميز منهج الفراء بالاعتماد على السمع المباشر من العرب والاستشهاد بالشواهد الشعرية والنشرية الفصيحة. وحرصه على ربط المعاني بأصولها اللغوية واشتقاقاتها، مع بيان تطور الدلالات أحياً. واهتمامه بذكر اللغات المتعددة للمفردة الواحدة والضوابط التحوية والصرفية المتعلقة بها. واعتماده على السياق في ترجيح المعنى الأنسب للفظة الغربية. كما كشف البحث عن سعة علم الفراء اللغوي وقدرته على الجمع بين النحو والدراسة المعجمية الدقيقة.

المقدمة

الحمد لله والصلوة والسلام على رسول الله، لا يخفى على الناظر في جهود اللغويين آثارهم الكثيرة في خدمة علوم الدين ، ومن ذلك جهودهم في تفسير حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الأئمة الذين شاركوا في ذلك شيخ الكوفيين في زمانه أبو زكريا يحيى الفراء صب الله عليه شأبيب رحمته وأمطره بواسيل عفوه، غير أن جهوده في ذلك لم تكن في مصنف مستقل بل كانت منثورة، وكان الذي دونها ضمن كتابه الحافل أبو عبيد القاسم بن سلام ، فقد كان من الآخذين عنه، وهذا ما حفظ لنا بعض تراثه في هذا المجال، فأحببت في هذا البحث جمع جميع ما ذكره أبو عبيد من آرائه ودراساته؛ لأنّي أعرف على منهجه في توجيهه غريب الحديث؛ إذ الفراء عالم مجتهد له آراؤه القوية مع ما جمعه من كونه رأس المدرسة الكوفية فكان هذا البحث محاولة للتعرف على منهج هذه المدرسة ومنهجية

(٠) أستاذ مشارك قسم اللغة العربية كلية الآداب جامعة الملك فيصل

علماءها في توجيهه غريب الحديث، وقد اقتضت طبيعة البحث أن أكتب تمهيداً أوله وهو مقسم على قسمين:

- أ- نبذة موجزة عن تاريخ تفسير غريب الحديث.
 - ب- مكانة الفراء اللغوية.

ثم بعد ذلك يأتي صلب البحث وفيه الكلمات التي عالجها الفراء مرتبة ترتيباً أبجدياً، مع دراسة وافية لكل كلمة.

ثم بعد ذلك أدلّ إلى الخاتمة لأسجل فيها أبرز نتائج البحث.
والله ولي الصواب.

التمهيد

- ## أ- نبذة موجزة عن تاريخ تفسير غريب الحديث.

اختار الله نبيه من قريش، وكانت قريش شديدة الاعتناء بفصحاحة أبنائهما، ملکاتهن من العرب، وكوفئها صاحبة البيت الحرام الذي يقصده العرب في حجتهم كل سنة، فكانت ترسل أبناءها إلى الbadia ليتعلّموا من أهلها الفصحاحة وحسن البيان، ولم يكن النبي صلى الله عليه وسلم مستثنىً من ذلك، فقد نشأ في الbadia، بادية سعد بن بكر من هوازن، وتعلم اللغة منهم، وهو ما صرّح به في قوله: (أنا أَعْرِبُ الْعَرَبَ، وَلَدَتِنِي قُرِيْشُ، وَنَشَأْتُ فِي بَيْتِ سَعْدٍ بْنِ بَكْرٍ، فَأَنَّى يَأْتِيَنِي اللَّهُنُ) (الطبراني، ١٤٥، ٦/٣٥).

وبذلك كان النبي صلى الله عليه وسلم فصيحاً لا يشوب كلامه لحن؛ إذ لم تشبه شائبة عجمة في ولادته، أو في نشأته بل لم تذكر لنا كتب السير والتراجم أنه رحل إلى ديار الأعاجم في حياته كلها قبل النبوة أو بعدها؛ إذ أقصى ما وصل إليه هو جنوب أرض الشام من كانوا يتكلمون العربية سواء في تجاراته قبل البعثة، أو في غزواته بعد النبوة^(١)، فكانت عريته صلى الله عليه وسلم خالصة لا شائبة فيها.

وبذلك أصبحت العربية الوعاء اللفظي لما ينطق به صلى الله عليه وسلم، ويبيّنه للناس من الأحكام والشراع، وما كانت رسالته عامة، كانت العرب بمختلف قبائلهم، ولهجاتهم وأماكنهم، تفد إليه وتسأل عن دينها فيجيئها بما يفهم منه المخاطب المقصود، وإن لم يفهمه غير المخاطب بأن كانت الكلمة غريبة عن مجتمعه وخارجة عن بيته، ومن ذلك ما جاء في حديث وفد عبد القيس حين سأله عن الأشربة، فقال: (وَأَهَمُّكُمْ عَنْ أَرْبِعٍ: عَنِ الدَّبَّاءِ، وَالْحَنْتَمِ، وَالْمُرْفَقِ، وَالْتَّقِيرِ) قالوا: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، مَا عِلْمُكِ بِالنَّقِيرِ؟...)(مسلم، د.ت، ٤٨/١). فإذا كانت القبيلة المخاطبة بذلك تعجب من علم رسول الله ودرايته بهذه اللفظة في هذا يدل على أن مدلولها محدود وغير متسع جغرافيا، أي أن الكلمة كانت

أقصى ما رحل إليه هي قرية بصرى جنوب سوريا، وكان قد ذهب إليها مرتين، مرة حين بلغ الثانية عشر مع عمه أبو طالب، ومرة قبل زواجه من خديجة مع غلامها ميسرة وكان عمره ٢٥ سنة، (المقريزي، ١٤٢٠هـ، ٦٣/٥)، (الحلي، ١٤٢٧هـ، ١٧٧).

خاصة بهم، ولا شك أن غيرهم ممن لا يعلم مدلول هذه الكلمة كان أشد عجبًا، ومن أمثلة كلام النبي بكلمة يفهمها بعض المخاطبين دون بعض أيضًا ما جاء في الحديث الشريف: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (بَيْنَمَا امْرَأَتَانِ مَعْهُمَا ابْنَانَ لَهُمَا، جَاءَ النَّبِيُّ فَأَخَذَ أَحَدَ الْابْنَيْنَ، فَتَحَاكَمَتِي إِلَى دَاءِهِ، فَقَضَى بِهِ لِلْكُبْرَى، فَخَرَجْتَا فَدَعَاهُمَا سُلَيْمَانُ، فَقَالَ: هَاتُوا السَّيْكَيْنَ أَشْفُّهُمَا). فَقَالَتِ الصُّغْرَى: يَرْحَمُكَ اللَّهُ، هُوَ ابْنُهَا، لَا تَشْفَّهُ، فَقَضَى بِهِ لِلصُّغْرَى) قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: (وَاللَّهِ إِنْ عَلِمْنَا مَا السَّيْكَيْنُ إِلَّا يَوْمَئِنِ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُؤْدِيَةَ) (ابن حنبل، ١٤٢١هـ، ٣٣/١٤).

فقول أبي هريرة رضي الله عنه – وهو دوسي من جنوب الجزيرة العربية: (إِنْ عَلِمْنَا مَا السَّيْكَيْنُ إِلَّا يَوْمَئِنِ، وَمَا كُنَّا نَقُولُ إِلَّا الْمُؤْدِيَةَ) يدل على تعدد لهجات التي كان على الصحابة علمها، والتي كان على رسول الله أن يتعامل معها جميعا: إذ كلهم يريد فهم كلام النبوة لما يتضمنه من تشريع وأحكام.

وقد بين ذلك حديث عمر بن الخطاب حين سأله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: (يا رسول الله، ما لك أفصحنا ولم تخرج من بين أظهرنا؟...) (ابن كثير، ١٤١١هـ، ٥٨/١) فهذا عمر – وهو من هو فصاحة وخطابة- يعجب من فصاحة النبي وحسن بيانه، ولقد أحسن الزمخشري حين قال: إن الله عزت قدرته محض هذا اللسان العربي وألقى على لسان محمد -عليه أفضل صلادة وأوفر سلام- زيته مما وقع من كلامه شيء في كلام الناس إلا أشبه الوضوح في نقبة الأدhem (الزمخشري، د.ت، ١١/١).

وببناء على ما قدمتنا من تعدد لهجات الصحابة وفهمهم الخطاب الموجه إليهم من الرسول -وخطابه في كل ذلك في غاية الفصاحة والبيان- ظهر استغراب بعض الصحابة لبعض الكلمات ولبسها عليهم، فكانوا يرجعون إلى قائلها -والسائل خير مفسر لكلامه- ليبين لهم المراد من ذلك، ومن أمثلة ذلك ما جاء في سنن الترمذى عن جابر رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (إِنَّ مِنْ أَحَبِّكُمْ إِلَيَّ وَأَقْرَبِكُمْ مِّنِي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَحَاسِنُكُمْ أَخْلَاقًا، وَإِنَّ أَبْعَدَكُمْ إِلَيَّ وَأَبْعَدَكُمْ مِّنِي مَجْلِسًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْتَّرَاثُرُونَ وَالْمُتَسَدِّقُونَ وَالْمُتَقْبِقُونَ)، قالوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا الْتَّرَاثُرَوْنَ وَالْمُتَسَدِّقُونَ فَمَا الْمُتَقْبِقُونَ؟ قَالَ: (الْمُتَكَبِّرُونَ) (الترمذى، ١٩٧٥م، ٤/٣٧٠).

وعليه فرسول الله صلى الله عليه وسلم هو أول من فسر غريب الحديث، ثم بعد ذلك تواترت تفسيرات الصحابة فمن دونهم من العلماء بالعربية، ولا غرو في ذلك فبعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم وانتشار الإسلام خارج الجزيرة العربية، ودخول غير العرب فيه كانت حاجتهم إلى تفسير الغريب أكثر، فلذلك انبرى لها عدد من الصحابة والعلماء في كل جبل، ومن تفسير الصحابة لغريب الحديث – وهو كثير- ما قاله أبو هريرة مما رواه مسلم في صحيحه، فعن أبي هريرة عن عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، (أَنَّهُ نَمَى عَنِ الْمُؤْفَتِ وَالْجَنَّتِ وَالنَّقِيرِ)، قَالَ: قَبِيلٌ لِأَبِي هُرَيْرَةَ: مَا الْجَنَّتُمْ؟ قَالَ: (الْجِرَارُ الْخُضْرُونُ) (مسلم، د.ت، ٣/١٥٧٧).

كذلك بدأ تفسير غريب الحديث، بدأ بتفسير رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم جاء بعده الصحابة ففسروا غريب الحديث ملئ أنهم عليه معناه، ثم جاء بعد الصحابة جيل التابعين ففسروا ما أشكل من الكلمات النبوية لأهل زمانهم، ثم انبرى بعدهم علماء العربية لتفسير ما أشكل من حديث الرسول صلى الله عليه وسلم سواء كان ذلك عبر المصنفات، أو عبر الأسئلة الشفهية التي كان يسأل عنها

الطالب مشايخهم والتي كانت فيما بعد أساس كثير من الكتب المصنفة في هذا المجال، وممّن حفظت لنا الكتب آثارهم في تفسير الغريب الإمام أبو زكريا يحيى الفراء؛ فقد سجل آراءه تلميذه الإمام أبو عبيد القاسم بن سالم في كتابه غريب الحديث – وهذا هو موضوع البحث، وقد تطور هذا العلم شيئاً فشيئاً كسائر العلوم المصنفة حتى كثُرَت فيه المصنفات وكتبت فيه الموسوعات.

وقد اختلف العلماء في أول من ألف في هذا العلم فقيل إنه النضر بن شميل المتوفى ٢٠٣هـ، وقيل أبو عبيدة معمر بن المثنى المتوفى ٢٠٩هـ (ابن الأثير الجزري، ١٣٩٩هـ، ٦/١) ثم توالى بعد ذلك مصنفات في أجزاء من غريب الحديث غير أن ما ألفه السابقون على أبي عبيدة لم يصلنا، وأول كتاب وصل إلينا في هذا الفن هو كتاب أبي عبيدة القاسم بن سالم رحمة الله المتوفى ٢٢٤هـ – وهو موضوع البحث. وقد أجاد فيه وأفاد، ثم جاء بعده ابن قتيبة المتوفى ٢٧٦هـ فصنف كتاباً في غريب الحديث أودع فيه ما فات أبو عبيدة، فكان كاللتممة لكتاب أبي عبيدة، ثم توالى الكتب المصنفة في غريب الحديث غير أن كثيراً منها على كثرة عددها ملأها كالكتاب الواحد؛ إذ كان مصنفوها إنما سبّلهم فيها أن يتولوا على الحديث الواحد فيتناولوه فيما بينهم، ثم يتبارأوا في تفسيره ويعترض بعضهم على بعض (الخطابي، ١٤٠٢هـ، ٥٠/١)، حتى جاء الإمام الخطابي فصنف كتاباً في غريب الحديث أودع فيه ما ليس في كتاب أبي عبيدة وابن قتيبة – رحمهما الله – فكان كتابه ثلاثة الأثافي، وهذه الكتب الثلاثة هي أمهات كتب غريب الحديث الدائرة في أيدي الناس والتي يُعَوَّلُ عليها علماء الأمصار (ابن الأثير الجزري، ١٣٩٩هـ، ٨/١)، ثم توالى بعد ذلك المصنفات – حتى عصرنا هذا – ما بين جامع لما سبق، أو مرتب له ترتيباً آخر، أو مضيّفاً لها بعض ما شذ عنها (الخطابي، ١٤٠٢هـ، ٤٦/١؛ ابن الأثير الجزري، ١٣٩٩هـ، ٣/١).

ب- مكانة الفراء اللغوية.

يعلم كل من له أدنى معرفة بالدرس اللغوي مكانة الفراء في العربية عامّة وفي مدرسة الكوفة خاصة؛ فهو المنافع عن المذهب الكوفي، وحامل لوائه، بلغ من العلم باللغة أن قال فيه ثعلب: لولا الفراء ما كانت عربية (القطبي، ٢٠٠٦م، ٩/٤)، بل إن شيخه وشيخ شيخه الكسائي الإمام أبو جعفر الرواسي يرى أن الفراء أميّز من الكسائي (ياقوت الحموي، ١٤١٤هـ، ٢٥٢٢/٦)، ولا أدل على ذلك من المباحث اللغوية التي أودعها في كتابه معاني القرآن، فقد قامت حولها دراسات عديدة تشهد لمؤلفه بمكانة المتقدمة في هذا العلم^(١)، ومما يدل على مزيد علمه باللغة وبمعنى المفردات كثرة ما أودعه الإمام أبو منصور الأزهري في كتابه تهذيب اللغة من النقولات عن الفراء، وتزداد مكانته عندما نعلم المنهج الذي بنى عليه الأزهري كتابه، فقد أخذ على عاتقه ألا يذكر إلا ما روي عن العرب بطريق صحيح وروي عن أحد الأئمة الثقات في العربية، فأبأى منصور من المتشددين في إثبات الكلمة وإيداعها في معجمه ومع هذا نجد يذكر رأي الفراء في معجمه ويبين به معنى المفردة العربية في حوالي ألفي موضع، ولعل هذا

^(١) من الدراسات التي ألفت حول كتابه، دراسات في معاني القرآن لحمدي جبالي، ودراسة في النحو الكوفي من خلال معاني القرآن للفراء للمختار ديرة، والنحو الكوفي دراسة في معاني القرآن للفراء لكاظام إبراهيم، وغيرها كثير، ولا أعلم أن كتاباً في معاني القرآن قد ألفت حوله من الدراسات اللغوية مثل ما ألف حول معاني القرآن للفراء.

ما يميز الفراء عن كثير من النحوين، فالفراء قد جمع مع علمه بالنحو وقياساته ومنطقه معرفته باللغة وبيان مفرداتها ومعاني كلماتها على وجه واسع جداً يكاد يخلو معجم من ذكر آرائه اللغوية في بيان معنى مفردة أو ظبطها الظبط الصحيح، ولعلنا لا نستغرب ذلك كثيراً إذا علمنا أن الفراء - مع تأخره زمنياً عن عصر السماع - قد شافه بعض الأعراب وسمع منهم (السيوطى، ١٤١٨هـ؛ ٣٥١/٢؛ المخزومى، د.ت، ١٢٢)، وهذا الجانب من الفراء - الجانب المعجمي - لم يحظ في البحوث الحديثة بما يستحقه من الدراسة^(١).

ومما يبين مزيد مكانة علم الفراء بالعربية جلاله تلاميذه الذين أخذوا عنه اللغة، فمنهم - وأقتصر هنا عليه لكونه موضع البحث - الإمام المجتهد أبو عبيد القاسم بن سلام المتوفى ٢٤٤هـ، فقد أخذ عن الفراء (الأنباري، ١٤٠٥هـ، ١١٠)، وأكثر من النقل عنه في مصنفاته، فنجد - مثلاً - أنه نقل عنه في كتابه الغريب المصنف في أكثر من ثلاثة موضع (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١٣٠-١٢٩٦هـ، ١٦٤-١٦٣).

الدراسة

ذكر أبو عبيد آراء الفراء في بيان معاني غريب الحديث في عدة موضع من كتابه، يتبعه للناظر من خلالها منهجه في تفسير هذه الغرائب، وقد جمعت تلك الكلمات التي تكلم علمها الفراء ورتبتها ترتيباً أبجدياً ليسهل الرجوع إليها:

الإفحام.

روى الإمام أحمد في مسنده، ومسلم في الصحيح، وأبو داود في السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (لَا تُرْسِلُوا فَوَاشِيَّكُمْ وَصِبَّيَّكُمْ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى تَذَهَّبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ يُبَعْثُ إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ حَتَّى تَذَهَّبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ) (ابن حنبل، د.ت، ٢٤٥/٢٢، مسلم ، د.ت، ١٥٩٥/١).

اختلاف المفسرون وشرح الغريب في تفسير قوله - صلى الله عليه وسلم - (فحمة) فذهب جمـع منهم إلى أن المقصود بها أول الليل وإقبال سواده، وبهذا أخذ الإمام الخطابي (الخطابي، ١٣٥١هـ، ٢٥٩/٢)، والطبيبي (الطبيبي، ١٩٩٧م، ٩/٢٨٨٧)، وذهب فريق آخر إلى أن المراد به سواد الليل وظلماته، وممن رأى هذا الرأي: الزمخشري (الزمخشري، د.ت، ٣/١١٨)، والقاضي عياض (عياض، ٤٨٦/٦، ١٤١٩هـ)، وابن قرقول (ابن قرقول، د.ت، ٥/١٩٦)، والسيوطى (السيوطى، ٦٤/٥هـ، ٢٥٤)، وخالفهم آخرون فلم يروا أن الفحمة ظلام الليل فقط بل ذهبوا إلى أنها أشد ما يكون من سواد الليل وظلماته، وعلى هذا ابن هبيرة (ابن هبيرة، ١٤١٧هـ، ٨/٢٥٤)، وابن الملقن (ابن الملقن، ١٤٢٩هـ، ١٩/٢٠)، وابن حجر (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ١/١٦٦).

^(١) ولعل في دراستي التي أقوم بها إبراز شيء من جوانب علم الفراء بالغريب من كلام العرب وبيان رأيه فيه.

وبالرجوع إلى أصحاب المعاجم نجد أنهم مختلفون كذلك في بيان مدلول هذه الكلمة، فالخليل يرى أن الفحمة هي شدة سواد الليل وظلمته (الفراهيدي، ٤، ٢٠٠٣، ٢٥٤)، والجوهري يرى أن المقصود بفحمة العشاء هي ظلمته (الجوهري، ٧، ١٤٠٥، ٢٠٠٥).

ويرى الإمام أبو زكريا الفراء أن المراد بالفحمة أول الليل وأنها هي أشد الليل سوادا، وبهذا يجمع بين القولين، قال: يُقال: أَفْجُمُوا عَنِ الْعِشَاءِ - يَقُولُ: لَا تَسِيرُوا فِي أَوَّلِهِ حِينَ تَفُورُ الظُّلْمَةُ وَلَكِنْ أَمْهَلُوا حَتَّى تَسْكُنَ ذَلِكَ وَتَعْتَدِلَ الظُّلْمَةُ ثُمَّ سِرُّوا وَقَالَ لَبِيدٌ (لبيد، ٩٢/٥):

وَاضْبِطُ اللَّيْلَ إِذَا طَالَ السُّرَى وَتَدَجَّى بَعْدَ فَوْرٍ وَاعْتَدَلَ (ابن سلام، ١٣٨٤، هـ، ٢٤١/١)

وعند الترجيح لا بد من النظر في سياق هذا الحديث وبقية الأحاديث الواردة في هذا الشأن ليتبين لنا المراد من الفحمة، فقوله -عليه الصلاة والسلام- في الحديث السابق: (إِذَا غَابَتِ الشَّمْسُ، حَتَّى تَذَهَّبَ فَحْمَةُ الْعِشَاءِ) يرجح أن المقصود به أول الليل، وكذلك الحديث الوارد في صحيح البخاري، وهو قوله عليه الصلاة والسلام (إِذَا كَانَ جُنْحُ اللَّيْلِ، أَوْ أَمْسَيْتُمْ، فَكُوْفُوا صَبْيَانَكُمْ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ تَنْتَشِرُ حِينَئِذٍ، فَإِذَا ذَهَبَ سَاعَةٌ مِنَ الْلَّيْلِ فَحَلُوْهُمْ، وَأَغْلِقُوا الْأَبْوَابَ وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، فَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَا يَفْتَحُ بَابًا مُغْلَقًا، وَأَوْكُفُوا قِرْبَكُمْ وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَخَمَرُوا أَنْيَتَكُمْ وَأَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ، وَلَوْ أَنْ تَعْرُضُوا عَلَيْهَا شَيْئًا، وَأَطْفِلُوا مَصَابِيحَكُمْ) (البخاري، ١٤٢٢، هـ، ١١١/٧)، فهذا الحديث يؤكد أن المراد بالفحمة في الحديث السابق أو الليل؛ إذ الحديثان في مورد واحد وهو كف الصبيان والهائم تلك الساعة.

ومما يبين لنا أن أول الليل هو أشد ظلمة الباب السابق للبيد؛ حيث ذكر أن اعتدال ظلمة الليل تكون بعد فورانه، وهذا يدل على أن أوله أشد ظلاما، ومما يؤيد ذلك الحديث الوارد في مسند عبد بن حميد عن جابر رضي الله عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (أَمْسِكُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيْكُمْ فِي الْبُيُوتِ عِنْدَ فَوْرَةِ الْعِشَاءِ الْأُولَى، فَإِنَّ فِيهَا تَعْمُ الْجِنُّ) (الكسبي، ١٤٠٨، هـ، ٣٣٩). فهذا يدل على أن فورة العشاء - وهي أول الليل حين يقبيل - هي فحمة الباب في الأحاديث السابقة.

وبهذا يتبين رجحان ما ذهب إليه الفراء رحمة الله في بيان مدلول (الفحمة)، وسعة اطلاعه على معاني المفردات العربية واستشهاده عليها بفصيح الكلام.

آل حم

اتفق شراح الغريب على المقصود من آل حم، وهي السور التي تبدأ بـ(حم) ولكنهم اختلفوا في صيغة الجمع للسور التي تبدأ بهذه اللفظة، فأبو زكريا الفراء يرى عدم جواز قوله كقولك آل حم، وأنه من قول العامة ولا مستند له من الفصيح، وأن الصحيح هو قوله كقولك آل فلان وآل فلان كانَهُ نسب السُّورَةِ كلهَا إِلَى حم (ابن سلام، ١٣٨٤، هـ، ٩٤/٤)، ويرى غيره جواز ذلك إذا جعلنا حم اسمًا للسورة (الفيومي، د.ت، ١٥٢/١)، كما جعلها الشاعر - مخاطباً محمد بن طلحة - في قوله^(١):

يُذَكِّرِنِي حَامِيْمَ وَالرَّفِيعَ شَاهِرَ فَهَلَا تَلِي حَامِيْمَ قَبْ النَّقَدُمَ

^(١) البيت لشريح بن أوفى العبسي أو للأشتر النخعي في تاج العروس ٢٥/٣٢.

وقد استدل الفراء على جواز قوله آل حم وأنها هي الجمع بقول الكميت (الكميت، د.ت، ١٨):

وَجَدْنَا لَكُمْ فِي الْأَلْ حَامِيْمَ آيَةً تَأْوِلُهَا مَنَّا تَقْرِئُ وَمُعَرِّبُ

وإلى مثل هذا الرأي ذهب أبو حاتم السجستاني، فخطأ من يقول حواميم، وقال: بل الصواب ذوات حم (الزبيدي، د.ت، ٣٢/٢٦)، وبمنذهب الفراء قال ابن خالويه (السيوطي، ١٤١٨هـ، ٢٤٦)، والجوهري (الجوهري، ١٩٨٧م، ٥/١٩٧٤)، وبمثله قال الحميري (الحميري، ٢٠١٤هـ، ١)، (٣٧٧).

ولا خلاف فيما استدل به الفراء من شعر الكميت؛ إذ الخلاف في جواز قوله حواميم، ويمكن الاستدلال على جواز ذلك بأمور:

الأول: ما رواه البهقي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: (...وَأُعْطِيْتُ طَهَ وَطَوَاسِيْنَ وَالْحَوَامِيْمَ) (البهقي، ٢٣/١٤٢٣هـ، ٤/١٠٤).

الثاني: ما رواه ابن ماجه عن أبي الدرداء: قال: سَجَدْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِحْدَى عَشْرَةَ سَجَدَةً، لَيْسَ فِيهَا مِنْ الْمُفَصَّلِ شَيْءٌ: الْأَعْرَافُ، وَالرَّعْدُ، وَالنَّحْلُ، وَبَنَى إِسْرَائِيلَ، وَمَرْيَمُ، وَالْحَجُّ، وَسَجَدَةُ الْفُرْقَانِ، وَسُلَيْمَانُ سُورَةَ النَّمْلِ، وَالسَّجَدَةُ، وَفِي صِ، وَسَجَدَةُ الْحَوَامِيْمَ (ابن ماجة، د.ت، ٢/٦٨).

الثالث: ما رواه الحاكم عن ابن مسعود قال: الحواميم ديباج القرآن (الحاكم، ٩٩١م، ٢/٤٧٤). الزجاج، ٨٠١هـ، ٤٦٥).

الرابع: قول أحد الأعراط حينما سئل: أتَحْفَظُ مِنَ الْقُرْآنِ شَيْئًا قَالَ نَعَمْ الْقَلَاقِلَ يَرِيدُ السُّورَ الَّتِي تُفْتَنَحُ أَوَّلَهُمَا يُقْلَلُ (الخطابي، ٢٠١٤هـ، ١/٦٥٤)، فهذا يدل من باب أولى على جواز جعل حاميم اسمًا للسورة وجمعها بحواميم.

الخامس: قوله لهم: طوايسين فيما ابتدئ بطن، وعليه قول الشاعر (ابن منظور، ١٤١٤هـ، ١٢، ١٥١):

أَقْسَمْتُ بِالسَّبْعِ الْلَّوَاتِي طَوَّلْتُ
وَبِمَثَانِ شَيْئَتْ وَكُرِبْتُ
وَبِالْحَوَامِيْمِ الَّتِي قَدْ سُبِّعْتُ وَبِالْمُفَصَّلِ الْلَّوَاتِي فُصَّلْتُ

ووهذا يتبيّن صواب من قال بجواز جمع حم بحواميم، وأن الفراء رحمة الله كان متشددًا في عدم قبول ما لم يسمعه أو لم يكن جاريًا على القياس، وبجواز هذا الجمع قال: أبو عبيدة (أبو عبيدة، ١٣٨١هـ، ١/٢٧)، وابن قتيبة (ابن قتيبة، ١٣٩٧هـ، ١/٢٤٣).

الأوّلَاضُ.

عَنْ أَبِي زَافِعٍ قَالَ: لَمَّا وَلَدَتْ فَاطِمَةُ حَسَنًا قَالَتْ: أَلَا أَعْقُ عَنْ أَبِنِي بِدَمٍ؟ قَالَ: (لَا، وَلَكِنْ احْلِقِي رَأْسَهُ ثُمَّ تَصَدَّقِي بِوَرْنِ شَعْرِهِ مِنْ فِضَّةٍ عَلَى الْمُسَاكِينِ أَوِ الْأَوْلَاضِ) (أحمد بن حنبل، ٢١٤٢هـ، ٤٥/١٦٣).

تبّين تفسير العلماء في معرفة أصل معنى (الأوّلَاضُ). مع اتفاقهم أن المقصود به في قوله صلى الله عليه وسلم هم الفقراء، فذهب أبو عمرو إلى أن الأوّلَاضُ هم الفرق من الناس والأخلاط (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١/١٢٤)، وبمثله قال صاحب العين (الفراهيدي، ٤٠٠م، ٧/٦٦)، والصحاح (الجوهري، ١١١٣هـ، ٣/١٤٠٧)، وذهب الفراء إلى أنها مأخوذة من الْوَفْضَةِ وهي شبه الكنانة الصغيرة يُلقى فيها

الطعم(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١٢٤/١)، فهي خريطة يجمع فيها ما يحتاج إليه ويتعلقها(ابن دريد، ١٩٨٧م، ٨٢٩/٢)، قال الشاعر في وصف العقاب وهي تجمع اللحم في وكرها(العندي، ١٣٩١م، ٥٥):

تَجْمَعُ فِي الْوَكْرِ وَزِيمًا كَمَا يَجْمَعُ ذُو الْوَفْضَةِ فِي الْمَرْوِدِ

وقال الشنفرى(المفضل الضبى، د.ت، ١١؛ الشنفرى، د.ت، ٣٦):

لَهَا وَفْضَةٌ فِيهَا ثَلَاثُونَ سَيِّحَفًا^(١) إِذَا آتَسْتُ أُولَى الْعَدِيِّ أَفْشَعَرَتِ

فالأوfoاض في الحديث كنایة عن الفقر؛ لأن الفقير لا مأوى له فيتخذ فيه الأكل، فليس له إلا هذه الوفضة ليضع فيها ما يحتاجه، وذهب بعض رواة الحديث إلى أن المقصود بالأوfoاض هم أصحاب الصفة(ابن حنبل، ٢٠٠٠م، ٤٥/١٦٣)، ولعل هذا تفسير بما يقول إليه معنى الأوfoاض لا تفسير لأصل الكلمة؛ لأن أصحاب الصفة أناس من قبائل شتى جمعهم الفقر والعبادة على ملازمة المسجد النبوى والسكنى فيه، فهم أخذوا هذه الصدقية بوصف الفقر، وبهذا يفهم قول من فسر الأوfoاض بالفقراء(الطبراني، ١٤١٥هـ، ٣٠/٣)، فهو تفسير بما يقول إليه المعنى لا تفسير لنفس الكلمة، وبهذا يجمع بين التفسيرات في معنى الأوfoاض، ويمكن كذلك الجمع بين هذه التفسيرات وتفسير الفراء - كما جمع أبو عبيد- بأنه يمكن أن يكون لهم أو لبعضهم إماء شبه الكنانة -حالة المعتكف في المسجد- يضع فيه قليلاً مما يتصدق به عليه من الزاد ونحوه(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١٢٤/١)، وهذا إن أخذنا الكلمة على ظاهرها، أما إن قلنا أنها كنایة - وهو ما أميل إليه- فلا يشترط أن يكون لديهم أو لدى أحدهم هذا الإناء (الوفضة) ليطلق عليهم هذا اللفظ، بل يكفي أن تكون حالهم كحال صاحب الوفضة الذي يضع فيها طعامه وجميع ما يحتاجه من الفقر والعدم وعدم المأوى والمسكن، فيصبح حينئذ إطلاق هذه الكلمة علىهم.

البندج

روى الإمام أحمد عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (يَدْنُو الْمُؤْمِنُ مِنْ رَبِّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَانَهُ بَذَجٌ، فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ - أَيْ يَسْتُرُهُ - ثُمَّ يَقُولُ: أَتَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ. ثُمَّ يَقُولُ: أَتَعْرِفُ؟ فَيَقُولُ: رَبِّ أَعْرِفُ، يَعْنِي فَيَقُولُ: أَنَا سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا، وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ، وَيُعْطَلُ صَحِيفَةُ حَسَنَاتِهِ، وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ، فَيُنَادَى بِهِمْ عَلَى رُؤُسِ أَشْهَادِ {هُؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ}[هود: ١٨] قال سعيد: وقال قتادة: فَلَمْ يَخْرُجْ يَوْمَئِذٍ أَحَدٌ فَخَفَى خَزِيُّهُ عَلَى أَحَدٍ منَ الْخَلَائِقِ)(ابن حنبل، ٢٠٠٠م، ١٠/٨٥).

اختلف راح الغريب في معنى البندج، فمنهم من قال هو ولد الصان مطلقاً، وهذا مذهب الفراء، قال: "هُوَ وَلَدُ الصَّانِ وَجَمِيعُهُ بِذِجَانٍ"(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١/١٦٥)، وإلى ذلك ذهب الخطابي(الخطابي، ١٤٠٢هـ، ١/٣٦٠) وابن الجوزي(ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ١/٦٢)، وابن الأثير(ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، ١/١١٠).

^١ السيف: النَّصْلُ.

ومنهم من ذهب إلى تخصيص مدلول هذه الكلمة بمن شبّ وقوى من أولاد الضأن، وإلى ذلك ذهب أبو عبيد(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١٦٥/١).

ومنهم من ذهب إلى ضد هذا الرأي فرأى أن البذج هو أضعف ما يكون من أولاد الضأن، وهذا مذهب الزمخشري(الزمخشري، د.ت، ٩٠/١، ١٩٨٧م، ١٣٠/١).

ولبيان معنى هذه الكلمة لا بد من الرجوع إلى نصوص العرب التي وردت فيها هذه الكلمة، لعله يتبيّن لنا معناها الدقيق، فمن ذلك ما جاء من قول الشاعر^(١):

قد هَلَكْتُ جَارِنَا مِنَ الْهَمْجُ
وَإِنْ تَجْعُ تَأْكُلْ عَتُودًاً أَوْ بَذْجٌ

فالشاعر يصف شدة المجاعة التي حلت بجارتة فيقول: قد تعبت جداً من الجوع الذي مرت به، فهي من شدة هذا الجوع تأكل العتود أو البذج، والعتود -كما بيّنته كتب المعاجم- هو ولد المعز الذي استكرش أو الذي شبّ وقوى أو هو الذي بلغ السيفاد(الأزهري، ٢٠٠١م، ١١٦/٢)، وكل هذه معانٍ متقاربة، وبيان معناه يترجح أن المراد بالبذج هو ما ضعف من الحملان؛ لأنّه في مقابل ما قوي من أولاد المعز، فالشاعر يريد أن يقول أنها لا تجد من فقرها ضأناً كبيراً تذبحه وتأكله فلذلك تضطر أن تأكل ما شبّ وقوى -مع أنه في وقت شبابه أكثر ما يكون فائدة لها، فإن لم تجده أيضاً -وهذا ما أفاده تقديم العتود على البذج- اضطرت إلى ذبح الصغير جداً من أولاد الضأن لتسدّ جوعها.

ويمكن أن يكون المقابلة في البيت بين أولاد الضأن وأولاد المعز فهي تأكل ما قوي من أولاد المعز أو ما قوي من أولاد الضأن، قال الجاحظ: والبذج من أولاد الضأن خاصة(الجاحظ، هـ١٤٢٤، ٢٦٦/٥)، غير أننا بالنظر إلى أصول هذه الكلمة نجد أنها فارسية معربة أصلها: بزه، والمقصود بها المعز(الجواليقي، د.ت، ١٧٤)، وهذا يرجح أن المقابلة في البيت بين العمرين لا بين الضأن والمعز.

ويرجح ما ذهب إليه أيضاً ما ورد في الحديث: (فيخرج رجل من النار كأنه بذج ترعد فرائصه) الجواليقي، د.ت، ١٧٤، فالمراد من هذه الصورة الواردة في البيان النبوى بيان شدة الضعف، وهو فيما ضعُف من من أولاد الضأن أوضح وأشدّ ظهوراً، ويؤكد ذلك ما جاء في الحديث: (يُؤْتَى بِأَنْ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَأَنَّهُ بَذْجٌ مِنَ الذُّلِّ) (ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، ١١٠/١)، فالمقصود شدة الذل وهو بما ضعف من أولاد الضأن أقوى منه بما قوي واشتدّ، ولذلك أيضاً ضرب به المثل في الذل فقالوا: أذل من بذج(الميداني، د.ت، ٢٨٥/١).

بله.

روى البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- أنه قال: (قال الله عزّ وجلّ: أَعْنَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ، مَا لَا عَيْنُ رَأَتْ، وَلَا أَدْنُ سَمِعْتُ، وَلَا حَطَرْ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ ذُخْرًا بِلَهَ مَا أَطْلَعْتُمْ عَلَيْهِ) (البخاري، هـ١٤٢٢، ٦/١١٦؛ مسلم، د.ت، ٤/٢١٧٤)، ثُمَّ قَرَأَ: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أَخْفَى لَهُمْ مِنْ قُرْأَةٍ أَعْيُنٍ جَرَاءٍ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ}.

^١ البيت لأبي محزز المحاري في الحور العين: ١٠٩.

اختلف الشرح في معنى قوله: (بله) في الحديث السابق، فذهب الفراء إلى أن المعنى دع ما أطلعتم عليه، أو كفّ عن ذكر ما أطلعتم عليه (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١٨٦/١) أي فإنّه سهل أو يسير في جنب ما آذخرته لهم (ابن الملقن، ١٤٢٩هـ، ٢٣/١٠٧)، وتبعه الزمخشري (الزمخشري، د.ت، ١٢٧/١)، وابن الجوزي (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٨٧/١)، وابن الأثير (ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، ١/٥٥).

وذهب الأحمر إلى أن المعنى: كيف ما أطلعتم عليه؟ (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١/١٨٦)، ويُحصّدُ بها **الإسْتِيَاعُ وَالْمَعْنَى مِنْ أَيْنَ اطْلَاعُكُمْ عَلَى هَذَا الْقَدْرِ الَّذِي تَفَصُّرُ عُقُولُ الْبَشَرِ عَنِ الْإِحْاطَةِ** (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ٨/٥١٦).

وذهب جماعة من أهل اللغة أن معنى (بله) في الحديث: على، أي على ما أطلعتم عليهم (الأباري، ١٤١٢هـ، ١/٩٥).

وذهب بعضهم إلى أن معنى (بله): أي سوى ما أطلعتم عليه وغير ما أطلعكم الله عليه (الميورق، ١٤١٥هـ، ٣٢٥)، وهو ما رجحه ابن حجر في فتح الباري (ابن حجر، ١٣٧٩هـ، ٨/٥١٧). وعند النظر في معنى بله في المعاجم العربية نجد أنّهم ذكروا لها عدة معان، فقد جاء في العين أنها تكون بمعنى كيف، وبمعنى دع، وبمعنى أجل (الفراهيدي، ٤٠٠م، ٤/٥٥)، وهذا المعنى الأخير لبله، غفل عنه شراح الغريب والحديث فلم يذكروه في توجيهات الحديث فيما أعلم، وقد استشهد لمجيئها بمعنى أجل بقول الشاعر^١:

بَلْهُ أَيْ لَمْ أَحْنُ عَهْدًا وَلَمْ أَفْتَرِفْ ذَنْبًا فَتَجْزِيَنِي التَّقْمُ

وعلى هذا يكون هناك تفسير خامس للحديث، ويكون معنى: بله ما أطلعتم عليه: أي أجل ما أطلعتم عليه، ويكون التقدير بحذف المبتدأ أي أجل هو ما أطلعتم عليه، ويؤيد ذلك إيراد الآية بعدها وهي التي أطلعنا الله عليها.

والذي يترجح والله أعلم هو أن معناها كفّ دع - وهو ما ذهب إليه الفراء ومن تبعه - لعدة أمور: الأول: أن الأصل في تصاريفها (بل) هو الكفّ والإضراب، وعليه فيكون معنى اترك أو كفّ هو الجاري على أصل استعمال هذه المادة.

الثاني: أن تفسير الحديث بكيف ما أطلعتم عليه، لا يناسب سياق الحديث فهو يريد تهويء ما أطعوا عليه في جنب ما لم يطعوا عليه.

الثالث: أن التفسير بسوى وغير هو تفسير معنى - في نظري - لا تفسير لغة: إذ لم يذكر أحد من المعجميين القدامي أن بله تأتي بمعنى غير سوى.

الرابع: أن هذا المعنى لبله قد أجمع عليه المعاجم^٢.

^١ بلا نسبة في العين ٤/٥٥.

^٢ فمثلاً ابن دريد في الجمهرة لم يذكر سوى هذا المعنى لهذه المفرد، ابن دريد، ١٩٨٧م، ١/٣٨٠.

الرابع: أن الله قد أطعننا في بعض الآيات القرآنية عن نعيم أهل الجنة من الولدان والجور العين والجنتات، فهو يزيد في هنا الحديث أن يقول: كل ما ذكر في الآيات القرآنية وما أطعنتم عليه في الأحاديث النبوية كفوا عن ذكره ودعوه فإني قد أعددت لهم أعظم من ذلك، فكأنه قال: دع عنك ما أطعنكم عليه، فالذى لم تطعوا عليه أعظم، فكأنه أصرب عنه استحقاراً له في جانب ما لم يطلع عليه(عياض، ١٤١٩هـ، ٣٥٨/٨).

التخادر

عن أبي هريرة قال (نَبَىَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِّرًا) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ٦٧/٢؛ مسلم، د.ت، ٣٨٧/١).

علق الفراء على ذلك بقوله: **يُقال: خرج الْقَوْمُ مُتَخَاصِرِينَ إِذَا كَانَ بَعْضُهُمْ آخِذًا بِيَدِ بَعْضٍ، وَأَمَا الْحَدِيثُ الَّذِي يَرُوِيُ أَنَّهُ نَبَىَ أَنْ يُصَلِّيَ الرَّجُلُ مُخْتَصِّرًا فَلَيْسَ مِنْ هَذَا إِنَّمَا ذَلِكَ أَنْ يُصَلِّي وَهُوَ وَاضِعٌ يَدَهُ عَلَى خَصْرِهِ** (ابن سالم، ١٣٨٤هـ، ١/٣١).

يبرز في تعليق الفراء على هذا الحديث مسلك من مسلكه في التعامل مع الغريب، فهو يأتي بأصل المعنى اللغوي للفظة ثم يبين ما يتعلق بمعناها في هذا الحديث حسب ما يراه مناسباً للسياق اللغوي، وللمعنى الشرعي.

يرى الفراء أن قولهم : خرج القوم متخاصرين أي آخذوا بعضهم بيد بعض، وتابعه على كون التخادر آخذ بعضهم بيد بعض **الأَزْهَرِي**(الأَزْهَرِي، ٢٠٠١م، ٦٠/٧)، وابن منظور(ابن منظور، ١٤١٤هـ، ٤/٢٤٢)، والزبيدي(الزبيدي، د.ت، ٣٤٨/٦)، فلذلك اضطر إلى تأويل الحديث عن هذا المعنى؛ إذ ليس مقصود الحديث ذلك، ثم رأى أن تأويلها هو أن يصلي الرجل ويده على خصره، وبذلك يكون قد وافق بين أصل الاشتراق اللغوي لهذه الكلفة وبين معناها المراد في الحديث؛ إذ يمكن إرجاع لفظة الاختصار إلى أصل خصر، وهو جانب الرجل، فيكون المختصر هو الواقع يده على جنبه، وهذا يزيل الإشكال الوارد على الحديث.

غير أن جار الله الزمخشري قد خالف الفراء في ذلك، فرأى أن قولهم خرج القوم متخاصرين وهي النبي صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن صلاة الرجل مختصراً كلاهما من باب واحد وهو وضع اليد على الخاصرة، قال: خرجوا متخاصرين. واختصر الرجل وتخادر: وضع يده على خصره(الزمخشري، ١٤١٩هـ، ١/٤٩).

وما ذهب إليه الزمخشري وإن كان هو الموفق للاشتراق اللغوي خصر، إلا أنه يصعب تصور أن يخرج قومٌ من الرجال آخذُ بعضاً بعضاً بخصر الآخر، وإنما يصور هذا في اثنين متواذين متحابين كما قال عبد الرحمن بن حسان(الأَزْهَرِي، ٢٠٠١م، ٧/٥٩):

ثُمَّ حَاصَرَهُمَا إِلَى الْقُبَّةِ الْخَضْرَاءِ تَمَشِّيٌ فِي مَرْمَرٍ مَسْنُونٍ

أما أن يكون القوم كلهما خارجين كذلك فيبعد كل البعد، على أنني أرى أن هذا التركيب: (خرجوا متخاصرين) يتحمل أن يكون تركيباً مجازياً؛ إذ أصله هو من وضع اليد على الخاصرة، وهو كناية عن شدة القرب والودة والمحبة، فاستعمل في وضع يد القوم بأيدي بعض للدلالة على ذلك، بل إن بعض

اللغويين رأى أن هذا المعنى هو المراد بالاختصار في البيت السابق، ومنهم الخليل بن أحمد (الفراهيدي، ٤٢٠ م، ٤/١٨٣)، وابن دريد (ابن دريد، ١٩٨٧ م، ١/٥٨٦)، والجوهري (الجوهري، ٧١٤٠ هـ، ٢/٦٤٦)، وبالذهب إلى أن هذا التركيب مجازي ينفي ما اشترطه ابن دريد في جمهورته بأنه لا بد - لإطلاق هذا اللفظ - أن يمسك أحدهما بيد صاحبه ويد كل واحد مثمناً تمس خصر صاحبه (ابن دريد، ١٩٨٧ م، ١/٥٨٦).

وبهذا يظهر أرجحية ما ذهب إليه الفراء ورحمه الله من أن اختصار القوم أخذهم بأيدي بعض، وأن الحديث جاء على خلاف هذا المعنى.

وما ذهب إليه الفراء من أن معنى الحديث النبوي عن وضع اليد على الخاصرة، خالفة بعضهم، فذهب إلى أنه مأخوذ من المخصرة وهو العصا، فالنبي في الحديث نبي عن الصلاة بالعصا (ابن الأثير، ٩٣٩٩ هـ، ٢/٣٦)، وذهب آخرون إلى أن الاختصار في الحديث مأخوذ من الاختصار في الكلام فالمقصود به على قولهم هو أن يقرأ من آخر السورة آيةً أو آيتين ولا يقرأ السورة بِتَمَامِهَا في فَرْسَهِ (ابن الأثير، ٩٣٩٩ هـ، ٢/٣٦).

غير أنى أرى أن هذين القولين ليسا هما المقصود الحديث؛ لأمور:

الأول: أن جمهور اللغويين وشرح الغريب - ممن مر ذكرهم - على خلافه.

الثاني: فهم أنممة الحديث ورواته فقد جاء في المستدرك عن أبي هريرة قال: (نَبَيٌّ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الْإِخْتَصَارِ فِي الصَّلَاةِ). قال أَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْعَبْدِيُّ - وهو أحد رواة الحديث - والاختصار: هُوَ أَنْ يَضْعَرَ الرَّجُلُ يَدُهُ عَلَى خَاصِرَتِهِ (النسياوري، ١٤١١ هـ، ١/٣٩٦).

الثالث: عمل الصحابة، وفهمهم، فقد جاء في السنن الكبرى للنسائي عن زيد بن صبيح قال: صَلَّيْتُ إِلَى جَنْبِ ابْنِ عُمَرَ فَوَضَعْتُ يَدَيَّ عَلَى خَصْرِي، فَقَالَ لِي هَكَذَا ضَرَبَةٌ بِيَدِهِ، فَلَمَّا صَلَّيْتُ قُلْتُ لِرَجُلٍ: مَنْ هَذَا؟، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ: قَلْتُ: يَا أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ مَا رَأَيْتُ مَنِي؟، قَالَ: إِنَّ هَذَا الصَّلَبُ، وَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، تَهَاجَأَ عَنْهُ (البيهقي، ١٤٢٤ هـ، ١/٤٦).

وروى أبو عوانة في المستخرج عن أبي هريرة - رضي الله عنه - قال: نبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يصلى الرجل مختصراً ووضع يده على خاصرته (النسياوري، ١٤١١ هـ، ٤/٢٩٧). فالتفسير من راوي الحديث لمعنى الاختصار يبين لنا بجلاء المعنى المراد من الحديث.

الثا

روي في الحديث أن عمر رضي الله عنه لما كان عام الرمادة قال: (لقد هَمَمْتُ أَنْ أَجْعَلَ مَعَ كُلِّ أَهْلِ بَيْتِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ مَثَلِيْمَ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ لَا يَهْلِكُ عَلَى نَصْفِ شِبَّاهِ فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: لَوْ فَعَلْتَ ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَا كُنْتَ فِيهَا ابْنَ ثَأْدٍ) (ابن سلام، ١٣٨٤ هـ، ٣/٣٣٥)، (الحربي، ١٤٠٥ هـ، ٣/١٠٨٩).

توقف شراح الغريب في كلمة ثاد: إذ الثاد هو الطين المبتل (الفراهيدي، ٤٢٠٠٤ م، ٨/٥٦)، قال الأصمعي: قيل لبعض العرب: أصبه لينا موضعًا. فقال رائدهم: وجدت مكانًا ثادًا مأداً (الجوهري، ٧١٤٠ هـ، ٢/٥٣٦)، ومعلوم أن المتكلم في حديث عمر لا يريد هذا المعنى، وإنما يريد الثاء، وهي الأمة (الفراهيدي، ٤٢٠٠٤ م، ٨/٥٦)، ولكن الحديث مروي بغير ألف التأنيث الممدودة، قال أبو عبيد:

هَكَذَا يَرُوِيُ الْحَدِيثُ (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٣٣٥/٣)، ويؤيد هذه الرواية رواية كتب الغريب المتقدمة؛ إذ وردت هذه اللفظة بغير ألف ممدودة، كما جاء في غريب الحديث للإمام الحربي (الحربي، ١٤٠٥هـ، ١٠٨٩/٣)، وعندئذٍ اضطرّ اللغويين لمعالجة هذه اللفظة لما فيها من المخالفة، فذهب الفراء إلى أن ردة هذه الرواية وإن شئنا قلنا تقويمها فقال: "إِنَّمَا هُوَ ابْنُ ثَادِيَ يَعْنِي الْأُمَّةِ أَيْ مَا كَنْتُ فِيهَا ابْنُ أُمَّةً" (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٣٣٦/٣)، فكان القائل يقول له: لو فعلت ما هممت به لم تكن في ذلك لئيمًا؛ إذ كانوا يعبرون ابن الأمة باللؤم، وهذا يبين لنا منهجاً جديداً في التعامل مع الألفاظ الغربية عند الفراء، فهو لا يقبل كل ما يروي، بل يأخذ من المروي ما هو موافق للمحفوظ أو القياس، ويرد أو يقوم ما عدا ذلك.

غير أننا نجد من شرائح الغريب المتأخرين من رواها بالألف: ثاداء، كالزمخشي في الفائق (الزمخشي، د.ت، ١٦٠/١)، وابن الأثير في النهاية (ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، ٢٠٤/١)، ولعل ما ذكره لم تكن الرواية المعروفة، ولكن جاء ذكرها في كتب شروح الحديث المتأخرة ليتوافق مع ما في المعاجم اللغوية من المعنى لهذه اللفظة.

والذى يظهر لي في توجيهه هذه الكلمة أحد أمرىء:

الأول : أن تحمل على كونها لهجة من لهجات العرب تنطق هذه الكلمة بغير ألف الممدودة، وهذا أهون من تقويم الحديث أو رد الاستشهاد اللغوي به، ويؤيد ذلك أن بعض روايات هذا الحديث ذكرت أن المتكلم به رجل أعرابي من قبيلة محارب (السرقسطي، ١٤٢٢هـ، ٣٩٨/١).

الثاني: أن الكلمة التي تكلم بها هذا الرجل كانت ثاداء -بالألف- ولكن نتيجة لضعف سمعي أو بعد المتكلم لم تسمع إلا ثاد، بغير ألف، ويؤيي هذا أيضاً ما جاء أن المتكلم بهذا الكلام كان بعيداً عن عمر وكان يرفع صوته ليسمع، جاء في الحديث: (لَمَّا كَانَتِ الرَّمَادَةُ، وَأَنْجَلَتِ فَسَالَتِ الْأَوَدِيَةُ وَسَالَ الْعَقِيقُ، أُتِيَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابَ، فَقَبَلَ لَهُ: سَالُ الْعَقِيقِ، فَخَرَجَ عَلَى فَرَسِ عُرُبٍ، فَوَقَفَ عَلَى السَّيْلِ مَعَهُ نَاسٌ كَثِيرٌ، فَقَالَ أَعْرَابِيٌّ وَهُوَ عَلَى شَاطِئِ الْوَادِيِّ: مَنْ هَذَا الشَّيْخُ الْفَدْعَمُ الْأَبِيَضُ الْأَصْلَعُ عَلَى الْفَرَسِ؟ فَقَالُوا: أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، فَدَنَّا الْأَعْرَابِيُّ حَتَّى كَانَ عَلَى رَتْوَةٍ فِي السَّيْلِ، ثُمَّ صَاحَ: يَا ابْنَ حَنْتَمَةَ، جَازَكَ اللَّهُ حَيْرًا، فَوَاللَّهِ مَا كُنْتُ فِيهَا يَا ابْنَ ثَادَاءَ، فَأَلَوَى عُمَرُ بْنِهِ أَنْ اعْبُرَا، فَلَمْ يُنْ جَوَاهِهُ حَتَّى عَبَرَ، ثُمَّ قَالَ: أَنْتَ الْقَائِلُ مَا قُلْتَ، وَيَحْكَ، مَنْ أَنْتَ؟ قَالَ: أَنَا حَبِيبُ بْنُ عِصَامَ الْمُحَارِبِيُّ، قَالَ: وَيَحْكَ لَوْ كُنْتَ أَنْفَقْتَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مَالِيَ وَمَالَ أَبِي، لَكُنْتَ حَرِيَّاً حَتَّى مَضَتْ، وَلَكِنْ مَا أَنْفَقْتُ عَلَى الْمُسْلِمِينَ مِنْ مَالِهِمْ) (السرقسطي، ١٤٢٢هـ، ٣٩٨/١).

فصياح هذا الأعرابي بكلامه ليسعى دليلاً على إمكانية سقوط بعض الحروف عن الأذن، ويزيد من احتمال ذلك أن كثيراً من العرب تسهل المهمز فلا تنطق بها فلم يبق إلا ألف، وهي هوائية (ابن الجزري، ١٤٠٥هـ، ٩٢) لا تكاد تسمع من القريب إلا بمزيد إيضاح، فما بالك بمن كان بعيداً.

الجنة

عن أبي عريدة أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال في الحديث عن يوم القيمة: (...حَتَّى إِذَا أَرَادَ اللَّهُ رَحْمَةً مَنْ أَرَادَ مِنْ أَهْلِ التَّارِ، أَمَرَ اللَّهُ الْمَلَائِكَةَ أَنْ يُخْرِجُوا مَنْ كَانَ يَعْبُدُ اللَّهَ، فَيُخْرِجُوهُمْ

وَيَعْرُفُوهُمْ بِأَثَارِ السُّجُودِ، وَحَرَّمَ اللَّهُ عَلَى النَّارِ أَنْ تَأْكُلَ أَثَارَ السُّجُودِ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، فَكُلُّ أَبْنَ آدَمَ تَأْكُلُهُ النَّارُ إِلَّا أَتَرَ السُّجُودَ، فَيَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ، قَدْ امْتَحَنُوهُمْ فَيُصَبِّ عَلَيْهِمْ مَاءُ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتونَ كَمَا تَنْبَتُ الْجِبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ...) رواه البخاري(البخاري، ١٤٢٢هـ، ١٦٠/١)، ومسلم(مسلم، د.ت، ١٦٣/١).

الجِبَّةُ - بكسر الحاء وتشديد الباء- (عياض، ١٤١٩هـ، ٣٣٨/١) اختلف العلماء في تفسير : (الجِبَّةُ) الواردة في الحديث، فذهب الفراء إلى أنها تطلق على حبوب البقل (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٧١/١)، فالمراد كما تنبت البقلة التي في أطراف مجاري الماء، ومن ذهب لهذا المذهب النضر بن شميل (عياض، ١٤١٩هـ، ٣٣٨/١)، وذهب أبو عبيد إلى أنَّ كل نبت له حب يطلق عليه هذا الاسم (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٧١/١)، ورأى الكسائي أن الجِبَّةَ هو حب الرياحين لا غير (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٧١/١)، وأما أبو عمرو فذهب إلى أنها نبتة من الحشائش (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٧١/١)، وعند الرجوع إلى المعاجم في تفسير الجِبَّةَ يتبيَّن لنا رأي آخر أيضاً، فالخليل يرى أن الجِبَّةَ إذا كانت الحبوب مختلفة من كل شيء (الفراهيدي، ٢٠٠٤م، ٣١/٣).

هذا التعدد في تعريف الدلالة يوجب على الباحث أمرَين: الأول: الرجوع إلى سياق الحديث ورواياته، والثاني: الجمع بين الآراء ما أمكن.

وعند الرجوع إلى سياق الحديث يتبيَّن المراد الإجمالي من التمثيل، فالنبي -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يزيد تشبُّهه إعادة الحياة فيمن خرج من النار وقد أحرقته بما يخرج من النبت في أطراف مسيل الماء بسبب الحبوب التي يحملها السيل معه -حميل السيل-، فإذا اتفق فيه الجِبَّةُ واستقرت على شط مجاري السيل نبتت في يوم وليلة، وهي أسرع نباتة نباتاً (الطبي، ١٩٩٧م، ٣٥٣٢/١١)، ويؤيد هذا المعنى ما ورد في بعض روایات الحديث: (... ألم تروا أنها تخرج صفراء ملتوية) (البخاري، ١٤٢٢هـ، ١٣/١) فهي لسرعة نباتها تكون ضعيفة، ولضعفها تكون صفراء ملتوية (البرماوي، ١٤٣٣هـ، ٦٤/١٦)، وهذا يشبه حال الخارجين من النار لضعفهم بما حصل لهم من العذاب في أول الأمر، ثم تشدَّ قوتهم، ويحسن حالهم^(١).

وعند إنعام النظر في الأقوال، نجد أن بعضها مقارب يمكن إرجاعه إلى معنى واحد، فقول أبي عمرو بأنها من الحشائش يرجع إلى قول الفراء لأن البقول حشائش، وكذلك قول الخليل بأن الجِبَّةَ الحبوب المختلطة؛ لأن الفراء لم يعيَّن نوعاً من البقول بل كل ما يطلق عليه بقل -وإن كان من حبوب متفرقة- فهو داخل ضمن تعريف الفراء، وعليه فلا مانع من إرادة جميع المعاني السابقة، وأما تخصيص الجِبَّةَ ببندور الرياحين -كما ذهب إليه الكسائي رحمة الله- فلم أر ما يؤيده من أقوال أصحاب المعاجم أو من سياق الحديث، والله أعلم. الرببة.

^(١) هذا عندي أولى من التفسير القائل بأن المراد بالصفراء الخضراء، وبملتوية: مجتمعـة الخلق قوية، والله أعلم.

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم في صلبه لنجران: (ولنجران وحسينا جوار الله وذمة محمد النبي على أنفسهم وأموالهم وأراضيهم وغائتهم وشاهدتهم وعشيرتهم وتباعيتهم، ولا يغيروا مما كانوا عليه، ولا يغيروا حق من حقوقهم ولا ملتهم، ولا يغيروا أسفف من أسففته، ولا راهب من رهابته، ولا واقه من وفبيته وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، وليس علهم رب ولا دم جاهليه، ولا يحشرون ولا يغشرون، ولا يطأ أرضهم جيئش، ومن سأله منهم حقاً فيبيتهم الصاف غير طالبين ولا مظلومين) (ابن شيبة، ١٣٩٩هـ، ٥٨٤/٢).

اختلف العلماء في تفسير قوله صلى الله عليه وسلم (ربية)، فعلماء الحديث يروونها بالتشديد في الباء والياء (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٣٧٨/١)، ولكنهم اختلفوا في حركة الراء، فمنهم من يضمنها (ربية)، ومنهم من يكسرها (ربية) (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٣٧٨/١)، ولكنها في كلا الحالين بكل الحركتين لا تعرف في اللغة (ابن سالم، ١٣٨٤هـ، ١٩٢/٢)، مما اضطر علماء اللغة إلى تحرير لهذه اللفظة، فذهب الزمخشري إلى أنها على وزن (فعولة) مأخوذة من كلمة الربا (الزمخشري، د.ت.، ٢٣/٢)، واستدل على ذلك بأن كلمة: سُرِّيَة، مأخوذ من السُّرُو - كما قال بعضهم - (الزمخشري، د.ت.، ٢٣/٢). ولكن الفراء لم يأخذ بأي من ذلك، بل ذهب إلى أنها: (ربية) بالتفخيف، وهي لغة في الريا، كالحببة - جاءت بالياء، مع كون أصلها الحببة - بالواو - (ابن سالم، ١٣٨٤هـ، ١٩٢/٢؛ (الزمخشري، د.ت.، ٢٣/٢))، ولم يلتفت إلى الرواية بالتشديد بل خطأها ولم يقُل لها شأنها، وهذا يظهر منها لدى الفراء في قبول اللغة، وهو التشدد في القبول وردد ما خالف اللغة في المحفوظ والقياس إلى ما وافق، وإن جاءت الرواية بخلافه.

وما ذهب إليه من كون الرببة - بالتفخيف - لغة في الريا، معروفة ومذكورة في المعاجم (الفراهيدي، ٢٠٠٤م، ٢٨٤/٨؛ الأزهري، ٢٠٠١م، ١٩٧/١٥؛ الجوهرى، ١٤٠٧هـ، ٢٣٥/٦)، وأما تحرير الزمخشري أنها فعولة من الريا كما في السُّرِّيَة، فيرد ما في المعاجم أن السُّرِّيَة مأخوذة من السُّرُّ الذي هو الجماع، أو من السُّرُّ الذي هو السرور؛ لأنها موضع سرور الرجل، أو من قولك: تسرَّتْ أو تسرَّتْ، وهي فعلية (الفراهيدي، ٢٠٠٤م، ١٩٠/٧؛ الأزهري، ٢٠٠١م، ٢٠٣/١٢؛ الجوهرى، ١٤٠٧هـ، ٦٨٢/٢؛ الحميري، ١٤٢٠هـ، ٢٩٠٣/٥)، فلا يستقيم بذلك تحرير الزمخشري لهذه الكلمة. ومنمن ذهب مذهب الفراء في كون اللفظة في الحديث بالتفخيف الخليل في العين (الفراهيدي، ٢٠٠٤م، ٢٨٤/٨)، والجوهرى في الصحاح (الجوهرى، ١٤٠٧هـ، ٦/٢٣٥).

الرجس النجس

جاء في الحديث الشريف عن أبي أمامة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: (لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقاً أن يقول: اللهم إني أعوذ بك من الريجس النجس، الخبيث المحبث، الشيطان الرجيم) (ابن ماجة، د.ت.، ١٠٩/١؛ النيسابوري، ١٤١١هـ، ٢٩٧/١).

عند الرجوع إلى معنى الرجس نجد لها معانٌ متعددة، فقد يراد بها القدر بعمومه (الزجاج، ١٤٠٨هـ، ٤٤١/٢؛ الجوهرى، ١٤٠٧هـ، ٩٣٣/٣؛ الأصفهانى، ١٤٠٦هـ، ٧٣٩/١)، فكل ما يستقدر رجس (الفيومي، د.ت.، ٢١٩/١)، وقد يراد به ما يستقدر من العمل خاصة (الزجاج، ١٤٠٨هـ، ٢٠٣/٢)، قال

الله تعالى: (إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقَعَ بِيَنْكُمُ الْعَدَاؤُ وَالْبَغْضَاءُ فِي الْخَمْرِ وَالْمُنِسِّرِ وَيَصُدُّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهُنَّ أَنْتُمْ مُنْتَهَىٰ) [سورة المائدة: ٩٠].

وَقَدْ يرَادُ بِهِ العَقَابُ وَالعِذَابُ (الزجاج، ١٤٠٨هـ، ١٤٠١هـ؛ الجوهرى، ٩٣٣/٣)، والغضب (الفراء، د.ت، ١/٤٨٠هـ، ٩٣٣/٣؛ الجوهرى، ٤٨٠هـ)، أو اللعنة في الدنيا والعناب في الآخرة (الزجاج، ١٤٠٨هـ، ٢٩٠/٢)، قال الله تعالى: (وَمَنْ يُرِدُ أَنْ يُضْلِلَ يَجْعَلُ صَدْرَهُ ضَيْقًا حَرَجًا كَانَمَا يَصَعُّدُ فِي السَّمَاءِ) [سورة الأنعام: ١٢٥].

وعند إمعان النظر في هذه المعاني نجد أنها مدلولات ناشئة عن سياق خاص وردت فيه هذه اللفظة، ولكننا عندما نرجع إلى المعاني الواردة في المعاجم نجد لها معانٍ أخرى، فالرجس -كما في العين- الصوت الشديد للرَّعِيدِ، والبعيرُ مرجسٌ وزاجمٌ، والرجس أي صوتٍ، والسحب يرجسُ بصوته، والغمام الرَّوَاجِسُ الرواعدُ (الفراء، ٤٠٠م، ٥٢/٦).

ولتعين المراد بها في الحديث نرجع إلى سياقه، فالنبي صلى الله عليه وسلم يرشد الداخل إلى الخلاء أن يستعذ من الرجس النجس، الخبيث المخبث، ثم أردفه بقوله: الشيطان الرجيم، فالذى يظهر لي أن هذه الأوصاف جميعها لموصوف واحد وهو الشيطان، وبؤكد هذا عدم وجود حرف العطف بين الكلمات، والذي سوَّغ وصفه بذلك الدلالة العامة لمعنى الرجس وهو ما يستقدر ولو استقداراً معنوياً، فالشيطان يصبح ويستقدر منه، ولذلك جاء وصفه بهذه اللفظة مبالغة في التنفير منه وحرصاً على الابتعاد عنه وعن طرقه ومسالكه.

قال الفراء تعقيباً على هذا الحديث: إذا بدأوا بالنجس ولم يذكروا الرجس فتحوا النون والجيم وإذا بدأوا بالرجس ثم أتباعوه التّجس كسروا النون (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١٩١/٢). يذكر الفراء في شرحه للغريب هنا ضابطاً لغويَا، وهو أن العرب إذا النجس وحدها ولم يرددوها بكلمة الرجس فتحوا نونها وجيمها فقالوا: التّجس، وإن ذكروا كلمة الرجس قبلها - كما في الحديث السابق - كسروا النون فقالوا: النّجس.

وهذا يظهر لنا منحى جديداً في تعامل الفراء مع الغريب؛ فهو يذكر الضوابط اللغوية التي لها اتصال باللفظة المفسّرة، وهذا ما يدل على سعة علمه بكلام العرب مما جعله يقرر هنا الضابط وغيره من الضوابط اللغوية التي يذكرها في كتبه، ويدل كذلك على حرصه على ضبط الألفاظ ضابطاً صحيحاً موافقاً للقواعد والضوابط التي يبني عليها العرب كلامهم، ولم ينفرد الفراء في ذكر هذا الضابط، بل تابعه على ذلك ابن السكيني (الأزهري، ٢٠٠١م، ٣١٣/١٠) وابن دريد (ابن دريد، ١٩٨٧م، ٤٧٦/١).

الصُّفُون

في الحديث عن عمر بن الخطاب أنه قال: (لَئِنْ بَقِيتَ لِأَسْوَىٰ بَيْنَ النَّاسِ حَتَّىٰ يَأْتِي الرَّاعِي حَفْهُ فِي صُفْنِهِ لَمْ يَعْرِقْ) (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٢٦٧/٣؛ ابن الجوزي، ٤٠٥هـ، ٥٩٥/١).

اختلف شراح الغريب في مدلول (صفنه) في حديث عمر، فقال الفراء: الصُّفُونُ: شَيْءٌ مثل الركوة يتوضأً فِيهِ (ابن سلام، ٤٠٥هـ، ٢٦٧/٣؛ ابن الجوزي، ٥٩٥هـ، ١)، وقال أبو عمرو: الصُّفُونُ:

خَرِيطة يَكُون لِلرَّاعي فِيهَا طَعَامَه وَزِنادَه وَمَا يَحْتَاج إِلَيْهِ (ابن سَلَام، ١٣٨٤هـ، ٢٦٧/٣؛ ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٥٩٥/١).

وَعِن الرَّجُوع إِلَى العِين لِلخَلِيل رَحْمَهُ اللَّهُ نَجْدَه يَقُول: "وَالصُّفْنَةُ دُلُّ صَغِيرٌ لَهَا حَلْقَةٌ عَلَى حِدَّه، فَإِذَا عَظُمَتْ فَاسْمُهَا الصُّفْنُ" (الْفَرَاهِيدِي، ٢٠٠٤م، ١٣٤/٧) وَهُوَ قَرِيبٌ مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْفَرَاءُ، وَمَا يُؤْيدُ ذَلِكَ مِنْ كَلَامِ الْعَرَبِ قَوْلُ سَاعِدَ بْنِ جُوبَةَ الْهَذَلِيِّ (دِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ، ١٣٨٥هـ، ١/١٨٠):

مَعَهُ سِقَاءً لَا يَفِرِطُ حَمَلَهٗ صُفْنٌ وَأَخْرَاصٌ يَلْحَنْ وَمِسَابٌ

قَالَ شَارِحُه: وَالصُّفْنُ: شَيْءٌ مِثْلُ السَّفَرَةِ يُسْتَقِنُ بِهِ الْمَاءُ (دِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ، ١٣٨٥هـ، ١/١٨٠)، وَقَوْلُ صَخْرِ الْغَيِّ (دِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ، ١٣٨٥هـ، ٢/٧٥):

خَيَاضُ الْمُدَابِرِ قِدْحًا عَطَوْفًا

يَقُولُ: حَضَّخَضُ الصُّفْنُ لَمْ أَقْدِرْ أَنْ أَسْتَقِنْ مِنْهُ (دِيَوَانُ الْهَذَلِيِّينَ، ١٣٨٥هـ، ٢/٧٥).

فِهِذِهِ الْأَبْيَاتِ تَؤْيِدُ أَنَّهُ إِنَاءٌ يُسْتَقِنُ مِنْهُ، وَمَا اسْتَقِنَ مِنْهُ يَتَوَضَّأُ مِنْهُ كَذَلِكَ فَصَحُّ قَوْلُ الْفَرَاءِ، عَلَى أَنَّ قَوْلَ أَبِي عُمَرٍ لَيْسَ بِبَعِيدٍ فَيُمْكِنُ الْجَمْعُ بِأَنَّ الصُّفْنَ وَعَاءٌ قَدْ يَسْتَعْمِلُ لِلْمَاءِ فَيُسْتَقِنُ مِنْهُ وَيَتَوَضَّأُ، وَقَدْ يَسْتَعْمِلُ وَعَاءٌ لِأَدْوَاتِ الرَّاعِي يَضْعُفُ فِيهَا مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ مِنْ طَعَامٍ وَزِنادَه (الْأَزْهَرِيُّ، ٢٠٠١م، ١٤٥/١٢).

المغافير

جاءَ فِي الْحَدِيثِ الْشَّرِيفِ عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، قَالَتْ: (كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحِبُّ الْعَسْلَ وَالْحَلْوَاءَ، وَكَانَ إِذَا انْصَرَفَ مِنَ الْعَصْرِ دَخَلَ عَلَى نِسَائِهِ، فَيَدْنُو مِنْ إِحْدَاهُنَّ، فَدَخَلَ عَلَى حَفْصَةَ بْنَتِ عُمَرَ، فَأَخْتَبَسَ أَكْثَرَ مَا كَانَ يَحْتَبِسُ، فَغَرَّتْ، فَسَأَلَتْ عَنْ ذَلِكَ، فَقَيْلَ لِي: أَهَدَتْ لَهَا امْرَأَةٌ مِنْ قَوْمِهَا عُكَّةً مِنْ عَسْلٍ، فَسَقَتِ النِّيَّابَةَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مِنْهُ شَرِبَةً، فَقُلْتُ: أَمَا وَاللَّهِ لَنْ تَحْتَالَنَّ لَهُ، فَقَلْتُ لِسَوْدَةِ بْنَتِ رَمْعَةَ: إِنَّهُ سَيَدِنُو مِنْكَ، فَإِذَا دَنَّا مِنْكَ فَقُولِي: أَكْلَتْ مَغَافِرَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكَ: لَا، فَقُولِي لَهُ: مَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ، فَإِنَّهُ سَيَقُولُ لَكِ: سَقَتِنِي حَفْصَةُ شَرِبَةً عَسْلِ، فَقُولِي لَهُ: جَرَسْتُ تَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، وَسَأَقُولُ ذَلِكَ، وَقُولِي أَنْتِ يَا صَفِيَّةَ ذَالِكَ، قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: فَوَاللَّهِ مَا هُوَ إِلَّا أَنْ قَامَ عَلَى الْبَابِ، فَأَرَدْتُ أَنْ أُبَادِيَهُ بِمَا أَمْرَتَنِي بِهِ فَرَقَّا مِنْكَ، فَلَمَّا دَنَّا مِنْهَا قَالَتْ لَهُ سَوْدَةُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَكْلَتْ مَغَافِرَ؟ قَالَ: لَا» قَالَتْ: فَمَا هَذِهِ الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ؟ قَالَ: «سَقَتِنِي حَفْصَةُ شَرِبَةً عَسْلِ» قَقَالَتْ: جَرَسْتُ تَحْلُهُ الْعُرْفُطَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ فَلَمْتُ لَهُ تَحْوَ ذَلِكَ، فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ صَفِيَّةَ قَالَتْ لَهُ مِثْلُ ذَلِكَ فَلَمَّا دَارَ إِلَيَّ حَفْصَةَ قَالَتْ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَلَا أَسْقِيَكَ مِنْهُ؟ قَالَ: لَا حَاجَةً لِي فِيهِ» قَالَتْ: تَقُولُ سَوْدَةُ: وَاللَّهِ لَقَدْ حَرَمْتَاهُ، قُلْتُ لَهَا: أَسْكُنِي» (الْبَخَارِيُّ، ١٤٢٢هـ، ٧/٤٤؛ مُسْلِمُ، د.ت.، ٢/١١٠).

لِفَظَةِ الْمَغَافِرِ الْوَارِدَةِ فِي الْحَدِيثِ صَمْعٌ حَلُو يَخْرُجُ مِنْ شَجَرِ الْعُرْفُطِ، وَجَرَسْتُ: رَعَتْ، فَالْمَعْنَى أَنَّ نَحْلَهُ هَذِهِ الْعَسْلِ الَّذِي شَرِبَتْهُ قَدْ رَعَتْ مِنْ الْعُرْفُطِ الَّذِي خَرَجَ صَمْعُهُ الْمَسْمِيُّ الْمَغَافِرِ، وَكَانَ هَذِهِ الْصَّمْعُ لِرِيحِ مُنْكَرَةٍ (ابْنُ قَتِيَّةَ، ١٣٩٧هـ، ١/٣١٥)، وَكَانَ -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ- يُحِبُّ أَلَا يَشَمَّ مِنْهُ إِلَّا الرِّيحَ الْطَّيِّبَةَ، وَكَرِهُ أَنْ تَوَجَّدَ مِنْهُ رَائِحةٌ، وَيَتَوَقَّعُ كُلُّ طَعَامٍ ذِي رَائِحةٍ (ابْنُ الْمَلْقَنَ، ١٤٢٩هـ، ٢/٤٣).

وقد اختلف الشرح في المغافير، فجمهور أهل العلم على ما ذكرنا(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ابن قتيبة، ١٣٩٧هـ، ٣١٤/١؛ الأزهري، ٢٠٠١م، ٢٢٢/٣؛ المبورقي، ١٤١٥هـ، ٥٣٩؛ ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، ٣٧٤/٣)، وقيل هو صمع طيب الرائحة(النووي، ١٣٩٢هـ، ٧٥/١٠؛ ابن الملقن، ١٤٢٩هـ، ٢٥٠/٢٥)، وقيل إن المغافير: **البُطْرُ**(ابن الملقن، ١٤٢٩هـ، ٤٣١/٢٣، ٤٢٩). ويرد هذين القولين أنه خلاف ما يقتضيه سياق الحديث؛ إذ قد صر في الحديث: (ما هنِه الرِّيحُ الَّتِي أَجِدُ مِنْكَ) وهذا يدل على رائحة غير جيدة، وَخَلَافٌ مَا قَالَهُ أَهْلُ الْلُّغَةِ(النووي، د.ت، ٧٦/١٠).

قال الفراء في بيانه لهذه اللفظة: وفيها لُغَةٌ أُخْرَى: المغافير بالثاء وهذا مثل قولهم: جدث وجَدَف وقولهم: ثُومٌ وفُومٌ وَمَا أَشْهَدَهُ فِي الْكَلَامِ مِمَّا نَدَخَلَ فِيهِ الْفَاءَ عَلَى الْثَّاءِ وَالْثَّاءَ عَلَى الْفَاءِ(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٢٥٦/٢).

فالفراء في هذا التعليق يبين لنا اللغات الجائزة في الكلمة، وهذا لا يعني ورود الرواية الحديثية بها، بل يزيد بذلك ما جاء عن العرب من النطق بهذه الكلمة، فقد رود عهم بالوجهين: بالفاء والثاء، مغافير، ومجافير، ويضيف على ذلك أن الفاء والثاء تتعاقبان ويبدل بعضهما من بعض كثيرا، وعند الرجوع إلى كتب الإبدال اللغوي نجد أن هذا الإبدال بين الثاء والفاء كثير في العربية فمن ذلك: رجل ذو ثروة وذو فروة، وتقول: وقع في عاثور شرّ وعافور شرّ، والثوم والفوم، واغتفت الخيال واغتثت إذا أصابها الربيع، وتلّغ رأسه وفلجه، وجلست في فناء داري وثناء داري، وغير ذلك كثير(الزجاجي، ١٣٨١هـ، ٨٩، أبي الطيب اللغوي، ١٣٨٠هـ، ١٨١/١)، والسبب في هذا الإبدال: أن الثاء لثوية والفاء شفهية فقد تقاربا بذلك في المخرج، وهو من مسوغات الإبدال: إذ لا إبدال بين الحروف إلا فيما تقارب منها(ابن جني، ١٤٢١هـ، ١٩٣/١).

وقد نصّ على هذا التعاقب بين الثاء والفاء في هذه الكلمة: ابن قتيبة في غريب الحديث(ابن قتيبة، ١٣٩٧هـ، ٣١٤/١)، الأزهري في تهذيب اللغة(الأزهري، ٢٠٠١م، ١٠١/٨)، والخطابي في معالم السنن(الخطابي، ١٣٥١هـ، ٤/٢٧٢).

النكل

ورد في الحديث: (إِنَّ اللَّهَ يَحْبُّ النَّكَلَ عَلَى النَّكَلِ قِيلَ: وَمَا النَّكَلُ؟ فَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: الرَّجُلُ الْقَوِيُّ الْمَجْرَبُ الْمُبَدِّيُّ الْمَعِيدُ عَلَى الْفَرْسِ الْقَوِيِّ الْمَجْرَبُ الْمُبَدِّيُّ الْمَعِيدُ)(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٣/٤؛ ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٤٣٧/٢).

ف(نكل) وهي اللفظة الغربية في الحديث، ورد بيان معناها والمقصود منها في تتمة الحديث، فالمقصود به الذي أبدأ في الغزو وأعاد حتّى عاد مجريا مرتاضاً في ذلك(الزمخشي، د.ت، ٢٣/٤)، فبقي القول في ضبط هذه الكلمة واستقاها.

أما استقاها فهو من التنكيل، أي الذي يُنْكَلُ أعداءه، قال رؤبة(الزمخشي، د.ت، ٢٤/٤):

قد جرَبَ الأَعْدَاءُ مَيِّ نِكْلًا

نَطْحًا مَعَ الصَّكَ وَمَضْعًا أَكْلًا

وضبطها يجوز فيه وجهان: يجوز فيه: نَكَلٌ -فتحتين-، ويجوز نِكْلٌ -بكسر فسكون-(الزمخشي، د.ت، ٢٣/٤)، قال أبو عبيدة: "قَالَ الْفَراءُ: يُقَالُ: رَجُلٌ نَكَلٌ وَنِكْلٌ"(ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٤٤/٣)، ولم

ينفرد الفراء بتجویز هاتین اللغتين لهذه المفردة؛ أبو زید -رحمه الله- مجوز لهما (الزمخشري، د.ت، ٤/٢٣).

وهذا التعقیب من الفراء بین لنا منهجا في تحلیله للغريب، وهو بیانه للغات الواردة فيه إن كان ذا لغات، لکی يكون الناظر فيه على بصیرة بما یجوز في نطقها وما لا یجوز وإن لم يكن الحديث واردا إلا بواحدة، وفي ذلك ما لا یخفی من سعة علم الفراء ومن إثراء اللفظة المدروسة.

الهبت

جاء في الحديث من قول عمر بن الخطاب -رضي الله عنه-: (لَمَّا مَاتَ عُثْمَانُ بْنُ مَظْعُونٍ عَلَى فِرَاشِهِ قَالَ: هَبَّتِهُ الْمَوْتُ عِنْدِي مَتْرِلَةً حَيْثُ لَمْ يَمْتُ شَهِيدًا فَلَمَّا مَاتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى فِرَاشِهِ وَأَبْوَ بَكْرَ عَلِمَ أَنَّ مَوْتَ الْأَخْيَارَ عَلَى فُرُشِهِمْ) (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٣١٥/٣؛ ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٤٨٨/٢).

الهبت في الحديث السابق من الألفاظ الغربية الواردة في کلام العرب مما استدی شرحا وتعقیبا من أئمة اللغة؛ إذ الهبت في اللغة: الحمق والغفلة، قال الخلیل: هبت الرَّجُلُ فَهُوَ مَهْبُوتٌ. ورَجُلٌ مَهْبُوتٌ: لا عَقْلَ لَهُ، وَفِيهِ هَبْتُهُ شَدِيدَة، أَيْ: ضَعَفَ عَقْلُ (الفراء‌الهیدی، ٢٠٠٤م، ٣٥/٤).

وعند النظر إلى هذا المعنى نجده لا يستقيم إرادته في الحديث الوارد عن عمر، ولكننا عند إنها نظر يمكن أن نجد نوع تعلق به؛ وذلك أن كل أحمق ومغفل فهو وضعی القدر غالبا، وهو محظوظ المترکلة بين الناس، فإذا أخذنا بهذا المعنى العام وهو حَطَّ القدر ووضاعة المترکلة من غير النظر إلى كون الموصوف بها كامل العقل أو ناقصه، يمكن أن تكون مراده في الحديث، ويدل لهذا التطور الذي لحق بهذه الكلمة نص نفیس لابن فارس قال فيه: "وَهُبِتِ الرَّجُلُ هَبْتُ، وَفُلَانُ مَهْبُوتُ، أَيْ: لَا عَقْلَ لَهُ، ثُمَّ سُجِّيَ الْجَبَانُ الضَّعِيفُ هَبْتًا، كَانَهُ قَدْ هُبِتَ" (ابن فارس، ١٣٩٩هـ، ٢٧/٦).

فأیت ترى في النص أن دلالة الكلمة في أصل اللغة دلت على شيء ثم انسحب تدريجيا إلى معنى آخر له نوع اتصال بالمعنى الأصلي، وهو ما أشار له ابن فارس بقوله: ثم سجي....

قال الفراء: قَوْلُهُ: هِبْتُهُ يَعْنِي طَأْطَأَهُ ذَلِكَ عَنْدِي وَحَطَّ مِنْ قَدْرِهِ وَكُلَّ مَحْظُوتٍ شَيْئًا فَقَدْ هُبِتَ فَهُوَ مَهْبُوتٌ (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٣١٥/٣).

ولا يكتفي الفراء بذلك، بل نجده يستشهد لما ذهب إليه بما سمعه من فصحاء العرب، من قولهم منثورة أو منظومة، فنجده يکمل ما بدأ به في شرحه لهذه الكلمة وبيان صحة ما ذهب إليه في معناها حيث يقول: "أَشَدَّنِي أَبُو الْجَرَاحُ: وأَخْرَقَ مَهْبُوتَ التَّرَاقِ مُصَعَّدَ الْبَلَاعِيمِ رِخْوَ الْمُنْكَبَيْنِ عُنَابًا" (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٣١٥/٣).

فهو بذلك قد أزال ما قد يتعرض تفسيره للمفردة السابقة، بذكره لهذا الشاهد، ومع هذا لا يترك القارئ لوحده مه هذا الشاهد، بل يشرحه شرحا يزيل غموضه ويبين فيه وجه استشهاده، قال: "فالمهبوت الترقي المحظوظها الناقصها والعناب الغظيم الأنف" (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ٣١٥/٣).

وهذا المنحى في ذكر الشاهد ثم التعليق عليه وبيان الشاهد ووجه الاستشهاد من الفراء في زمنه المتقدم، يدل على مدى نضج التأليف اللغوي منذ عصوره المتقدمة، ويدل على مزيد حرصهم على

بيان المراد من كلام الله وكلام رسوله صلى الله عليه وسلم بكل ما أمكنهم من وسيلة، وهذا ما افتقدته بعض المؤلفات المتأخرة لغليظهم جانب الاختصار على الجانب الأهم وهو بيان معنى المفردة واتضاحها، وإزالة ما قد يعلق بها من لبس.

يُعرّب

ورد في الحديث الشريف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: (الثَّبَّبُ يُعرَبُ عَنْهَا لِسَانُهَا، وَالْبُكْرُ تُسْتَأْدَنُ فِي تَفْسِيْهَا) (البغوي، ٣/١٤٠ هـ).

اتفق العلماء على المعنى المراد من (يُعرّب) وهو الإفصاح والإبانة، فمعنى الحديث أن الثبّب لا بد أن تقول بلسانها ما تريده من قبول أو رفض لمزيد الزواج الذي خطّها، بخلاف البكر التي يكتفى بصماتها بعد استئذانها.

ولكم اختلافوا في ضبطها، هل هو بالتحفيف: يُعرّب، أو بالتشديد: يُعرَب، قال الفراء: هُوَ يُعرَب بالتشديد (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١/١٦٣)، غير أن علماء الحديث يرونونه بالتحفيف (ابن الجوزي، ١٤٠٥هـ، ٢/٧٧)، فلذلك ذهب ابن قتيبة إلى التحفيض، وأن التشديد خطأ (ابن قتيبة، ١٤٠٣هـ، ٢)، إلا أنها نجد الفراء يؤكد على التشديد ويرد التحفيض ولو كان الوارد بها، فيقول: هي – أي هذه اللفظة مأخوذة من قولك- عَرَبَتْ عَنِ الْقَوْمِ إِذَا تَكَلَّمَ عَنْهُمْ وَخَتَّاجَتْ لَهُمْ (ابن سلام، ١٣٨٤هـ، ١/١٦٣).

وللنظر في هذه الكلمة يجب الرجوع إلى أصلها هل معنى الإبانة والتلكلم المستفاد من كلمة: يُعرّب، مأخوذ من أعرّب أو من عَرَب؟ فإن كان من الأول فهي بالتحفيف، وإن كان من الثاني فهي بالتشديد، ولمعرفته ذلك لا بد من الرجوع للمعاجم ودواوين العرب، قال الخليل: وأعرب الرجل: أفصح القول والكلام (الفراهيدي، ٢٠٠٤م، ٢/١٢٨)، ثم قال بعد ذلك: وعَرَبَتْ عَنْ فلان، أي تكلّمت عنه بحجة (الفراهيدي، ٢٠٠٤م، ٢/١٢٩). يستفاد من نصّ الخليل أنه إن كان المقصود الإبانة والإفصاح فهي بالتحفيف، وإن كان المراد إبارة الحجة فهي بالتشديد، ويدلّ على أن الإفصاح والإبانة إنما هو بالتحفيف قولُ الكميٰت (الأزهري، ٢٠٠١م، ٢/٢١٩):

وَجَدَنَا لَكُمْ فِي آلِ حَامِيْمَ آيَةً تَأْوِلُهَا مِنَّا تَقِيٌّ وَمُغْرِبٌ

وبناءً على نصّ الخليل فالحديث إن كان يراد به أن الثبّب يُفصّحُ عنها لسانُها، فهو بالتحفيف، وإن كان المراد به أن لسانها يتحجّج لها فهو بالتشديد، وبالنظر إلى هذين المعنين - وإن كانوا متقابلين - يظهر ترجيح الأول لعدم احتياج الثبّب إلى بيان حجّتها لكي يؤخذ برأها، بل يكتفى بقولها وإن لم تُبَدِّلْ أي سبب لما اختارته، وعلى ذلك إجماع الفقهاء (ابن القطان، ١٤٢٤هـ، ٢/٨؛ موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، ١٤٣٣هـ، ٣/١٤٣).

إلا أنها نجد من المعجميين من ساوي بين مدلولي التعرّب والإعراب، وذهب إلى أن المقصود بكلٍّ مما الإبانة والإفصاح، قال أبو منصور الأزهري: "... قلت: الإعراب والتعرّب معناهُما واحد، وهو الإبانة.

يُقال: أعرَبَ عَنْهُ لسانُه وعَرَبَ أَيْ أَبَانَ وَفَصَحَّ^(١)، وذَكَرَ ذَلِكَ قَبْلَهُ أَبْنَ الْأَنْبَارِيَ فَقَالَ: هَمَا لِغْتَانَ، وَالْمَرَادُ يُبَيِّنُ. (ابن سلام، ٤١٣٨٤هـ، ٧٨/٢)، وَهَذَا مَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الزَّمْخَشْرِيُ (الزمخشري)، د.ت، ٤٠٩/٢، وَابْنُ الْأَثَيْرِ (ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، ٣٠٠/٣)، وَعَلَيْهِ فِيَصَحَّ لُغَوِيًّا - نَطْقُ الْفَظْةِ الْوَارَدَةِ فِي الْحَدِيثِ بِالْتَّخْفِيفِ، وَالْتَّشْدِيدِ: إِذْ الْمَعْنَى وَاحِدٌ، غَيْرُ أَنَّ الْوَارَدَ - وَهُوَ التَّخْفِيفُ كَمَا نَصَّ عَلَيْهِ الْأَئْمَةُ^(٢) - أَحَقُّ مِنْ غَيْرِهِ.

الخاتمة

بعد دراسة ما دوّنته الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام - رحمه الله - من آراء شيخه حامل لواء الكوفيين أبي زكريا يحيى بن زياد الفراء رحمه الله من تعليلات وأراء على ألفاظ الغريب النبوية مفرقة في كتابه *الحافظ غريب الحديث - عُمَدَةُ مَنْ جَاءَ بَعْدَهُ مِنْ أَصْحَابِ الْغَرِيبِ*، يمكننا أن ندون بعض الأمور التي نستطيع القول بأنها الضوابط العامة لمنهجية الفراء في تعامله مع غريب الحديث.

١. ذكره للغات الواردة عن العرب في المفردة الغريبة، وإن لم يرد بها الحديث.
٢. ذكر قول العامة في اللفظة، ثم رده وعدم الاعتداد به، وبيان الرأي فيه.
٣. رد الرواية الواردة في الحديث أو تقويمها بما يوافق ما يعلمه من مسموع اللغة وضوابطها.
٤. يستطرد -أحياناً- بذكر الضوابط المتعلقة باللفظة المفسرة.
٥. يستشهد لما فيه غرابة أو خلاف بين العلماء بما يقوى قوله.
٦. لا يكتفي -أحياناً- ببيان معنى المفردة فقط، بل أصل اشتقاها اللغوي.
٧. ربما يشير إلى أصل معنى المفردة اللغوية المشروحة، إن كان معناها الوارد في الحديث مخالفًا له بعد تطورها وانتقالها إلى معنى آخر.
٨. عند وجود عدة معانٍ للمفردة المذكورة في الحديث فإن ترجيح الفراء غالباً يكون بالنظر إلى المعنى العام الأنسب لمراد القائل.
٩. عند ذكره لمعنى مفردة ما فإنه ينزل ما قد يتبسّ بها من معاني مفردة أخرى مشابهة لها في اللفظ مخالفة في المعنى.

المصادر والمراجع

١. إبراهيم الحربي، إبراهيم بن إسحاق الحربي أبو إسحاق، ١٤٠٥هـ، غريب الحديث، تحقيق: سليمان العايد، جامعة أم القرى، مكة المكرمة.

^١ ديوانه: ١٨.

^٢ غريب الحديث لأبي عبيد ١/١٦٣، وغريب الحديث لابن الجوزي ٢/٧٧، والهداية في غريب الحديث ٣/٢٠٠.

٢. ابن الأثير الجزري، مجد الدين أبو السعادات المبارك بن محمد بن محمد ابن عبد الكري姆 الشيباني الجزري ابن الأثير، ١٣٩٩هـ، النهاية في غريب الحديث والأثر، تحقيق: طاهر أحمد الزاوي ومحمد محمد الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت.
٣. ابن الجزري، شمس الدين أبو الخير ابن الجزري، محمد بن محمد بن يوسف، ١٤٠٥هـ، التمهيد في علم التجويد، تحقيق: علي البواب، مكتبة المعرف.
٤. ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، ١٤٠٥هـ، غريب الحديث، تحقيق: عبد المعطي أمين قلعيجي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥. ابن القطان، علي بن محمد بن عبد الملك الكتامي الحميري الفاسي، أبو الحسن بين القطان، ١٤٢٤هـ، الإقناع في مسائل الإجماع، تحقيق: حسن فوزي الصعيدي، دار الفاروق الحديثة للطباعة والنشر، ط.
٦. ابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي، ١٤٢٩هـ، التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تحقيق دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، دار التوادر، دمشق، ط١.
٧. ابن جني، أبو الفتح عثمان بن جني الموصلي، ١٤٢١هـ، سر صناعة الإعراب، دار الكتب العلمية، بيروت.
٨. ابن حجر العسقلاني، أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني، ١٣٧٩هـ، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، دار المعرفة، بيروت.
٩. ابن دريد، أبو بكر محمد بن الحسن بن دريد الأزدي، ١٩٨٧م، جمهرة اللغة، تحقيق: رمزي بعلبكي، دار العلم للملايين.
١٠. ابن سلام، أبو عبيدة القاسم بن سلام بن عبد الله الهروي البغدادي، ١٣٨٤هـ، غريب الحديث، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية.
١١. ابن شبة، عمر بن شبة (واسمه زيد) بن عبيدة بن ربيطة النميري البصري، ١٣٩٩هـ، تاريخ المدينة، تحقيق: فهيم شلتوت.
١٢. ابن فارس، أحمد بن فارس بن ذكرياء القزويني الرازي، أبو الحسين، ١٣٩٩هـ، مقاييس اللغة، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الفكر.
١٣. ابن قتيبة، أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري، ١٣٩٧هـ، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبورى، مطبعة العانى.
١٤. ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم الدينوري، ١٤٠٣هـ، إصلاح غلط أبي عبيدة في غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبورى، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط١.

١٥. ابن قرقول، إبراهيم بن يوسف بن أدهم الوهانى الحمزى، أبو إسحاق، ١٤٣٣هـ، مطالع الأنوار على صحاح الآثار، دار الفلاح للبحث العلمي وتحقيق التراث، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط١.
١٦. ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقى، ١٤١١هـ، مسند أمير المؤمنين أبي حفص عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأقواله على أبواب العلم، تحقيق: عبد المعطي قلعي، دار الوفاء، المنصورة، ط١.
١٧. ابن ماجة، ابن ماجة أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، د.ت، سنن ابن ماجة، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار الكتب العلمية.
١٨. ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصارى، ١٤١٤هـ، لسان العرب، دار صادر، بيروت.
١٩. ابن هبيرة، يحيى بن هبيرة بن محمد بن هبيرة الذهلي الشيبانى، ١٤١٧هـ، الإفصاح عن معانى الصحاح، تحقيق: فؤاد عبد المنعم أحمد، دار الوطن.
٢٠. أبو البركات الأنبارى، عبد الرحمن بن محمد بن عبد الله الأنصارى، أبو البركات، كمال الدين الأنبارى، ١٤٠٥هـ، نزهة الألباء في طبقات الأدباء، تحقيق: إبراهيم السامرائي، مكتبة المنار.
٢١. أبو داود، أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني، ١٤٣٠هـ، سنن أبي داود، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة.
٢٢. أبي الطيب اللغوى، عبد الواحد بن علي اللغوى الحلبي، ١٣٨٠هـ، الإبدال، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات: المجمع العلمي بدمشق.
٢٣. أبي بكر الأنبارى، محمد بن القاسم بن محمد بن بشار، أبو بكر الأنبارى، ١٤١٢هـ، الزاهر في معانى كلمات الناس، تحقيق: حاتم الضامن، مؤسسة الرسالة.
٢٤. أبي عبيدة معمر بن المثنى، أبو عبيدة معمر بن المثنى التميمي البصري، ١٣٨١هـ، مجاز القرآن، تحقيق: محمد فؤاد سزكين، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٢٥. أبي عوانة، يعقوب بن إسحاق، ١٤١٩هـ، المستخرج، تحقيق: أيمن عارف، دار المعرفة.
٢٦. أحمد بن حنبل، أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيبانى، ١٤٢١هـ، مسند الإمام أحمد، تحقيق: شعيب الأرناؤوط، دار الرسالة، ط١.
٢٧. الأزهري، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروى، أبو منصور، ٢٠٠١م، تهذيب اللغة، تحقيق: محمد عوض مرعوب، دار إحياء التراث العربى، بيروت.
٢٨. الأصفهانى، أبو موسى محمد بن أبي بكر المدينى الأصفهانى، ١٤٠٦هـ، المجموع المغيث في غربى القرآن والحديث، تحقيق: عبد الكريم العزياوي، جامعة أم القرى.
٢٩. البخارى، محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى الجعفى، ١٤٢٢هـ، صحيح البخارى، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط١.

٣٠. البرماوى، شمس الدين البرماوى، أبو عبد الله محمد بن عبد الدائم، ١٤٣٣هـ، اللامع الصبيح بشرح الجامع الصحيح، دار النواذر، سوريا.
٣١. البغوى، محيى السنة، أبو محمد الحسين بن مسعود بن محمد بن الفراء البغوى الشافعى، ١٤٠٣هـ، شرح السنة، تحقيق: شعيب الأنطاوط، المكتب الإسلامي، دمشق، بيروت.
٣٢. بن سلام، أبو عبيد القاسم بن سلام بن عبد الله الهروى البغدادى، د.ت، الغريب المصنف، تحقيق: صفوان عدنان داودى، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.
٣٣. البهقى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردى الخراسانى، أبو بكر البهقى، ١٤٢٣هـ، شعب الإيمان، تحقيق: عبد العلي حامد، مكتبة الرشد.
٣٤. البهقى، أحمد بن الحسين بن علي بن موسى الخسروجردى الخراسانى، أبو بكر البهقى، ١٤٢٤هـ، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٣٥. الترمذى، محمد بن عيسى بن سورة بن موسى بن الضحاك، الترمذى، ١٩٧٥م، سنن الترمذى، تحقيق: أحمد شاكر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابى الجلى - مصر.
٣٦. الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكتانى بالولاء، الليثى، أبو عثمان، ١٤٢٤هـ، الحيوان، دار الكتب العلمية.
٣٧. الجواليقى، أبو منصور، ١٤١٠هـ، المعرب من الكلام الأعجمى على حروف المعجم، تحقيق: ف عبد الرحيم، دار القلم، دمشق.
٣٨. الجوهرى، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى الفارابى، ١٤٠٧هـ، الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية، تحقيق: أحمد عطار، دار العلم للملايين.
٣٩. الحاكم النيسابورى، أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد، ١٤١١هـ، المستدرك على الصحيحين، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٠. الخطابى، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستى المعروف بالخطابى، ١٣٥١هـ، معالم السنن، المطبعة العلمية.
٤١. الخطابى، أبو سليمان حمد بن محمد بن إبراهيم بن الخطاب البستى المعروف بالخطابى، ١٤٠٢هـ، غريب الحديث، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، دار الفكر.
٤٢. ديوان الكميت، ٢٠٠٠م، جمع وشرح وتحقيق: محمد نبيل الطريفى، دار صادر، بيروت.
٤٣. الزبىدى، محمد بن محمد بن عبد الرزاق الحسیني، أبو الفیض، الملقب بمرتضى، الزبىدى، د.ت، تاج العروس من جواهر القاموس، دار المهدية.
٤٤. الزجاج، إبراهيم بن السرى بن سهل، أبو إسحاق الزجاج، ١٤٠٨هـ، معانى القرآن وإعرابه، تحقيق: عبد الجليل شلبي، عالم الكتب، بيروت.
٤٥. الزجاجى، عبد الرحمن إسحاق الزجاجى أبو قاسم، ١٣٨١هـ، الإبدال والمعاقبة والنظائر، تحقيق: عز الدين التنوخي، مطبوعات: المجمع العلمي بدمشق.

٤٦. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ١٤١٩هـ، أساس البلاغة، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٧. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، ١٩٨٧م، المستقصى في أمثال العرب، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٨. الزمخشري، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله، د.ت، الفائق في غريب الحديث، تحقيق: علي البحاوي، دار المعرفة.
٤٩. السرقسطي، قاسم بن ثابت بن حزم العوفي السرقسطي، أبو محمد، ١٤٢٢هـ، الدلائل في غريب الحديث، تحقيق: محمد القناص، مكتبة العبيكان، الرياض.
٥٠. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ١٤١٦هـ، شرح السيوطي على مسلم، تحقيق: أبو إسحاق الحويبي، دار ابن عفان.
٥١. السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، ١٤١٨هـ، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق: فؤاد علي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٥٢. الشعراء المذليون، ١٣٨٥هـ، ديوان المذليين، ترتيب وتعليق: محمد محمود الشنقطي، الدار القومية للطباعة والنشر، القاهرة.
٥٣. الشنفرى، ديوان الشنفرى، د.ت، تحقيق: إميل يعقوب، دار الكتاب العربي.
٥٤. الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني، ١٤١٥م، المعجم الكبير، تحقيق: حمدي السلفي، دار ابن تيمية، القاهرة.
٥٥. الطبيبي، شرف الحسن بن عبد الله الطبيبي، ١٩٩٧م، شرح الطبيبي على مشكاة المصايب، تحقيق: عبد الحميد هنداوى، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة - الرياض.
٥٦. العبدى، ديوان المثقب العبدى، تحقيق: حسن الصيرفى، معهد المخطوطات العربية.
٥٧. علي الحلى، علي بن إبراهيم بن أحمد الحلى، ١٤٢٧هـ، السيرة الحلبية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٢.
٥٨. الفراء، أبو زكريا يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي الفراء، د.ت، معاني القرآن، تحقيق: أحمد نجاتى، الدار المصرية للتأليف، مصر.
٥٩. الفراهيدى، الخليل بن أحمد الفراهيدى، ٢٠٠٤م، العين، تحقيق: مهدي المخزومى، دار الهلال.
٦٠. الفيومى، أحمد بن محمد بن علي الفيومى ثم الحموى، أبو العباس، د.ت، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، المكتبة العلمية، بيروت.
٦١. القاضي عياض بن موسى، ١٤١٩هـ، إكمال المعلم بفوائد مسلم، تحقيق: يحيى إسماعيل، دار الوفاء، المغرب.

٦٢. القسطي، أبو الحسن جمال الدين بن يوسف القسطي، ٢٠٠٦م، إنباه الرواة على أنباه النهاة، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر.
٦٣. الكسي، أبو محمد عبد الحميد بن حميد بن نصر الكسي، ١٤٠٨هـ، المنتخب من مسند عبد بن حميد، تحقيق: صبحي السامرائي، مكتبة السنة.
٦٤. لبيد بن ربيعة بن مالك، أبو عقبة العامري، ١٤٢٥هـ، ديوان لبيد بن ربيعة العامري، تحقيق: حمدو طمّاس، دار المعرفة.
٦٥. المخزومي، مهدي المخزومي، ١٣٧٧هـ، مدرسة الكوفة ومنهجها في دراسة اللغة وال نحو، مصطفى البابي الحلبي، مصر، ط٢.
٦٦. مسلم، سلم بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري، د.ت، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٧. المفضل الصبي، المفضل بن محمد بن يعلى بن سالم الضبي، د.ت، المفضليات، تحقيق: أحمد شاكر، دار المعارف.
٦٨. المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي بن عبد القادر بن محمد المقريزي، ١٤٢٠هـ، إمتع الأسماع بما للنبي صلى الله عليه وسلم من الأحوال والأموال والحفدة والمتاع، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط١.
٦٩. موسوعة الإجماع في الفقه الإسلامي، ١٤٣٣هـ، لمجموعة مؤلفين، دار الفضيلة، المملكة العربية السعودية.
٧٠. الميداني، أبو الفضل أحمد بن محمد بن إبراهيم الميداني النيسابوري، د.ت، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محبي الدين عبد الحميد، دار المعرفة.
٧١. الميورقي، أبو عبد الله محمد بن فتوح بن عبد الله الحميدي الأزدي الميورقي، ١٤١٥هـ، تفسير غريب ما في الصحيحين، تحقيق: زبيدة عبد العزيز، مكتبة السنة.
٧٢. نشوان الحميري، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ١٩٤٨م، الحور العين، تحقيق: كمال مصطفى، مكتبة الخانجي، القاهرة.
٧٣. نشوان الحميري، نشوان بن سعيد الحميري اليمني، ١٤٢٠هـ، شمس العلوم ودواء كلام العرب من الكلوم، تحقيق: حسين العمري، دار الفكر، دمشق.
٧٤. النووي، أبو زكريا محبي الدين يحيى بن شرف النووي، ١٣٩٢هـ، شرح النووي على مسلم، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
٧٥. ياقوت الحموي، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، ١٤١٤هـ، معجم الأدباء، تحقيق: إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي، بيروت.

أثر السياسات النقدية على التنمية الاقتصادية في السودان خلال الفترة ١٩٩٧ - ٢٠٢٣ م

مصطفى الرضي أحمد^(١)

المستخلص:

هدفت الدراسة للتعرف على أثر السياسة النقدية على التنمية الاقتصادية في السودان خلال الفترة (١٩٩٧ - ٢٠٢٣ م)، اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي في جمع البيانات وتم جمع البيانات باستخدام المصادر الثانوية، وتم تحليل نماذج انحدار السلاسل الزمنية باستخدام منهجية الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة (ARDL) للتحقق من وجود علاقة تكاملية طويلة الأجل بين المتغير التابع والمستقل. خضعت الدراسة إلى مجموعة من الاختبارات. أظهرت نتائج الدراسة معنوية العلاقة بين المعروض النقدي والإنفاق على التعليم حيث بلغت قيمة الاحتمالية $P = 0.01$ ، كما أظهرت وجود علاقة عكssية حيث ظهرت المعلمة بالإشارة السالبة وقد بلغت $\text{Coefficient} = -0.008721$ مما يعني زيادة المعروض النقدي يؤثر سلباً على الإنفاق على التعليم. ومعنىـة العلاقة بين سعر الصرف والإنفاق على التعليم حيث بلغت قيمة الاحتمالية $P = 0.05$ ، كما أظهرت وجود علاقة طردية حيث ظهرت المعلمة بالإشارة الموجبة وقد بلغت $\text{Coefficient} = 0.134953$ مما يعني زيادة سعر الصرف يؤثر بصورة إيجابية على الإنفاق على التعليم، أوصت الدراسة بالتحكم في المعروض النقدي بما تؤثر إيجاباً على نصيب الفرد والإنفاق على التعليم، والتحكم في سعر الصرف من أجل زيادة قيمة العملة الوطنية والتي تتعكس بصورة إيجابية على زيادة نصيب الفرد وزيادة نفقات التعليم الأمر الذي يزيد من التنمية الاقتصادية في الدولة.

الكلمات المفتاحية: الناتج المحلي، المعروض النقدي، سعر الصرف

المقدمة:

حظيت السياسة النقدية باهتمام كبير من قبل الباحثين الاقتصاديين، بسبب الدور الهام الذي تلعبه في النشاط الاقتصادي، عن طريق أدواتها المختلفة التي يمكن عن طريقها معالجة المشكلات الاقتصادية ذات الصلة بها ولعل أبرز هذه المشكلات التنمية الاقتصادية.

وتعد السياسات النقدية من أهم السياسات الاقتصادية وتأتي أهميتها من تأثيرها الكبير على النظام، ولزيادة أهمية التنمية الاقتصادية للدول المختلفة والتي يطلق عليها لفظاً أقل حدة وهو "الدول النامية" والتي تسعى إلى تجاوز فجوة التخلف وتسعي في تخطيها للالتحاق بركب التقدم والسودان كواحدة من هذه الدول يأمل في التقدم والنهضة والبناء وتحريك عجلة التنمية الاقتصادية منذ أن نال استقلاله وإلى الآن ولكن ما أن يتقدم خطوة حتى يقهقر ويتراجع نتيجة لمجموعة من الأسباب ولعل أبرزها تلك التي تتعلق بالحروب الأهلية والاختلافات السياسية والصراع على كرسي الحكم وغيرها من الأسباب.

(١) أستاذ مساعد بقسم الاقتصاد - كلية العلوم التنموية والتكنولوجية - الأبيض - السودان

مشكلة الدراسة:

انعكست الأزمات الاقتصادية الأخيرة (١٩٩٧ - ٢٠٢٣م) على مؤشرات الاقتصاد الكلية وجعلته في مواجهة مشكلات اقتصادية متداخلة ومتتشابكة وعليه فإن مشكلة الدراسة تتضح في السؤال الرئيسي ما هو أثر السياسة النقدية على التنمية الاقتصادية في السودان في الفترة من ١٩٩٧-٢٠٢٣م، ويتفرع منه تساؤلات فرعية هي:

١. هل يؤثر المعرض النقدي على التنمية الاقتصادية بالسودان؟
٢. هل تؤثر سياسة سعر الصرف على التنمية الاقتصادية بالسودان؟

أهداف الدراسة:

تتمثل أهداف الدراسة في:

١. التعرف على أثر المعرض النقدي على التنمية الاقتصادية في السودان في الفترة من ١٩٩٧ م - ٢٠٢٣م.
٢. التعرف على أثر سياسة سعر الصرف على التنمية الاقتصادية في السودان في الفترة من ١٩٩٧ م - ٢٠٢٣م.

أهمية الدراسة:

الأهمية العلمية:

تكمن أهمية الدراسة العلمية في المساهمة وإثراء المكتبات بمعلومات حول السياسة النقدية المطبقة في السودان والتعرف على أثر كل من المعرض النقدي وسعر الصرف خاصة في الفترة (١٩٩٧ - ٢٠٢٣م).

الأهمية العملية:

توضيح أهمية الجانب العملي "التطبيقي" للسياسات النقدية وانعكاسها على التنمية الاقتصادية من خلال:

- التعرف على السياسة النقدية وأثرها على التنمية الاقتصادية.
- المساعدة في وضع الخطط الإستراتيجية للسياسات النقدية.

فروض الدراسة:

قامت الدراسة على الفروض التالية:

الفرضية الرئيسية: تؤثر السياسات النقدية في التنمية الاقتصادية بالسودان:

- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين المعرض النقدي والتنمية الاقتصادية بالسودان.
- توجد علاقة ذات دلالة إحصائية بين سياسة سعر الصرف والتنمية الاقتصادية بالسودان.

مبررات اختيار موضوع الدراسة:

تم اختيار موضوع الدراسة خلال الفترة ١٩٩٧ - ٢٠٢٣ م للأهمية الكبيرة التي تتمتع بها السياسة النقدية وتأثيرها المباشر على النظام المالي فـأي اختلال في النقدي ينعكس على النظام الاقتصادي من خلال مستوى التشغيل والإنتاج وتوزيع الثروة والدخل الحقيقي، فـتأتي هذه الدراسة في فترة شهد فيها الاقتصاد السوداني مجموعة من العوامل أبرزها انعدام السيولة والارتفاع المستمر في سعر الصرف وانخفاض العملة الوطنية والذي يعتبره الكثير من الاقتصاديين السبب الأساسي في خلق كل الأزمات الأخيرة من ثورة شعبية وحروب أهلية وأخيراً انفجار حرب في آخر سنوات الدراسة والتي أطلق عليها مسمى حرب ١٥ أبريل ٢٠٢٣م.

منهجية الدراسة:

أتبعت الدراسة المناهج التالية:

المنهج التاريخي: لعرض الدراسات السابقة التي لها علاقة بموضوع الدراسة.

المنهج الاستنباطي: لتحديد أبعاد مشكلة الدراسة وصياغة الفرضيات.

المنهج الاستقرائي: لاختبار فرضيات الدراسة ومعرفة مدى قبولها ورفضها.

منهج الاقتصاد القياسي: لتحليل ووصف البيانات واختبار الفرضيات وتحليل النتائج من استخدام

النماذج القياسية واستخدام المعادلات الآتية.

مصادر جمع البيانات:

مصادر أولية: بيانات كمية (مؤشرات التنمية العالمية، تقارير البنك الدولي، تقارير بنك السودان المركزي، تقارير إحصائية لوزارة المالية من ١٩٩٧ - ٢٠٢٣ م).

مصادر ثانوية: الكتب والمراجع، المجلات والدوريات والمؤتمرات العلمية، الإنترنت.

الأساليب الإحصائية المستخدمة في الدراسة:

اعتمدت الدراسة على منهجية الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة (ARDL) Autoregressive Distributed Log model والتي تعتبر من الطرق القياسية الحديثة والتي تستخدم في تقدير معاملات نماذج الانحدار في كل من الأجل القصير والأجل الطويل، وتمتاز هذه المنهجية بإمكانية أن تجمع متغيرات ذات أكثر من مستوى من الاستقرار، ولا يشترط أن تكون جميعها مستقرة عند نفس المستوى وليس أي المتغيرات المستقلة منتكاملة من الدرجة الثاني أو رتبة أعلى، وتم استخدام الانحدار المتعدد وذلك بعد اختبار سكون متغيرات الدراسة، مع الاستعانة بالرسومات البيانية لتوضيح التحركات والتقلبات الزمنية التي تعرضت لها متغيرات الدراسة، تمت الاستعانة ببرنامج إل (Eviews) لقياس تقدير أساليب التحليل القياسي بهدف قياس المتغيرات المستقلة على المتغير التابع.

نموذج الدراسة:

يمكن صياغة نموذج الدراسة كالتالي:

$$SGDP = \alpha_0 + \alpha_1 MR + \alpha_4 EX + U_{t1}$$

حيث:

جدول رقم (١): توصيف متغيرات النموذج

نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي	SGDP
المعرض النقدي	MR
سعر الصرف	EX

حدود البحث:

الحدود المكانية: الاقتصاد السوداني.

الحدود الزمنية: من العام ١٩٩٧ - ٢٠٢٣م.

الحدود الموضوعية: تم استخدام نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي كقياس للتنمية الاقتصادية.

الدراسات السابقة:

دراسة وراق (٢٠١٢) بعنوان أثر تغير النقود على الناتج المحلي الإجمالي وسعر الصرف والمستوى العام للأسعار في السودان، هدفت الدراسة إلى تحليل أثر تغير عرض النقود على المتغيرات الاقتصادية من خلال توصيف وتقدير نموذج قياسي لدراسة وتحليل فرضيات الدراسة المتمثلة في أن عرض النقود يؤثر على الاستقرار الاقتصادي، توصلت الدراسة إلى فترة الدراسة شهدت ارتفاعاً ملحوظاً في عرض النقود، أن معدل النمو الفعلي تجاوز المستهدف في معظم فترة الدراسة، أوصت الدراسة بضرورة تحديد الحجم الأمثل للسيولة في الاقتصاد لضمان تناسب عرض النقود والأهداف الاقتصادية الكلية.

تناولت دراسة ليماء (٢٠١٨) الدراسة فعالية السياسة النقدية في تحقيق الاستقرار الاقتصادي في الجزائر خلال الفترة من ٢٠٠١ - ٢٠١٧م، هدفت الدراسة على التركيز على فعالية السياسة النقدية في تحقيق التوازنات الاقتصادية الكلية الداخلية وبالتالي تحقيق الاستقرار الاقتصادي، توصلت الدراسة إلى أن السياسة النقدية في الجزائر لم تكن فعالة بشكل الكافي ولا تزال بحاجة إلى فعالية أكثر في تحقيق الاستقرار الاقتصادي، تم تحقق استقرار اقتصادي في الجزائر لكن نتيجة تطبيق سياسة مالية توسيعية بالمحاذات مع السياسة النقدية وهذا الاستقرار غير ملائم نتيجة عدم استقرار الجزائر في العام ٢٠١٤م، أوصت الدراسة السعي لتفعيل السياسة النقدية غير مباشرة من خلال بناء ثقة أكثر جدية بين المجتمع والنظام المالي في الجزائر، ضرورة إتباع سياسة نقدية أكثر فعالية تقوم على الصراامة والشفافية والدقة في اتخاذ القرار وذلك من خلال اعطاء استقلالية أكثر للسلطة النقدية في اتخاذ قراراتها وتحديد أهدافها.

هدفت دراسة محاسن (٢٠١٩) إلى معرفة أثر العرض النقدي على معدلات التضخم في السودان للفترة من ٢٠١٠ - ٢٠١٨م، معرفة المفاهيم الأساسية للعرض النقدي ومعدلات التضخم والعلاقة التي تربطهما، تم استخدام المنهج الوصفي التحليلي لفرضيات الدراسة، توصلت الدراسة إلى وجود

علاقة طردية بين عرض النقود ومعدل التضخم، فكلما زاد عرض النقود زادت معدلات التضخم، وأن ٦٨٠٪ من المتغيرات في معدل التضخم يحدث بسبب التغير في عرض النقود، تكلفة التمويل. أوصت الدراسة بضرورة التقليل من العرض النقدي لتخفيض حدة التضخم. العمل على زيادة نسبة الاحتياطي لتقليل عرض النقود وبالتالي تقليل حدة التضخم.

تناولت دراسة هبة (٢٠٢٠م) العوامل المؤثرة على سعر الصرف للجنيه السوداني خلال الفترة (١٩٩٨ - ٢٠١٨م)، أتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي والمنهج القياسي والاحصائي في الجانب التطبيقي، توصلت الدراسة الى أن هناك علاقة عكssية بين سعر الصرف ومعدل نمو الناتج المحلي الإجمالي وهامش المربحة، وجود علاقة طردية بين سعر الصرف ومعدل التضخم، أوصت الدراسة بالعمل على تحقيق معدلات تضخم متدنية وذلك باتخاذ السياسات التي تساعده على تقليل معدلات التضخم حيث يمكن البنك المركزي من المحافظة على استقرار سعر الصرف والعمل على زيادة الإنتاج والإنتاجية وتحسين جودة السلع والخدمات المنتجة محلياً التي تؤدي بدورها إلى زيادة الناتج المحلي الإجمالي مما ينعكس إيجاباً على النمو الاقتصادي واستقرار سعر الصرف.

دراسة أمير و عاتكة (٢٠٢١م) بعنوان السياسات النقدية وأثرها على ميزان المدفوعات في السودان خلال الفترة من ١٩٩٢-١٩٩٢ م هدفت الدراسة إلى التعرف على السياسة النقدية وبيان أدواتها المستخدمة في السودان، اعتمدت الدراسة على المنهج الوصفي التحليلي لتفسير وتحليل أثر السياسة النقدية على ميزان المدفوعات في السودان خلال فترة الدراسة باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية (Eviews-9.5)، توصلت الدراسة لنتائج من أهمها أن زيادة عرض النقود أدت إلى زيادة في عجز ميزان المدفوعات في السودان خلال الفترة ١٩٩٢-١٩٩٢ م، زيادة هامش المرباحات أدت إلى زيادة في عجز ميزان المدفوعات في السودان وزيادة نسبة الاحتياطي النقدي أدت إلى المزيد من العجز في ميزان المدفوعات السوداني خلال فترة الدراسة، أوصت الدراسة بمعالجة الاختلالات في ميزان المدفوعات السوداني باستخدام أدوات السياسة النقدية بصورة أكثر كفاءة، العمل على تفعيل دور السياسة النقدية عند استخدام آليات السياسة النقدية لمعالجة الضغوط في ميزان المدفوعات.

هدفت دراسة صلاح (٢٠٢١م) إلى معرفة أثر عدم استقرار سعر الصرف في ميزان المدفوعات في السودان خلال الفترة ١٩٧٩ - ٢٠١٧م، استخدمت الدراسة منهج التحليل الاحصائي والقياسي. توصلت الدراسة الى أن زيادة سعر الصرف يؤدي الى زيادة معدلات التضخم الذي يحدث في ميزان المدفوعات. ومن ثم أتضح أن هناك ضعف في حصيلة الصادرات من العملات الأجنبية وزيادة في الواردات مما يؤدي الى شح النقد الأجنبي وعجز في ميزان المدفوعات، أوصت الدراسة بضرورة التنسيق والتشاور بين البنك المركزي والمصارف العاملة عند وضع السياسات النقدية المتعلقة بالنقد الأجنبي واحكام تطبيقها بهدف استقرار سعر الصرف، وإعادة تركيبة الصادرات الأولية الى تركيبة مصنعة في شكل سلع نهائية، إضافة الى شراء الذهب للاحتفاظ به كاحتياطي نفدي، والحفاظ على سياسة سعر الصرف المرن المدار.

هدفت دراسة زبيدة (٢٠٢١م) تقدير دالة سعر الصرف في السودان وذلك باختبار علاقة الناتج المحلي الإجمالي، احتياطي النقد الأجنبي، التضخم الانفتاح التجاري، استخدمت الدراسة بيانات السلالل الزمنية التي تغطي الفترة من (١٩٩٠ - ٢٠٢١م)، ونموذج الانحدار الذاتي ذو الفجوات الزمنية الموزعة (ARDL) لاكتشاف العلاقة قصيرة وطويلة الأجل، وتوصلت إلى أن هناك تأثير عكسي للناتج المحلي الإجمالي، احتياطي النقد الأجنبي، الانفتاح التجاري على سعر الصرف. بينما يؤثر التضخم طردياً على سعر الصرف، وأن الناتج المحلي الإجمالي فقط له تأثير معنوي في الأجل الطويل. أوصت الدراسة بزيادة الطاقة الإنتاجية للقطاعات ذات الأولوية لتحسين موقف الصادرات لزيادة حصيلة النقد الأجنبي والمحافظة على استقرار سعر الصرف.

أوجه الشبه والاختلاف بين هذه الدراسة والدراسات السابقة:

بعد استعراض الدراسات السابقة ذات الصلة بالدراسة الحالية يمكن القول أن الدراسة استفادت من كل الدراسات السابقة حيث وجدت الدراسة توافق فكري بينها وبين الدراسات السابقة مما يعني سيرها في مسار صحيح ودقة اختيار متغيراتها، تميز هذه الدراسة بالحداثة التاريخية، واستخدمت البيانات الكمية وسلالل الزمنية في جمع وتحليل البيانات، كما تطرقت للسياسات النقدية في ظروف بالغة التعقيد خلال فترة الدراسة (١٩٩٧ - ٢٠٢٣م)، وقد لاحظ أن معظم الدراسات السابقة قد تناولت مؤشر فقط بينما الدراسة تناولت مؤشرى المعروض النقدي وسعر الصرف، كما تميزت هذه الدراسة بأنها استخدمت منهجية حديثة واختبارات وطرق تحليل جديدة وهي منهجية الانحدار الذاتي للفجوات الزمنية الموزعة (ARDL) Autoregrssive Distributed Log modle وهي جديدة التطبيق على مكان الدراسة (الاقتصاد السوداني).

الإطار النظري:

مفهوم السياسة النقدية:

من المناسب في الحديث عن السياسة النقدية التعرف على ما شاع بين الأدبيات الاقتصادية من مفاهيم لهذه السياسة، فقد عرفها الاقتصادي كينت (Kent) بأنها: مجموعة من الوسائل التي تتبعها الإدارة النقدية لمراقبة عرض النقد بهدف بلوغ هدف اقتصادي معين كالاستخدام الكامل (الخياني، ٢٠١٣، ١٣).

لقد عُرفت أيضاً بأنها: جميع القرارات والإجراءات النقدية بصرف النظر عما إذا كانت أهدافها نقدية أم غير نقدية التي تؤخذ بهدف التأثير في النظام النقدي (على ناقة، ٢٠١٩، ١٢٦).

كما عرفت بأنها: الطريقة أو الطرق التي تتبعها السلطات النقدية في الدولة والمتمثلة بالبنك المركزي لتوجيه كمية النقود في التداول إلى التوسيع أو التقلص بقصد الوصول إلى هدف من أهداف السياسة النقدية (البكري وآخرون، ٢٠٠٢، ١٧٨).

أهداف السياسة النقدية:

تطورت أهداف السياسة النقدية مع تطور الفكر الاقتصادي، حتى أصبحت تتفق مع أهداف السياسة الاقتصادية بشكل عام، إذ توصلوا السياسة النقدية إلى أن الأهداف النهائية في

الوقت الراهن سواء في الدول المتقدمة أم في الدول النامية قد تركزت على الآتي (الخيكاني، ٢٠١٥،

:١٤)

١/ تحقيق الاستقرار في المستوى العام للأسعار.

٢/ تحقق الاستخدام الكامل.

٣/ تحقيق معدلات نمو اقتصادية مناسبة.

٤/ تحقيق الاستقرار في ميزان المدفوعات.

ماهية التنمية الاقتصادية:

بُذلت الكثير من المحاولات لتحديد مفهوم التنمية، حتى غدا هذا المفهوم من المفاهيم الشائعة لدى الأفراد أو الهيئات، هذا بعد أن تعددت مفاهيمها لدرجة أحدثت نوع من الخلط بينها وبين مفاهيم أخرى مثل: (التطور، التقدم، والنمو الاقتصادي) وعليه فإن مفهوم التنمية يتمثل في كونها: عمليات مخططة ومحجوبة في مجالات متعددة تحدث تغييرًا في المجتمع لتحسين ظروفه وظروفه أفراده.

يرى الاقتصادي البريطاني الشهير "مير بالدوين" أن التنمية الاقتصادية عملية تفاعلية يزداد خلالها الدخل الحقيقي للدولة خلال فترة معينة، ويتفق معه "بولدوين" على ذلك، ولكنه يضيف أن تحقيق التنمية يتطلب توافر معدلات عالية من النمو في قطاعات اقتصادية، واجتماعية، وسياسية أخرى (بالدوين، ٢٠٢٣، ٧).

أهداف التنمية الاقتصادية:

في ضوء هذا المفهوم يمكننا ذكر بعض الأهداف العامة التالية (احمد، ١٩٨٥، ٦٨):

أ. تنمية الموارد البشرية.

ب. التوسيع في الإنتاج النافع.

ج. رفع مستوى المعيشة.

د. التنمية المتوازنة.

هـ. التكنولوجيا الجديدة.

و. الحد من التبعية الوطنية للعالم الخارجي، وزيادة التكامل بين بلدان العالم الإسلامي.

الجانب التطبيقي:

نبذة عن الاقتصاد السوداني (محل الدراسة):

على الرغم من أن السودان من الدول الغنية بمواردها الاقتصادية المختلفة إلا أنه ظل في يعتمد بصورة أساسية على مجال الزراعة حيث تشير الإحصائيات إلى انشغال أكثر من ٨٠٪ من سكان السودان بالزراعة، وقد عانى السودان من مجموعة معوقات أبرزها الصراعات السياسية والاجتماعية والحروب الأهلية منذ فجر الاستقلال الأول وحتى الآن، إلا أن هنالك أزمات اقتصادية كان لها التأثير الأكبر ولعلها منها انفصال الجنوب في العام ٢٠١١م، والتي أفقدت الاقتصاد السوداني جزء كبير من موارده المعدنية وقد حاول جاهدًا في تعويض تلك الخسارة دون جدوى، وقد ظلت

عجلة التنمية الاقتصادية اصادم بالعقبات المذكورة وغيرها التي ظلت حجر عثرة أمام التنمية الاقتصادية.

في إطار الجانب التطبيقي للدراسة تم إخضاع بيانات الدراسة إلى عدة اختبارات منها:
اختبار ADF لسكون السلسلة: تم استخدامه بغرض سكون متغيرات الدراسة وأظهر النتائج الآتية:

جدول رقم (٢): نتائج اختبار ADF للاستقرار وسكون السلسلة

Augmented Dickey-Fuller test statistic					
Variables	t-Statistic	CV 1%	CV 5%	CV 10%	Prob.*
D (SGDP,2)	-7.639067	-3.752946	-2.998064	-2.638752	0.0000
D (MR)	-5.959771	-3.769597	-3.004861	-2.642242	0.0001
D (EX,2)	-7.265797	-3.752946	-2.998064	-2.638752	0.0000
D (EDUC)	-4.512018	-3.752946	-2.998064	-2.638752	0.0018

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من جدول رقم (٢) وجُدَّ أنه تم استخدام اختبار جذر الوحدة بتحديد ديكي فولر، تأسيسًا على نتائج اختبار جذر الوحدة (ديكي فولر) فإن كل متغيرات الدراسة سكنت بعدأخذ الفرق الثاني ويمكن اعتمادها عند مستوى ٥٪ وعليه يمكن استنتاج بأن متغيرات الدراسة هي غير ساكنة المستوى ولكنها ساكنة بعدأخذ الفرق الأول وكل متغير يعتبر متكامل من الدرجة الأولى.

اختبار Johnston للتكامل المشترك:

جدول رقم (٣): نتائج اختبار Johnston للتكامل المشترك لمعادلة نصيب الفرد

HyPothesized	Eigen Valu	Trace -Statistic	CV 5%	Prob.*
None *	0.980279	155.5529	69.81889	0.0000
At most 1 *	0.921126	80.95761	47.85613	0.0000
At most 2 *	0.611251	32.69944	29.79707	0.0225
At most 3	0.396696	14.74782	15.49471	0.0646
At most 4 *	0.237282	5.146480	3.841465	0.0233

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

يتضح من خلال نتائج جدول رقم (٣) والذي يعرض نتائج اختبار الأثر والقيمة العظمى لجوهانسون لمتغيرات نموذج دالة السياسة النقدية وأثرها على التنمية الاقتصادية نجد أنه سيتم رفض فرض عدم القائل بعدم وجود أي متجه للتكامل المشترك وقبول الفرض البديل بوجود على الأكثرين للتكامل المشترك اعتماداً على أن القيمة المحسوبة لاختيار الامكان الأعظم (80.95761) في العمود الثالث تزيد عن القيمة الحرجية في العمود الرابع (47.85613) مما يشير إلى أن هناك تكاملاً مشتركاً بين متغيرات الدراسة عند مستوى معنوية ٥٪، كذلك فإن القيمة المحسوبة للإمكانية (5.146480) تزيد عن القيمة الحرجية (3.841465)، وبذلك نرفض عدم القائل بوجود متجه واحد للتكامل المشترك.

تقدير معادلة السياسات النقدية وأثرها على التنمية الاقتصادية في السودان:

جدول رقم (٣): تقدير معادلة السياسات النقدية وأثرها على التنمية الاقتصادية

Variables	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
C	18.04450	0.358863	50.28237	0.0000
LOG (EX)	0.240781	0.060386	3.987359	0.0011
LOG (MR)	0.009598	0.040415	0.237491	0.8153
R-squared	0.997121	Durbin-Watson stat	1.323810	
Adjusted R-squared	0.996401			
F-statistic	1385.186			
Prob (F-statistic)	0.000000			

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

اختبار جودة التوفيق (R^2):

يعد المؤشر الأساسي في تقييم مدى معنوية العلاقة بين المتغيرات التابعة والمتغيرات المستقلة، أي بمعنى أنه يوضح نسبة مساهمة المتغيرات المستقلة في تفسير التغير الحاصل في المتغير التابع حيث جاءت نتائجه على النحو التالي:

جدول رقم (٤): قيم معامل التحديد للنموذج طويل الأجل

R-squared	0.99
Adjusted R-squared	0.99

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من جدول رقم (٤) يتبين قيمة معامل التحديد في النموذج طويل الأجل بلغ (٠٠,٩٩)، وهذا يعني أن (٩٩٪) من التغيرات الحادثة في السياسات النقدية في الأجل الطويل مسؤولة عن تفسيرها متغيرات النموذج، ونسبة (١٪) مسؤول عن تفسيرها متغير عشوائي لم يتضمنها نموذج الدراسة.

أولاً: معادلة نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي وهي:

$$SGDP = \alpha_0 + \alpha_1 MR + \alpha_2 EX + U_{t1}$$

سنقوم بإجراء الاختبارات الآتية:

مشكلة الارتباط الذاتي للنموذج طويل الأجل:

بغرض معرفة وجود مشكلة الارتباط الذاتي في النموذج طويل الأجل يتم استخدام ديرين وأنسون ويتم الحصول عليه من نتائج التقدير الهائي واختبار LM وقد أظهر نتائج هذه الاختبارات الآتي:

اختبار LM:

بغرض التتحقق من وجود الارتباط الذاتي من الدرجة الثانية من عدمه يكون وفقاً للادعاءات التالية:

فرض العدم: إذا كانت القيمة الاحتمالية للاختبار أكبر من ٥٪ يعني هذا عدم وجود مشكلة الارتباط الذاتي.

الفرض البديل: إذا كانت القيمة الاحتمالية للاختبار أقل من ٥٪ يعني وجود مشكلة الارتباط الذاتي.

جدول رقم (٥): اختبار الارتباط الذاتي (LM Test)

Breusch – Godfrey Serial Correlation LM Test:			
F -Statistic	3.632166	Prob. F(2,4)	0.1261
Obs* R-squared	12.25304	Prob.Chi-squared (2)	0.0022

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من جدول رقم (٥) يتبين أن معنوية الاختبار (١٢٦١)، وهي أكبر من ٠٠٥ مما يعني قبول فرض العدم ورفض الفرض البديل بأن النموذج لا يعاني من مشكلة الارتباط الذاتي، بمعنى آخر أن القيم الاحتمالية لاختبار الارتباط الذاتي بفترتي إبطاء أكبر من ٥٪ يعني عدم وجود مشكلة ارتباط ذاتي في النموذج.

مصفوفة الارتباطات:

جدول رقم (٦): مصفوفة الارتباطات

	LOG(EXED)	LOG(MR)	LOG(EX)
LOG(EXED)	1.000	0.115	0.280
LOG(MR)	0.115	1.000	0.611
LOG(EX)	0.280	0.611	1.000

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من جدول رقم (٦) يتبين أنه لا يوجد ارتباط أكبر من ٠٠٨٠ بين كل متغيرات الدراسة، عدا سعر الصرف (٠٠٦١)، وبالتالي لا توجد مشكلة ارتباط خطى في النموذج طويل الأجل.

مشكلة عدم ثبات التباين للنموذج طويل الأجل:

لمعرفة ما إذا كان النموذج يعاني من مشكلة عدم ثبات التباين تم استخدام **White** وذلك وفقاً للافتراضات الآتية:

فرض العدم: إذا كانت القيمة الاحتمالية لاختبار أكبر من ٥٪ يعني هنا عدم وجود مشكلة عدم ثبات التباين.

الفرض البديل: إذا كانت القيمة الاحتمالية لاختبار أقل من ٥٪ يعني وجود مشكلة عدم ثبات التباين.

وقد جاءت نتائج الاختبارين على النحو التالي:

جدول رقم (٧): اختبار **White**

Test	Prob*
White	0.0966

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من الجدول (٧) يتبين أن قيمة الاحتمالية لاختبار **White** بفترتي إبطاء أكبر من ٥٪ يعني عدم وجود مشكلة عدم ثبات التباين.

ولتقدير معلمات نموذج الدراسة نقوم بتقسيمه الى معادلتين رئيسيتين:
أولاً: معادلة نصيب الفرد كمتغيرتابع على المتغيرات التابعه وتنص المعادلة على الآتي:

$$SGDP = \alpha_0 + \alpha_1 MR + \alpha_2 EX + U_{t1}$$

اختبار **Ramsey** لتوصيف السليم للنموذج طويل الأجل:

يقوم هذا الاختبار على الآتي:

فرض العدم: إذا كانت القيمة الاحتمالية للاختبار أكبر من 5% يعني عدم وجود خطأ في توصيف النموذج.

الفرض البديل: إذا كانت القيمة الاحتمالية للاختبار أقل من 5% يعني وجود خطأ في توصيف النموذج. حيث جاءت نتائج هذا الاختبار كالتالي:

جدول رقم (٨): اختبار **Ramsey** لتوصيف النموذج

Test	Df	Prob*
T -Statistic	5	0.028076
F -Statistic	(1, 5)	0.000788

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من الجدول (٨) يتبين أن القيم الاحتمالية لاختبار **Ramsey** بفترتي إبطاء أكبر من 5% ويعني لا يوجد خطأ في توصيف النموذج.

تقدير النموذج طويل الأجل بواسطة (ARDL):

جدول رقم (٩): تقييم النموذج طويل الأجل

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.*
SGDP(-1)	0.306749	0.181113	1.693694	0.1413
SGDP(-2)	0.731085	0.219845	3.325463	0.0159
MR	-0.745250	0.298412	-2.497386	0.0467
EX	-26.92980	5.933555	-4.538561	0.0039
EX(-1)	-27.06670	7.400486	-3.657423	0.0106
EX(-2)	107.9021	25.12100	4.295294	0.0051
C	-127.1485	119.8778	-1.060651	0.3297
R-squared	0.968920	Mean dependent var		541.3999
Adjusted R-squared	0.906761	S.D. dependent var		29.94746
S.E. of regression	9.144497	Akaike info criterion		7.479923
Sum squared resid	501.7309	Schwarz criterion		8.126118
Log likelihood	-58.05927	Hannan-Quinn criter.		7.589285
F-statistic	15.58761	Durbin-Watson stat		3.256701
Prob(F-statistic)	0.001495			

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

يوضح جدول رقم (٩) العلاقة بين نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي والمتغيرات المستقلة ونلاحظ أن العلاقة بين عرض النقود ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عكسية ومعنوية عند احتمالية ٥٪ مما يخالف مع التقديرات القبلية، والعلاقة بين سعر الصرف ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عكسية عند مستوى معنوية ١٪ وهو ما يتفق مع النظرية الاقتصادية وكذلك التوقعات القبلية.

نلاحظ أن قيمة معامل التحديد المعدل (R^2) بلغ ٩٠٪ وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر ٩٠٪ من التغيرات الحادثة في نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في السودان خلال فترة الدراسة، وهذا يدل على أن هذه العوامل (عرض النقود، سعر الصرف) هي ذات التأثير الأكبر على نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في السودان.

من خلال تقدير النموذج طويل الأجل وعند اختبار الارتباط الذاتي بلغت قيمة ديرين واتسون المحسوبة (٣,٢٥) وهي تقع في المنطقة غير المؤكدة لوجود مشكلة الارتباط الذاتي، لأن قيمة بين القيمة الجدولية الأدنى (١,٣٤) والقيمة الجدولية الأعلى (١,٧٧) وقد أثبتت هذه النتيجة سابقاً في اختبار LM.

تقدير النموذج قصير الأجل بواسطة (ARDL):

الجدول (١٠): تقدير النموذج قصير الأجل

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
SGDP(-1)*	0.037835	0.164781	0.229606	0.8260
MR**	-0.745250	0.298412	-2.497386	0.0467
EX(-1)	53.90556	17.29164	3.117436	0.0207
C	-127.1485	119.8778	-1.060651	0.3297
D(SGDP(-1))	-0.731085	0.219845	-3.325463	0.0159
D(EX)	-26.92980	5.933555	-4.538561	0.0039
D(EX(-1))	-107.9021	25.12100	-4.295294	0.0051
R-squared	0.933353	Mean dependent var		0.567495
Adjusted R-squared	0.800060	S.D. dependent var		20.45078
S.E. of regression	9.144497	Akaike info criterion		7.479923
Sum squared resid	501.7309	Schwarz criterion		8.126118
Log likelihood	-58.05927	Hannan-Quinn criter.		7.589285
F-statistic	7.002246	Durbin-Watson stat		3.256701
Prob(F-statistic)	0.012852			

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

يوضح جدول رقم (١٠) العلاقة بين نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي والمتغيرات المستقلة ونلاحظ أن العلاقة بين عرض النقود ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عكسية ومعنوية عند احتمالية ٥٪ مما يخالف مع التقديرات القبلية، والعلاقة بين سعر الصرف ونصيب الفرد من الناتج

الم المحلي الإجمالي طردية عند مستوى معنوية ١٪ وهو يخالف النظرية الاقتصادية وكذلك التوقعات القبلية.

نلاحظ أن قيمة معامل التحديد المعدل (R^2) بلغ ٨٠٪، وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر ٨٠٪ من التغيرات الحادثة في نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في السودان خلال فترة الدراسة، وهذا يدل على أن هذه العوامل (عرض النقود، سعر الصرف) هي ذات التأثير الأكبر على نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي في السودان، من خلال تقدير النموذج قصير الأجل وعند اختبار الارتباط الذاتي بلغت قيمة ديرين واتسون المحسوبة (٣,٢٥) وهي تقع في المنطقة غير المؤكدة لوجود مشكلة الارتباط الذاتي، لأن قيمة بين القيمة الجدولية الأدنى (١,٣٤) والقيمة الجدولية الأعلى (١,٧٧).

تقدير نموذج تصحيح الخطأ بواسطة (ARDL):

يبين الجدول أدناه بتقدير ECM معامل تصحيح الخطأ الذي يوضح سرعة تحويل النتائج من الأجل القصير إلى الأجل الطويل، ويشترط أن يكون هذا المعامل سلبياً ومحبباً ومحبباً

جدول رقم (١١): نموذج تصحيح الخطأ بواسطة (ARDL)

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
COINTEQ*	0.037835	0.003800	9.957120	0.0000
D(SGDP(-1))	-0.731085	0.126454	-5.781438	0.0001
D(EX)	-26.92980	2.635261	-10.21903	0.0000
D(EX(-1))	-107.9021	11.20434	-9.630382	0.0000
R-squared	0.933353	Mean dependent var		0.567495
Adjusted R-squared	0.890942	S.D. dependent var		20.45078
S.E. of regression	6.753658	Akaike info criterion		6.953607
Sum squared resid	501.7309	Schwarz criterion		7.351266
Log likelihood	-58.05927	Hannan-Quinn criter.		7.020907
F-statistic	22.00706	Durbin-Watson stat		3.256701
Prob(F-statistic)	0.000012			

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

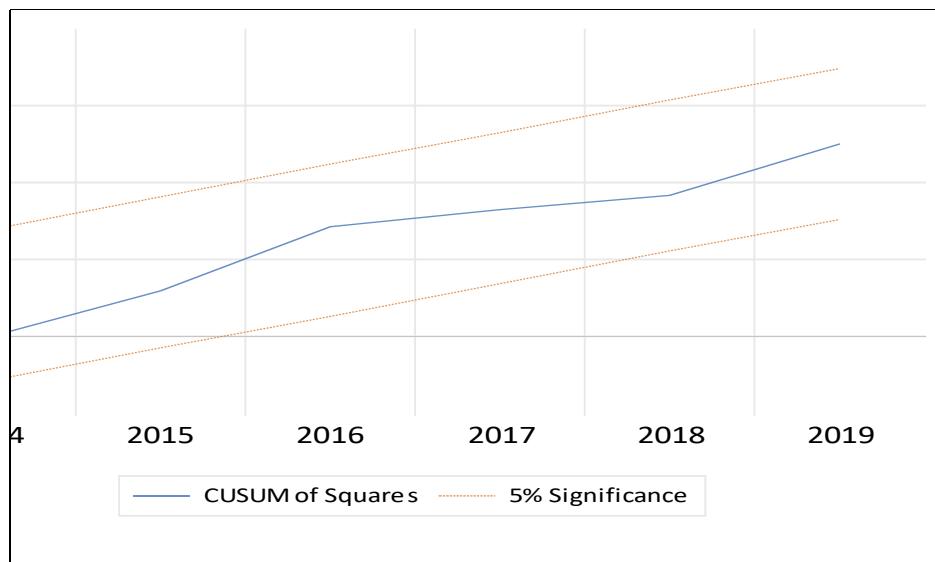
يوضح جدول رقم (١١) والخاص بتقدير معامل تصحيح الخطأ (١) Cointeq يظهر بإشارة سالبة ومحببة، وهذا يدل على وجود علاقة توازن طويلة الأجل، وأن النموذج به معدل تصحيح الخطأ قادر على تحويل النتائج من الأجل القصير لتماشي مع نتائج الأجل الطويل بسرعة ٣٠٠٪ في الفترة الواحدة.

اختبار المجموع التراكمي للبواقي (CUSUM):

تم إجراء اختبار المجموع التراكمي للبواقي CUSUM بغرض استقرار النموذج حيث يتم من خلاله بيان التغيرات الهيكيلية في البيانات ومدى انسجام المعلمات طويلة الأجل مع المعلمات قصيرة الأجل،

ويتحقق الاستقرار الهيكلي للمعلمات المقدرة إذا ما وقع الخط البياني للاختبار ضمن أو داخل الحدود الحرجة عند مستوى معنوية ٥٪.

(الشكل ١)



المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من الشكل (١) أعلاه استقرار النموذج وملائمة الصيغة الخطية للبيانات عند مستوى معنوية ٥٪ وهذا يدل على عدم وجود تأثير للصدامات التي تقلل من جودة النموذج، حيث يوضح من الشكل أن المعلمات المقدرة لنموذج ARDL عند مستوى المعنوية ٥٪، وبؤكد وجود استقرار بين المتغيرات وانسجام في النموذج بين نتائج تصحيح الخطأ في المدى القصير والطويل، حيث وقع الشكل البياني للاحصاء اختبار معادلين النموذج داخل الحدود الحرجة عند مستوى ٥٪.

ثانياً: معادلة الإنفاق على التعليم كمتغيرتابع على المتغيرات المستقلة وتنص على الآتي:

$$EXED = \beta_0 + \beta_1 MR + \beta_2 EX + U_{r2}$$

مشكلة الارتباط الذاتي للنموذج طويل الأجل:

للتتأكد من مشكلة الارتباط الذاتي في النموذج طويل الأجل يتم استخدام ديرين وأنسون ويتم الحصول عليه من نتائج التقدير النهائي واختبار LM وقد أظهر نتائج هذه الاختبارات الآتي:

اختبار الارتباط الذاتي: LM:

فرض العدم: إذا كانت القيمة الاحتمالية للاختبار أكبر من ٥٪ يعني هذا عدم وجود مشكلة الارتباط الذاتي.

الفرض البديل: إذا كانت القيمة الاحتمالية للاختبار أقل من ٥٪ يعني وجود مشكلة الارتباط الذاتي.

(LM Test): جدول رقم (١٢)

reusch – Godfrey Serial Correlation LM Test:
--

F -Statistic	5.083159	Prob. F(2,4)	0.0739
Obs* R-squared	9.578350	Prob.Chi- squared (2)	0.0020

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من الجدول (١٢) يتبيّن أن معنوية الاختبار (٧٣٩، ٠، ٠، ٥) وهي أكبر من .٥ مما يعني رفض العدّم وقبول الفرض البديل بأن النموذج لا يعاني من مشكلة الارتباط الذاتي، بمعنى آخر أن القيم الاحتمالية لاختبار الارتباط الذاتي بفترتي إبطاء أكبر من ٥٪ ويعني عدم وجود مشكلة ارتباط ذاتي في النموذج.

اختبار: White

لمعرفة ما إذا كان النموذج يعاني من مشكلة عدم ثبات التباين تم استخدام وايت فكانت النتيجة كالتالي:

جدول رقم (١٣): اختبار White

Test	Prob*
White	0.8775

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من جدول رقم (١٣) يتبيّن أن قيمة الاحتمالية لاختبار White بفترتي إبطاء أكبر من ٥٪ ويعني عدم وجود مشكلة عدم ثبات التباين.

اختبار Ramsey لتوصيف النموذج:

جدول رقم (١٤): اختبار Ramsey

Test	Df	Prob*
T -Statistic	(2, 4)	0.0215
F -Statistic	2	0.0000

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من جدول رقم (١٤) يتبيّن أن القيم الاحتمالية لاختبار Ramsey بفترتي إبطاء أكبر من ٥٪ ويعني لا يوجد خطأ في توصيف النموذج.

تقدير النموذج طويل الأجل بواسطة (ARDL):

جدول رقم (١٥): تقدير النموذج طويل الأجل

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.*
EXED(-1)	0.568405	0.212382	2.676336	0.0367
EXED(-2)	1.087072	0.276552	3.930802	0.0077
MR	-0.008721	0.002759	-3.160886	0.0195
EX	0.134953	0.057268	2.356531	0.0566
C	-1.848736	0.792981	-2.331375	0.0585
R-squared	0.984019	Mean dependent var	1.964737	
Adjusted R-squared	0.952058	S.D. dependent var	0.344829	

S.E. of regression	0.075502	Akaike info criterion	-2.113568
Sum squared resid	0.034204	Schwarz criterion	-1.467373
Log likelihood	33.07889	Hannan-Quinn criter.	-2.004206
F-statistic	30.78806	Durbin-Watson stat	3.049811
Prob(F-statistic)	0.000215		

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

يوضح جدول رقم (١٥) العلاقة بين الإنفاق على التعليم والمتغيرات المستقلة ونلاحظ أن العلاقة بين عرض النقود والإنفاق على التعليم عكسية وغير معنوية، والعلاقة بين سعر الصرف والإنفاق على التعليم طردية وغير معنوية وهو ما يخالف النظرية الاقتصادية. نلاحظ أن قيمة معامل التحديد المعدل (R^2) بلغ ٠,٩٥، وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر ٩٥٪ من التغيرات الحادثة في الإنفاق على التعليم في السودان خلال فترة الدراسة، وهذا يدل على أن هذه العوامل (عرض النقود، سعر الصرف) هي ذات التأثير الأكبر على الإنفاق على التعليم الإجمالي في السودان، من خلال تقدير النموذج طويل الأجل وعند اختبار الارتباط الذاتي بلغت قيمة ديرين واتسون المحسوبة (٣,٠٤) وهي تقع في المنطقة غير المؤكدة لوجود مشكلة الارتباط الذاتي، لأن قيمة بين القيمة الجدولية الأدنى (١,٣٤) والقيمة الجدولية الأعلى (١,٧٧).

تقدير النموذج قصير الأجل بواسطة (ARDL):

جدول رقم (١٦): تقدير النموذج قصير الأجل

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
EXED(-1)*	0.655477	0.257487	2.545669	0.0437
MR**	-0.008721	0.002759	-3.160886	0.0195
EX(-1)	0.723568	0.229383	3.154403	0.0197
C	-1.848736	0.792981	-2.331375	0.0585
D(EXED(-1))	-1.087072	0.276552	-3.930802	0.0077
D(EX)	0.134953	0.057268	2.356531	0.0566
D(EX(-1))	-0.601709	0.219858	-2.736807	0.0339
R-squared	0.845200	Mean dependent var	0.058421	
Adjusted R-squared	0.535599	S.D. dependent var	0.110793	
S.E. of regression	0.075502	Akaike info criterion	-2.113568	
Sum squared resid	0.034204	Schwarz criterion	-1.467373	
Log likelihood	33.07889	Hannan-Quinn criter.	-2.004206	
F-statistic	2.729969	Durbin-Watson stat	3.049811	
Prob(F-statistic)	0.113406			

المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

يوضح الجدول رقم (١٦) العلاقة بين الإنفاق على التعليم والمتغيرات المستقلة ونلاحظ أن العلاقة بين عرض النقود والإنفاق على التعليم عكسية وغير معنوية مما يتفق مع التقديرات القبلية، والعلاقة بين سعر الصرف والإنفاق على التعليم طردية عند مستوى معنوية ٥٪ وهو يتفق مع النظرية الاقتصادية وكذلك التوقعات القبلية.

نلاحظ أن قيمة معامل التحديد المعدل (R^2) بلغ ٥٣٪، وهذا يعني أن المتغيرات المستقلة تفسر ٥٣٪ من التغيرات الحادثة في الإنفاق على التعليم في السودان خلال فترة الدراسة، وهذا يدل على أن هذه العوامل (عرض النقود، سعر الصرف) هي ذات التأثير الأكبر على الإنفاق على التعليم في السودان. من خلال تقدير النموذج قصير الأجل وعند اختبار الارتباط الذاتي بلغت قيمة ديرين واتسون المحسوبة (٣٠.٤) وهي تقع في المنطقة غير المؤكدة لوجود مشكلة الارتباط الذاتي، لأن قيمة بين القيمة الجدولية الأدنى (١٣٤) والقيمة الجدولية الأعلى (١٧٧).

تقدير نموذج تصحيح الخطأ بواسطة (ARDL):

يبين الجدول أدناه بتقدير ECM معامل تصحيح الخطأ الذي يوضح سرعة تحويل النتائج من الأجل القصير إلى الأجل الطويل، ويشترط أن يكون هذا المعامل سلبياً ومحظوظاً

الجدول (١٧)

نموذج تصحيح الخطأ بواسطة (ARDL)

Variable	Coefficient	Std. Error	t-Statistic	Prob.
COINTEQ*	0.655477	0.077032	8.509194	0.0000
D(EXED(-1))	-1.087072	0.183994	-5.908191	0.0001
D(EX)	0.134953	0.019996	6.749080	0.0000
D(EX(-1))	-0.601709	0.070012	-8.594353	0.0000
R-squared	0.845200	Mean dependent var	0.058421	
Adjusted R-squared	0.746691	S.D. dependent var	0.110793	
S.E. of regression	0.055762	Akaike info criterion	-2.639883	
Sum squared resid	0.034204	Schwarz criterion	-2.242225	
Log likelihood	33.07889	Hannan-Quinn criter.	-2.572584	
F-statistic	8.579904	Durbin-Watson stat	3.049811	
Prob(F-statistic)	0.001039			

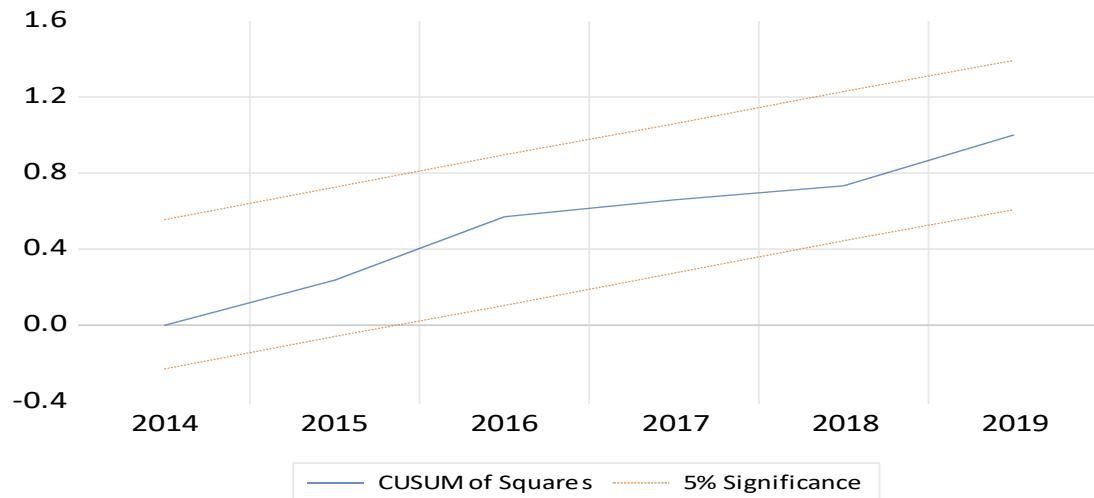
المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

يوضح جدول رقم (١٧) والخاص بتقدير معامل تصحيح الخطأ (-١) Cointeq يظهر بإشارة سالبة ومحظوظ، وهذا يدل على وجود علاقة توازنية طويلة الأجل، وأن النموذج به معدل تصحيح الخطأ قادر على تحويل النتائج من الأجل القصير لتنماشى مع نتائج الأجل الطويل بسرعة ٠٠٦ في الفترة الواحدة.

اختبار المجموع التراكمي للبواقي (CUSUM):

تم إجراء اختبار المجموع التراكمي للبواقي CUSUM بغرض استقرار النموذج حيث يتم من خلاله بيان التغيرات الهيكيلية في البيانات ومدى انسجام المعلمات طويلة الأجل مع المعلمات قصيرة الأجل، ويتحقق الاستقرار الهيكيلي للمعلمات المقدرة إذا ما وقع الخط البياني للاختبار ضمن أو داخل الحدود الحرجة عند مستوى معنوية ٥٪.

الشكل (٢)



المصدر: إعداد الباحث باستخدام الحزمة الحاسوبية (Eviews13)

من الشكل (٢) أعلاه استقرار النموذج وملائمة الصيغة الخطية للبيانات عند مستوى معنوية ٥٪ وهذا يدل على عدم وجود تأثير للخدمات التي تقلل من جودة النموذج، حيث يوضح من الشكل أن المعلمات المقدرة لنموذج ARDL عند مستوى المعنوية ٥٪، ويؤكد وجود استقرار بين المتغيرات وانسجام في النموذج بين نتائج تصحيح الخطأ في المدى القصير والطويل، حيث وقع الشكل البياني لإحصاء اختبار معادلتين النموذج داخل الحدود الحرجة عند مستوى ٥٪.

النتائج والتوصيات:

أولاً: النتائج:

١- أظهرت نتائج الدراسة أن العلاقة بين عرض النقود ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي عكسية وغير معنوية حيث بلغت قيمة الاحتمالية $P = 0.046$ ، كما أظهرت وجود علاقة عكسية حيث ظهرت المعلمة بالإشارة السالبة وقد بلغت $\text{Coefficient} = -0.008721$ مما يعني زيادة المعروض النقدي يؤثر سلباً على نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي.

٢- أظهرت نتائج الدراسة أن العلاقة بين سعر الصرف ونصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي معنوية حيث بلغت قيمة الاحتمالية $P = 0.003$ ، كما أظهرت وجود علاقة عكسية حيث ظهرت المعلمة بالإشارة السالبة وقد بلغت $\text{Coefficient} = -26.92980$ مما يعني زيادة سعر الصرف تؤثر سلباً على نصيب الفرد من الناتج المحلي الإجمالي.

المعادلة الثانية:

$$EXED = \beta_0 + \beta_1 MR + \beta_2 T + \beta_3 G + \beta_4 EX + U_{t2}$$

١- أظهرت نتائج الدراسة عدم معنوية العلاقة بين المعروض النقدي والإنفاق على التعليم حيث بلغت قيمة الاحتمالية $P = 0.019$ ، كما أظهرت وجود علاقة عكسية حيث ظهرت المعلمة بالإشارة

السالبة وقد بلغت $Coefficient = -0.008721$ مما يعني زيادة المعروض النقدي يؤثر سلباً على الإنفاق على التعليم.

٢- أظهرت نتائج الدراسة معنوية العلاقة بين سعر الصرف والإنفاق على التعليم حيث بلغت قيمة الاحتمالية $P = 0.05$ ، كما أظهرت وجود علاقة طردية حيث ظهرت المعلمة بالإشارة الموجبة وقد بلغت $Coefficient = 0.134953$ مما يعني زيادة سعر الصرف يؤثر بصورة إيجابية على الإنفاق على التعليم.

ثانياً: التوصيات:

توصلت الدراسة إلى التوصيات التالية:

١- أوصت الدراسة بالتحكم في المعروض النقدي بما تؤثر إيجاباً على نصيب الفرد والإنفاق على التعليم.

٢- أوصت الدراسة بالتحكم في سعر الصرف من أجل زيادة قيمة العملة الوطنية والتي تنعكس بصورة إيجابية على زيادة نصيب الفرد وزيادة نفقات التعليم الأمر الذي يزيد من التنمية الاقتصادية في الدولة.

المصادر والمراجع:

١. أبو الفتاح على ناقة، ٢٠١٩، نظرية النقود والمؤسسات المالية، المجلة الدولية للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد التاسع، أبريل.
٢. أمير سليمان مصطفى ابو قرون وعاتكة عثمان العطا احمد، ٢٠٢١م، السياسات النقدية وأثرها على أداء ميزان المدفوعات في السودان (١٩٩٢-٢٠١٩م)، مجلة جامعة شندي للعلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد الثاني، نوفمبر.
٣. البكري وأخرون، ٢٠٠٢م، النقود والبنوك بين النظرية والتطبيق، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان.
٤. خورشيد أحمد، ١٩٨٥م، ترجمة رفيق يونس المصري، التنمية في إطار إسلامي، مجلة أبحاث الاقتصاد الإسلامي.
٥. زبيدة نورالدين عبد الله صالح، ٢٠٢٢م، تقدير محددات سعر الصرف في السودان خلال الفترة (١٩٩٠ - ٢٠٢١م)، المجلة الأفريقية للدراسات المتقدمة في العلوم الإنسانية والاجتماعية، طرابلس - ليبيا، المجلد الأول، العدد الرابع، نوفمبر.
٦. صلاح محمد ابراهيم احمد، ٢٠٢١م، أثر عدم استقرار سعر الصرف في ميزان المدفوعات دراسة حالة السودان خلال الفترة (١٩٧٩ - ٢٠١٧م)، المركز الديمقراطي العربي - المجلة الدولية للدراسات الاقتصادية، برلين - ألمانيا، العدد التاسع عشر، نوفمبر.
٧. ليماء احمد، ٢٠١٨م، أثر السياسة المالية على التنوع الاقتصادي في المملكة العربية السعودية دراسة تحليلية للفترة (٢٠٠٠ - ٢٠١٧م)، رسالة ماجستير، جامعة محمد

بوضياف - كلية العلوم الاقتصادية والتجارية - قسم علوم الاقتصاد - المسيلة. الجزائر-

<http://dspace.univ->

SPACE

UMB M

[.msila.dz:8080//xmlui/handle/123456789/14775](msila.dz:8080//xmlui/handle/123456789/14775)

٨. محاسن عثمان حاج نور، ٢٠١٩م، أثر العرض النقدي على معدلات التضخم في السودان خلال الفترة (٢٠١٠ - ٢٠١٨م) جامعة الرباط الوطني - مجمع أم درمان - السودان، مجلة البحوث الاقتصادية والمالية مج٦، العدد ٢٠ - ديسمبر.
٩. مير بالدوين، ٢٠٢٣م، اقتصاديات التنمية الاقتصادية (نظرة تاريخية)، ترجمة: جرانت اسكندر، تقديم ومراجعة: جمال محفوظ، وكالة الصحافة العربية، جمهورية مصر العربية.
١٠. نزار كاظم الخيكاني - حيدر يونس الموسوي، ٢٠١٥م، السياسات الاقتصادية الإطار العام وأثرها في السوق العالمي ومتغيرات الاقتصاد الكلي، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، ط٢، عمان.
١١. هبة عوض الله على ونادية بشري محمد وهبودا محمد فضل، ٢٠٢٠م، العوامل المؤثرة في سعر الصرف دراسة تطبيقية للفترة (١٩٩٨ - ٢٠١٨م) المجلة الإلكترونية الشاملة متعددة التخصصات، العدد الواحد والثلاثون - ديسمبر.
١٢. وراق على وراق، ٢٠٢٠م، أثر تغير النقود على الناتج المحلي الاجمالي وسعر الصرف والمستوى العام للأسعار في السودان (١٩٩٦-٢٠٠٩م)، رسالة دكتوراه غير منشورة، جامعة ام درمان الاسلامية، كلية الاقتصاد، مجلة اقتصاديات شمال اقتصاديات افريقيا، العدد ٢٢.